دير القديس أنبا مقار

المزامير

دراسة أكاديمية

دراسة وشرح وتفسير

المجلد الثالث

من المزمور الثاني والأربعين إلى المزمور التاسع والثمانين

الأب متى المسكين

الثمن ٤٥ جنيهاً

(٢٩٤)

دير القديس أنبا مقار

المزامير

دراسة أكاديمية

دراسة وشرح وتفسير

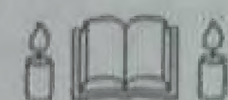
المجلد الثالث

مِن المزمور الثاني والأربعين إلى المزمور التاسع والثمانين

الأب متى المسكين

كتاب: المزامير دراسة وشرح وتفسير، المجلد الثالث.
من المزمور الثاني والأربعين إلى المزمور التاسع والثمانين.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ٢٠٠٤.
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧.
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
ص.ب ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٥١٧٤.
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-240-204-1

الفهرس



مُقَدِّمَة

الكتاب الثاني

في سفر المزامير

الكتابان الثاني والثالث (مزمور ٤٢ – مزمور ٨٩) يكوِّنان معاً الجزء الثاني الأساسي في تقسيم سفر المزامير. فالجزء الأعظم فيه (٤٢–٨٣) معروف باسم مجموعة (الإلوهيستيك Elohistic) أو **الإلوهيم** أي مجموعة المزامير المدموغة باسم الله. لأن اسم الإلوهيم هو اسم الله فيها كلها بدل اسم يهوه (السيد أو الرب). وهذه الخاصية الخاصة بها على كل حال من عمل يد الجامع للمزامير أي الذي قام بتجميع المزامير من الثلاثة مصادر:

١ – مجموعة المزامير المجموعة والمحفوظة بواسطة اللاويين وعائلاتهم أو نقابتهم الموسيقية المعروفة باسم عائلة القورحيين.

٢ – المجموعة الثانية تحمل اسم داود.

٣ – المجموعة الثالثة تحمل اسم آساف وكانت محفوظة عند عائلة النقابة التي لآساف.

ولمجموعة الإلوهيم ينضم ويضاف إليها مزامير مأخوذة من نغمات القورحيين ومصادر أخرى (مزامير ٨٤–٨٩) لم تتغير بواسطة الذي جمَّع مزامير الإلوهيم. هذه المجموعة في البداية سواء كان فيها الإضافة "الملحق" أم لا كانت في وقت من الأوقات متداولة كمجموعة منفصلة لكتاب قائم بذاته.

والسبعة مزامير الأُولى في الكتاب الثاني (إذا اعتبرنا أن المزمورين ٤٢و٤٣ مزموراً واحداً) توصف في عناوينها أنها **من أولاد قورح**، (وهذه ترجمة أفضل من ترجمة النسخة القديمة A.V. التي فيها **إلى أولاد قورح**، والتي تعني أن هذه المزامير إنما سُلِّمت إلى القورحيين ليقولوها على الموسيقى). وهذا يعني أنها أُخذت من مجموعة تحمل اسم: [كتاب تسابيح أولاد قورح].

وقورح هنا هو حفيد قاهات الابن الثاني للاوي، فلمَّا هلك بسبب ثورته على موسى (عد ١٦، ١١:٢٦)، أخذ فأبناؤه وظائف هامة. والقورحيون عملوا كبوابين في خيمة اللاويين وكانوا حراس الخيمة المقدسة التي أقامها داود. ولهم أُعطيت وظيفة ضباط بوابين للخيمة، التي استأنفوها بعد

عودهم من بابل (١أي ١٧:٩)، (١أي ١:٢٦ إلخ)، (نح ١٩:١١). والقورحيون لهم صلة بخدمة التسبيح المقدسة في الخيمة، وهيمان الذي كان واحداً من ثلاثة رؤساء الموسيقيين كان أيضاً من القورحيين (١أي ٦: ٣١-٣٣)؛ وأولاده كانوا قواداً لأربع عشرة من أربع وعشرين جماعة لموسيقى الهيكل (١أي ٤:٢٥ إلخ). وهناك ما يثبت أنهم كانوا مغنيين في تاريخ حكم يهوشافاط (٢أي ١٩:٢٠)، ولكن ذُكِروا بعد السبي فقط كبوابين وليس كموسيقيين. ويحيئيل وشمعي اثنان من أولاد هيمان ذُكرا في (٢أي ١٤:٢٩) أنهما عملا مع حزقيا في التجديد مثل اللاويين.

وصفات مزامير القورحيين الأساسية في مزاميرهم قد بالغ بعض الشرّاح في تحديدها. ولكن من المثبت أن المجموعة تحتوي على مزامير تعطي روحاً تقوية وارتباطاً شديداً بالهيكل، ومسرّة وبهجة يشعر بها السامع في خدمة الهيكل مثل مزمور ٤٢و٤٣و٨٤.

والمزامير المخصّصة للاحتفالات، فيها شيء من الاعتداد والغيرة في تسبيح أُورشليم (مدينة الله) التي اختارها لسكناه وفيها يحكم كملك، (مزامير ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٨٧) ولكن ذلك ليس وقفاً على هذه المزامير فقط. وهنا بعض الملامح الأخرى التي تعتبر خاصة بها ولكن ليس إلى مستوى الخواص الرئيسية.

وفي الحقيقة، كثرة وتنوع الأفكار والانطباع في مزامير هذه المجموعة يبدو واضحاً. وهي تُعتبر:

١ - مزامير شخصية توضّح التقوى الشخصية (٤٢ و٤٣ و٨٤). وإذا كان مزمور (٨٨) يُضاف لمجموعة القورحيين ففيه صلاة عاطفية لحزن عميق.

٢ - مزامير شعبية وفيها مزمور (٤٤) صلاة في زمن الخطر والحزن والمزامير ٤٦ إلى ٤٨ شكر على النجاة ومزمور ٨٥ مزيج من الشكر والصلاة.

٣ - مزمور (٤٥) تهنئة حكيمة لزواج الملك، ومزمور (٤٩) شعر تعليمي له صلة كمزمور (٨٨) أيضاً بأسفار الحكمة، ومزمور (٨٧) يعطي روح النبوّة القوية بخلاص الأمم.

فمزامير القورحيين تكوّن في النهاية اختياراً جذّاباً وشديداً حيث عوامل الأُمة والشعبية تسود.

وبالنسبة لتاريخ هذه المزامير فالمجموعة التي داخل الإلوهيم ينبغي أن تفرّق من المزامير التي في الملحق، ففي الأُولى المزامير ٤٢ إلى ٤٩، منها ما يعود إلى زمن الملوكية الواحدة (٤٥ و٤٦ و٤٨) وليس منها ما يعتبر بعد سقوط المملكة. وفي الملحق (٨٥) فقط يُعتبر متأخراً عن العودة بعد السبي.

المزموران الثاني والأربعون والثالث والأربعون

دراسة:

هذان المزموران يكوِّنان معاً قطعة شعرية واحدة لها ثلاث وقفات متساوية تنتهي كل واحدة منها بنفس القرار، ولهما نفس الظروف والنغمة والروح واللغة، كلها واحد. والصلاة في مزمور (٤٣) ترد على شكوى مزمور (٤٢).

ربما كان الزمن هو الذي فرّق بين المزمورين في التأليف أو ربما كانا لشاعرين مختلفين، وربما من البداية كانا منفصلين ولكن الأرجح أنهما لمؤلف واحد، أو أنهما كانا مزموراً واحداً في الأصل وأحياناً وُجدا متحدين، ولكن ذلك كان يرجع لعدم وجود عنوان أو مؤلف لمزمور (٤٣). ويُظن أن تقسيم المزمورين تمَّ بعد تكوين مجموعة الإلوهيم حيث يحمل مزمور (٤٣) عنواناً دون عن المزامير الباقية في هذه المجموعة باستثناء مزمور (٧١).

ومؤلف هذين المزمورين هو واحد اعتاد أن يقود الحجّاج في مزامير الصعود إلى الهيكل في الأعياد العامة ذات التسابيح المفرحة، ولكنه مُنع الآن من الذهاب للعبادة في الهيكل، وهو يذكر المناطق التي حرم فيها "أرض الأُردن ومنطقة حرمون" وهي المنطقة التي يبدأ منها جبل حرمون ويسميه جبل ميزار، وهو ربما يكون تل في المنطقة، وهو محاط بالوثنيين الأعداء (مز ٤٣:١) الأمر الذي جعله دائماً حزيناً أمام الله لأنه هُجر من الله: (٤٢: ٣و١٠)، (٢:٤٣). وهكذا جُرِّب إيمانه بشدة ولكنه كان واثقاً أنه سيُسمح له مرَّة أخرى بالذهاب إلى أُورشليم وينضم إلى الخدمة في الهيكل.

فمن هو ومتى كان يعيش؟ وجود هذا المزمور في مجموعة قورح يرجح أنه كان من القورحيين، ومما يجعل الأمر محتملاً ومثبتاً شوقه الكثير وحبه للهيكل وخدماته والعمل الذي كان معتاداً أن يؤديه في الأعياد للحجاج، ومهارته كموسيقي (٨:٤٢)، (٤:٤٣). فقد كان الهيكل قائماً وخدماته كانت تُجرى بانتظام. فبالنسبة لهذا المزمور لا يوجد ما يؤكّد هل كان قبل السبي أو بعد السبي، ولكن بسبب اتصاله الوثيق بمزمور (٨٤) يمكن جعله في عصر مبكّر.

والمزمور (٨٤) يأتي مطابقاً في النغم والروح واللغة والتكوين للمزمورين ٤٢و٤٣، حتى إنه

يمكننا أن نقول إنه قد كُتب بنفس المؤلف تحت ظروف أفضل وأسعد. فإذا فُهم عدد (٩) كصلاة من أجل الملك فهو بعد في الملكية المفردة. ومزمور (٦٣) وبدرجة أقل مزمور (٦١) ينتميان إلى نفس المدة ولهما تقابلات. والموافقة الشديدة بين مزمور (٤٢و٤٣) ويوئيل النبي (انظر: مز ٤٢: ١و٣) ثمّ استخدام المزمور عند يونان النبي (انظر: مز ٤٢:٧) أمور هامة، ولكن تواريخ هذه الأسفار غير مؤكّدة.

وحرمان صاحب المزمور من الذهاب إلى أُورشليم وتعرُّضه لمقاومات الوثنيين كمحاربين حدث في أزمنة مختلفة في إحدى غارات أشور مع سوريا أو ربما بعد أن انتهت المملكة الشمالية.

والعالِم Delitzsch ينسب المزمور لأحد القورحيين الذين رافقوا داود في هروبه إلى محنايم أثناء ثورة أبشالوم (٢صم ١٥:٢٤).

الروح المرحة السعيدة التي لصاحب المزمور وجمال شِعْرهُ وتقواه هي بقايا روح ومرح إسرائيل. ويوضّح اشتياقه الشديد للعودة إلى أُورشليم والدخول للهيكل ذلك، لكي ينال شركة مع الله في سعادة روحية.

وتركيب المزمور متوازن وفني وله ثلاث وقفات كل وقفة تنتهي بقرار موسيقى وفيه رنة مراثي:

١ - شوق صاحب المزمور بروحه نحو الله (١و٢) وفي حزنه يجد راحة في تذكر سعادته السابقة (٣و٤).

٢ - يذكر ضربته بحزن (٦و٧) ويذكر سابق أفراحه، وعتاب الله لتركه لأعدائه (٨-١٠).

٣ - يصلّي للخلاص من أعدائه (٤٣: ١و٢) ولاسترجاع مجد الهيكل (٣و٤).

وفي القرار الذي يختم كل وقفة ينفجر إيمانه لينمي النصرة فوق اليأس (٤٢: ٥و١١، ٤٣:٥).

المزمور الثاني والأربعون

لرئيس الموسيقى. قَصِيدَةٌ لِبَنِي قُورَحَ

١- «كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاه، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ.

٢- عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟

٣- صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزاً نَهَاراً وَلَيْلاً إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ: "أَيْنَ إِلهُكَ؟".

٤- هذه أَذْكُرُهَا فَأَسْكُبُ نَفْسِي عَلَيَّ: لأَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ مَعَ الْجُمَّاعِ، أَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ بِصَوْتِ تَرَنُّمٍ وَحَمْدٍ، جُمْهُورٌ مُعَيِّدٌ.

٥- لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ.

٦- يَا إِلهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذلِكَ أَذْكُرُكَ مِنْ أَرْضِ الأُرْدُنِّ وَجِبَالِ حَرْمُونَ، مِنْ جَبَلِ مِصْعَرَ.

٧- غَمْرٌ يُنَادِي غَمْراً عِنْدَ صَوْتِ مَيَازِيبِكَ. كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ.

٨- بِالنَّهَارِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ، وَبِاللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلاَةٌ لإِلهِ حَيَاتِي.

٩- أَقُولُ للهِ صَخْرَتِي: "لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟".

١٠- بِسَحْقٍ فِي عِظَامِي عَيَّرَنِي مُضَايِقِيَّ، بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: "أَيْنَ إِلهُكَ؟".

١١- لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي».

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١و٢]:

شوق روح صاحب المزمور للشركة مع الله:

١ - «كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاه، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ»:

ليست إيل (hart) لأن الإيل هو ذكر الغزال ولكنه الأنثى (غزالة hind) لأن الفعل مؤنث.

والذي جاء في يوئيل موازياً لهذا المزمور (يؤ ١:٢٠).

٢ – «عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟»:

انظر: (مز ٦٣:١):

+ «يا اللهُ! إلهي أنت. إليك أُبكِّر. عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء».

«الإله الحي»:

وليس إلهاً ميتاً كالأصنام. انظر: (مز ٨٤:٢):

+ «تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي».

وأيضاً: (هو ١:١٠):

+ «ويكون عوضاً عن أن يُقال لهم لستم شعبي، يُقال لهم أبناء الله الحي».

وأيضاً: (تث ٥:٢٦):

+ «لأنه من هو من جميع البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلَّم من وسط النار ...».

«وأتراءى قدام الله»:

اصطلاح ساري للذي يزور الهيكل أثناء الأعياد الكبرى الثلاثة (خر ٢٣:١٧). وتُقال أيضاً: "أنظر وجه الله"، وهذا الاصطلاح يعني السماح للإنسان أن يدخل لرجل كبير رئيس، وذلك لأنه ليس من المعقول أن يُرى وجه الله فصارت «أتراءى أمامه». لكن انظر: (مز ٦٣:٢):

+ «لكي أُبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك».

[٣و٤]:

أحزان الحاضر في مقابل سعادة الماضي.

٣ – «صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزاً نَهَاراً وَلَيْلاً إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ: "أَيْنَ إِلهُكَ؟"»:

انظر: (مز ٨٠:٥):

+ «قد أطعمتهم خبز الدموع وسقيتهم الدموع بالكيل».

وأيضاً: (مز ١٠٢: ٤و٩):

+ «ملفوح كالعشب ويابس قلبي حتى سهوت عن أكل خبزي».

+ «إني قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابي بدموعٍ».

الدموع صارت عنده كالخبز بمعنى أنه شبع شبعاً من كثرة البكاء.

«أين إلهك»:

انظر: (مز ١١٥:٢):

+ «لماذا يقول الأُمم أين هو إلههم؟»

وأيضاً: (يؤ ٢:١٧):

+ «... لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم».

وأيضاً: (مي ٧:١٠):

+ «وترى عدوتي فيغطيها الخزي القائلة لي أين هو الرب إلهك».

أكثر إحساس بالمرار عند صاحب المزمور أن يعيِّره الوثنيون الأعداء. لأن الله لم يتدخَّل، بقولهم أين إلهك.

٤ – «هذه أَذْكُرُهَا فَأَسْكُبُ نَفْسِي عَلَيَّ: لأَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ مَعَ الْجُمَّاعِ، أَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ بِصَوْتِ تَرَنُّمٍ وَحَمْدٍ، جُمْهُورٌ مُعَيِّدٌ»:

لقد سمح لأحاسيسه أن تعود إلى العواطف حينما كان في الماضي يقود جماعة الحجَّاج ويصعد الدرج بالموسيقى والأغاني. ففاضت نفسه عليه وكأنها تتسلَّط عليه من الخارج. انظر: (مز ٤٣:٥):

+ «لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ. ترجَّي الله لأني بعد أحمده. خلاص وجهي وإلهي».

وأيضاً: (مز ١٣١:٢):

+ «بل هدَّأتُ وسكَّتُّ نفسي كفطيم نحو أُمه، نفسي نحوي كفطيم».

وأيضاً: (مز ١٤٢:٣):

+ «عندما أعيت روحي فيَّ وأنت عرفت مسلكي».

وأيضاً: (أي ٣٠:١٦):

+ «فالآن انهالت نفسي عليَّ وأخذتني أيام المذلة».

وأيضاً: (إر ٨:١٨):

+ «من مفرّج عني الحزن. قلبي فيَّ سقيم».

لذلك ارتمى في أحضان الماضي أيام عزّه وفرحه ونشيده وموسيقاه، يعود إلى بيت الله بالترنم.

انظر: (مز ٧٧:١١):

+ «وألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي».

٥ – «لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ»:

في هذا القرار نجد النفس الحقيقية تزجر نفسه الضعيفة التي اختبأت وراء عواطفها تتألم.

«منحنية»:

ملتوية للسقوط حزينة باكية. انظر: (مز ٣٥:١٤):

+ «كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشَّى. كمن ينوح على أُمه انحنيت حزيناً».

وأيضاً: (مز ٣٨:٦):

+ «لويت انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزيناً».

كلمات متشابهة لكلمات ربنا يسوع في جثسيماني «نفسي حزينة حتى الموت»، مما يوحي أن هذا المزمور كان في فكر السيد الرب في تلك الساعة. وفي هذه المناسبة جدير بالذكر أن الإيل hart في الفن المسيحي القديم كان من الرموز التي ترمز للرب.

«تئنين فيَّ»:

انظر: (مز ٧٧:٣):

+ «أذكر الله فأئن. أناجي نفسي فيغشى على روحي. سلاه».

وأيضاً: (إر ٤:١٩):

+ «أحشائي أحشائي. توجعني جدران قلبي. يئن فيَّ قلبي. لا أستطيع السكوت ...».

«ترجّي الله»:

انظر: (مز ٣٨:١٥):

+ «لأني لك يا رب صبرت أنت تستجيب يا رب إلهي».

وأيضاً: (مز ٣٩:٧):

+ «والآن ماذا انتظرت يا رب رجائي فيك هو».

وأيضاً: (مي ٧:٧):

+ «ولكنني أراقب الرب أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي».

«لأجل خلاص وجهه»:

تقرأ في السريانية والسبعينية: "الذي هو خلاص وجهي وإلهي".

[٦-١١]:

مرُّ النفس يدور إلى الله ويتوسَّل من أجل حاله.

٦ – «يَا إِلهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذلِكَ أَذْكُرُكَ مِنْ أَرْضِ الأُرْدُنِّ وَجِبَالِ حَرْمُونَ، مِنْ جَبَلِ مِصْعَرَ»:

قد غلبته مشاعره لذلك يُسرع ويتجه إلى الله الذي يتذكّره وهو بعيد عن مكان سكناه ويذكر مكان غربته عن الله. ربما بالقرب من دان (تل القاضي) أو قيصرية فيلبُّس (بانياس) حيث يخرج الأُردن من مرتفعات حرمون. أمَّا تل مصعر فهو بالقرب من هذا الموضع.

٧ – «غَمْرٌ يُنَادِي غَمْراً عِنْدَ صَوْتِ مَيَازِيبِكَ. كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ»:

أرسل الله عليه انزعاجاً وراء انزعاج فغمرته الرعبة كما تحت لجة من اليأس، وهو يصف شلالات المياه وهي منحدرة من الجبل لتدخل الأُردن بأصوات مرعبة للمرتعب، خصوصاً في انتهاء الشتاء وذوبان الثلوج من فوق جبل حرمون.

٨ – «بِالنَّهَارِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ، وَبِاللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلاَةٌ لإِلهِ حَيَاتِي»:

بالنهار يهوه يُعطي مراحمه، وبالليل نسبِّحه ونصلِّي. وهو يوازي بين حاله الحزين الآن وبين أيام الرِّضا والرحمة والتسبيح والصلاة. انظر: (مز ٩٢:٢):

+ «أن يخبر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة».

وإحسانات الله كالنور والحق، انظر: (مز ٤٣:٣):

+ «أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك».

هي دائماً مشخَّصة في قلب النقي كملاك حارس. والصلاة شركة مع الله، انظر: (١صم ٢:١):

+ «فصلَّت حنة وقالت: فرح قلبي بالرب. ارتفع قرني بالرب. اتسع فمي على أعدائي. لأني قد ابتهجت بخلاصك».

وأيضاً: (حب ٣:٢):

+ «يا رب قد سمعت خبرك فجزعت. يا رب عملك في وسط السنين أحيه. في وسط السنين عرِّف. في الغضب اذكر الرحمة».

«لإله حياتي»:

تعبير جميل رقيق فيه روح وحياة. انظر: (مز ٦٦:٩):

+ «الجاعل أنفسنا في الحياة ولم يُسلِّم أرجلنا إلى الزلل».

«الرب»:

جاءت عكس المعمول به في الكتاب الثاني للمزامير الذي يستخدم إلوهيم، فقد جاءت هنا «يهوه».

[٩-١١]: وقد استدعى رحمة الله في الماضي فيجدها فرصة لكي يراجعه: لماذا الهجران وعرضه للأعداء.

٩ - «أَقُولُ للهِ صَخْرَتِي: "لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟"»:

كلمة «أقول» تأتي في المستقبل تعبيراً عن استجماع الشجاعة والإرادة والتصميم.

«صخرتي»:

تستخدم لله كملجأ. انظر: (مز ١٨:٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي».

وأيضاً: (مز ٣١:٣):

+ «لأن صخرتي ومعقلي أنت. من أجل اسمك تهديني وتقودني».

وتأتي أيضاً: **"قوتي"**.

«لماذا»:

ليس سؤال المساءلة ولكن تعبير من هو حائر. انظر: (مز ١٣:١):

+ «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان. إلى متى تحجب وجهك عني».

وأيضاً: (مز ٢٢:١):

+ «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري».

وأيضاً: (مز ٨٨:١٤):

+ «لماذا يا رب ترفض نفسي».

«حزيناً»: نائحاً

انظر: (مز ٣٥:١٤):

+ «كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشى. كمن ينوح على أُمه. انحنيت حزيناً».

وأيضاً: (مز ٨٨:٦):

+ «وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات في أعماق».

وأيضاً: (أي ٣٠:٢٨):

+ «اسوددتُ لكن بلا شمس. قمت في الجماعة أصرخ».

«من مضايقة عدوِّي»:

انظر: (مز ٤٣:٢):

+ «لأنك أنت إله حصني. لماذا رفضتني. لماذا أتمشَّى حزيناً من مضايقة العدو».

وأيضاً: (مز ٤٤:٢٤):

+ «لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا».

وأيضاً: (مز ٥٦:١) **بالفعل:**

+ «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهممني واليوم كله محارباً **يضايقني**».

وأيضاً: (مز ١٠٦:٤٢) **بالفعل:**

+ «وضغطهم أعداؤهم فذلوا تحت يدهم».

١٠ - «بِسَحْقٍ فِي عِظَامِي عَيَّرَنِي مُضَايِقِيَّ، بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: "أَيْنَ إِلهُكَ؟"»:

العظام في الشعر اليهودي كناية عن كل الكيان الجسدي لأنها هي هيكله الذي يقيمه ولذلك هي قاعدة الألم. انظر: (مز ٢:٦):

+ «ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت».

وأيضاً: (مرا ٤:٣):

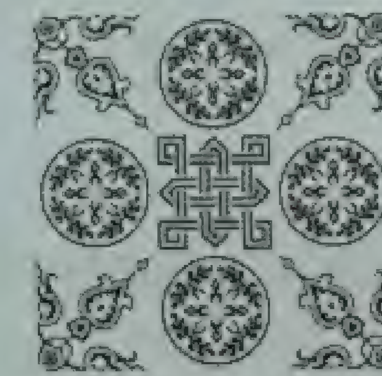
+ «أبلى لحمي وجلدي. كسَّر عظامي».

وأيضاً: (إش ١٣:٣٨):

+ «صرخت إلى الصباح، كالأسد هكذا يهشم جميع عظامي. النهار والليل تفنيني».

١١ - «لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي».

هذه الآية قد شُرحت سابقاً في العدد ٥.



المزمور الثالث والأربعون

١ - «اقْضِ لِي يَا اللهُ، وَخَاصِمْ مُخَاصَمَتِي مَعَ أُمَّةٍ غَيْرِ رَاحِمَةٍ، وَمِنْ إِنْسَانِ غِشٍّ وَظُلْمٍ نَجِّنِي.
٢ - لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهُ حِصْنِي. لِمَاذَا رَفَضْتَنِي؟ لِمَاذَا أَتَمَشَّى حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟
٣ - أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ.
٤ - فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي، وَأَحْمَدُكَ بِالْعُودِ يَا اللهُ إِلهِي.
٥ - لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي».

دراسة:

سبقت قبل البدء في مزمور (٤٢) بالنسبة للمزمورين معاً ٤٢و٤٣:

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١و٢]:

صلاة للخلاص قائمة على علاقة الله به.

١ - «اقْضِ لِي يَا اللهُ، وَخَاصِمْ مُخَاصَمَتِي مَعَ أُمَّةٍ غَيْرِ رَاحِمَةٍ، وَمِنْ إِنْسَانِ غِشٍّ وَظُلْمٍ نَجِّنِي»:

«اقضِ يا الله»:

توسل لكي يعامله بالعدل ويوضِّح براءته وذلك بأن يخلِّصه من عدوه غير الراحم. انظر: (مز ٨:٧):

+ «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقِّي ومثل كمالي الذي فيَّ».

وأيضاً: (مز ١:٢٦):

+ «اقضِ لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكَّلت بلا تقلقل».

وأيضاً: (مز ٣٥: ١و٢٤):

+ «خاصم يا رب مخاصميَّ. وقاتل مقاتليَّ».

+ «اقضِ لي حسب عدلك يا رب إلهي فلا يشمتوا بي».

«من أمة غير راحمة»:

أمّة وثنية لا تمت إلى الرحمة بصلة، فاقدة كل مشاعر البشرية.

«إنسان غش وظلم»:

قائد هذه الأمة الذي يستخدم الغش والظلم.

٢ - «لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهُ حِصْنِي. لِمَاذَا رَفَضْتَنِي؟ لِمَاذَا أَتَمَشَّى حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟»:

انظر: (مز ١٨:٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجاي».

وأيضاً: (مز ٤٢:٩):

+ «أقول لله صخرتي لماذا نسيتني. لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو».

هنا صراخ الإيمان. لأن الواقع العملي أن الله قد تركه للعدو، لذلك هو يكرِّر السؤال باندهاش: كيف يذهب وحيداً حزيناً؟

[٣و٤]:

صلاة للعودة.

٣ - «أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ»:

انظر: (مز ٥٧:٣):

+ «يُرسل من السماء ويخلّصني. عيّر الذي يتهممني. سلاه».

وهو يدعو الله أن يتقدَّمه بنوره وحقّه. هنا يشخّص النور والحق، وبهذا يكون الله صادقاً وأميناً على صفاته الشخصية.

«يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك»:

هو طريد ممنوع عليه الذهاب إلى أُورشليم أو الدخول إلى الهيكل، فهو يستصرخ الله أن يعمل معه كما عمل مع شعبه قديماً وقادهم بعمود النور والنار حتى أتى بهم إلى أرض الميعاد. فهو يطمع أن يباشر الله صفاته وعمله القديم معه أيضاً.

«وإلى مساكنك»:

انظر: (مز ٢٦:٨):

+ «يا رب أحببت محل بيتك وموضع مسكن مجدك».

وأيضاً: (مز ٤٦:٤):

+ «نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلي».

وأيضاً: (مز ٨٤:١):

+ «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود».

ويصفها هنا بالجمع تكريماً وتعظيماً لسكنى الله وللهيكل جملة، أو لتعدد صور مساكن الله من تابوت في الصحراء إلى خيمة أقامها داود إلى هيكل سليمان.

٤ - «فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي، وَأَحْمَدُكَ بِالْعُودِ يَا اللهُ إِلهِي»:

«بهجة فرحي»:

الله هو أقصى فرحة للإنسان السائح الصاعد إلى هيكل الله، فهو الختام لكل رحلته. والوصول إلى المذبح يعني الوصول إلى الله وتحقيق لوجوده في حضرة الله.

«أحمدك بالعود»:

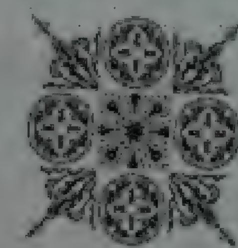
وهو أقصى تعبير عن الشكر.

«يا الله إلهي»:

من وضع المرتّب للمزامير.

٥ - «لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي»:

القرار الذي ينتهي به المزمور للتعبير عن عودة الله إلى محبته ورحمته.



المزمور الرابع والأربعون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. قَصِيدَةٌ

١– «اللَّهُمَّ، بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ.

٢– أَنْتَ بِيَدِكَ اسْتَأْصَلْتَ الأُمَمَ وَغَرَسْتَهُمْ. حَطَّمْتَ شُعُوباً وَمَدَدْتَهُمْ.

٣– لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمِ امْتَلَكُوا الأَرْضَ، وَلاَ ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ، لأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ.

٤– أَنْتَ هُوَ مَلِكِي يَا اللهُ، فَأْمُرْ بِخَلاَصِ يَعْقُوبَ.

٥– بِكَ نَنْطَحُ مُضَايِقِينَا. بِاسْمِكَ نَدُوسُ الْقَائِمِينَ عَلَيْنَا.

٦– لأَنِّي عَلَى قَوْسِي لاَ أَتَّكِلُ، وَسَيْفِي لاَ يُخَلِّصُنِي.

٧– لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَّصْتَنَا مِنْ مُضَايِقِينَا، وَأَخْزَيْتَ مُبْغِضِينَا.

٨– بِاللهِ نَفْتَخِرُ الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَاسْمَكَ نَحْمَدُ إِلَى الدَّهْرِ. سِلاَهْ.

٩– لكِنَّكَ قَدْ رَفَضْتَنَا وَأَخْجَلْتَنَا، وَلاَ تَخْرُجُ مَعَ جُنُودِنَا.

١٠– تُرْجِعُنَا إِلَى الْوَرَاءِ عَنِ الْعَدُوِّ، وَمُبْغِضُونَا نَهَبُوا لأَنْفُسِهِمْ.

١١– جَعَلْتَنَا كَالضَّأْنِ أُكْلاً. ذَرَّيْتَنَا بَيْنَ الأُمَمِ.

١٢– بِعْتَ شَعْبَكَ بِغَيْرِ مَالٍ، وَمَا رَبِحْتَ بِثَمَنِهِمْ.

١٣– تَجْعَلُنَا عَاراً عِنْدَ جِيرَانِنَا، هُزْأَةً وَسُخْرَةً لِلَّذِينَ حَوْلَنَا.

١٤– تَجْعَلُنَا مَثَلاً بَيْنَ الشُّعُوبِ. لإِنْغَاضِ الرَّأْسِ بَيْنَ الأُمَمِ.

١٥– الْيَوْمَ كُلَّهُ خَجَلِي أَمَامِي، وَخِزْيُ وَجْهِي قَدْ غَطَّانِي.

١٦– مِنْ صَوْتِ الْمُعَيِّرِ وَالشَّاتِمِ. مِنْ وَجْهِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ.

١٧– هذَا كُلُّهُ جَاءَ عَلَيْنَا، وَمَا نَسِينَاكَ وَلاَ خُنَّا فِي عَهْدِكَ.

١٨– لَمْ يَرْتَدَّ قَلْبُنَا إِلَى وَرَاءٍ، وَلاَ مَالَتْ خَطْوَتُنَا عَنْ طَرِيقِكَ،

١٩– حَتَّى سَحَقْتَنَا فِي مَكَانِ التَّنَانِينِ، وَغَطَّيْتَنَا بِظِلِّ الْمَوْتِ.

٢٠– إِنْ نَسِينَا اسْمَ إِلهِنَا أَوْ بَسَطْنَا أَيْدِيَنَا إِلَى إِلهٍ غَرِيبٍ،

٢١– أَفَلاَ يَفْحَصُ اللهُ عَنْ هذَا؟ لأَنَّهُ هُوَ يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ الْقَلْبِ.

٢٢– لأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.

٢٣– اسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ! لاَ تَرْفُضْ إِلَى الأَبَدِ.

٢٤– لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ وَتَنْسَى مَذَلَّتَنَا وَضِيقَنَا؟

٢٥– لأَنَّ أَنْفُسَنَا مُنْحَنِيَةٌ إِلَى التُّرَابِ. لَصِقَتْ فِي الأَرْضِ بُطُونُنَا.

٢٦– قُمْ عَوْناً لَنَا وَافْدِنَا مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ».

دراسة:

هذا المزمور يُحسب أنه توسُّل من أجل الأمة في زمن مصيبة وتوضيع!

١ ـ يبدأ بتذكار أعمال الله القوية لشعبه في أيام القدم، لأن الله نفسه هو الذي طرد الأمم من كنعان وزرع إسرائيل مكانهم، بقوته وليس بذراع بشر كانت النصرة دائماً (١–٣).

٢ ـ من الماضي يأخذون تأكيداً للحاضر، فيه لا يزالون يثقون في النصرة ليس بأنفسهم ولا لأنفسهم بل لأن الله هو ملكهم! وإنهم عبيده الأمناء المخلصون (٤–٨).

٣ ـ ولكن الحقائق تخالف ذلك وتأتي ضد الإيمان الذي يحملونه، فالله أسلمهم لأعدائهم وهجرهم إلى مهزأة وشماتة الجيران من الأمم (٩–١٦).

٤ ـ على أن هذه الآلام يراها صاحب المزمور أنهم غير مستحقين لها أبداً، فمن جهتهم لا توجد خيانة لله تستحق هذا العقاب، بل وقد صار من أجل تبعيتهم لله أنهم يُضطهدون (١٧–٢٢).

٥ – المزمور يُختتم بتوسل سريع للمعونة (٢٣–٢٦).

هذا المزمور واحد من المزامير التي يُشك أنها بيد المكابيين، فهو يحمل كل أوصاف الحال أيام المكابيين، من تشتيت الأمة (١١) فهو بعد السبي. ولا يوجد زمن كان للأمة جيش إلاَّ في أيام المكابيين (٩). وهجوم أنطيوخس واضطهاده كانت مذابحه ذات صبغة دينية واضحة، بل وقد بيعوا مثل الخدم. وكانوا يحاربون ليس فقط من أجل حريتهم بل ومن أجل ناموسهم وكتابهم. ويُرجَّح أن هذا المزمور جاء في زمن المكابيين متأخراً عن زمن أنطيوخس لأن في أيامه لم يكن للأمة جيش.

ولكن هناك معارضة شديدة أن يكون المزمور أيام المكابيين لأن تاريخ تجميع هذه المزامير يختلف بشدة، فمزامير الإلوهيم (الله) هي فيما قبل مزامير الكتاب الرابع والخامس للمزامير، وأيام المكابيين لها نغمتها الطاغية وهي هنا غير ملموسة. والعالم Delitzsch يربط بين هذا المزمور وبين مزمور (٦٠) ويعتبر أن عنوان هذا المزمور وهو مُصدَّق، يُوَضِّح أن المزمورين ٤٤و٦٠ يوضِّحان غارة الأدوميين على يهوذا بينما كان داود مشغولاً بحرب العمونيين وسوريا. وهناك توافق شديد بين

مزمور (٦٠) ومزمور (٤٤)، وفي هذه الأيام كان الشعب يفتخر فعلاً بإيمانه وأمانته ليهوه بالمقارنة الشديدة للخروج عن طاعة الله أيام القضاة.

والعالِم "لاجارد" يوضِّح التشابه بين العدد (١٦) وإشعياء (٣٧: ٦و٢٣و٢٤) ويرجع بالمزمور إلى عهد سنحاريب وحربه التي غزا بها فلسطين. والعالِم "روبرتسن سميث" يعود بهذا المزمور مع مزامير ٧٤و٧٩و٨٠ إلى ثورة اليهود تحت أرتحشستا حوالي سنة ٣٥٠ ق.م. التي أُخمدت بقسوة وعنف شديد.

وإنه يصعب أن نقرر زمن هذا المزمور بتأكيد ولكن المزمور يشير بطابعه الشديد والمنمَّق إلى أيام كانت فيها إسرائيل دولة حرة ولها كيان مستقل كدولة، وكانت تقوم بحروبها ضد أعدائها، ويمكن إعادته إلى أيام المملكة الواحدة. لأن من بعد السبي حتى المكابيين لم يكن لإسرائيل جيش ولا كانت تدخل الحروب، وقوله في العدد (١١) إن الشعب يؤخذ ويُباع عبيداً فهذا حدث في القرن الثامن ق.م. انظر: (عا ١: ٦و٩).

والمزمور يقف شامخاً وحده في ثقة كبيرة يحكي عن أمانته ليهوه، وعن براءته. وأن صاحب المزمور لا يعترف أبداً بخيانة أُمَّته حتى أن تُعاقب هكذا.

ويلزم دراسة هذا المزمور بالمقارنة مع مزمور (٦٠) فالوضع مشابه تماماً.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٣]:

ليس بقوتهم بل بمعونة الله وإنعامه أعطى إسرائيل امتلاك أرض كنعان.

١ - «اللَّهُمَّ، بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ»:

انظر: (خر ١٠: ٢):

+ «ولكي تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم».

وأيضاً: (خر ١٢: ٢٦و٢٧):

+ «ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة (الفصح) لكم. أنكم تقولون ...».

وأيضاً (خر ١٣: ١٤):

+ «ويكون متى سألك ابنك غداً قائلاً ما هذا (فدية البكر) تقول له بيد قوية أخرجنا الرب ...».

وأيضاً: (تث ٦: ٢٠):

+ «إذا سألك ابنك غداً قائلاً: ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي أوصاكم بها الرب إلهنا».

وأيضاً: (يش ٤: ٦و٧):

+ «لكي تكون هذه علامة في وسطكم إذا سأل غداً بنوكم قائلين ما لكم وهذه الحجارة؟ تقولون لهم: إن مياه الأُردن قد انفلقت أمام تابوت عهد الرب، عند عبوره الأُردن انفلقت مياه الأردن».

وأيضاً: (قض ٦: ١٣):

+ «فقال له جدعون: أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر؟ والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان».

وأيضاً: (مز ٧٨: ٢و٣):

+ «أفتح بمثل فمي. أذيع ألغازاً منذ القدم. التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا».

لاحِظ هنا التشديد القوي على التعليم الشفاهي بالكلام كوسيلة لدوام حفظ الذاكرة الخاصة بالماضي. فكل تاريخ إسرائيل من جيل إلى جيل انتقل بالتعليم الشفاهي قبل أن ينزل في الكتابة.

«في أيام القدم»:

انظر: (إش ٣٧: ٢٦):

+ «ألم تسمع. منذ البعيد صنعته منذ الأيام القديمة صوَّرته. الآن أتيت به».

٢ - «أَنْتَ بِيَدِكَ اسْتَأْصَلْتَ الأُمَمَ وَغَرَسْتَهُمْ. حَطَمْتَ شُعُوباً وَمَدَدْتَهُمْ»:

وقد صار اصطلاح زرع الله إسرائيل في أرض كنعان. فإسرائيل توصف بشجرة ضربت جذورها وامتدت ومدَّت فروعها يميناً ويساراً واسعاً. انظر: (مز ٨٠: ٨-١١):

+ «كرمة من مصر نقلت. طردت أمماً وغرستها. هيَّأت قدَّامها فأصَّلت أصولها فملأت الأرض. غطَّى الجبال ظلها وأغصانها أرز الله. مدَّت قضبانها إلى البحر ...».

يُلاحَظ الدقة الفنية في السرد والترتيب. إن الشطر الأول من كل بيت أعطاه من نحو الأُمم والشطر الثاني جعله لإسرائيل.

٣ - «لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمُ امْتَلَكُوا الأَرْضَ، وَلاَ ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ، لأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ»:

انظر: (مز ٦٠:٥):

+ «لكي ينجو أحباؤك. خلِّص بيمينك واستجب لي».

وأيضاً: (يش ٤:٢٤):

+ «لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية. لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام».

«نور وجهك»:

انظر: (مز ٤:٦):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يُرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

وأيضاً: (مز ٣١:١٦):

+ «أضئ بوجهك على عبدك. خلِّصني برحمتك».

وأيضاً: (مز ٨٠: ٣و٧و١٩):

+ «يا الله أرجعنا، وأنر بوجهك فَنَخلُص».

+ «يا إله الجنود أرجعنا، وأنر بوجهك فَنَخْلُص».

+ «يا رب إله الجنود أرجعنا، أنر بوجهك فَنَخْلُص».

انظر البركة الهارونية: (عد ٦: ٢٤-٢٦):

+ «يباركك الرب ويحرسك. يُضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً».

«لأنك رضيت عنهم»:

اختيار الله الحر هو بحسب مرضاته وهو أساس تدخُّله لخلاصهم. انظر: (تث ٤:٣٧):

+ «ولأجل أنه أحبَّ آباءك واختار نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر».

وأيضاً: (تث ٨:١٧):

+ «ولئلاً تقول في قلبك قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة».

وأيضاً: (تث ٩: ٤-٦):

+ «لا تقل في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً: لأجل برِّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك. ليس لأجل برِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم».

+ «فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها، لأنك شعب صلب الرقبة».

[٤-٨]:

ذكرى الماضي تعطي ثقة للحاضر والمستقبل لأن قوة الله لا تزال تعمل لخلاص شعبه وفيه وحده يثقون.

٤ - «أَنْتَ هُوَ مَلِكِي يَا اللهُ، فَأْمُرْ بِخَلاَصِ يَعْقُوبَ»:

انظر: (مز ٤٧:٦):

+ «رنِّموا لله رنِّموا. رنِّموا لملكنا رنِّموا».

وأيضاً: (مز ٧٤:١٢):

+ «والله ملكي منذ القدم فاعل الخلاص في وسط الأرضِ».

وأيضاً: (١صم ١٢:١٢):

+ «ولمَّا رأيتم ناحاش ملك بني عمون آتياً عليكم قلتم لي لا بل يملك علينا ملك. والرب إلهكم ملككم».

يُلاحَظ هنا أن صاحب المزمور يتكلَّم باسم الأُمة.

«فَأْمُرْ»:

إن واجب الملك أن يدافع عن شعبه. وسلطان الملك الفائق، يقول الكلمة ويكون الأمر نافذاً ومُطاعاً.

«بخلاص»:

انظر: (مز ١٨:٥٠):

+ «برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد».

انظر أيضاً: (مز ٤٢:٥):

+ «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ. ارتجي الرب لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه».

٥ – «بِكَ نَنطَحُ مُضَايِقِينَا. بِاسْمِكَ نَدُوسُ الْقَائِمِينَ عَلَيْنَا»:

انظر: (مز ٥:١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلِّلهم. ويبتهج بك محبو اسمك».

وأيضاً: (مز ٢٠:١):

+ «يستجيب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب».

وأيضاً: (أع ٣:١٦):

+ «وبالإيمان باسمه شدَّد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه».

٦ – «لأَنِّي عَلَى قَوْسِي لاَ أَتَّكِلُ، وَسَيْفِي لاَ يُخَلِّصُنِي»:

انظر: (مز ٢٠:٧):

+ «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل. أمَّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر».

وأيضاً: (مز ٣٣:١٦):

+ «لن يَخْلُصَ الملك بكثرة الجيش. الجبَّار لا ينقذ بعظم القوة».

وأيضاً: (مز ٦٠:١١):

+ «أعطنا عوناً في الضيق فباطل هو خلاص الإنسان».

وأيضاً: (١صم ١٧:٤٧):

+ «وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلِّص الرب لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا».

وأيضاً: (هو ١:٧):

+ «وأمَّا بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب إلههم ولا أُخلِّصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان».

٧ – «لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَّصْتَنَا مِنْ مُضَايِقِينَا، وَأَخْزَيْتَ مُبْغِضِينَا»:

اعتراف بالماضي وأعمال الله الباهرة.

٨ – «بِاللهِ نَفْتَخِرُ الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَاسْمَكَ نَحْمَدُ إِلَى الدَّهْرِ. سِلاَهْ»:

كان الله مصدر فرحهم وتسبيحهم في الماضي وفيه صمَّموا أن يقدِّموا شكرهم على الدوام.

وهنا وقفة موسيقية.

[٩–١٦]:

ولكن الظروف الحاضرة التي للأمة تتعارض مع كلمات الإيمان القائمة على خبرة الماضي، فإسرائيل قد تُركت للمهزأة وفريسة للأعداء.

٩ – «لكِنَّكَ قَدْ رَفَضْتَنَا وَأَخْجَلْتَنَا، وَلاَ تَخْرُجُ مَعَ جُنُودِنَا»:

هذا أمرٌ يُتعجَّب له، وبعد ذلك بعد كل هذه البراهين التي لمشيئتك الصالحة من نحونا، وبالرغم من أمانتنا لك، بعد ذلك طرحتنا بغير كرامة، ولا ترافق جيوشنا في حربها ضد الأعداء؟ وفي القديم لهم مواقف ثابتة مع الله. انظر: (عد ١٠:٣٥):

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك».

وأيضاً: (يش ٦:٦):

+ «فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم. احملوا تابوت العهد. وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب».

١٠ – «تُرْجِعُنَا إِلَى الْوَرَاءِ عَنِ الْعَدُوِّ، وَمُبْغِضُونَا نَهَبُوا لأَنْفُسِهِمْ.
جَعَلْتَنَا كَالضَّأْنِ أُكْلاً. ذَرَّيْتَنَا بَيْنَ الأُمَمِ»:

لأن بعض الأفراد قد ذبحهم الأعداء كالخراف وقد ذكرها بوضوح في الآية (٢٢): «قد حُسبنا

مثل غنم للذبح». والباقي كعبيد، لأن أسرى الحرب دائماً يتباعون. انظر: (يؤ ٣: ٢و٣و٦):

+ «أجمع كل الأمم وأُنْزِلهم إلى وادي يهوشافاط وأحاكمهم هناك على شعبي وميراثي إسرائيل، الذين بدّدوهم بين الأمم وقسموا أرضي ... وباعوا البنت بخمر ليشربوا».

+ «وبعتم بني يهوذا وبني أُورشليم لبني الياوانيين لكي تبعدوهم عن تخومهم».

علماً بأن بني إسرائيل قد جُبلوا على حب الأرض والتعلُّق بها تعلُّقاً جنونياً إذ فيها الحياة وبغيرها الموت، لذلك كان بيعهم أشد من الموت.

١٢ - «بِعْتَ شَعْبَكَ بِغَيْرِ مَالٍ، وَمَا رَبِحْتَ بِثَمَنِهِمْ»:

وذلك بخذلانهم أمام أعدائهم فأسروا وبيعوا بلا ثمن. معايرة شديدة لله بشعور بشري. انظر: (مز ٣٠:٩)، مثل ما يأتي بعد الطاعون.

+ «ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة. هل يحمدك التراب. هل يخبر بحقك».

١٣ - «تَجْعَلُنَا عَاراً عِنْدَ جِيرَانِنَا، هُزْأَةً وَسُخْرَةً لِلَّذِينَ حَوْلَنَا»:

مكرَّرة حرفياً في (مز ٧٩:٤):

+ «صرنا عاراً عند جيراننا هزءاً وسخرة للذين حولنا».

وأيضاً: (مز ٨٠:٦):

+ «جعلتنا نزاعاً عند جيراننا وأعداؤنا يستهزئون بين أنفسهم».

أمّا الجيران فهم الفلسطينيون المتربصون بهم والذين يتجسَّسون على أحوالهم، والأدوميون والعمونيون والموآبيون هؤلاء كلهم كانوا حاقدين على إسرائيل.

١٤ - «تَجْعَلُنَا مَثَلاً بَيْنَ الشُّعُوبِ. لإِنْغَاضِ الرَّأْسِ بَيْنَ الأُمَمِ»:

كل الأمم والشعوب حولهم يفرحون ببليتهم ويهزّون الرؤوس على مجد إسرائيل الضائع. انظر: (تث ٢٨:٣٧):

+ «وتكون دهشاً ومَثلاً وهُزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم».

وأيضاً: (١مل ٩:٧):

+ «فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدَّسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب».

وأيضاً: (إر ٢٤:٩):

+ «وأسلمهم للقلق والشر في جميع ممالك الأرض، عاراً ومثلاً وهزأة ولعنة في جميع المواضع التي أطردهم إليها».

وأيضاً: (يؤ ٢:١٧):

+ «ليبكِ الكهنة خُدَّام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا اشفق يا رب على شعبك ولا تسلِّم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلاً. لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم!!»

وأيضاً: (مرا ٢:١٥):

+ «يصفق عليك بالأيادي كل عابري الطريق. يصفرون وينغضون الرؤوس على بنت أُورشليم قائلين أهذه هي المدينة التي يقولون إنها كمال الجمال بهجة كل الأرض».

١٥ - «الْيَوْمَ كُلَّهُ خَجَلِي أَمَامِي، وَخِزْيُ وَجْهِي قَدْ غَطَّانِي»:

فقدان نعمة الله قد رفعت عنه الراحة والمسرة وألبسته الخزي. انظر: (مز ٣٨:١٧):

+ «لأني موشك أن أظلع ووجعي مقابلي دائماً».

والخزي دائماً يملأ الوجه بالحسرة. انظر: (عز ٩:٦):

+ «وقلت. اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت...»

١٦ - «مِنْ صَوْتِ الْمُعَيِّرِ وَالشَّاتِمِ. مِنْ وَجْهِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ»:

الأمم والوثنيون إنما دائماً أبداً يشمتون في بني إسرائيل في كل مكان. انظر: (إش ٣٧:٢٣):

+ «مَنْ عيَّرت وجدَّفت وعلى مَنْ علَّيت صوتاً وقد رفعتَ إلى العلاء عينك، على قدوس إسرائيل».

وأيضاً: (نا ٢:١٣):

+ «ها أنا عليكِ (يا نينوى) يقول رب الجنود. فأحرق مركباتكِ دخاناً وأشبالكِ يأكلها السيف، وأقطعَ من الأرض فرائسكِ ولا يُسمع أيضاً صوت رسلكِ (الذين يعيرون شعبي)».

[١٧-٢١]:

كل هذه المصائب بغير استحقاق في نظر صاحب المزمور، فلا يوجد واحد غير أمين لعهد الله لكي يستحق العقوبة، ولكن الكل يتألَّم من أجل الله.

١٧ - «**هذا كُلُّهُ جَاءَ عَلَيْنَا، وَمَا نَسِينَاكَ وَلاَ خُنَّا فِي عَهْدِكَ**»:

انظر: (قض ٦:١٣):

+ «فقال له جدعون أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر. والآن قد رفضنا الرب ...»

وأيضاً: (مز ٧٨: ٧و١٠):

+ «فيجعلون على الله اعتمادهم ولا ينسون أعمال الله بل يحفظون وصاياه».

+ «ونسوا أفعاله وعجائبه التي أراهم!»

وأيضاً: (مز ١٠٦: ١٣و٢١):

+ «أسرعوا فنسوا أعماله. لم ينتظروا مشورته».

+ «نسوا الله مخلِّصهم الصانع عظائم في مصر».

انظر: (قض ٣:٧):

+ «فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري».

وأيضاً: (هو ٢:١٣):

+ «وأعاقبها على أيام بعليم التي فيها كانت تبخِّر لهم وتتزيَّن بخزائمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتنساني أنا يقول الرب».

وأيضاً: (هو ٤:٦):

+ «قد هلك شعبي من عدم المعرفة. لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي. ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضاً بنيك».

وأيضاً: (هو ٨:١٤):

+ «وقد نسي إسرائيل صانعه وبنى قصوراً وكثَّر يهوذا مدناً حصينة. لكني أُرسل على مدنه ناراً فتأكل قصوره».

وأيضاً: (هو ١٣:٦):

+ «لمَّا رعوا شبعوا. شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسوني».

وأيضاً: (إر ٢:٣٢):

+ «هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها. أمَّا شعبي فقد نسيني أياماً بلا عدد».

«**وما نسيناك ولا خنَّا في عهدك**»:

كما أن الله أيضاً «لا يخون عهده»، انظر: (مز ٨٩:٣٣):

+ «أمَّا رحمتي فلا أنزعها عنه ولا أكذب من جهة أمانتي».

هذا كلام الله لأبرآم وتطبّق في سيناء.

١٨ - «**لَمْ يَرْتَدَّ قَلْبُنَا إِلَى وَرَاء، وَلاَ مَالَتْ خَطْوَتُنَا عَنْ طَرِيقِكَ، حَتَّى سَحَقْتَنَا فِي مَكَانِ التَّنَانِينِ، وَغَطَّيْتَنَا بِظِلِّ الْمَوْتِ**»:

اعتراض صاحب المزمور أنه لا يوجد عصيان أو مروق شعبي، لذلك فإن المصيبة الحاضرة كيف تكون عقاباً. وقوله: «في مكان التنانين» أي مكان الخراب والموت وبرية مملوءة بعواء الثعالب. والمعنى أننا سُحقنا وتقلَّصت أمتنا إلى صحراء ومأوى الثعالب. والحزن والمرارة التي أصابت الشعب أصبحت كظل الموت.

٢٠ - «**إِنْ نَسِينَا اسْمَ إِلهِنَا أَوْ بَسَطْنَا أَيْدِيَنَا إِلَى إِلهٍ غَرِيبٍ**»:

بسط اليد في الصلاة والكف مفتوحة، ليس كما يُعمل الآن والأيادي مضمومة. انظر: (مز ١٤٣:٦):

+ «بسطت إليك يدي نفسي نحوك كأرض يابسة. سلاه».

وأيضاً: (١مل ٨: ٣٨و٣٩و٥٤):

+ «ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه إلى السماء».

+ «فكل صلاة وكل تضرُّع ... فيبسط يديه نحو هذا البيت. فاسمع أنت من السماء».

+ «وكان لمَّا انتهى سليمان ... نهض ... من الجثو على ركبتيه ويداه مبسوطتان نحو السماء».

وأيضاً: (إش ١:١٥):

+ «فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم. وإن كثرتم الصلاة لا أسمع».

٢١ – «أَفَلاَ يَفْحَصُ اللهُ عَنْ هذَا؟ لأَنَّهُ هُوَ يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ الْقَلْبِ»:

انظر: (أي ٣١: ٤–٧ و٩و١٣و١٤):

+ «أليس هو ينظر طرقي ويحصي جميع خطواتي. إن كنت قد سلكت مع الكذب أو أسرعت رجلي إلى الغش. ليزنّي في ميزان الحق فيعرف الله كمالي. إن حادت خطواتي عن الطريق وذهب قلبي وراء عيني أو لصق عيب بكفّي ... إن غوي قلبي على امرأة أو كمنت على باب قريبي ... إن كنت رفضت حق عبدي وأمتي في حق دعواهما عليَّ. فماذا كنت أصنع حين يقوم الله وإذا افتقد فبماذا أجيبه».

وأيضاً: (مز ١٣٩: ١–٤و٢٣):

+ «يا رب قد اختبرتني وعرفتني. أنت عرفت جلوسي وقيامي. فهمت فكري من بعيد، مسلكي ومربضي ذرّيت وكل طرقي عرفت. لأنه ليس كلمة في لساني إلاَّ وأنت يا رب عرفتها كلها».

+ «اختبرني يا الله واعرف قلبي، امتحني واعرف أفكاري».

وأيضاً: (إر ١٧: ١٠):

+ «أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله».

٢٢ – «لأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ»:

نحن نتألم كشهداء لأننا نتبعك. (هذا حدث في أيام أنطيوخس وفي مواقف أخرى كثيرة). انظر: (مز ٦٩: ٧و٨):

+ «لأني من أجلك احتملت العار. غطّى الخجل وجهي. صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أُمي».

وأيضاً: (إر ١٥: ١٥):

+ «أنت يا رب عرفت، اذكرني وتعهّدني وانتقم لي من مضطهدي. بطول أناتك لا تأخذني. اعرف احتمالي العار لأجلك».

وأيضاً: (رو ٨: ٣٦):

+ «كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح».

وذلك لكي يشجع المؤمنين باسم المسيح أن يحتملوا الخزي والعار والاضطهاد من أجل الاسم والإيمان حتى إلى الذبح والموت، وهي معادلة لفكر صاحب المزمور.

[٢٣–٢٦]:

دعوة مستعجلة لمعونة عاجلة.

٢٣ – «اسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ! لاَ تَرْفُضْ إِلَى الأَبَدِ»:

انظر: (مز ٧: ٦):

+ «قم يا رب بغضبك ارتفع على سخط مضايقي وانتبه لي».

انظر الموازي: (مز ٧٨: ٦٥):

+ «فاستيقظ الرب كنائم كجبّار معيط من الخمر».

لا يرعوي صاحب المزمور من أن يتكلّم بهذه اللغة مع الله. علماً بأن الكل يعلم أن حارس إسرائيل لا يغفل ولا ينام.

«لا ترفض إلى الأبد»:

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد. لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك».

وأيضاً: (مز ٧٧: ٧و٨):

+ «هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد. هل انتهت إلى الأبد رحمته».

وأيضاً: (مرا ٣: ٣١–٣٣):

+ «لأن السيد لا يرفض إلى الأبد. فإنه ولو أحزن يرحم حسب كثرة مراحمه».

+ «لأنه لا يذل من قلبه ولا يُحزن بني الإنسان».

٢٤ – «لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ وَتَنْسَى مَذَلَّتَنَا وَضِيقَنَا؟»:

انظر: (تث ٢٦: ٧):

+ «فلمّا صرخنا إلى الرب إله آبائنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقّتنا وتعبنا وضيقنا».

وأيضاً: (خر ٣: ٧):

+ «فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم».

وأيضاً: (٢مل ١٣:٤):

+ «وتضرَّع يهوأحاز إلى وجه الرب فسمع له الرب لأنه رأى ضيق إسرائيل ...».

وأيضاً: (٢مل ١٤:٢٦):

+ «لأن الرب رأى ضيق إسرائيل مرًّا جدًّا ... وليس معين لإسرائيل».

٢٥ – «لأَنَّ أَنْفُسَنَا مُنْحَنِيَةٌ إِلَى التُّرَابِ. لَصِقَتْ فِي الأَرْضِ بُطُونُنَا»:

لقد انهزمنا وصرنا إلى التراب وانسحقنا جدًّا. انظر: (مز ١١٩:٢٥):

+ «لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك».

٢٦ – «قُمْ عَوْناً لَنَا وَافْدِنَا مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ»:

انظر: (مز ٣:٧):

+ «قم يا رب. خلِّصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك».

وأيضاً: (عد ١٠:٣٥):

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك».

«من أجل رحمتك»:

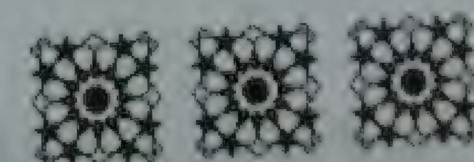
من أجل إحساناتك. وصاحب المزمور يترجَّاه أن يكون كما عَرِفَ عنه وكما هو!! انظر: (مز ٦:٤):

+ «عد يا رب. نجِّ نفسي. خلِّصني من أجل رحمتك».

وأيضاً: (مي ٧: ١٨و٢٠):

+ «مَنْ هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسرُّ بالرأفة».

+ «تصنع الأمانة ليعقوب والرأفة لإبراهيم اللتين حلفت لآبائنا منذ أيام القدم».



المزمور الخامس والأربعون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «السُّوسَنِّ». لِبَنِي قُورَحَ. قَصِيدَةٌ. تَرْنِيمَةُ مَحَبَّةٍ

١ – «فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ.
٢ – أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ.
٣ – تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ.
٤ – وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ.
٥ – نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ.
٦ – كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ.
٧ – أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ.
٨ – كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ. مِنْ قُصُورِ الْعَاجِ سَرَّتْكَ الأَوْتَارُ.
٩ – بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ.
١٠ – اسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ،
١١ – فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ.
١٢ – وَبِنْتُ صُورٍ أَغْنَى الشُّعُوبِ تَتَرَضَّى وَجْهَكِ بِهَدِيَّةٍ.
١٣ – كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا.
١٤ – بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ.
١٥ – يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ.
١٦ – عِوَضاً عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ.
١٧ – أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ».

دراسة:

قصيدة عُرس زواج الملك من ابنة ملك، بعد مقدّمة صغيرة.

والمزمور يخاطب الملك مادحاً جماله الشخصي الذي يميِّزه عن كل الحكام من بني البشر – ويأمره أن يأخذ قوته في نصرة الحق والاستقامة. والصفات النبيلة لقلبه وعقله محكمة عليه للدعوة العليا التي عليها ختمت السموات بالموافقة، وقد أُعلنت هذه الموافقة قريباً ببركة سعادته الفائقة ومجد الملوكية

في وضعه المجيد (٢-٩). ثمّ يلتفت إلى العروس، فهو يدعوها أن تقبل هذه الدعوة للفرح الجديد. موضّحاً شرفها بالإعلان عن مواهبها التي تناسب أن الأُمم تسير في كرامتها، في زفّة مهيبة. فهي تستمر في نسل أبدي بملء الدنيا بشهرة هذا الملك الفريد (١٠-١٧).

لا يوجد في المزمور فقرات مرتّبة، والشعر ينطلق من فكرٍ إلى فكر بحسب الحماس المتقد لعظمة القصد. وإن المزمور هو لواقعة معينة لا شك فيها، ولكن بعض الشراح ينكرون أن له أصلاً تاريخياً ويعتبرونه أنه نبوي صرف. واللغة فائقة عن كل لغة يمكن أن تستخدم لأعظم ملوك الأرض، ومن بكور الزمان في الوسط اليهودي والمسيحي في الكنيسة فُهِمَ هذا المزمور أنه يشير مباشرة للمسيَّا.

وبالدراسة المتأنية يُظهِر المزمور أن هذه النظرة صحيحة ولا تُبارى.

فأولاً: لا يوجد أي دليل أن مؤلف المزمور يقصد شرح أي مستقبل شخصي لأي أحد.

ثانياً: لغة المزمور تفوق ما يمكن أن يؤلّفه شاعر لملك زمني ينظر إليه على ضوء الوعود لبيت داود.

والمزمور من جهة كونه مسيانياً يوافق بقدر عالي الإدراك لصفة ملوكية داود، علماً بأنه من المعروف أن ملوكية داود ونسله كانت هي الممثلة لملوكية يهوه الذي كان محسوباً أنه ملك لإسرائيل. والرائي الشاعر يرى بشجاعة ويحيّي الحكم الملكي للفرد في ضوء النبوّة الكبرى التي يرثها شخصياً، وإذ يدعوه أن يرتفع إلى العلو المناسب لدعوته بإزاء الحق الذي يحكم به والذي ينبغي أن يكون انعكاساً حقيقياً لحكومة الله، فهو يستطيع أن يطلب من أجله تكميل الوعد بالسيادة الأبدية.

وإنه من روح الشعر أن يرتفع إلى المثل العليا، والشعر الديني ليس هو مستثنى من هذه القاعدة. فيمكنه عدم اعتبار نقائص وضعفات الواقع وأن يعطي للملك صورة في ضوء الحق والإدراك لعمله، ليس بمعنى أنه كان كذلك ولكن بمعنى ما يجب أن يكونه. انظر في المقدّمة: "الرجاء المسيَّاني في المزامير" وأيضاً: شرح (مز ٢). فمَنْ هو ذلك الملك؟ وما هي المناسبة المُشار إليها؟

إذا كانت لغة المزمور العالية القدر والقيمة هي في الحقيقة مؤسسة على الوعود المسيَّانية ويمكن أن نشرحها فقط في ضوء هذه الوعود، فإنه يجب أن يكون ملك مّا مِنْ بيت داود هو هدفها. ويُستثنى من ذلك ملوك الشمال مثل أخآب، مع إن البعض اقترح اسمه على أساس أنه كان يمتلك منزلاً من العاج (١مل ١٢:٣٩)، وقد تزوّج أميرة غريبة (١مل ١٦:٣٦)، أو يربعام الثاني الذي عُرِف زمان حكمه بالعظمة التي تناسب المزمور.

وطبعاً يتحتّم أن نستثني ملوك الأُمم فُرس أو سُريان كالإسكندر مثلاً (١مك ١٠: ٥٧و٥٨).

فإذا كان المزمور يختص بملك يهودي فالاختيار هو بين يهورام وسليمان. ويرى العالِم Delitzsch أنه من المناسب أن يكون الملك يهورام والملكة عثاليا. ويهورام كان ابن رجل تقي هو يهوشافاط الذي أحيا في حكمه أمجاد سليمان (٢مل ٨:١٦). والدعوة للعروس أن تنسى بيت أبيها وشعبها يكون في هذه الحالة ذِكْراً لصور وصيدا الأصل لأم عثاليا وهي إيزابل. ولكن من الصعب أن نصدّق أن شعراً ملهماً يمكَن أن يعتبر تحالفاً مع الوثنية وبيت وثني مثل أخآب برضى وارتياح ومديح، ثمّ يُحفظ هذا الشعر للعبادة في الهيكل؟

وواضح أن الأميرة المذكورة تظهر أنها ليست إسرائيلية. لذلك تحتّم أن نأخذ بالفكر القديم التقليدي أنه تحية لزواج سليمان من بنت ملوك الفراعنة في مصر (١مل ٣:١)، فمثل هذا التحالف كان له أهمية عظمى، ومملكة سليمان كانت مثالاً لأعظم فخامة كالتي وُضعت في المزمور، والمملكة آنذاك كانت في أوج مجدها، ووعد داود كان لا يزال يُسمع والأماني المتعلّقة به لم تنطمس بعد، لذلك كان سهلاً على الشاعر أن يرتفع بشدة إلى المثل الأعلى لملوكية ملك ويستخدم لغة واثقة زمنية.

وتحالف سليمان مع حيرام يعطي شرحاً لذكر صور (١٢) كأمة حليفة!

وهناك نظرية جدية تعتبر المزمور أنه أنشودة درامية كُتبت بعد العودة من السبي في وقت كانت فيه الأمجاد التي كانت لحكم سليمان لا تزال تلاعب خيال الشعراء. ولكن مثل هذه النظرية غير محتملة، ولكن أن يكون هذا المزمور عن سليمان فلا بأس بذلك - فالتعارض الوحيد الجدير بالبحث أن يُذكر أن سليمان كان بطلاً حربياً فهذا غير صحيح، فسليمان كان رجل سلام، وسليمان لم يكن من سلالة ملوك سابقين. مثل ما قيل في (١٦). ولكن يرد على الاعتراض أن سليمان لم يكن بطلاً حربياً بأنه قد غزا حماة صوبة (٢أي ٨:٣) فكان إذاً رجلاً عسكرياً بالضرورة، ومن جهة اعتراض الآية (١٦) فنص هذه الآية لا يلزم أن يكون هذا الملك من سلالة ملوك سابقين بل يفترض عكس ذلك.

ومهما قيل في مزمور (٤٥) فماسيانيته أمر واقع مُعترف به، والمعنى الميستيكي يستتر وراء ملوكية مسيًّا مع الملكة الكنيسة. ويقول الترجوم: [إن جمال الملك مسيًّا يفوق جمال بني البشر، إنما روح نبوّة سقطت على شفة الفنّان].

وكاتب سفر العبرانيين يقتبس الأعداد (٦و٧) كوصف أبدي للملوكية وسيادة المسيح. انظر: (عب ١: ٨و٩):

+ «وأمَّا عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك».

فإذا كان الملك هو المسيح، فزواج الملك هو سر ماسياني رمزي للمسيح والكنيسة لوصف علاقة يهوه بشعبه. وهذه العلاقة الميستيكية يمكن إدراكها بالشرح الموازي الميستيكي المقدَّس (أف ٥:٢٣ إلخ):

+ «لأن الرجل هو رأسُ المرأةِ كما أن المسيح أيضاً رأسُ الكنيسة، وهو مخلِّصُ الجسدِ ... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنانِ جسداً واحداً. هذا السرُّ عظيمٌ، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة».

وأيضاً: (رؤ ٢١:٢):

+ «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدَّسة أُورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيَّأة كعروس مزيَّنة لرجلها».

وأيضاً: (رؤ ٢٢:١٧):

+ «والروح والعروس يقولان تعالَ. ومَنْ يسمع فليقل تعالَ. ومَنْ يعطش فليأتِ. ومَنْ يرد فليأخذ ماء حياة مجَّاناً».

وإنه ليبدو غريباً جدًّا أن شعراً مدنياً في أصله يأخذ موضعه داخل قانون الأسفار المقدَّسة، ولكن شعراً مثل هذا مع الموجود في سفر نشيد الأنشاد، فهما مشتركان معاً في كثير من النقاط، ويُسهلان لنا وضع العلاقة العادية للحياة البشرية في النور الحقيقي كجزء من الترتيب الإلهي للعالم، وقد تكرَّسا ليكونا وعاءً للفكر العالي ومثالاً للسر الروحي كما يشير إليه (أف ٥:٢٣).

والمزمور اختير من الكنيسة ليكون مزموراً للميلاد المقدَّس.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١]:

مقدّمة وإهداء.

١ - **«فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ»**:

لأنه داخل على موضوع كبير أعلى من قامته جعله يسن قلمه ويرتفع بتصوّره إلى أقصى ما يستطيع بدرجة تقوده ولا يقودها.

«قلبي»:

هنا يوضِّح أن كلماته صادرة من مصادرها السرية جدًّا داخل الإنسان. فالقلب ملك الأفكار المتوَّج.

«متكلّم أنا بإنشائي للملك»:

جماع فكره استحضره قبل أن ينطق بكلماته فيما يخص الملك، أي أعلى قامة يمكن التأمُّل فيها.

«لساني قلم كاتب ماهر»:

ابتدأ أن يضع أفكاره مرتَّبة كما يشرع الكاتب ويضع خطوطاً مؤلَّفة ليسجّل بها أفكاره التي تفيض عليه من علٍ. ولسانه هنا هو قلم الكاتب المميَّز (عز ٧:٦) وهو هنا يشير خفياً إلى إحساس طاغٍ أتاه من الله ليسجِّله.

[٢-٩]:

العريس الملكي جماله الراقي ينتظر عدالة في حكمه ونجاحاً في سلاحه ومجداً في ملكه وعظمة حكومته، واصفاً الملك بأنه واحد قد انعقدت عليه بركات السماء على قياسها الأعظم.

٢ - **«أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ»**:

كان الجمال في فكر الإنسان قديماً يوحي إلى اختيار الله للحاكم بسبب قدرته على جذب الأنظار والقلوب، وكناية عن نبل طبيعته التي اكتملت فيه بأجمل ما عندها. انظر: (١صم ٩:٢):

+ «وكان له ابن اسمه شاول شاب وحسن ولم يكن رجل في بني إسرائيل أحسن منه. من كتفه

فما فوق كان أطول من كل الشعب».

وأيضاً: (١صم ١٠:٢٣):

+ «فركضوا وأخذوه من هناك فوقف بين الشعب فكان أطول من كل الشعب».

وأيضاً: (١صم ١٦:١٢):

+ «وكان (داود) أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو».

«انسكبت النعمة على شفتيك»:

عندما تكون الابتسامة روحانية على الشفتين تعطي إحساساً قوياً بأن الخارج من شفتيه كلام نعمة وروح وصلاح وحق. لاحظ هنا ما هو فوق البشر. انظر: (أم ٢٢:١١):

+ «مَنْ أحب طهارة القلب فلنعمة شفتيه يكون الملك صديقه».

وأيضاً: (لو ٤:٢٢):

+ «وكان الجميع يشهدون له ويتعجَّبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ...».

«لذلك»:

يقرن هنا المزمور الجمال الواضح الذي يوحي باختيار الله بالبركات المنصبة عليه، لأن الصورة البشرية تعطي انطباعاً بما وراءها من جمال روحي. فهنا يقرِّر أن البركات المنصبَّة عليه ذات علاقة وثيقة بالنعمة المنصبة على شفتيه.

«إلى الأبد»:

إن قلنا إنها لداود فهي موروثة في بنيه إلى الأبد، أمَّا إن كانت للمسيَّا فهي صفة الألوهة العظمى.

٣ - «تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ»:

عوض أن يتبارى في وصف قوة وجبروت الملك، يتعدَّى ذلك ليوحي إليه بأن يستخدم سلاحه الخفي في إشهار الحق والقطع بالاستقامة، فهذا هو جبروت الحق وبهاء الملك. فالكلام يكاد يفصح عن سر الملك الفوقاني الفائق الوصف والقوة والمجد. انظر: (مز ٩٦:٦):

+ «مجد وجلال قدَّامه. العز والجمال في مقدسه».

وأيضاً: (مز ١٠٤:١):

+ «باركي يا نفسي الرب. يا رب إلهي قد عظمت جدًّا، مجداً وجلالاً لبست».

وأيضاً: (مز ١٤٥:٥):

+ «بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج».

وأيضاً: (مز ٢١:٥):

+ «عظيم مجده بخلاصك. جلالاً وبهاءً تضع عليه».

٤ - «وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ»:

يتصوَّر الملك قادماً من نصرته راكباً حصانه بعجلته مقتحماً طريقه بلا مقاومة وسط صفوف الأعداء الخائفين المرتعبين، وهو يحارب من أجل الحق بروح وداعة وبر، والحق والبر هما عماد أخلاق الملك الحق، والوداعة مَثَل البشرية الأعظم الذي له النصرة. انظر: (إش ٩: ٣-٧):

+ «أكثرت الأمة عظمت لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد. كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة ... لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد».

وأيضاً: (إش ٢٩:١٩):

+ «ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل».

وأيضاً: (مز ٦٨:٤):

+ «غنُّوا لله رنِّموا لاسمه. أعدُّوا طريقاً للراكب في القفار باسمه ياه واهتفوا أمامه».

«فتريك يمينك مخاوف»:

القائد المظفر يخرج من المعارك وقد هاله ما فعلت يمينه من الفتك بالأعداء.

٥ - «نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ»:

وصف قوة وبطش الملك بالأعداء.

٦ - «كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»:

الانتقال من الملك إلى الله. غفوة الشاعر فيها ينتقل من الصورة إلى الواقع ومن الخيال إلى الحقيقة

دون أن يشعر، فكما وصفه المزمور مرَّة وهو يدعو لدوام كرسي مجد الملك بأنه كالشمس أمام الله والقمر (مز ٨٩: ٣٦و٣٧). خيال مبدع أقصى ما يراه الإنسان عن بُعد لمن هو الملك هذا. انظر: (١٤:٨٩):

+ «العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدَّمان أمام وجهك».

وأيضاً: (إش ٩:٧):

+ «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد».

وأيضاً: (إش ١١:٤):

+ «يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه».

وأيضاً: (مز ٧٢: ٢-٥و٧):

+ «يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر».

+ «يقضي لمساكين الشعب. يخلِّص بني البائسين ويسحق الظالم. يخشونك ما دامت الشمس وقدَّام القمر إلى دور فدور».

+ «يُشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر».

٧ - «أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ»:

كمال البرّ أهَّله للملوكية والحكم فجاءته الملوكية شهادة تقوى وبرّ، ورد فعل لما يستحقه.

«الله إلهك»:

في مفهوم مزامير الإلوهيم، هو المساوي ليهوه إلهك. انظر: (مز ٤٣:٤):

+ «فآتي إلى مذبح الله إلى الله بهجة فرحي. وأحمدك بالعود يا الله إلهي».

وأيضاً: (مز ٥٠:٧):

+ «اسمع يا شعبي فأتكلم. يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا».

«مسحك»:

ليست مسحة تكريس ملوكية بل مسحة عيد «بزيت البهجة» والقصد أعياد الزواج وأفراحها. انظر: (نش ٣:١١):

+ «اخرجن يا بنات صهيون، وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توَّجته به أُمه في يوم عُرسه وفي يوم فرح قلبه».

«رفقائك»:

كل الملوك قبلك وبعدك لم يعطوا هذا التنصيب الإلهي. انظر: (٨٩: ٢٧و٢٨):

+ «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض. إلى الدهر أحفظ له رحمتي. وعهدي يثبت له».

٨ - «كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ. مِنْ قُصُورِ الْعَاجِ سَرَّتْكَ الأَوْتَارُ»:

قد تهيَّأ لتنصيب الملوكية أو الزواج وأُعطي أردية لها رائحة لبنان بعطور تقصر دونها عطور الأرض. ناردين ودم مسفوك وجروح في اليدين والرجلين ورأس مثخن بأشواك إكليل المجد، تميد منها قصور العاج وتتحطَّم على أنينها أوتار جميع القلوب قبل أوتار الجيتار.

٩ - «بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرَ»:

اصطفَّت الأميرات صفوفاً صفوفاً لاستقبال الملك، وقامت الملكة بضياء يحوطها نورك على يمينك، تتوكأ على ذراعك لتعلن افتتاح عهد مملكة البر والسلام. موشَّاة بذهب صنعته الملائكة يوم زفافها لتظهر جديرة بأم المصلوب.

[١٠-١٢]:

يعود يخاطب العروس مشيراً عليها أن تنسى بيتها القديم وتخضع بالتقوى لعريسها واصفاً كرامتها.

١٠ - «اسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ»:

وكأنه ناصح نصوح كحكيم يتكلَّم وهو لا يدري أنه يكلِّم أم الكلمة والحكمة ووالدة النور الحقيقي. والزواج حقيقة سريَّة تعيِّد لها السماء ولا يدركها إلاَّ المدعوون. والشعب الذي عليها أن تنساه وبيتها القديم هو عالمنا المضمحل إنسان آدم الذي انتهت أيامه.

١١ - «فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ»:

لقد اشتهى حقيقة، ولكن لا حسننا بل بؤسنا، وارتضى أن يلبسه كثوب يوم زفافه لكي يتناسب مع تمزيق سياط بيلاطس وهزء هيرودس وشماتة حنَّان وقيافا.

وفجأة استفاقت البشرية فرأت أن الذي صلبته هو سيدها! فَعِوض البصاق قدَّمت سجوداً. هذه هي البشرية التي تعيَّن عليها ملكاً وسيداً.

١٢ - «وَبِنْتُ صُورٍ أَغْنَى الشُّعُوبِ تَتَرَضَّى وَجْهَكِ (أو وَجْهَكَ) بِهَدِيَّةٍ»:

نعم أتاه المجوس بالذهب وقدَّموه هدية نيابة عن أغنياء صور وكل الأرض، لأنه تعيَّن أن يموت مع غني عند قبره ليشهد لفقره.

[١٣-١٥]:

وصف للعروس مزيَّنة لعريسها.

١٣ - «كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا»:

كناية عن خيوط النور الملتحمة بالمجد. فثياب أُم النور لم تكن إلاَّ خيوط من النور تنعكس على بتوليتها فتلمع أكثر من الشمس. وهل يعقل أن تتدثَّر عذراء المجد بثوب من صنع إنسان وقد سهرت عليها ملائكة تغزل قروناً وقروناً لتليق بها يوم زفاف ملك السموات.

١٤ - «بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ»:

وهكذا أكملت أسباب تقديمها إلى الملك بملابسها المطرَّزة بأيدي سماوية حاذقة، كل مَنْ يراها يتعجَّب كيف تقدَّم عذراء بشرية إلى ملك السموات. تزفّها جوقة سماوية تُرى وكأنها قديسات استدعيت على عجل من وراء التاريخ لترى يوم النور. انظر: (خر ٢٨: ٢٩):

+ «فيحمل هارون أسماء بني إسرائيل في صدرة القضاء على قلبه عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب».

١٥ - «يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ»:

بأفراح بموسيقى ورقص أدخلت الملائكة العروس وصويحباتها إلى مجلس الملك، ليعطيها كل كراماته ورئاسته التي في السموات لأنها تصير الكل في الكل. أليست هي الكنيسة جسده؟

[١٦و١٧]:

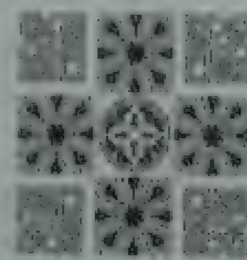
أماني ورغبات تُقدَّم إلى الملك.

١٦ - «عِوَضاً عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ»:

وإن صحَّت على سليمان فكم صحَّت على المسيح الذي عوض الآباء الأماجد ذوي الحظوة القصوى والعهود والمواعيد والاشتراع والمجد، خرجت من أحشاء الملك ألوف وربوات الربوات من رؤساء وقديسين وقدِّيسات في كل أنحاء الأرض يقدِّمون السيادة والخضوع والتسابيح والمجد. وهكذا يكمِّلون الآباء لتصير جوقة المسيح تشمل كل القديم وكل الجديد.

١٧ - «أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ»:

وهكذا وكأنه صورة طبق الأصل من وصية المسيح لتلاميذه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ١٩و٢٠). «اصنعوا هذا لذكري» (لو ٢٢: ١٩). كان من الصعب التمشِّي في شرح هذا المزمور على مستوى التاريخ والزمن فليس لدينا لغة يمكن أن نُلبسها ثوب السماء.



المزمور السادس والأربعون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. عَلَى «الْجَوَابِ». تَرْنِيمَةٌ

١- «اللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْناً فِي الضِّيقَاتِ وُجِدَ شَدِيداً.
٢- لِذلِكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ، وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ.
٣- تَعِجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعْزَعُ الْجِبَالُ بِطُمُوِّهَا. سِلاَهْ.
٤- نَهْرٌ سَوَاقِيهِ تُفَرِّحُ مَدِينَةَ اللهِ، مَقْدِسَ مَسَاكِنِ الْعَلِيِّ.
٥- اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ. يُعِينُهَا اللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ.
٦- عَجَّتِ الأُمَمُ. تَزَعْزَعَتِ الْمَمَالِكُ. أَعْطَى صَوْتَهُ، ذَابَتِ الأَرْضُ.
٧- رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا مَلْجَأُنَا إِلهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ.
٨- هَلُمُّوا انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ، كَيْفَ جَعَلَ خِرَباً فِي الأَرْضِ.
٩- مُسَكِّنُ الْحُرُوبِ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. يَكْسِرُ الْقَوْسَ وَيَقْطَعُ الرُّمْحَ. الْمَرْكَبَاتُ يُحْرِقُهَا بِالنَّارِ.
١٠- كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ. أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ.
١١- رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ».

دراسة:

يُلاحَظ أن مزامير ٤٦ و٤٧ و٤٨ متصلة بشدة، فهي تكوِّن ثلاثي أقوال للمديح، وفيها سمة خاصة وهي إعطاء "أُورشليم" خلاصاً من كل الأُمم، ويُسبِّح لها بهذا الخلاص.

ففي مزمور (٤٦) الفكرة القائدة هي حضور يهوه في وسط مدينته والشعب وهذا الحضور هو أساس الثقة.

وفي مزمور (٤٧) يحمل سيادة يهوه كملك على كل الأرض وكسره أعداء صهيون الحديثة نموذج لذلك.

وفي مزمور (٤٨) فيه صهيون في سلام نتيجة وبرهان لحضور الله في وسطها.

هذه المزامير لا يصح أن تكون مجرَّد تعبير عن الثقة في يهوه كحامي ومحافظ لصهيون. فهي بوضوح تدين بأصلها لحادثة تاريخية معيَّنة!

فصاحب المزمور يكتب كواحد من الأحياء الذين جازوا في محنتها العظمى وقلقها، الذي نظر بعينيه علامة ظاهرة كقوة الله من نحو شعبه بالنسبة لقسوة أعماله في الأيام القديمة، وأدرك من مجرى الحوادث ليس فقط محبة يهوه لشعبه بل وعظمة قوته الكلية.

فإنقاذ أُورشليم بصورة إعجازية من جيش سنحاريب في حكم حزقيا سنة ٧٠١ قبل الميلاد يمكن أن تعتبر مناسبة وضع هذه المزامير مع احتمال يرقى إلى التأكيد.

فحزقيا شدَّد في عدم خضوعه لأشور، وسنحاريب أتى ليؤدِّب ثورته كتابع. وتتابع الحوادث غامض نوعاً ما، ولكن يبدو أن سنحاريب بعد أن غزى يهوذا أجبر حزقيا أن يخضع باتضاع ويدفع جزية ثقيلة دون أن يطالب بخضوع أُورشليم (٢مل ١٨: ١٣-١٦). ولكن الظروف أسرعت وأقنعته أنه كان من المهم أن لا يترك وراءه حصناً قوياً كأورشليم في يد تابع مشكوك فيه مثل حزقيا. فبينما هو متجه نحو مصر وبينما هو محاصر لخيش بواسطة جيشه الرئيسي، أرسل قوة تحت قيادة رؤساء ضبَّاطه ترتان وربساريس وربشاقي يُطالب بخضوع أُورشليم. فكانت لحظة حرجة، فالرفض يبدو أكيداً وبالتالي يحتاج إلى تأديب. فعندما عاد سنحاريب منتصراً من مصر اشتركت أُورشليم في النصيب الذي أصاب السامرة منذ ٢١ سنة سلفت، ولكن اعتماداً على وعود يهوه أن يدافع عن مدينته ـ أعلنها بواسطة إشعياء النبي ـ رفض حزقيا أمر التسليم، وبعثات سنحاريب رجعت إلى سيدهم الذي كان يحاصر آنئذ لبنة. فغضب على أُورشليم وملكها ولكنه تركها لأنه كان سائراً بجيشه، فكان كل ما يمكن أن يصنعه سنحاريب أن يهدد، فأرسل خطابه لحزقيا باحتقار لسلطان يهوه المدافع عن أُورشليم. فأخذه حزقيا وذهب إلى الهيكل وفرده أمام يهوه على المذبح متوسِّلاً إيَّاه أن يرد على هذه الشتائم. وحينئذ نطق إشعياء بنبوَّته العالية التي أعلن فيها أن سنحاريب يلزم أن يوضع وتبقى أُورشليم بلا تعدٍّ. وهذا قد تمَّ بالحرف الواحد.

وحدث أثناء ذلك مفاجأة عجيبة وصاعقة وقعت على جيش سنحاريب، إذ أُصيب بالطاعون من أثر الفئران التي هاجمت الجيوش في معاقله، وسقط من جيشه آلاف الموتى، وتمَّت رؤيا إشعياء النبي موضِّحاً قوة يهوه في الدفاع عن شعبه مما أنشأ فرحاً وتهليلاً (إش ٣٠: ٩).

لذلك حينما نجد التوافق بين هذه المزامير فكراً ولغة ونقارنها بنبوَّة إشعياء لا نشك أن مثل هذه التشكرات النبيلة حُفظت لنا في هذه المزامير.

ودقائق هذه المقارنة سنعود إليها في شرح آيات هذه المزامير، ولكن يكفي هنا أن ننتبه إلى بعض

الملامح العريضة من جهة التوافق. فالفكر القائد في مزمور (٤٦) المذكور في القرار (٧و١١) هو صدى كلمة عمانوئيل (إش ١٤:٧، ٨: ٨و١٠)، (مي ١١:٣).

فالقرار هو: «رب الجنود معنا ملجأنا إله يعقوب».

ثمَّ انظر: (إش ١٤:٧):

+ «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل».

وأيضاً: (إش ٨:٨):

+ «ويندفق إلى يهوذا. يفيض ويعبر. يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل».

وأيضاً: (إش ١٠:٨):

+ «تشاوروا مشورة فتبطل. تكلَّموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا».

وأيضاً: (مي ١١:٣)

+ «رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلِّمون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون بالفضة، وهم يتوكَّلون على الرب قائلين أليس الرب في وسطنا. لا يأتي علينا شرٌّ».

وإن الحقيقة العامة عن يهوه هو التأكيد أن الله "ملكنا" هو ملك كل الأرض التي هي الفكرة العامة الموجودة في مزمور (٤٧)، (٢:٤٨)، وهي موجودة ومشروحة بقوة في (إش ٥:٦) = «الملك رب الجنود» (إش ٣٧: ٢٢و٢٣):

+ «هذا هو الكلام الذي تكلَّمَ به الرب عليه: احتَقَرَتْكَ واستَهزأَتْ بكَ العذراء ابنة صهيون ... مَنْ عيَّرتَ وجدَّفتَ؟ وعلى مَنْ علَّيتَ صَوتاً وقد رفعت إلى العلاء عينيك؟ على قدوس إسرائيل؟».

وعدم إمكانية الاعتداء على صهيون هي أهم ما في مزمور (٤٨)، وهذا أيضاً في أساس نبوَّة إشعياء في أيام حكم حزقيا. انظر: (إش ٢٩: ٣-٨) لينتبه القارئ:

+ «وأحيط بك كالدائرة وأضايق عليكِ بحصن، وأُقيم عليكِ متارس (كل هذا عمله سنحاريب) فتتضعين وتتكلَّمين من الأرض، وينخفض قولكِ من التراب (على صهيون أُورشليم) ويكون صوتكِ كخيال (من الخوف من سنحاريب) ... ويصير جمهور أعدائكِ كالغبار الدقيق

وجمهور العتاة كالعصافة المارة (قوات أُورشليم). ويكون ذلك في لحظة بغتة (نزول الضربة بالطاعون على جيش سنحاريب) من قِبَل رب الجنود تفتقد برعد وزلزلة وصوت عظيم (الجيش كله مات بالطاعون ونجت أُورشليم في لحظة) ... ويكون كحلم كرؤيا الليل جمهور كل الأُمم المتجندين على أريئيل (أُورشليم) ... وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثمَّ يستيقظ وإذا هو رازح ونفسه مشتهية. هكذا يكون جمهور كل الأُمم المتجندين على جبل صهيون (سنحاريب يستيقظ جيشه وإذا هو فاقد نفسه)».

وأيضاً: (إش ٥:٣١):

+ «كطيور مُرِفَّة (ترفرف) هكذا يحامي رب الجنود عن أُورشليم، يحامي فينقذ يعفو فينجِّي!»

إن تحقّق الأمر بالحرف صعب، ولكن هذه المزامير تعطي الحقيقة بحيوية إذا تمَّ دراستها مع اتصالها مع نبوَّات إشعياء كتوضيح لتشكرات مع رجاءات التي أحيت الأرواح النبيلة في أُورشليم في اللحظات الحرجة في تاريخ الأمة. فإذا لم تكن هذه المزامير قد كُتبت بواسطة إشعياء نفسه (كما اقترح البعض) فبواسطة غيره من تلاميذه الذين عاصروا مثل هذه الضيقات.

وهناك مزامير آساف (٧٥)، (٧٦) تشير أيضاً إلى هذه الحوادث ويمكن المقارنة معها.

ومزمور (٤٦) يحتوي على ثلاث وقفات متساوية تنتهي بسلاه، والوقفة الثانية والثالثة تنتهي بقرار (٧و١١) قارن مزموري (٤٢)، (٤٣).

في الوقفة الأُولى: نجد الحقيقة الأساسية هي أن إنقاذ الله لشعبه هو الأساس الراسخ لثقة لا تخاف (١-٣).

في الوقفة الثانية: توضِّح كيفية النجاة لصهيون (٤-٧).

في الوقفة الثالثة: توضِّح قوة يهوه كضرورة لبقاء سيادته فوق الأُمم (٨-١١).

وقد اتخذ لوثر هذا المزمور معياراً لجهاده.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٣]:

حماية الله لشعبه، فليس له أن يخاف حتى ولو تزعزعت أسس الجبال.

١ - «**اللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْناً فِي الضِّيقَاتِ وُجِدَ شَدِيداً**»:

مطابقاً لنبوَّة إشعياء (٣٣: ٢ و٥ و٦ و١٠):

+ «يا رب تراءف علينا. إيَّاك انتظرنا. كن عضدهم في الغدوات. خلاصنا أيضاً في وقت الشدة ... تعالى الرب لأنه ساكن في العلاء. ملأ صهيون حقاً وعدلاً. فيكون أمان أوقاتك وفرة خلاص وحكمة ومعرفة. مخافة الرب هي كنزه».

+ «الآن أقوم يقول الرب. الآن أصعد. الآن أرتفع!».

قد استجاب. ففي أقصى حالات ضيقهم أثبت الرب وجوده أنه ملجأ وحصن وقوة لشعبه، وقد حقَّق نبوات إشعياء وأثبت أن الاتكال على غيره باطل، انظر: (إش ٢٨:١٥):

+ «لأنكم قلتم قد عقدنا عهداً مع الموت وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية. السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش استترنا».

وأيضاً: (إش ٣٠:٢):

+ «الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمي، ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر».

«**عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً**»:

المزمور هنا لا يقول مجرَّد حقيقة ولكن يحكي عن اختبار واقعي (٢أي ١٥: ٢و٤و١٤و١٥):

+ «فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين. الرب معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم».

+ «ولكن لمَّا رجعوا عندما تضايقوا إلى الرب إله إسرائيل وطلبوه وُجِدَ لهم».

+ «وحلفوا للرب بصوت عظيم وهتاف وبأبواق وقرون. وفرح كل يهوذا من أجل الحلف

لأنهم حلفوا بكل قلوبهم وطلبوه بكل رضاهم، فوُجِدَ لهم وأراحهم الرب من كل جهة».

٢ - «**لذلكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ، وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ**»:

القولَ هنا ليس رمزياً بل حقيقياً، فهو وصف قوة اعتماد وقوة أمانة وتمسُّك بالله، لأن فيضان الغزو بجيوش سنحاريب ضرب جبل صهيون وهدَّد بإغراق المدينة. انظر: (إش ١٧: ١٢-١٤):

+ «آه! ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة. قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً وتُطرد كعصافة الجبال أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعبٌ (جيش سنحاريب معسكر حول المدينة) قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيب ناهبينا وحظ سالبينا»!!

٣ - «**تَعِجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعْزَعُ الْجِبَالُ بِطُمُوِّهَا. سِلاَهْ**»:

يقترح العالِم كرك باتريك أن القرار قد فقد وقد ألفه هكذا: "ليت المياه تصيح وتجيش ليت الجبال تتزعزع أمام الكبرياء. يهوه رب الجنود معنا إله يعقوب هو حصننا". وفي هذا كله نحن في أمان بوجود يهوه وحمايته. انظر: (مز ٨٩: ٨و٩):

+ «يا رب إله الجنود، مَنْ مثلك؟ قويٌّ، ربٌّ، وحقك من حولك».

+ «أنت متسلِّط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تُسكِّنها!».

[٤-٧]:

وجود الله فرح وأمان لشعبه.

٤ - «**نَهْرٌ سَوَاقِيهِ تُفَرِّحُ مَدِينَةَ اللهِ، مَقْدِسَ مَسَاكِنِ الْعَلِيِّ**»:

في مقابل عجاج البحر وهو يهدر بابتلاع الأرض، يأتي نهر الله الذي يفرح مدينة الله، الذي يفيض بلطف ليخصب الأرض التي تمتلئ بفروعه. هو رمز لحضور الله يبارك مدينته، فالري بمياه النهر لا يقدَّر قيمته في فلسطين. انظر: (إش ٣٠: ٢٥و٢٦):

+ «ويكون على كل جبل عالٍ وعلى كل أكمة مرتفعة سواق ومجاري مياه في يوم المقتلة العظيمة حينما تسقط الأبراج ... يوم يَجْبُرُ الرب كسر شعبه ويُشفي رض ضربه».

والمنظر يذكِّرنا بقول إشعياء في (٨: ٦-٨):

+ «لأن هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجارية بسكوت وسُرَّ برصين وابن رمليا. لذلك هوذا

السيد يُصعد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة ملك أشور وكل مجده، فيصعد فوق جميع مجاريه ويجري فوق جميع شطوطه. ويندفق إلى يهوذا. يفيض ويعبر. يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل».

انظر أيضاً: (إش ٣٣:٢٢):
+ «فإن الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب ملكنا هو يخلّصنا».

«مدينة الله»:

انظر: (مز ٤٨: ١و٨):
+ «عظيم هو الرب وحميد جدًّا في مدينة إلهنا جبل قدسه».
+ «كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود في مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد. سلاه».

وأيضاً: (رؤ ٣:١٢):
+ «مَنْ يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أُورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد!».

«مساكن العلي»:

انظر: (مز ٤٣:٣):
+ «أرسل نورك وحقّك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك».

ولقب الرب: "العلي" هام جدًّا لأن بخلاص مدينته أثبت نفسه أنه سيد الأرض كلها، واتضع سنحاريب إلى التراب. انظر: (إش ٣٦: ٢٠و٢١):
+ «مَنْ مِنْ كل آلهة هذه الأراضي أنقذ أرضهم من يدي حتى ينقذ الرب أُورشليم من يدي؟» (هذا قول سنحاريب)

+ «فسكتوا ولم يجيبوا بكلمة لأن أمر الملك كان قائلاً لا تجيبوه».

وأيضاً: (إش ٣٧: ١٠و٣٥):
+ «هكذا تكلّمون حزقيا ملك يهوذا قائلين: لا يخدعك إلهك الذي أنت متوكل عليه قائلاً لا تُدفع أُورشليم إلى يد ملك أشور».

٥ – **«اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ. يُعِينُهَا اللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ»:**

انظر: (إش ١٢:٦):
+ «صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وَسَطِكِ».

وأيضاً: (مي ٣:١١):
+ «وهم يتوكّلون على الرب قائلين: أليس الرب في وسطنا. لا يأتي علينا شرٌّ».

«فلن تتزعزع»:

أثبت من الجبال (٢) أكثر من كل أُمم الأرض (٦).

«يعينها الله عند إقبال الصبح»:

عندما يشرق فجر الخلاص بعد ليل الحزن والوجع، عندما استيقظوا فوجدوا جيش سنحاريب قد أصابته الفئران بالطاعون. انظر: (إش ٣٧: ٣٦و٣٧):
+ «فخرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. فلمَّا بكّروا صباحاً إذ هم جميعاً جثث ميتة. فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى».

٦ – **«عَجَّتِ الأُمَمُ. تَزَعْزَعَتِ الْمَمَالِكُ. أَعْطَى صَوْتَهُ، ذَابَتِ الأَرْضُ»:**

لمّا هاجت الممالك معاً بدت الأرض وكأنها تزلزلت. كان الرب يعطي صوته بواسطة البروق والرعود والكل ذاب من الخوف، فالكل ارتعب واختبأ من الآتي عليه. انظر: (إش ٢٩:٦):
+ «من قِبَل رب الجنود تُفتَقَد برعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة».

وأيضاً: (إش ٣٠:٣٠):
+ «ويُسَمِّع الرب جلال صوته ويُرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة».

وأيضاً: (خر ١٥:١٥):
+ «حينئذ يندهش أمراء أدوم أقوياء موآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان».

وأيضاً: (مز ٧٥:٣):
+ «ذابت الأرض وكل سكانها، أنا وزنت أعمدتها».

وأيضاً: (مز ٧٦:٨):
+ «من السماء أسمعت حُكْماً. الأرض فزعت وسكتت».

٧ ـ «**رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا مَلْجَأُنَا إِلهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ**»:

جملة القرار وفي إشعياء موسومة بعمانوئيل. انظر: (إش ٧:١٤):

+ «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل».

وأيضاً: (إش ٨: ٨و٩و١٠):

+ «ويندفق إلى يهوذا (جيش سنحاريب) يفيض ويعبر. يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل ... احتزموا وانكسروا ... لأن الله معنا».

ويُلاحَظ أن اصطلاح "**رب الجنود**": هو الموازي لـ"يهوه رب الصباؤوت" وقد سادت في زمن النبوات الملكية وأصلها الله يقود جيوش إسرائيل. وتجدها في (١صم ١٧:٤٥):

+ «فقال داود للفلسطيني: أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل».

كذلك فإن جند السماء (تك ٢:١) كانت تعني جند يهوه قائد قوات السموات السلطان الأعلى للعالم، ومن هنا جاء الاصطلاح: "الكلي القدرة almighty"، وتأتي هنا أن رئيس قوات السماء هو حليف إسرائيل! انظر: (٢مل ٦: ١٦و١٧):

+ «فقال: لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم. وصلّى أليشع وقال: يا رب افتح عينيه فيُبصر، ففتح الرب عيني الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع».

«**إله يعقوب**»:

انظر: (هو ١٢:٢):

+ «فللرب خصام مع يهوذا وهو مزمع أن يعاقب يعقوب بحسب طرقه. بحسب أفعاله يَرُدُّ عليه».

لأن الرب غضب على إسرائيل بسبب هجومهم على أفرايم وتحطيمهم ظلماً.

[٨-١١]:

الحث على التأمُّل في هذا الخلاص العجيب وأن يتعلّموا منه درساً ... والكلام لكافة الأمم وإسرائيل أيضاً.

٨ ـ «**هَلُمُّوا انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ، كَيْفَ جَعَلَ خِرَباً فِي الأَرْضِ**»:

تحطيم جيش سنحاريب يلزم أن يتأمَّلوه جيداً. انظر: (إش ٣٣:١٣):

+ «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت واعرفوا أيها القريبون بطشي».

«**خرباً في الأرض**»:

وهو تحطيم جيش سنحاريب محطّماً أسلحة الحرب وحارقاً إيَّاهم على أرض المعركة. انظر: (إش ٩:٥):

+ «لأن كل سلاح المتسلّح في الوَغَى وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق مأكلاً للنار».

٩ ـ «**مُسَكِّنُ الْحُرُوبِ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. يَكْسِرُ الْقَوْسَ وَيَقْطَعُ الرُّمْحَ. الْمَرْكَبَاتُ يُحْرِقُهَا بِالنَّارِ.**

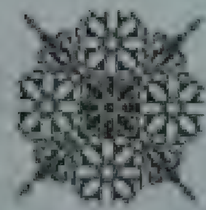
١٠ ـ **كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ. أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ**»:

الرب يوبِّخ الأُمم حتى لا يأذوا شعبه وليذكروا أن الله إله كل الشعوب والأرض كلها. انظر: (إش ٣٣:١٠):

+ «الآن أقوم يقول الرب. الآن أصعد الآن أرتفع».

١١ ـ «**رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ**»:

القرار في خورس كبير يُعلن الإيمان والشكر ويُعلن النهاية.



المزمور السابع والأربعون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

١- «يَا جَمِيعَ الأُمَمِ صَفِّقُوا بِالأَيَادِي. اهْتِفُوا للهِ بِصَوْتِ الابْتِهَاجِ.
٢- لأَنَّ الرَّبَّ عَلِيٌّ مَخُوفٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ.
٣- يُخْضِعُ الشُّعُوبَ تَحْتَنَا، وَالأُمَمَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا.
٤- يَخْتَارُ لَنَا نَصِيبَنَا، فَخْرَ يَعْقُوبَ الَّذِي أَحَبَّهُ. سِلاَهْ.
٥- صَعِدَ اللهُ بِهُتَافٍ، الرَّبُّ بِصَوْتِ الصُّورِ.
٦- رَنِّمُوا للهِ رَنِّمُوا، رَنِّمُوا لِمَلِكِنَا رَنِّمُوا.
٧- لأَنَّ اللهَ مَلِكُ الأَرْضِ كُلِّهَا، رَنِّمُوا قَصِيدَةً.
٨- مَلَكَ اللهُ عَلَى الأُمَمِ. اللهُ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ قُدْسِهِ.
٩- شُرَفَاءُ الشُّعُوبِ اجْتَمَعُوا. شَعْبُ إِلهِ إِبْرَاهِيمَ. لأَنَّ للهِ مَجَانَّ الأَرْضِ. هُوَ مُتَعَالٍ جِدًّا».

دراسة:

هذا المزمور امتداد للأفكار التي أتت في المزمور السابق (١٠:٤٦) فملك صهيون هو الملك الكبير الحقيقي (٢:٤٧) ملك كل الأرض. فكل الأُمم مدعوَّة لتعطي الخضوع لله الذي أعلن وأثبت سيادته بانتصاره الكبير على الوثنيين. لأن ظروف هذا المزمور هي عينها ظروف مزامير ٤٦و٤٨، غير أن الحديث عن هذه الظروف غير واضح والتقابل مع ما جاء في إشعياء أقل وضوحاً.

ولكن واضح أنه يعاصر نُصرة حديثة والتي بناء عليها يُقال إنَّ الله نزل ليحارب عن شعبه. انظر: (إش ٤:٣١):

+ «لأنه هكذا قال لي الرب كما يَهِرُّ فوق فريسته الأسد والشبل الذي يُدعَى عليه جماعة من الرعاة وهو لا يرتاع من صوتهم ولا يتذلل لجمهورهم، هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أكمتها».

وهكذا صعد منتصراً إلى السماء بهتاف (٥). وهزيمة سنحاريب كانت درساً كما يكرر إشعياء

للشعوب كلها وليهوذا من أجل سلطان يهوه السماوي.

وهكذا المزمور يشبه مزمور (٩٣، ٩٦-٩٩)، مما جعل كثيراً من الشُّرَّاح يضمُّونه إلى مزامير العودة من السبي، ولكن ليس هناك من الأسباب ما يكفي لكي نفصله عن المزامير التي تقف معه وله معها صلات.

وهذا المزمور يُعتبر مزموراً ماسيانياً إذ يلمِّح إلى خضوع الأمم ليهوه ملك الأرض كلها، وبالنسبة لعدد (٥) يستخدم منذ القدم كمزمور للصعود! ليس لأن العدد (٥) نبوَّة عن الصعود ولكن معنى **رجوع** يهوه إلى عرشه بعد نصرته على الأعداء يمكن أن نجعله قانونياً مساوياً لرجوع المسيح إلى السماء بعد نصرته على الموت ذاته، العدو الأكبر والأخير، ليأخذ مجلسه عن يمين الله.

كذلك فهو مزمور للسنة الجديدة عند السيناجوج يُتلى سبع مرات مع نفخ الأبواق معلناً العيد (عد ١:٢٩).

والمزمور له ثلاث وقفات:

١ ـ دعوة للجميع لمديح يهوه والتهليل له كملك كل الأرض الذي اختار إسرائيل ليكون شعبه (١-٤).
٢ ـ دعوة مكرَّرة للتسبيح لظهوره الحديث من جهة سلطانه (٥-٧).
٣ ـ التحقيق النهائي للسيادة في خضوع ملوك الأمم (٨و٩).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٤]:

دعوة لجميع الأمم للاعتراف بيهوه كملك لهم، لأنه أثبت سيادته بإخضاع الأمم لشعبه مؤكِّداً أن الأرض المختارة ميراثه.

١ ـ «يَا جَمِيعَ الأُمَمِ صَفِّقُوا بِالأَيَادِي. اهْتِفُوا للهِ بِصَوْتِ الابْتِهَاجِ»:

إنه يخاطب كل أُمم العالم، يدعوهم ليُحيُّوا يهوه كملك جديد تُعطى له التحية عند تنصيبه بتصفيق الأيدي والهتاف. حيث أن الهتاف هو عمل إسرائيل في تمجيد الملك عند حضوره وهو في حالة انتصار تحية لمجيئه منتصراً.

٢ ـ «لأَنَّ الرَّبَّ عَلِيٌّ مَخُوفٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ»:

سلطان يهوه الكلّي هو المحور الذي يدور حوله المزمور. فليس هو فقط ملك إسرائيل (٦) ولكنه ملك على كل الأرض (٧). علماً بأن أشور قد لُقِّب ملكها "بالملك الكبير" أو الملك العظيم (إش ٤:٣٦).

«لأن الرب عليٌّ مخوف»:

هذا العدد يربط بين مزمور (٤:٤٦) ومزمور (٢:٤٨). أمّا عن كلمة "مخوف"، فانظر: (مز ٧٦: ٧و١٢):

+ «أنت مهوب أنت. فمن يقف قدّامك حال غضبك؟».

+ «يقطف روح الرؤساء. هو مهوب لملوك الأرض».

وأيضاً: (خر ١٥:١١):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك معتزاً في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب».

وأيضاً: (تث ١٠:١٧):

+ «لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة».

(**٣و٤**): الكلام هنا يجيء ليس في الماضي المنتهي، قد أخضع وقد اختار، ولكن في المضارع: يخضع ويختار.

٣ ـ «يُخْضِعُ الشُّعُوبَ تَحْتَنَا، وَالأُمَمَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا»:

ذلك قياساً على ما تمّ مع جيش أشور وسنحاريب. انظر: (مز ١٨:٤٧):

+ «الإله المنتقم لي والذي يخضع الشعوب تحتي».

٤ ـ «يَخْتَارُ لَنَا نَصِيبَنَا، فَخْرَ يَعْقُوبَ الَّذِي أَحَبَّهُ. سِلاَهْ»:

نصيبنا أي ميراثنا أرض كنعان التي اختارها نصيباً لإسرائيل ابنه البكر، والأرض التي صارت فخراً ليعقوب حيث محبة الله ليعقوب هي أساس تمليك الأرض. انظر: (تث ٤:٣٧):

+ «ولأجل أنه أحبَّ آباءك واختار نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر».

[٥ـ٧]:

دعوة مجدّدة لتحية سلطان يهوه الكلي.

٥ ـ «صَعِدَ اللهُ بِهُتَافٍ، الرَّبُّ بِصَوْتِ الصُّورِ»:

كونه صعد هو لأنه نزل أولاً، فقد قيل إنّ الله نزل عندما أعلن عن حضوره بتدخُّله في الشئون الكبرى للعالم. صعد عندما انتهى من عمله عائداً إلى السماء.

هكذا تصوَّر صاحب المزمور بعد انتهاء معركة سنحاريب.

٦ ـ «رَنِّمُوا للهِ رَنِّمُوا، رَنِّمُوا لِمَلِكِنَا رَنِّمُوا»:

كلمة "رنّموا = زمِّروا" هي الكلمة التي جاءت منها كلمة "مزمور mizmor".

٧ ـ «لأَنَّ اللهَ مَلِكُ الأَرْضِ كُلِّهَا، رَنِّمُوا قَصِيدَةً»:

[٨و٩]:

التحقيق الأخير لانتصار وسيادة يهوه على كل العالم.

٨ ـ «مَلَكَ اللهُ عَلَى الأُمَمِ. اللهُ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ قُدْسِهِ»:

الأفعال هنا ليست فقط حقائق بل أفعال تثبت هذه الحقائق، الله كان ملكاً ولكنه أعطى براهين تثبت أنه فعلاً ملك على الأُمم. فقد قدَّم نفسه فعلاً كملك وأخذ عرشه لكي يحكم ويدين. انظر: (رؤ ١١:١٥):

+ «ثم بوَّق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين».

٩ ـ «شُرَفَاءُ الشُّعُوبِ اجْتَمَعُوا. شَعْبُ إِلهِ إِبْرَاهِيمَ. لأَنَّ للهِ مَجَانَّ الأَرْضِ. هُوَ مُتَعَالٍ جِدًّا»:

يرتفع صاحب المزمور بالنبوَّة لدى تحقيق الرجاء الذي صوَّره باجتماع الأُمم (١) ولكن سيكون أن الأمم سيعملون هكذا ويعترفون بيهوه وسلطانه. انظر: (مز ١٠٢:٢٢):

+ «عند اجتماع الشعوب معاً والممالك لعبادة الرب».

توضحها الترجمة السبعينية: «اجتمع الشعب معاً مع الملك ليعبدوا الرب إله إبراهيم.» (مز

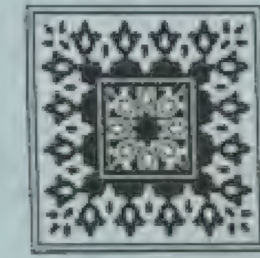
١٠١: ٢٣ الترجمة السبعينية)

كلمة: "بجان" من بجنّ أي درع وهو وصف لقدرة الله على صدّ العدوان وهو متعالٍ. انظر: (مز ٩٧:٩):

+ «لأنك أنت يا رب عَلِيٌّ على كل الأرض. علوت جدًّا على كل الآلهة».

وأيضاً: (مز ٤٦:١٠):

+ «كفّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأُمم أتعالى في الأرض».



المزمور الثامن والأربعون

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ

١- «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا، جَبَلِ قُدْسِهِ.

٢- جَمِيلُ الارْتِفَاعِ، فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ، جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي الشِّمَالِ، مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ.

٣- اللهُ فِي قُصُورِهَا يُعْرَفُ مَلْجَأً.

٤- لأَنَّهُ هُوَذَا الْمُلُوكُ اجْتَمَعُوا. مَضَوْا جَمِيعاً.

٥- لَمَّا رَأَوْا بُهِتُوا، ارْتَاعُوا، فَرُّوا.

٦- أَخَذَتْهُمُ الرِّعْدَةُ هُنَاكَ، وَالْمَخَاضُ كَوَالِدَةٍ.

٧- بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ تَكْسِرُ سُفُنَ تَرْشِيشَ.

٨- كَمَا سَمِعْنَا هكَذَا رَأَيْنَا فِي مَدِينَةِ رَبِّ الْجُنُودِ، فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا. اللهُ يُثَبِّتُهَا إِلَى الأَبَدِ. سِلاَهْ.

٩- ذَكَرْنَا يَا اللهُ رَحْمَتَكَ فِي وَسَطِ هَيْكَلِكَ.

١٠- نَظِيرُ اسْمِكَ يَا اللهُ تَسْبِيحُكَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. يَمِينُكَ مَلآنَةٌ بِرًّا.

١١- يَفْرَحُ جَبَلُ صِهْيَوْنَ، تَبْتَهِجُ بَنَاتُ يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ أَحْكَامِكَ.

١٢- طُوفُوا بِصِهْيَوْنَ، وَدُورُوا حَوْلَهَا. عُدُّوا أَبْرَاجَهَا.

١٣- ضَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى مَتَارِسِهَا. تَأَمَّلُوا قُصُورَهَا لِكَيْ تُحَدِّثُوا بِهَا جِيلاً آخَرَ.

١٤- لأَنَّ اللهَ هذَا هُوَ إِلهُنَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. هُوَ يَهْدِينَا حَتَّى إِلَى الْمَوْتِ».

دراسة:

في الضيقة في أقصى عنفها برهن يهوه أنه حامي صهيون (١-٨)، ومواطنو المدينة التي أُنقذت قد تقبلوا حتى الأعماق الإحساس برحمته بتأملهم كيف أحسن وأكمل الخلاص (٩-١٤).

والمزمور رفيق ومكمِّل لمزمور (٤٦)، فوجود الله في وسط صهيون هو ضمين سلامتها وهي الفكرة السائدة. وهناك ما يدل على أن هذا المزمور إنما يكرِّس خلاص أُورشليم من سنحاريب وغضبه من هذه المحنة، وهو إنما تأليف شاهد عيان للخلاص الذي تمّ وهو يدعو الذين خلصوا من هذه المحنة، وهو الموازي لإشعياء ونبوّاته في هذا الوقت خاصة في أصحاح (٣٣) التي كتبت جزئيا

قبل تحطيم سنحاريب وجنوده (إش ٣٣: ١-١٢) وجزئياً بعد ذلك (إش ٣٣: ١٣-٢٤). وهذا التوازي يلزم أن يُدرس.

وهذا المزمور تعيَّن كمزمور ليوم الخمسين. فصهيون هي النموذج للكنيسة المسيحية، وهذا المزمور الذي يحتفل بالمجد الذي لصهيون وسلامتها تحت عناية الحماية الإلهية هو المزمور المناسب لهذا العيد الذي هو ميلاد الكنيسة.

ونحن نعرف من المشناه أن هذا المزمور يُتلى في يوم الاثنين من كل أسبوع بواسطة اللاويين داخل الهيكل للخدمة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١و٢]: غاية المزمور هو تعظيم يهوه وتعظيم مدينته:

١ - «**عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا، جَبَلِ قُدْسِهِ**»:

الله بعمله مع جيش سنحاريب أثبت وجوده أنه معين في الضيقات (٤٦: ١) وبانتصاره فوق الأُمم تعالى جدًّا (٤٧: ٩) لذلك استحق أن يُمدح جدًّا. يهوه هو عضد إسرائيل وسبب مديحها وتسبيح إسرائيل كالعرش الذي يجلس عليه (مز ٢٢: ٣).

ومفتاح المزمور السرِّي لقب "حميد" وهو يعني مستحق التسبيح أو التهليل "سبِّحوا يهوه"، ومن هنا جاء اسم المزمور: مزمور «تسبيحة»، وهذا اللقب يتكرَّر في مزموري (٩٦: ٤، ١٤٥: ٣):

+ «لأن الرب عظيم وحميد جدًّا، مهوب هو على كل الآلهة».
+ «عظيم هو الرب وحميد جدًّا، وليس لعظمته استقصاء».

٢ - «**جَمِيلُ الارْتِفَاعِ، فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ، جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي الشِّمَالِ، مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ**»:

«جميل الارتفاع»:

انظر: (مز ٥٠: ٢):

+ «من صهيون كمال الجمال الله أشرق».

ويقول العالِم العميد استانلي: إنه أمرٌ يستحق الالتفات أن هذه المدينة أُورشليم ليست فقط على

تل أو جبل عالٍ كمعظم المدن، ولكن تقع في القمة على هضبة عالية وعلى حافتها. فللقادم إلى أُورشليم من الشرق أو الغرب تُنظر من بعيد بالمقارنة مع وادي الأُردن الخفيض كعرش على قمة، وبالمقابل مع أريحا أو غزَّة ودمشق وصور تظهر كمعقل أو حصن.

«**فرح كل الأرض**»:

انظر: (مرا ٢: ١٥):

+ «أهذه هي المدينة التي يقولون إنها كمال الجمال بهجة كل الأرض»؟

وأيضاً: (مز ٥٠: ٢):

+ «من صهيون كمال الجمال الله أشرق».

وأيضاً: (إش ٢: ٢):

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأُمم».

وأيضاً: (مي ٤: ١):

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب».

«**فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم**»:

صحتها وتنحدر ناحية الشمال قلعة الملك العظيم، وهو موضع الهيكل. ولكن تتحد كل الدراسات لتوضِّح أن أقصى الشمال هناك جبال الله المقدسة (إش ١٤: ١٣)، فبحسب الأسيويين روايات تقول إن هناك سكنى الآلهة، وفي اليونان هو جبل أوليمبوس، وميرو عند الهنود، والبرج عند الفرس والأرالو عند أشور والبابليين. ويبدو أن صاحب المزمور قد ضمَّ هيكل الله إلى هذه الجبال التي في أقصى الشمال باعتباره جبل الله. ولكن الحقيقة أن جبل الله وسط المدينة المقدسة.

[٣-٨]: إعلان يهوه لنفسه كحامي صهيون في أيام محنتها مع الأعداء:

٣ - «**اللهُ فِي قُصُورِهَا يُعْرَفُ مَلْجَأً**»:

هذا العدد يتصل بالعددين (١و٢) وفيهما وصف صلة صهيون بيهوه وتوضيح الخلاص الذي تمَّ حديثاً والذي يُفهم أكثر في عدد (٤). والله ملجأ في قصورها. انظر: (مز ٤٦: ٧و١١):

+ «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه».

٤ - «لأَنَّهُ هُوَذَا الْمُلُوكُ اجْتَمَعُوا. مَضَوْا جَمِيعاً»:

سنحاريب وكل الذين يتبعونه من الملوك تحت سلطانه. انظر: (إش ١٠: ٨-١١):

+ «فإنه يقول أليست رؤسائي جميعاً ملوكاً. أليست كلنو مثل كركميش. أليست حماة مثل أرفاد. أليست السامرة مثل دمشق. كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هي أكثر من التي لأورشليم والسامرة. أفليس كما صنعت بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها».

فكلهم اتحدوا معاً واتحدت قواتهم وعبروا الحدود ودخلوا أرض يهوذا. انظر: (إش ٨: ٧-١٠):

+ «لذلك هوذا السيد يُصعد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة - ملك أشور وكل مجده - فيصعد فوق جميع مجاريه ويجري فوق جميع شطوطه. ويندفق إلى يهوذا. يفيض ويعبر. يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل. هيجوا أيها الشعوب وانكسروا ... تشاوروا مشورة فتبطل. تكلّموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا».

وفي (إش ١٨: ٤-٦) وصف انتصار الله على الأعداء حتى بعدما يجتمعون تماماً يقطعهم ويجعلهم مأكلاً لطيور السماء.

+ «لأنه هكذا قال لي الرب إني أهدأ وأنظر في مسكني كالحر الصافي على البقل، كغيم الندى على الحصاد. فإنه قبل الحصاد عند تمام الزهر وعندما يصير الزهر حصرماً نضيجاً يقطع القضبان بالمناجل ويترع الأفنان ويطرحها. تُترك معاً لجوارح الجبال ولوحوش الأرض فتصيّف عليها الجوارح (تصوّت بالفرح) وتشتّي عليها جميع وحوش الأرض».

وصف عجيب وبديع لهلاك جيش سنحاريب بعد اجتماعه مع كل الشعوب التي تتبعه ثم إصابتهم بالطاعون الذي أنهى عليهم.

٥ - «لَمَّا رَأَوْا بُهِتُوا، ارْتَاعُوا، فَرُّوا»:

وصف إجمالي: جاءوا مسرعين وصلوا أورشليم واجهوا المحنة وحصدهم الفئران، ارتاعوا حاولوا الفرار ولكن كان الموت أسرع. انظر: (إش ٣٣: ٣-٥):

+ «من صوت الضجيج هربت الشعوب. من ارتفاعك تبددت الأمم. ويجني سلبكم جني الجراد.

كتراكض الجندب يتراكض عليه (على الجيش الساقط على الأرض). تعالى الرب لأنه ساكن في العلاء. ملأ صهيون حقاً وعدلاً ...».

٦ - «أَخَذَتْهُمُ الرَّعْدَةُ هُنَاكَ، وَالْمَخَاضُ كَوَالِدَةٍ.

٧ - بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ تَكْسِرُ سُفُنَ تَرْشِيشَ»:

وصف بديع ولكن ليس من واقع المعركة، فهو يصف تحطيم العدو كما أن الله يُرسل ريحاً شديدة على السفن المحمّلة بالأعداء ويغرّقها في البحر في لحظة. انظر: (إش ١٤: ٢٤-٢٧):

+ «قد حلف رب الجنود قائلاً إنه كما قصدتُ يصير وكما نويت يثبت. أن أحطّم أشور في أرضي وأدوسه على جبالي فيزول عنهم (عن أورشليم) نيره ويزول عن كتفهم حمله. هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم. فإن رب الجنود قد قضى فمن يُبطّل ويده هي الممدودة فمن يردّها».

ويصف حزقيال ذلك ولكن بمعبَرة، انظر: (حز ٢٧:٢٦):

+ «ملاّحوك قد أتوا بك إلى مياه كثيرة (أورشليم المحصّنة). كسرتك الريح الشرقية (الطاعون) في قلب البحار».

وأيضاً: (إش ٣٣:٢٣):

+ «ارتخت حبالك. لا يشددون قاعدة ساريتهم لا ينشرون قلعاً. حينئذ قسم سلب غنيمة كثيرة. العرج نهبوا نهباً».

حيث هنا إشعياء أيضاً يعيِّر جيش أشور وكأنه في مركب، والمركب سقطت في البحر وصارت نهباً لكل ناهب. ويصفون الضربة وكأنها ريح شرقية، والريح الشرقية خطرة جداً في الملاحة فهي تحطّم المراكب، ودائماً تأتي في النبوّات على أنها قاتلة ومحطّمة.

٨ - «كَمَا سَمِعْنَا هكَذَا رَأَيْنَا فِي مَدِينَةِ رَبِّ الْجُنُودِ، فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا. اللهُ يُثَبِّتُهَا إِلَى الأَبَدِ. سِلاَهْ»:

وكأن صاحب المزمور يُقسم أنه رأى كل ذلك وسمعه. وهكذا انتقل التقليد يروي أعمال الله المدهشة نحو شعبه ويحقّق ثقتهم أنه لن يتخلّى عن رعاية مدينته. انظر: (مز ٨٧:٥):

+ «ولصهيون يُقال هذا الإنسان وهذا الإنسان وُلِدَ فيها وهي العليّ يثبّتها».

وأيضاً: (إش ٦٢:٧):

+ «ولا تدَعوه يسكت حتى يثبِّت ويجعل أُورشليم تسبيحة في الأرض».

[٩-١٤]: درس الخلاص:

٩ - «ذَكَرْنَا يَا اللهُ رَحْمَتَكَ فِي وَسَطِ هَيْكَلِكَ»:

ذهبنا إلى الهيكل وقدَّمنا تسابيح الحمد والشكر وذكرنا عملك العظيم معنا وفي وجود الله كشاهد وسامع. وهكذا يتعلَّم الشعب عظمة أعمال الله التي يعملها.

١٠ - «لِظَرْ اسْمِكَ يَا اللهُ تَسْبِيحُكَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. يَمِينُكَ مَلآنَةٌ بِرًّا»:

كما أن اسمك يستعلن قوتك وإحساناتك، يقدِّم لك العالم التحيات. انظر: (إش ٣٣:١٣):

+ «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ واعرفوا أيها القريبون بطشي».

وللأُمم الأخرى المجاورة ليهوذا فإن تحطيم جيش أشور الجبَّار قد أثار فرحاً عظيماً. انظر: (مز ٤٦:٨):

+ «هلموا انظروا أعمال الله كيف جعل خرباً في الأرض».

بمعنى أنه مستعد ليعمل الخير والصلاح لشعبه في قضائه وفي حروبه مع الأعداء (١١).

١١ - «يَفْرَحُ جَبَلُ صِهْيَوْنَ، تَبْتَهِجُ بَنَاتُ يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ أَحْكَامِكَ»:

انظر: (مز ٩٧:٨):

+ «سمعت صهيون ففرحت وابتهجت بنات يهوذا من أجل أحكامك يا رب».

وعندما يقول بنات يهوذا فلا يقصد شاباهما ولو أنهن أكثر مَنْ يفرح ويرقص ويزمِّر في كل أركان البلاد، ولكن يقصد مدن يهوذا التي كان قد حاصرها سنحاريب وأسرها واستعبدها. انظر: (إش ٣٦: ١و٢):

+ «وكان في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا أن سنحاريب ملك أشور صعد على كل مدن يهوذا الحصينة وأخذها. وأرسل ملك أشور ربشاقي من لاخيش إلى أُورشليم إلى الملك حزقيا بجيش عظيم فوقف عند قناة البركة العليا في طريق حقل القصَّار ...».

فالمدن يحوطها بلاد كثيرة تُحسب أنها بنات المدينة العاصمة أو بنات يهوذا.

١٢ - «طُوفُوا بِصِهْيَوْنَ، وَدُورُوا حَوْلَهَا. عُدُّوا أَبْرَاجَهَا»:

كان قاطنو أُورشليم أثناء الحصار في أمان بسبب ارتفاع الأسوار والأبراج الحصينة عليها، والآن عليهم أن يطوفوا حولها ويتأملوا سلامتها وسلامة جدرانها وأبراجها ويفرحوا ويبتهجوا جدًّا بسلامتهم أنهم عبروا هذه المحنة. انظر: (إش ٣٣:٢٠):

+ «انظر صهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريان أُورشليم مسكناً مطمئناً خيمة لا تنتقل لا تُقلع أوتادها إلى الأبد وشيء من أطنابها لا ينقطع (بل انقطعت)».

١٣ - «ضَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى مَتَارِسِهَا. تَأَمَّلُوا قُصُورَهَا لِكَيْ تُحَدِّثُوا بِهَا جِيلاً آخَرَ»:

ذلك ليطمئنوا على سلامتها بعيونهم وأيديهم، ثمَّ يكونوا واسطة إلى الجيل الآخر، كما الآن يحكون عمَّا فات. انظر: (مز ٤٤:١):

+ «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم».

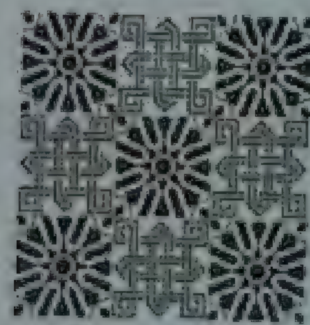
١٤ - «لأَنَّ اللهَ هذَا هُوَ إِلهُنَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. هُوَ يَهْدِينَا حَتَّى إِلَى الْمَوْتِ»:

تعبير جيد أنه يهدينا حتى الموت أو حتى من الموت. هذا هو ختام المزمور: إيمان وثقة وتبعية حتى الموت، انظر: (حب ٣:١٩):

+ «الرب السيد قوتي ويجعل قدميَّ كالأيائل ويمشِّيني على مرتفعاتي».

وأيضاً: (إش ٢٥:٩):

+ «ويُقال في ذلك اليوم هوذا هو إلهنا انتظرناه فخلَّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه».



المزمور التاسع والأربعون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

١- «اِسْمَعُوا هذَا يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ. أَصْغُوا يَا جَمِيعَ سُكَّانِ الدُّنْيَا،
٢- عَالٍ وَدُونٍ، أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، سَوَاءً.
٣- فَمِي يَتَكَلَّمُ بِالْحِكَمِ، وَلَهَجُ قَلْبِي فَهْمٌ.
٤- أُمِيلُ أُذُنِي إِلَى مَثَلٍ، وَأُوضِحُ بِعُودٍ لُغْزِي.
٥- لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ؟
٦- الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ.
٧- الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ.
٨- وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، فَغَلِقَتْ إِلَى الدَّهْرِ.
٩- حَتَّى يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ.
١٠- بَلْ يَرَاهُ! الْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذلِكَ الْجَاهِلُ وَالْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ ثَرْوَتَهُمَا لآخَرِينَ.
١١- بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ. مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. يُنَادُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الأَرَاضِي.
١٢- وَالإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ. يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ.
١٣- هذَا طَرِيقُهُمُ اعْتِمَادُهُمْ. وَخُلَفَاؤُهُمْ يَرْتَضُونَ بِأَقْوَالِهِمْ. سِلاَهْ.
١٤- مِثْلَ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ يُسَاقُونَ. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ، وَيَسُودُهُمُ الْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ تَبْلَى. الْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ لَهُمْ.
١٥- إِنَّمَا اللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي. سِلاَهْ.
١٦- لاَ تَخْشَ إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ.
١٧- لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلَّهُ لاَ يَأْخُذُ. لاَ يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ.
١٨- لأَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ يُبَارِكُ نَفْسَهُ، وَيَحْمَدُونَكَ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى نَفْسِكَ.
١٩- تَدْخُلُ إِلَى جِيلِ آبَائِهِ، الَّذِينَ لاَ يُعَايِنُونَ النُّورَ إِلَى الأَبَدِ.

٢٠- إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ».

دراسة:

مجموعة المزامير السالفة كانت تدعو "جميع الشعوب" لتُدرك أن يهوه هو ملك العالم نظراً لقوته وأعماله في إسرائيل. وهذا المزمور يخاطب كل الشعوب لقصد اهتمام البشرية الواحد.

والمؤلف رجل أخلاق يُقدِّم تعليماً من جهة ألغاز الحياة التي تقلقل الإنسان لتجربة إيمانه.

أليس الغِنَى هو القوة الأكثر سيادة في العالم كله؟ وأليس نصيب الذين يكنـــزون كل وسائل الترفيه يُحسدون من الناس؟

والمزمور يقدِّم حلولاً للمشكلة، فهو يحدِّد حدود القوة للغنَى وممتلك الغنَى، فكل الغنَى الذي في العالم لا يشتري الإعفاء من الموت، والكل يترك صاحب الغنَى عندما يبدأ يموت. وباختصار يشرح المزمور إيمانه بأن البار سيكون في النهاية هو المنتصر (١٤) وأن الله سيعمل له ما لا يمكن أن يعمله غناه (١٥). فهل هو يرفع الغطاء المظلم الذي استقر على العالم الآخر في إسرائيل القديم، ويعلن إيمانه إن لم يكن بالقيامة فعلى الأقل بالانتقال من بشاعة شؤول (الجحيم) إلى حياة مباركة مع الله؟

هذا سؤال صعب ولكن سنجد أسباباً في الشرح تشير إلى أن المزمور له نظرة لا تصل بعيداً عن الحياة الحاضرة، ولكنها تحوي بذرة الاعتقاد الذي ارتفع إليه البشر خلال العراك بالإيمان لكي يمتلكوا الحياة الأخرى الأبدية. وقصد هذا المزمور يشابه مزموري (٣٧و٧٣)، ولكن بينما هذان المزموران يعالجان التجربة والتذمر وعدم الإيمان الذي ينبع من قوة يد الأشرار وهم يزدهرون دون أي قلق، ولكن هنا مجرد تلميح (٥و١٤) إلى أن الأغنياء الذين نتكلَّم عنهم يضايقون الفقير وقد زاد غناهم بالظلم، وبالرغم من ذلك لم يدانوا كمتعدِّين ومضايقين بالرغم من أنهم كذلك، فهم يصنعون إلهاً بأموالهم ويتكبَّرون بعظمتهم، وهم ملتحفون بالاستكفاء لا يهتمون بشيء غير مسرَّاتهم. والمزمور لا ينتحي بهم ناحية الشر ولكن ناحية العالم كمحبِّي العالم. يستغنون عن الله وينكرونه ولكنهم ينجحون. واللغز هنا يقابل ما قاله المسيح عن الغني الغبي في (لو ١٢: ١٦-٢١) ولعازر والغني (لو ١٦: ١٩ إلخ). فتعاليم هذين المثلين لكل الناس ولكل الوقت. فالاتجاه نحو العالم والجسد تجارب لا تفقد قوتها، حيَّة دائماً في قلوب الناس. فالأغنياء والفقراء معاً سيان، هم على الدوام في حاجة إلى مَنْ يذكِّرهم أن: [حياة الإنسان لا تكون من كثرة الأشياء التي نمتلكها].

هذا المزمور أيضاً له صلة "بالحكمة" أو الفلسفة الدينية لإسرائيل التي تعمل جنباً إلى جنب مع

النبوّات، وكانت قوة في تعليم الأُمة، ولها متوازيات فكرية في اللغة مع أيوب وسفر الأمثال. أمّا من جهة تاريخ المزمور فليس من الصعب التعرُّف عليه، وقد يُعزَى للقرن الثامن قبل الميلاد عند وجود الغنى الفاحش مع الفقر المدقع جنباً إلى جنب في زمن مُلك عزيّا ويوثام.

وهناك ما هو موازٍ لعدد (١١) حالات كثيرة يدينها إشعياء وميخا، فإذا كان الأمر كذلك فيكون هذا المزمور مبكّراً عن مزامير ٤٦و٤٨.

وتركيب المزمور واضح: يتكوَّن من مقدّمة وقسمين متساويين كل واحد ينتهي بقرار:

١ - دعوة رسمية للانتباه لجميع الأُمم، وجميع المقامات وجميع الدرجات لأن القصد هو عام للكل (١-٤).

٢ - لماذا نخاف من قوة الغنى مع أن الناس يصنعون إلهاً من غناهم. فالغِنَى لا يستثنى من الموت وصاحب الغنى يلزم ولابد أن يخضع للموت (٥-١٢).

٣ - الهاوية نهاية أعظم غنى وأقوى رجل، ولكن الرجل المستقيم هو الذي ينتصر. وصاحب المزمور عنده رجاء في الشركة مع الله أنه لا يستطيع أي "غَنِي" أن يشتريه! ولا يوجد شيء يجعلنا نخاف المتعظم في الدنيا فإنه حري به النهاية السريعة (١٣-٢٠).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٤]:

مقدّمة مهيبة موجَّهة لكل الشعوب وكل الدرجات بسبب أهمية الموضوع.

١ - «**اسْمَعُوا هذَا يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ. أَصْغُوا يَا جَمِيعَ سُكَّانِ الدُّنْيَا**»:

الجميع مدعوون للإصغاء لأن القصد والهدف عام. وهو يخص كل البشر. هذا الأسلوب خاص بمعالجة "الحكمة" أو الفلسفة الدينية لإسرائيل للنظر في مشاكل الحياة في مستواها المتسع. وهذا يخص الإنسان كإنسان وليس الإسرائيلي وحده.

«**اسمعوا هذا يا جميع الشعوب**»:

وهذا يذكرنا بنبوّة ميخا النبي، انظر: (مي ١:٢):

+ «اسمعوا أيها الشعوب جميعكم أصغي أيتها الأرض وملؤها. وليكن السيد الرب شاهداً عليكم

السيد من هيكل قدسه».

وأيضاً الكلمات الواردة في (١مل ٢٢:٢٨):

+ «فقال ميخا: إن رجعت بسلام فلم يتكلّم الرب بي. وقال: اسمعوا أيها الشعوب أجمعون».

«**سكان الدنيا**»:

المعنى زمني أي العائشون في الزمن الأرضي. انظر: (مز ١٧:١٤):

+ «من الناس بيدك يا رب من أهل الدنيا. نصيبهم في حياتهم. بذخائرك تملأ بطونهم ...»

٢ - «**عَالٍ وَدُونٍ، أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، سَوَاءً**»:

"عالٍ": في العبراني أبناء أدام (Adam) و"دون" أبناء البشر (îsh) الذين فقدوا شخصياتهم في وسط الجماعة. فالمدعوون "عالٍ" هم الذين احتفظوا بفرديتهم مميَّزة. وأدام (Adam) هو الأنثروبوس باليوناني و homo باللاتيني، بينما البشر (îsh) هو ἀνήρ باليوناني و (vir) باللاتيني. انظر: (مز ٤:٢):

+ «يا بني البشر (îsh) حتى متى يكون مجدي عاراً. حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب».

وأيضاً: (مز ٦٢:٩):

+ «إنما باطل **بنو آدم**. كذب **بنو البشر** (îsh). في الموازين هم إلى فوق. هم من باطل أجمعون».

«**أغنياء وفقراء**»:

أمّا الأغنياء لكي يعلموا أن غناهم باطل ويحترسوا لأنفسهم، والفقراء ليتعلّموا القناعة.

٣ - «**فَمِي يَتَكَلَّمُ بِالْحِكَمِ، وَلَهَجُ قَلْبِي فَهْمٌ**»:

كلمة الحكمة وكلمة الفهم تأتي في العبرية بالجمع لكي تشير إلى اتساعها وعمقها.

٤ - «**أُمِيلُ أُذُنِي إِلَى مَثَلٍ، وَأُوضِحُ بِعُودٍ لُغْزِي**»:

صاحب المزمور هنا يوضّح أنه إنما يحصل على الاستعلان في كل ما يريد أن يُعلّم به، فهو يميل أذنه ليسمع صوت الله الخفيف داخل القلب قبل أن يجازف ويتكلّم مع الناس. والمثل في العبرية هو Mashal ويعني:

١ ـ مقارنة بين شيء وشيء ليوضّح الشيء الآخر.
٢ ـ مثل أو قول مأثور أو حكمة (Proverb).
٣ ـ مثل ممتد من القول المأثور.
٤ ـ شعر إما للتحقير مثل (إش ١٤:٤): «أنك تنطق بهذا الهجو (Mashal) على ملك بابل وتقول: كيف باد الظلم بادت المغطرسة». أو للتعليم.

وأما ''اللغز'' فهو يجيء (١) كلغز (٢) تشبيه (٣) كلام مدمغ. والكلمتان تأتيان معاً أحياناً. انظر: (مز ٧٨:٢): «أفتح **بمثلٍ** فمي. أذيع **ألغازاً** منذ القدم».

فإن نجاح الذي بلا إله كان لغزاً في الحياة للتقي الإسرائيلي، ويحتاج إلى حل الذي كان يُعطَى جزئياً قبل مجيء المسيح ''الذي أنار الحياة والخلود''. وصاحب المزمور سيحكي ما تعلّمه، والذي كان يعسر عليه كلغز كان يلعب على العود ويستعلن الإجابة بالاستشفاف عندما تسمو روحه.

[٥ـ١٢]:

حدود القوة وامتلاك الغِنَى.

٥ ـ «**لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ؟**»:
عندما يكون الشرير له اليد العليا وليس له ضابطٌ لا بإنسان ولا بإله. انظر: (مز ٩٤:١٣):
+ «لتريحه من أيام الشر حتى تُحفَر للشرير حفرة».

عندما يكون جور الظالم والغنى هم جيران لي وخطأهم يشير إلى امتدادهم حولي لمحاولة ابتلاعي، حتى الذين وثقت فيهم. فهم في خطر من الأغنياء غير المنضبطين ومن الأردياء المحلولين الذين يحاولون التعدّي عليه ليضموُّه إلى سلطانهم، انظر: (إر ٩:٤):
+ «احترزوا كل واحد من صاحبه وعلى كل أخ لا تتكلوا لأن كل أخ يعقب عقباً وكل صاحب يسعى في الوشاية».

٦ ـ «**اَلَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ**»:
لهم دنيا وحدهم ودنياهم مال وافتخار وتعظُّم.

٧ ـ «**الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ**»:
وهكذا يرد على نفسه، لماذا أخاف في أيام الشر عندما يحيط بي متعقّبيَّ بإثمهم لأنهم أخذوا المال إلهاً، يؤمنون بالمال ويجعلونه عظمتهم، ولكن هؤلاء بلا قوة، فهم بأموالهم لا يستطيعون أن ينقذوا واحداً من الموت. فإذا كان أخو الغني لا يرجو كثيراً من أخيه فضحاياه لا يخافون. ولغة هذا العدد وما بعده مستقاة من القانون القديم: انظر: (خر ٢١:٣٠):
+ «إن وُضِعَتْ عليه فديةٌ يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه».

وهنا تحمل هذه الفريضة كلمة الفدية والفداء. ولكن هناك قانون آخر لا يعفي القاتل من الموت ولا يقبل الفدية. انظر: (عد ٣٥:٣١):
+ «ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يُقتل».

هذا حتى يرعوي الأغنياء ولا يحسبون أن أخذ الحياة بلا عقاب، هكذا دَفْعُ المال كمساوٍ للحياة كان عند أغنيائهم، ولكن هناك أوضاع فيها يمكن للغني أن ينجو من الموت عندما يتعامل إنسان مع إنسان، ولكن حينما يطالب الله بالحياة فلا قيمة للغنى.

«الأخ»:
وهو القريب الأقرب أو الصديق، انظر: (إر ٢٢:١٨و١٩):
+ «لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا. لا يندبونه قائلين آه يا أخي أو آه يا أخت ... يُدفن دفن الحمار ...»
لأنه عمل شرًّا.

ولكن الشرح الأفضل إذا عدنا وقرأنا هذه الكلمة ak بدل أخ ach يقول إنه ليس أحد بأي طريقة يفدي نفسه أو يعطي الله فداءً هو يطلبه!!

٨ ـ «**وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، فَغَلِقَتْ إِلَى الدَّهْرِ**»:
هذا العدد متصل بالعدد (٧) ولكن تصحيحه في الترجمة هو: ''عزيزة وغالية جدًّا هي فدية حياتهم'' فالذي يقترف جريمة لا تُقبل منه فدية بأي حال من الأحوال، انظر: (مت ٥:٢٦):
+ «الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير».

٩ - «حَتَّى يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ»:

هذا العدد مرتبط بالعدد (٧) أي الأخ لن يفدي أخاه حتى يحيا إلى الأبد فلا يرى الحفرة. انظر: (مز ٣٠: ٩):

+ «ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة».

وأيضاً: (مز ١٦: ١٠):

+ «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً».

١٠ - «بَلْ يَرَاهُ الْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذلِكَ الْجَاهِلُ وَالْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ ثَرْوَتَهُمَا لآخَرِينَ»:

فالكل سواء يأتون إلى القبر، حتى الحكماء لن تفديهم حكمتهم. ولكي نفهم الآية التي تبدأ بكلمة "بل يراه" هي تكملة أن الأخ أو الرجل الغني سيرى القبر كذلك الحكماء والجهلاء سواء، في المقابل للحكماء. ولاحظ الفرق بين كلمة يموت وكلمة يهلك، كذلك كلمة يتركان. فالمعنى يتركان رغماً عنهما ولا يسلمانها باليد، انظر: (لو ١٢: ٢٠):

+ «فقال له الله يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسُك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون».

١١ - «بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ. مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. يُنَادُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الأَرَاضِي»:

أي في أفكارهم الداخلية يقولان ذلك فإذا كانوا لابد أن يموتوا فهم يلذذون أنفسهم باطلاً، في دوار عقلهم أن بيوتهم تبقى إلى الأبد، وأن أسماءهم تبقى مع مدهم مثل الذين يبنون أو يقهرون المدينة، انظر: (٢صم ١٢: ٢٨):

+ «فالآن اجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها لئلا آخذ أنا المدينة فيُدعى باسمي عليها».

ولكن تصحيح نص العدد (١١) حسب الترجمة السبعينية والترجوم هو:

+ «القبور هي بيوتهم إلى الأبد، المساكن لكل الأجيال الذين يدعون أسماءهم على الأراضي».

وهذا المعنى يكون الكلام أن الأغنياء عليهم أن يسلّموا غناهم لأن القبور الضيقة ستكون ملكهم الوحيد بعد أن يكون ملكهم الأراضي المتسعة التي سُمّيت على أسمائهم. فالمنزل الأبدي الوحيد هو القبر (طوبيا ٣: ٦)، وإشعياء يسمّي القبر المكان الخاص بالسكنى، انظر: (إش ٢٢: ١٦):

+ «مالك ههنا ومَنْ لك ههنا حتى نقرت لنفسك ههنا قبراً أيها الناقر في العلو قبره الناحت لنفسه في الصخر مسكناً».

١٢ - «وَالإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ. يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ»:

وهو قرار سيتكرر مع تغيير طفيف في عدد (٢٠) ويتم شرحه هناك.

[١٣-١٥]:

نصيب الغَني الذي بلا إله في مقابل ثقة صاحب المزمور.

١٣ - «هذَا طَرِيقُهُمُ اعْتِمَادُهُمْ. وَخُلَفَاؤُهُمْ يَرْتَضُونَ بِأَقْوَالِهِمْ. سِلاَهْ»:

الترجمة الصحيحة هي:

+ «هذا طريقهم الذين يثقون في أنفسهم، وفي خلفائهم الذين يستحسنون أقوالهم».

وهذا العدد يجمع كل الأعداد السابقة، انظر: (أي ١٨: ١٧-٢١):

+ «ذكره يبيد من الأرض ولا اسم له على وجه البر. يُدفع من النور إلى الظلمة ومن المسكونة يُطرد. لا نسل ولا عقب له بين شعبه ولا شارد في محالّه. يتعجّب من يومه المتأخرون ويقشعر الأقدمون. إنما تلك مساكن فاعلي الشر وهذا مقام مَنْ لا يعرف الله».

وأيضاً: (أي ٢٠: ١٩-٢٣):

+ «لأنه رضّض المساكين وتركهم واغتصب بيتاً ولم يبنه. لأنه لم يعرف في بطنه قناعة. لا ينجو بمشتهاه. ليست من أكله بقية لأجل ذلك لا يدوم خيره. مع ملء رغده يتضايق. تأتي عليه يد كل شقي. يكون عندما يملأ بطنه أن الله يرسل عليه حمو غضبه ويمطر عليه عند طعامه».

لذلك إنه من العدل لهذه النفوس الحمقاء المعتمدة على ذاتها أن تكون كالزهور الذابلة، انظر: (مز ٧٣: ٩و١٠):

+ «جعلوا أفواههم في السماء وألسنتهم تتمشّى في الأرض. لذلك يرجع شعبه إلى هنا وكمياه مروية يمتصّون منهم».

وأيضاً: (أي ٢١: ٣٢):

+ «هو إلى القبور يُقاد وعلى المدفن يُسهر».

وهكذا بعد مدة يظهر نصيب الأشرار ويُوضّح في عدد (١٤) في مقابل التمسُّك والثقة للبار، انظر: (أي ٣١: ٢٤و٢٥):

+ «إن كنت قد جعلت الذهب عمدتي أو قلت للإبريز أنت متّكلي. إن كنت قد فرحت إذ

كثرت ثروتي ولأن يدي وجدت كثيراً».

١٤ – «مِثْلَ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ يُسَاقُونَ. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ، وَيَسُودُهُمُ الْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ تَبْلَى. الْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ لَهُمْ»:

ماذا يبقى للشرير؟ يُساقون في النهاية إلى الموت كقطيع الحيوانات (١٢) الموت يُرهبهم وهو ملكهم الذي يرعبهم وهو يسوسهم حسب مشيئته، يهلكون بالليل وبالنهار يستيقظ المستقيمون منتصرين فوق الذين اغتصبوهم. ليل الآلام ينتهي وصباح الخلاص يُشرق. انظر: (مز ٣٠:٥):

+ «عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنُّم».

ولكن ما معنى الصباح؟ ليس هو القيام في الصباح، ولكن صباح اليوم الذي صنعه الرب الذي فيه ننجو من كل الكبرياء والأشرار ... إلخ، انظر: (مل ٤: ١و٣):

+ «فهوذا يأتي اليوم المتَّقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً. ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً».

+ «وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم يوم أفعل هذا قال رب الجنود».

ملاحظة هامة:

كلمة "اليوم" في المفهوم اليهودي بالنسبة للتاريخ العام هو اليوم عندما **تعود إسرائيل وتحكم على المضايقين لها**. انظر: (إش ١٤:٢):

+ «ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيداً وإماء ويسبون الذين سبوهم ويتسلَّطون على ظالميهم».

وأيضاً: (مز ١٠٤:٣٥):

+ «لتبد الخطاة من الأرض والأشرار لا يكونوا بعد. باركي يا نفسي الرب».

١٥ – «إِنَّمَا اللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي. سِلاَهْ»:

يرى صاحب المزمور بثقة الخلاص من عقوبة الموت التي للأشرار، ولكن لا يقصد أنه ينجو من الموت ذاته، وهذا العدد يتصلُ بالأعداد (٧و٨). في حين أن الغني بلا قوة في أن يلغي الموت ولكن الله قادر وسينجّي خادمه. وهناك آيات تُستخدم للخلاص من الموت، انظر: (مز ٣٠:٣):

+ «يا رب أصعدت من الهاوية نفسي أحييتني من بين الهابطين في الجب».

وأيضاً: (مز ٣٣: ١٨و١٩):

+ «هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته. لينجّي من الموت أنفسهم وليستحييهم في الجوع».

وأيضاً: (مز ٨٦:١٣):

+ «لأن رحمتك عظيمة نحوي وقد نجَّيت نفسي من الهاوية السفلى».

وأيضاً: (مز ١٠٣:٤):

+ «الذي يفدي من الحفرة حياتك الذي يكلِّلك بالرحمة والرأفة».

وأيضاً: (مز ١٣٨:٧):

+ «إن سلكت في وسط الضيق تحييني. على غضب أعدائي تمد يدك وتخلِّصني يمينك».

وأيضاً: (مز ٨٩:٤٨):

+ «أيُّ إنسان يحيا ولا يرى الموت أيٌّ ينجِّي نفسه من يد الهاوية. سلاه».

وأيضاً: (أي ٣٣: ٢٢–٢٨):

+ «وتقرب نفسه إلى القبر وحياته إلى المميتين. إن وُجِدَ عنده مرسل وسيط واحد من ألف ليعلن للإنسان استقامته. يتراءف عليه ويقول أُطلقه عن الهبوط إلى الحفرة قد وجدت فدية. يصير لحمه أغضَّ من لحم الصبي ويعود إلى أيام شبابه. يصلّي إلى الله فيرضى عنه ويعاين وجهه بهتاف فيرد على الإنسان برَّه. يغنّي بين الناس فيقول قد أخطأت وعوَّجت المستقيم ولم أُجاز عليه. فدى نفسي من العبور إلى الحفرة فترى حياتي النور!».

وأيضاً: (مز ١٦:١٠):

+ «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً».

وأيضاً: (هو ١٣:١٤):

+ «من يد الهاوية أفديهم من الموت أُخلِّصهم. أين أوباؤك يا موت أين شوكتك يا هاوية. تختفي الندامة عن عيني».

«لأنه يأخذني»:

انظر: (مز ١٨:١٦):

+ «أرسل من العُلَى فأخذني. نشلني من مياه كثيرة».

ويقترح العالِم كيرك باتريك أن يكون شرح العدد كله كالآتي: ”ولكن الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه أكيد يأخذ نفسي“.

والعالِم Delitzsch يقول إن هذا موافق لما حدث لأخنوخ (تك ٥:٢٤) (الله أخذه). ففي لحظات النشوة رأى صاحب المزمور أن الله سيأخذه فينجو من الموت ويكون مباشرة مع الله! ولكن هذا غير معقول. انظر (مز ٨٩) حيث يعطي داود نفس الرؤيا أن الله سيعطيه أن يعيش إلى الأبد بمعنى في المسيح وفي نسله. ولكن صاحب المزمور لا يقصد مستقبل القيامة والحياة مع الله، ولكنه مشغول بحل رموز الحياة المضطربة وهو يعتمد على الحياة مع الله والحياة بدون الله هنا في هذا الدهر، حيث في الوجود مع الله في لحظة النشوة تزول رعبة الموت.

ويقول إن غنى الغني لا يستطيع أن يشتري من الله إطالة للحياة، بل إنَّ الأشرار معرَّضون للموت قبل الأوان ولموتٍ بائس. في حين أن صاحب المزمور يُسرّ ويتهلَّل في حمى الله والشركة معه.

ولكن على كل حال نرى أن صاحب المزمور له في تأملاته بذرة عقيدة القيامة الآتية، ولذلك فإن قراءة هذا المزمور في ضوء المسيح والقيامة يأخذ معناه القوي.

[١٦-٢٠]:

الرجل الغني لا يحمل غناه معه عندما يموت. وقد سبق شرحه في عدد (١٠) فهو هنا يداوم ويمتد.

١٦ - «لاَ تَخْشَ إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِه»:

وكأنما يخاطب صاحب المزمور نفسه مكرراً سؤال عدد (٥) في صورة مَنْ يستحث مَنْ يسمعه.

«مجد بيته»:

العظمة والفخامة التي يدثِّر بها ويملأ بها بيته، انظر: (أم ٣:١٦):

+ «في يمينها طول أيام وفي يسارها الغِنى والمجد (الحكمة)».

وأيضاً: (أم ٨:١٧و١٨):

+ «(أنا أحب الذين يحبونني). عندي الغِنى والكرامة قنية فاخرة وحظٌ».

١٧ - «لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلُّهُ لاَ يَأْخُذُ لاَ يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ»:

انظر: (أي ١:٢١):

+ «وقال عرياناً خرجت من بطن أُمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً».

وأيضاً: (جا ٥:١٥):

+ «كما خرج من بطن أُمه عرياناً يرجع ذاهباً كما جاء ولا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به في يده».

وأيضاً: (١تي ٦:٧):

+ «لأننا لم ندخل العالَم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء».

١٨ - «لأَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ يُبَارِكُ نَفْسَهُ، وَيَحْمَدُونَكَ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى نَفْسِكَ»:

فالغني يهنِّئ نفسه على حظِّه الوافر ويمالئ نفسه لأنه صار بعيداً عن الحظ السيء، لأنه كما يقولون إذا تتبَّعه الفقر بطائرة لا يحصِّله، انظر: (تث ٢٩:١٩):

+ «فيكون متى سمع كلام هذه اللعنة يتبرَّك في قلبه قائلاً يكون لي سلام إني بإصرار قلبي أسلك لإفناء الريَّان مع العطشان».

وأيضاً: (لو ١٢:١٩):

+ «وأقول لنفسي يا نفس لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي».

«ويحمدونك»:

الكلام مصوَّب إلى الرجل الغني لأن غالبية الناس يعبدون النجاح والغِنَى ولا يجدون شيئاً رديئاً في الأنانية واستخدام الغِنَى بطريقة خاطئة.

١٩ - «تَدْخُلُ إِلَى جِيلِ آبَائِهِ، الَّذِينَ لاَ يُعَايِنُونَ النُّورَ إِلَى الأَبَدِ»:

وصحتها: ولو أن الناس يمدحونه إلاَّ أنه يدخل. انظر: (تك ١٥:١٥):

+ «تمضي إلى آبائك بسلام».

وأي سلام؟ والأفضل أنه جُمع إلى آبائه! لأن الأُسر ترى أنها تجتمع معاً في الهاوية، كانعكاس

رؤيا للوجود على الأرض.

«الذين لا يعاينون النور إلى الأبد»:

أي الأغنياء، فهو ينتقل من الفرد إلى الجماعة التي تماثله، وبالعكس بسهولة. فهو يذهب لينضم إلى جماعة الأغنياء الذين أفسدوا الأرض والحياة ولا يعودون. انظر: (مز ٥٨:٨):

+ «كما يزول الحلزون ماشياً. مثل سقط المرأة لا يعاينون الشمس».

وأيضاً: (أي ٣:١٦):

+ «كسقط مطمور فلم أكن. كأجنة لم يروا نوراً».

وأيضاً: (جا ٦:٥):

+ «وأيضاً لم ير الشمس ولم يعلم. فهذا له راحة أكثر من ذاك».

٢٠ - «إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ»:

القرار. مكرر (انظر عدد ١٢) هنا المعنى مهم للغاية لأنه ليس مجرد الغَنَى أو الرجل ذي الكرامة على مستوى الغَنَى الذي بموته يشبه البهائم، بل الغَنَى الفاقد المعرفة والفهم ولا يعرف الفرق بين الغَنَى الضار والغَنَى النافع. فالذي يقدِّر ظروف الحياة الأرضية أنها فانية لا يقدِّر المال أكثر من الله والحياة الروحية والشركة مع الله.



المزمور الخمسون

مَزْمُورٌ لآسَافَ

١- «إِلهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا.
٢- مِنْ صِهْيَوْنَ، كَمَالِ الْجَمَالِ، اللهُ أَشْرَقَ.
٣- يَأْتِي إِلهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ. نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدًّا.
٤- يَدْعُو السَّمَوَاتِ مِنْ فَوْقُ، وَالأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ:
٥- "اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ".
٦- وَتُخْبِرُ السَّمَوَاتُ بِعَدْلِهِ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّيَّانُ. سِلاَهْ.
٧- "اِسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأَتَكَلَّمَ. يَا إِسْرَائِيلُ فَأَشْهَدَ عَلَيْكَ: اللهُ إِلهُكَ أَنَا.
٨- لاَ عَلَى ذَبَائِحِكَ أُوَبِّخُكَ، فَإِنَّ مُحْرَقَاتِكَ هِيَ دَائِماً قُدَّامِي.
٩- لاَ آخُذُ مِنْ بَيْتِكَ ثَوْراً، وَلاَ مِنْ حَظَائِرِكَ أَعْتِدَةً.
١٠- لأَنَّ لِي حَيَوَانَ الْوَعْرِ وَالْبَهَائِمَ عَلَى الْجِبَالِ الأُلُوفِ.
١١- قَدْ عَلِمْتُ كُلَّ طُيُورِ الْجِبَالِ، وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ عِنْدِي.
١٢- إِنْ جُعْتُ فَلاَ أَقُولُ لَكَ، لأَنَّ لِي الْمَسْكُونَةَ وَمِلأَهَا.
١٣- هَلْ آكُلُ لَحْمَ الثِّيرَانِ، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟
١٤- اذْبَحْ للهِ حَمْداً، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ،
١٥- وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي".
١٦- وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ اللهُ: "مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ؟
١٧- وَأَنْتَ قَدْ أَبْغَضْتَ التَّأْدِيبَ وَأَلْقَيْتَ كَلاَمِي خَلْفَكَ.
١٨- إِذَا رَأَيْتَ سَارِقاً وَافَقْتَهُ، وَمَعَ الزُّنَاةِ نَصِيبُكَ.
١٩- أَطْلَقْتَ فَمَكَ بِالشَّرِّ، وَلِسَانُكَ يَخْتَرِعُ غِشًّا.
٢٠- تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لاِبْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً.

٢١- هذه صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ.

٢٢- افْهَمُوا هذَا يَا أَيُّهَا النَّاسُونَ اللهَ، لِئَلاَّ أَفْتَرِسَكُمْ وَلاَ مُنْقِذَ.

٢٣- ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي. وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ"».

دراسة:

هذا المزمور كسالفه مزمور تعليم. ولكن بينما درس (مزمور ٤٩) رجع لتعليم **رجل حكيم** فهذا المزمور الخمسين هو تعليم **رجل نبي** ويدلي خواص الحكمة لكل الناس. هنا شعب الله هو المخاطب فهي رؤية مهيبة للقضاء، فهو مقطع درامي جيد مثل إشعياء الأصحاح الأول، والأصحاح السادس لميخا النبي. هنا يهوه يضع إسرائيل في تجربتها في حضرة كل الطبيعة، فهو القاضي وفي نفس الوقت المدّعي (القضاء المدني).

والحديثان اللذان يصف فيهما نقائص شعبه لهما مقدّمة وينتهيان بختام.

١ - في مقدمة مهيبة يصف مجيء الله ليقضي لشعبه كما جاء قديماً في سيناء في وسط عاصفة وبروق ليعطي ناموسه، هكذا الآن يظهر في صهيون مخاطباً بهذه الرموز التي لجلاله ليدينها، فالأرض والسماء مدعوة لترى المحنة (١-٦).

٢ - الله يتكلّم ويخاطب أولاً مجموعات الشعب الذين يتصوّرون أن واجبهم نحوه قد تمّ بتقديم التقدمات شكلياً بالذبائح المادية، فهو يُظهر لهم أنه ليس له حاجة لذبائح مادية والذي يريده هو ذبائح القلب معبِّراً عنها بشكر وثقة وأمانة (٧-١٥).

٣ - وبعد ذلك في نغمة عنيفة يخاطب المتكبِّرين الذين يرددون ناموسه بشفاههم ولكنهم بلا حياء يكسرونه بالفعل. بتعديات كبيرة ضد جيرانهم وأقربائهم (١٦-٢١).

٤ - ويختم المزمور بقول ختامي بالتحذير والوعد (٢٢و٢٣).

وهكذا يتعامل المزمور مع واجب الشعب تجاه الله وواجبهم نحو القريب بطبيعة الخدمة المقبولة وملزمات الأخلاق. والقسمان الرئيسيان يقابلان القسمين في الوصايا العشر. والكل يتبع التعليم الذي يتكرّر باستمرار في الأنبياء، وقد جُمعت معاً في جملة: أريد رحمة وليس ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات. والأساس يأتي من الأنبياء الأوائل (١صم ١٥:٢٢) ونجد شرحها في (إش ١:١١ إلخ) التي يتبعها المزمور، و(مي ٦:٦ إلخ). ونفس الفكر مشروح في أسفار الحكمة في (أم ٢١:٣)

ويشوع بن سيراخ (٣٥: ١-٧) وفي بقية المزامير مثل (٤٠:٦ إلخ)، (٥١:١٦ إلخ)، (٦٩:٣٠ إلخ)، (٢٤:١ إلخ) ولكن ليس في هذه الصفحات ما يمكن أن يُفهم منه أنه جحد للذبائح عامة.

فالذبيحة قد عُرفت كرباط بين الله والإنسان بالرغم من أنها ليس كما يفتكرها الناس أنها مجموع وموضوع هذه العلاقة. والتأسيس المبدئي للذبيحة بدأ واستمر في قوانين موسى، فعهد سيناء تقدّس بالذبيحة إلاّ أنه لم يقم عليها، والوصايا العشر لم يكن فيها تقديم ذبائح، فلم تكن نظام ذبائح في ذاتها ونظام الذبائح ليس فيها قط، والمزمور يدين الذبائح الخالية من أي قيمة أخلاقية للتعرُّف على قداسة الله وخطية الخاطئ، أي المعتبرة بديلاً للواجبات الأعلى في التقوى والأخلاق أو محاولة التحلل منها.

وبالنسبة لتاريخ المزمور، فمن الواضح أنه يرجع إلى وقت قد صار تُقدَّم فيه عبادة الذبائح بعدم ثقة وبشكوك ولكن بمستوى أخلاقي منحط، فنحن نعلم مِن النبي هوشع والأنبياء إشعياء وميخا أن هذه كانت حالة الشعب في القرن الثامن قبل الميلاد، فإلى هذه الحقبة الزمنية يعود تاريخ المزمور. ولكن العالِم Delitzsch يرى أن هذا المزمور يرجع لأيام داود حين كان آساف يعمل معه، ولكن المزمور بسبب تركيزه على الشكليات غير موافق لهذه الفترة. وبعض النقاد يرجعونه إلى ما بعد السبي حيث العدد (٥) يلمِّح إلى التشرذم الذي جازته الأُمة، ولكن العدد لا يحمل هذا المعنى وليس من المعقول في أي مزمور بعد السبي أن تُدعى أُورشليم كمال الجمال.

فهذا المزمور يعود إلى نفس المدة التي للمزامير السابقة وربما بعدها بقليل في زمن ما بعد يوشيا، ولكن تقابل هذا المزمور مع الأصحاح الأول لإشعياء يرجح تاريخاً أسبق.

مَنْ هو آساف؟

يوجد لدينا اثنا عشر مزموراً لآساف منها المزمور (٥٠) يقف وحده بين مجموعة مزامير قورح (٤٢-٤٩) ومجموعة مزامير داود (٥١-٧٢) في الكتاب الثاني في سفر المزامير. والباقي يقع في مجموعة في بداية الكتاب الثالث (٧٣-٨٣) ومن المعروف أن مزمور "٥٠" مكانه هنا يرجع إلى تقسيم الكتاب الثاني والثالث. لأن أصل التقسيم كان:

١ - مزامير داود (٥١-٧٢).

٢ - مزامير اللاويين:

(أ) لأولاد قورح (٤٢-٤٩).

(ب) مزامير لآساف (٥٠، ٧٣-٨٣). ولكن مزمور (٥٠) يرجع وجوده هنا لاتصاله بمزمور (٤٩) ومزمور (٥١) وقد وُضع خصيصاً بواسطة الذي جمع المزامير بين المزامير التي أخذها من بني قورح والمزامير التي أخذها من داود.

وآساف كان واحداً من ثلاثة من الموسيقيين البارزين رؤساء الموسيقى مع هيمان وإيثان الذي يُقال له أيضاً يدوثون. وقد انتُخب بواسطة اللاويين ليقود الموسيقى عندما أحضر داود التابوت إلى أورشليم (١أي ١٥: ١٦-١٩)، وقد تعيَّن بواسطة داود ليسود على الخدمات التي للمديح والشكر في الخيمة التي كان فيها التابوت (١أي ١٦: ٤و٥و٧و٣٧)، بينما هيمان ويدوثون خدموا المسكن في جبعون (١أي ١٦: ٤١و٤٢)، وأولاده كانوا قادة لأربع من الأربع والعشرين فرقة من الموسيقيين (١أي ٢٥: ١ إلخ)، وقد ذُكر أنهم أخذوا عملهم في تدشين الهيكل (٢أي ٥: ١٢).

وفي الأيام الأخيرة اعتُبر آساف مع داود كأصحاب تأليف التسابيح المقدَّسة، ومع هيمان ويدوثون أخذ لقب «رائي الملك» (٢أي ٢٩: ٣٠)، (١أي ٢٥: ٥)، (٢أي ٣٥: ١٥).

وأبناء آساف أي عائلة اللاويين أو نقابة المنحدرين منه ذُكروا أيضاً في أيام حكم يهوشافاط (٢أي ٢٠: ١٤) ومع حزقيا وتجديداته (٢٩: ١٣) وأنهم أخذوا عملاً في عيد الفصح الذي أقامه يوشيا (٣٥: ١٥).

ومن بين رجال السبي الذين عادوا مع زرُبابل كان "المغنون أولاد آساف" وكان عددهم ١٢٨: (عز ٢: ٤١) وأيضاً (نح ٧: ٤٤) حيث ذكر عددهم ١٤٨ وقد قاموا بخدمة مديح وشكر عند تأسيس الهيكل الذي وضع (عز ٣: ١٠). وفي زمن نحميا ذُكروا مرَّة أخرى أنهم أخذوا نفس الخدمة (نح ١١: ٢٢).

وواضح أن كل المزامير التي تحمل اسم آساف لم تُكتب بواسطة موسيقيي داود. لأن بعضها يحمل سمات زمن السبي أو حتى زمن بعد ذلك.

ويحتمل أن عنوان المزمور لا يدل على أكثر من أنه أُخذ به في مجموعة مزامير آساف بواسطة جامع المزامير واستُخدم في عائلة أو نقابة آساف ولذلك حمل اسمه.

ومزامير آساف تمتاز بميزات واضحة، فكيف وصلت إلى ذلك مع أنها تتبع أزمنة متباعدة؟ ومزامير آساف بقيت محفوظة بالتقليد في العائلة عند آساف، ولذلك انتُخبت بسبب مواصفاتها

الممتازة. وهي تمتاز بالإلهام النبوي. فهدف مزمور (٥٠) وهو مزمور أصيل لآساف واضح ما فيه من حيوية قوية وأصالة بنفس النبوَّات التي في صموئيل وما بعده، حيث أن الذبائح من جهة الشكليات بلا قيمة في نظر الله.

ويمتاز أيضاً بالتراوح في أسماء يهوه وإلوهيم، حيث يهوه يوجد في نهاية المزمور.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٦]:

مقدِّمة رسمية تصف مجيء الرب ليحاكم شعبه. في سيناء بين رعود وبروق وعاصف نزلت الشريعة، والآن يجيء من صهيون بنفس مظاهر القوة والملوكية ليدفعها بالقوة.

١ - «**إِلهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا**»:

وهي حرفياً إيل إلوهيم يهوه وهي ثلاثة أسماء لثلاثة مظاهر صفات الله، قيلت معاً لتوضِّح جلال الله الذي يتعامل مع إسرائيل.

"**إيل**": يوضِّح الله كالقوي، "**إلوهيم**": المخيف المهاب الذي فيه كل أمجاد اللاهوت، "**يهوه**": الذي يستعلن ذاته.

فإلوهيم هو الله إله الطبيعة والخليقة، ويهوه هو الله إله العهد والنعمة. والثلاثة معاً نجدهم يتكرَّرون في سفر يشوع (٢٢: ٢٢) بتوكيد عند عبور الأردن:

+ «إله الآلهة الرب إله الآلهة الرب وهو يعلم وإسرائيل سيعلم. إن كان بتمرُّد وإن كان بخيانة على الرب».

«ودعا الأرض»:

دُعيت الأرض كلها لتكون شاهدة التحقيق.

٢ - «**مِنْ صِهْيَوْنَ، كَمَالِ الْجَمَالِ، اللهُ أَشْرَقَ**»:

انظر: (مز ٤٨: ٢):

+ «جميل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون، فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم».

وشروق الله جاءت من ظهوره في سيناء في أضواء ونور.

٣ – «**يَأْتِي إِلهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ. نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدًّا**»:

في هذا الكلام تصوُّرٌ للظهور الإلهي الذي تمَّ في سيناء. وصاحب المزمور يحكي كرائي من خلف الواقع بل يعتبر نفسه كشاهد عيان، ويدعو الله أن يأتي ويُظهر إرادته.

وفي الترجمة تأتي: "ليأتِ الله ..." انظر: (إش ٢:١٠):

+ «ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته».

والنار والعاصف رموز تحكي هيبة الله ومخافته، والنار تأكل أعداءه، والعاصف يدفعها كالريشة.

٤ – «**يَدْعُو السَّمَوَاتِ مِنْ فَوْقُ، وَالأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ**»:

الكل مدعو ليكون شاهداً للمداينة. انظر: (تث ٤: ٢٦و٣٢):

+ «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأُردن إليها لتمتلكوها».

+ «فاسأل عن الأيام الأُولى التي كانت قبلك في اليوم الذي خلق الله فيه الإنسان على الأرض ومن أقصاء السماء إلى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سُمع نظيره».

وأيضاً: (إش ١:٢):

+ «اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلَّم. ربَّيتُ بنين ونشَّأتهم. أمَّا هم فعصوا عليَّ».

يُقال في علوم اليوم إن كل فعل يتم للإنسان له نظيره يتم في الطبيعة، لأن الطبيعة شاهدة على الإنسان.

٥ – «**اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ**»:

ربما يدعو الملائكة، انظر: (تث ٣٣: ٢و٣):

+ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحبَّ الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدميك يتقبلون من أقوالك».

وأيضاً: (إش ٣:١٣):

+ «أنا أوصيتُ مُقدَّسِيَّ ودعوت أبطالي لأجل غضبي مفتخري عظمتي».

«**أتقيائي**»:

قديسيَّ موضوع إحسانات العلي، المعتبرين أمناء وأوصياء على عهد الله الذي تمَّ لدى الآباء على ذبيحة.

٦ – «**وتخبر السموات بعدله، لأن الله هو الديان. سلاه**»:

وصحتها في الترجمة: "لأن الله على وشك الدينونة". فالسموات تُخبر بعدل الله كشهادة تُقدَّم قبل بدء المحاكمة والدينونة، كتوثيق لما ينطق به الله. انظر: (مز ٩٧:٦):

+ «أخبرت السموات بعدله ورأى جميع الشعوب مجده».

[٧–١٥]:

الحكم يبتدئ والله متَّهِمٌ وقاضٍ والذبائح ملغية القيمة لأن سيد الأرض لا يريد ذبائح حيوانية ولكن تقوى القلب لها عمل الشكر والثقة، والشعب هو المخاطب، والواجب المفروض هو إزاء الله بخصوص الوصايا العشر.

٧ – «**اسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأَتَكَلَّمَ. يَا إِسْرَائِيلُ فَأَشْهَدَ عَلَيْكَ: اللهُ إِلهُكَ أَنَا**»:

الله هنا يحتجُّ على شعبه لآساف. انظر: (مز ٨١: ٨و٩):

+ «اسمع يا شعبي فأحذرك. يا إسرائيل إن سمعت لي. لا يكن فيك إله غريب ولا تسجد لإله أجنبي».

«**الله إلهك أنا**»:

هي التي أتت في رأس الوصايا العشر (خر ٢:٢٠). انظر أيضاً: (مز ١٠:٨١):

+ «أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. افْغِر فاك فأملأه».

وهنا المزمور يصف علاقة إسرائيل بيهوه الذي بناء على هذه الصلة جاءت العشر وصايا، والآن يوصي أن لا تُهمل!

٨ - «لاَ عَلَى ذَبَائحك أُوَبِّخُكَ، فَإِنَّ مُحْرَقَاتكَ هِيَ دَائماً قُدَّامي»:

لا يركّز الرب في دينونته على الذبائح فهي أمامه دائماً، ''ودائماً'' تعود على المحرقة الدائمة التي كانت تُقدَّم يومياً صباحاً ومساءً. انظر: (عد ٢٨: ٣و٤):

+ «وقل لهم: هذا هو الوقود الذي تقرِّبون للرب: خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة. الخروف الواحد تعمله صباحاً والخروف الثاني تعمله بين العشاءين».

٩ - «لاَ آخُذُ مِنْ بَيْتِكَ ثَوْراً، وَلاَ مِنْ حَظَائِرِكَ أَعْتِدَةً»:

انظر: (١صم ٨:١٦):

+ «ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبَّانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله».

١٠ - «لأَنَّ لِي حَيَوَانَ الْوَعْرِ وَالْبَهَائِمَ عَلَى الْجِبَالِ الأُلُوف
١١ - قَدْ عَلِمْتُ كُلَّ طُيُورِ الْجِبَالِ، وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ عِنْدِي
١٢ - إِنْ جُعْتُ فَلاَ أَقُولُ لَكَ، لأَنَّ لِي الْمَسْكُونَةَ وَمِلأَهَا»:

انظر: (مز ٢٤:١):

+ «للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها».

وأيضاً: (أي ٤١:١١):

+ «مَنْ تَقَدَّمَنِي فأُوفيه. ما تحت كل السموات هو لي».

وأيضاً: (١كو ١٠:٢٦):

+ «لأن للرب الأرض وملأها».

١٣ - «هَلْ آكُلُ لَحْمَ الثِّيرَانِ، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟»:

هذه الفكرة كانت شائعة عند الوثنيين.

(١٤و١٥): إذن فأي ذبيحة يشاء الله: تقدمة القلب.

١٤ - «اذْبَحْ لله حَمْداً، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ»:

ذبيحة الله هي الشكر. وهي ذبيحة روحية بلا شك. انظر: (مز ٦٩: ٣٠و٣١):

+ «أُسبِّح اسم الله بتسبيح وأُعظِّمه بحمد. فيُستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون

وأظلاف».

وأيضاً: (مز ٥١:١٧):

+ «ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره».

وأيضاً: (هو ١٤:٢):

+ «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له ارفع كل إثم واقبل حسناً فنقدِّم عجول شفاهنا».

«وأَوفِ العلي نذورك»:

انظر: (مز ٦١:٨):

+ «هكذا أُرنِّم لاسمك إلى الأبد لوفاء نذوري يوماً فيوماً».

١٥ - «وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي»:

انظر: (مز ٢٠:١):

+ «ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب».

هنا ''سلاه'' تفصل هذا الجزء من المزمور عمَّا بعده في السبعينية.

[١٦-٢١]:

في الجزء السابق أدان الله المظهرية في العبادة التي تعتبر أن الذبيحة هي أساس العبادة. والآن يدور على الشرير المرائي والمتكبِّر الذي يتلو وصايا الله ويعترف بتبعيته له وهو بإرادته يعمل ضد هذه الوصايا وخاصة وصايا الجزء الثاني من الوصايا العشر، حتى أبسط الواجبات الأخلاقية نحو القريب، وينتهي بذكر كسر الوصية الثامنة والسابعة والتاسعة وينتهي بتحذير. انظر: (هو ٤: ١):

+ «اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل. إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة لله في الأرض».

١٦ - «وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ اللهُ: مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ؟»:

ما معنى أنك تسمع وصاياي وتأخذ فرائضي وتتحدَّث بها بفمك، لأن الناس كانوا يدَّعون أنهم يحفظون وصايا الرب ويعتنون بتلاوة العهد وشروطه كما هو في كتاب العهد الذي فيه الوصايا العشر، ويدَّعون أنهم يؤدون واجبهم نحو الله كإسرائيليين، انظر: (إش ٢٩:١٣):

+ «فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأمَّا قلبه فأبعده عني وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلَّمة».

وأيضاً: (مت ١٥: ٨و٩):

+ «يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأمَّا قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدونني وهم يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس».

١٧ – «وَأَنْتَ قَدْ أَبْغَضْتَ التَّأْدِيبَ وَأَلْقَيْتَ كَلاَمِي خَلْفَكَ»:

"التأديب" هو مجموع التعاليم الأخلاقية: وردت هنا فقط في المزامير ولكنها متعددة في الأمثال وفي سفر التثنية عن الجاهل والأحمق الذي يحتقر ويسترذل التعاليم، انظر: (تث ٨:٥):

+ «فاعلم في قلبك أنه كما يؤدِّب الإنسان ابنه قد أدَّبك الرب إلهك».

وأيضاً: (تث ١١:٢):

+ «واعلموا اليوم أني لست أريد بنيكم الذين لم يعرفوا ولا رأوا تأديب الرب إلهكم عظمته ويده الشديدة وذراعه الرفيعة».

«وألقيت كلامي خلفك»:

ليتخلَّص منه. هذا الكلام يشمل كل وصايا الله ولكن بالأخص العشرة وصايا، انظر: (تث ١٣:٤):

+ «وأخبركم بعهده الذي أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحي حجر».

وأيضاً: (خر ٢٠: ١–٤):

+ «ثم تكلَّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض ...».

١٨ – «إِذَا رَأَيْتَ سَارِقاً وَافَقْتَهُ، وَمَعَ الزُّنَاةِ نَصِيبُكَ»:

"وافقته": في الأصل تحمل معنى: "أنت لذذت نفسك معه" وبسرور رافقته أو أرضيته، انظر: (أي ٣٤:٩):

+ «لأنه قال لا ينتفع الإنسان بكونه مرضياً عند الله».

وأيضاً: (أم ١:١٦):

+ «لأن أرجلهم تجري إلى الشر وتسرع إلى سفك الدم».

وكنت متفاهماً مع الزناة ولكم مصلحة معاً تقاسمهم وتماثلهم في خطيتهم.

١٩ – «أَطْلَقْتَ فَمَكَ بِالشَّرِّ، وَلِسَانُكَ يَخْتَرِعُ غِشّاً».

كلامك بلا ضابط، ليس له غاية ولا موضوع، تخترع تركيبات من عندك للغش.

٢٠ – «تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لاِبْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً»:

في مجلس المستهزئين تجلس ولأخيك تعطي معثرة وتشترك في اغتيابه. وكلمة "أخيك" تعني الإسرائيلي أو ابن أمك، انظر: (مز ٦٩:٨):

+ «صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أمي».

(العكس بالنسبة للمزمور) وصاحب المزمور يصف الانحدار الشديد للأخلاق فلم يعد بعد حرمة لأخ أو أخت. انظر: (مي ٧:٦):

+ «لأن الابن مستهين بالأب والبنت قائمة على أمها والكنَّة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته».

وأيضاً: (إر ٩:٤):

+ «احترزوا كل واحد من صاحبه وعلى كل أخ لا تتكلوا ...».

٢١ – «هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ»:

صنعت هذه وظننت أن الله ساكت لا يراك لأنه لم يُدِنْكَ في الحال، فأخطأت في معرفة طول أناة الله وصبره وظننت أنه لا تهمه خطاياك، ولكنه إله كاشف الخطايا والمستورات وظنَّ أن الله مثله ولكن الله هو الله، انظر: (خر ٣:١٤):

+ «أهيه الذي أهيه (اسم الله)».

الله هو الله، وليس إنسان.

«أصف خطاياك»:

أصفها أمام عينك عارية مرتَّبة حسب أزمنتها، أقيم دعوتي ضدَّك بأسبابها وملابساتها، انظر: (أي ٢٣:٤):

+ «أُحسن الدعوى أمامه وأملأ فمي حججاً».

وأيضاً: (أي ٣٣:٥):

+ «إن استطعت فأجبني، أحسن الدعوى أمامي. انتصب».

[٢٢و٢٣]:

نهاية عملية الإدانة مرسلة ليسمعها الكل، الذين يعتمدون على الشكليات العابدون الذين نسوا الله بسبب إنكار المستوى الروحي للوصايا والعبادة التي يطلبها الله، وكذلك المرائون الذين رفضوا أن يجعلوه في معرفتهم.

٢٢ - **«افْهَمُوا هذَا يَا أَيُّهَا النَّاسُونَ اللهَ، لِئَلاَّ أَفْتَرِسَكُمْ وَلاَ مُنْقِذَ»**:

انظر: (مز ٩:١٧):

+ «الأشرار يرجعون إلى الهاوية. كل الأُمم الناسين الله».

وأيضاً: (أي ٨:١٣):

+ «هكذا سُبل كل الناسين الله ورجاء الفاجر يخيب».

وأيضاً: (مز ١٠:٤):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».

«لئلاً أفترسكم»:

كأسد يمزِّق تمزيقاً ولا يبالي، انظر: (هو ٥:١٤):

+ «لأني لأفرايم كالأسد ولبيت يهوذا كشبل الأسد، فإني أنا أفترس وأمضي وآخذ ولا مُنقذ».

٢٣ - **«ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي. وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ»**:

الذي يقدِّم ذبائح الشكر كما في (١٤)، وهذه الآية الجزء الأول منها تجمع كل تعاليم (٧-١٥) بحسب العبادة، والجزء الثاني يجمع التعاليم من (١٦-٢١) بحسب حتمية الواجب الأخلاقي، حيث المقوِّم طريقه هو السائر بحسب وصايا الله، وهي تساوي الذي يحفظ طريقي. انظر: (مز ١٨:٢١):

+ «لأني حفظت طرق الرب ولم أعصِ إلهي».

وأيضاً: (مز ٣٧:٣٤):

+ «انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر».

وأيضاً: (مز ١١٩: ١٧و١٠١):

+ «أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك».

+ «من كل طريق شر منعت رجليَّ لكي أحفظ كلامك».

«أريه خلاص الله»:

انظر: (مز ٩١:١٦):

+ «من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي».



المزمور الحادي والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ النَّبِيُّ بَعْدَمَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ

١- «ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ.

٢- اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي.

٣- لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِماً.

٤- إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ.

٥- هَأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي.

٦- هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً.

٧- طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ.

٨- أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا.

٩- اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ، وَامْحُ كُلَّ آثَامِي.

١٠- قَلْباً نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي.

١١- لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي.

١٢- رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي.

١٣- فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ.

١٤- نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللهُ إِلهَ خَلاَصِي. فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ.

١٥- يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ، فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ.

١٦- لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى.

١٧- ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ.

١٨- أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ.

١٩- حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ الْبِرِّ، مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولاً».

دراسة:

هذا المزمور هو الأول من ثمانية عشر مزموراً تحمل اسم داود - ويظهر أنها قد أُخذت من

مجموعة مبكرة بواسطة الذي جمع المزامير التي تسمَّى الإلوهية. وثمانية من هذه المزامير لها عناوين متصلة بحوادث تاريخية في حياة داود.

والمحدثون من الشُّرَّاح رأوا أن محتوى هذه المزامير لا يناسب هذه الحوادث المذكورة، واعتبروا أن العناوين مقدَّمة بواسطة جامع المزامير، وفي بعض الأحوال يبدو أن هذا هو الحال ولكن نشك هل نحن دائماً قادرون أن نحكم على ما يمكن وما لا يمكن أن يكون مناسباً للحوادث والمناسبات؟ فبعض من هذه المزامير قد تكون أصيلة لداود وتغيَّرت أثناء انتقالها، أو لأنها تهذَّبت لتكون صالحة لليتورجيا بواسطة تعديل أو إضافة، والآخر قد انتُخِبَت بناء على حوادث لها علاقة بها. والبعض الآخر ربما يكون كُتِبَ بغرض توضيح حوادث في حياة داود. وهذه النظرية الأخيرة يعارضها البعض بحجة أنها تحوي غشًّا وتدليساً وتبدو متعارضة مع الإلهام، ولكن الاعتراض يتأسس على نظرة ضيقة للإلهام. فماذا يمنع الله من أن يستخدم ويوجِّه قريحة الشاعر وتخيله ليعينه ويعيننا أكثر لمعرفة حادثة معيَّنة؟

وبدراسة هذه المزامير يلزم أن نتذكر أن لها تاريخاً، وكونها لا تبدو الآن أمامنا كما كانت، يلزم أن يكون في الحسبان، وتغييرات أخرى غير تحويل إلوهيم إلى يهوه ربما عملها المحرِّر أو ربما زحفت بسبب حوادث أثناء تنقلها، هذه ربما تكون مجرَّد نظرية.

مزمور (٥١) تعيَّن بواسطة عنوانه لكي يكون أزمة حياة داود عندما أيقظ ناثان النبي ضميره النائم ليُدرك جريمته (٢صم ١٢). لذلك هو شرح مرتَّب على اعتراف داود بالنسبة لخطيته أمام الله، وتأكيد ناثان «أن يهوه قد نقل عنك خطيتك؛ لا تموت». وقد كان الفكر عموماً أن المزمور يحمل أول إحساس قلبي بصلاة للعفو، بينما مزمور (٣٢) قد كتب بعد فترة عندما كان لديه وقت لكي يلتفت إلى الماضي. فسجَّل خبرته للتحذير والتعليم للآخرين بحسب تصميمه في (١٣:٥١): «فأُعلِّم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون»، وبالنسبة للياقة لا يمكن إنكار ذلك. وهكذا نرى في مزمور (٥١) أعلى قامة مثل قامة داود الذي تحمَّل بأن يوصف بأعلى مستوى أخلاقي هكذا يكون قادراً أن يصل إلى أسفل مستوى أخلاقي. وهكذا نجد مفارقة عظمى بين أحط خطية مع أقوى توبة. علماً بأن داود كان يحمل بين ضلوعه هبة من روح يهوه: (١صم ١٦:١٣، ٢صم ٢:٢٣).

+ «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته. وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً».

+ «روح الرب تكلَّم بي وكلمته على لساني».

وقد أخذ وعداً من الله أن بيته سيثبت إلى الأبد أمام يهوه. انظر: (٢صم ٧: ١٥و١٦):

+ «لكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من أمامك».

+ «ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».

وربَّما لم يَخَفْ جيداً مما أصاب شاول أن ينصبَّ عليه ويُحرم من روح الله ويُنحَّى من وظيفته، ولكن ما كان في وسعه من الندم والتوبة والثقة المطلقة في رحمة الله اللانهائية، هو الذي فرَّقه وميَّزه عن شاول، حتى صار ممكناً أنه بالرغم من أخطائه أن يسمَّى: «الإنسان الذي قلبه حسب قلب الله».

وتأليف داود لمزمور (٥١) مثبت بالرغم من أن بعض النقاد قد حاولوا نفيه عنه، وآخرون قالوا إنه قيل عن الأمة مثل ثيئوذور الذي من مبسوستا (سنة ٤٢٨م). فمن جيل إلى جيل رأى العبَّاد في هذا المزمور صورة واقعية لخبرة إنسان خاطئ يطلب التوبة. وإذا احتاج القارئ إلى برهان قوي لمستوى إلهامه بالروح يرجع إلى (رو ٨:٢٦):

+ «كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلِّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها».

حيث كما يقول الباحثون إنه إذا اجتمع في قلب ما معرفة النعمة على أعلاها ثمَّ معرفة الخطية في أدناها يكون هذا الازدواج في المعرفة يُمكن أن يُلهم الإنسان مزموراً مثل مزمور (٥١)! حيث يمكن استعلانه أكثر بصورة أوضح في المسيح يسوع حامل خطايا العالم! حيث نقطة الانطلاق من عمق الظلمة إلى النور تأتي في عدد (١٠): «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي».

ويُعتبر مزمور (٥١) الرابع من سبعة مزامير معروفة من قديم الزمان في الكنيسة المسيحية باسم مزامير الندم والتوبة: ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ و١٤٣. وبحسب المخطوطات اليهودية يُتلى هذا المزمور في يوم الكفَّارة، وفي الكنيسة الغربية يُتلى في حفلة الصلاة يوم الأربعاء بدء الصوم الكبير.

ولا يوجد بوضوح ترتيبات لوقفات موسيقية في المزمور، ولكن الأعداد (١٨و١٩) تُحسب أنها مُضافة. والمزمور يقع في أربع وقفات:

١ - يُصلي من أجل المغفرة والاغتسال معترفاً بعظم خطيته.

٢ - في إنكار للذات يقارن بين فساد طبيعته مع رغبات الله في الأمانة والصدق والإخلاص، ويشرح ثقته الواثقة أن الله قادر أن يغسل ويبهج نفسه (٥-٨).

٣ - يكرِّر التوسُّل من أجل المغفرة ويتوسَّل من أجل تجديد داخلي والدوام في رضا الله ومعونته (٩-١٢).

٤ - يصمِّم أن يستخدم حريته التي تعود إليه في صلاة ذات اعتراف وشكر - ويشرح شكر قلبه بذبيحة قلب يرضاها الله (١٣-١٧).

٥ - صلاة جماعة في السبي أن تبنى أُورشليم وعبادة الذبائح تُرد، وهذا برهان واضح عن رضا الله (١٨و١٩).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٤]:

صلاة من أجل المغفرة والاغتسال على أساس نعمة الله التي تشترط توبة الإنسان!

١ - «**ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ**»:

والمعنى: أحسن إليَّ يا الله - كما عرفناها من (٢صم ١٢:٢٢):

+ «فقال: لمَّا كان الولد حيًّا صُمتُ وبكيت لأني قلت من يعلم. ربما يرحمني الربُّ ويحيا الولَدُ».

والكلمة تعني مجانية النعمة أكثر من رأفة الغفران، فالرحمة تصير هي **الإحسان**. انظر: (خر ٣٤:٦):

+ «فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء».

وأيضاً مزمور (٤:١):

+ «عند دعائي استجب لي يا إله برِّي. في الضيق رحَّبت لي. تراءف عليَّ واسمع صلاتي».

وأيضاً: (مز ٥٦:١):

+ «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني واليوم كله محارباً يضايقني».

وأيضاً: (مز ٥٧:١):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بِكَ احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».

«حسب كثرة رأفتك»:

أصل العلاقة والرباط في العهد بين يهوه وإسرائيل (الرحمة أو الإحسان سيان). أي بمقتضى كثرة تحنناتك. انظر: (مز ٢٥:٦):

+ «اذكر مراحمك يا رب **وإحساناتك** لأنها منذ الأزل هي».

وأيضاً: (إش ٦٣:٧):

+ «إحسانات الرب أذكر تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه وحسب كثرة **إحساناته**».

فصلاة داود من أجل الرحمة تقوم على أساس استعلان صفات الله التي أعلنها هو كما في (خر ٣٤:٦):

+ «فاجتاز الرب قدَّامه ونادى الرب الربِ إله **رحيم ورؤوف** بطيءُ الغضب **وكثير الإحسان والوفاء**».

ويبدو أن داود كان يحفظها عن ظهر قلب. وانظر أيضاً: (مز ٨٦:١٥):

+ «أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة (الإحسان) والحق».

والخطية وُصِفت في سفر الخروج هكذا، انظر: (خر ٣٤:٧):

+ «حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرئ إبراءً».

وهكذا توصف الخطايا أو التعديات على ثلاثة ألوان: **تعدِّي** (معصية) – **إثم** – **خطية**. والمعنى حسب العبري:

الأولى: انحراف عن الله أو ثورة ضد الله.

الثانية: قلب الحق وانتهاكه والخروج عن السلوك الأخلاقي.

الثالثة: الخطأ وابتعاد النية عن الصح أو اليمين والحق، وانحراف عن العلاقة المميِّزة للحياة.

٢ – **«اغسلني كثيراً من إثمي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي»:**

إن محاولة رفع الخطية أو الجريمة أو الدين توصف على ثلاثة أوجه.

أولاً: "يمسح" أو يمحو الخطية أو الإثم أو التعدِّي وهي المقابل لعدد (١)، (٩) في المزمور لأن

الخطية تُحسب كدين مكتوب ضد الإنسان في كتاب الله تحتاج لمن يزيلها أو يلغيها أو يمسحها أو يمحوها، كمن يرفعها من الحساب حتى لا يبقى منها أثر أو بقية. انظر: (خر ٣٢:٣٢):

+ «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت».

وأيضاً: (عد ٥:٢٣):

+ «ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثمَّ يمحوها في الماء المر».

وأيضاً: (مز ٣٢:٢):

+ «طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش».

وأيضاً: (٢مل ٢١:١٣):

+ «وأمد على أُورشليم خيط السامرة ومطمار بيت أخآب وأمسح أُورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه».

وأيضاً: (إش ٤٣:٢٥):

+ «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها».

وأيضاً: (إش ٤٤:٢٢):

+ «قد محوتُ كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأني فديتك».

وأيضاً: (نح ٤:٥):

+ «ولا تستر ذنوبهم ولا تمح خطيتهم من أمامك لأنهم أغضبوك أمام البانين».

وأيضاً: (إر ١٨:٢٣):

+ «وأنت يا رب عرفت كل مشورتهم عليَّ للموت. لا تصفح عن إثمهم ولا تمحُ خطيتهم من أمامك».

ثانياً: "يغسل" وأصل الكلمة يغسل ملابس. انظر: (رؤ ٧:١٤):

+ «فقال لي هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دمِ الخروف».

وهنا يُحسب أن الغسيل داخلي الذي يمثله الغسيل الخارجي. انظر: (إر ٢:٢٢):

+ «فإنكِ وإن اغتسلتِ بنطرون وأكثرتِ لنفسكِ الأشنان فقد نُقش إثمكِ أمامي يقول السيد الرب».

وأيضاً: (إر ٤:١٤):

+ «اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم لكي تخلصي. إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة».

ويتوسَّل داود «اغسلني كثيراً» لأن عمق خطيته يحتاج إلى نعمة كثيرة. ولكنه كما يكثر التعدِّي تكثر الرحمة.

ثالثاً: "نظِّفني أو طَهِّرني" وهو مثل اغسلني اصطلاح في الناموس اللاوي خاص بشريعة الأبرص وهو يعني ينظِّف. وهنا تُشبَّه الخطية بالبرص. انظر: (لا ١٣: ٦و٣٤):

+ ««فإن رآه الكاهن في اليوم السابع ثانية وإذا الضربة كامدة اللون ولم تمتد الضربة في الجلد يحكم الكاهن بطهارته. إنها حزاز. فيغسل ثيابه ويكون طاهراً».

+ «فإن رأى الكاهن الأقرع في اليوم السابع وإذا القرع لم يمتد في الجلد وليس منظره أعمق من الجلد يحكم الكاهن بطهارته فيغسل ثيابه ويكون طاهراً».

وأيضاً: (٢مل ٥: ١٠و١٢و١٣و١٤):

+ «فأرسل إليه أليشع رسولاً يقول: اذهب واغتسل سبع مرَّات في الأُردن فيرجع لحمك إليك وتطهر».

+ «أليس أبانة وفرفر نهرا دمشق أحسن من جميع مياه إسرائيل. أما كنت أغتسل بهما فأطهر. فرجع ومضى بغيظ».

+ «فتقدَّم عبيده وكلَّموه وقالوا: يا أبانا لو قال لك النبي أمراً عظيماً أما كنت تعمله، فكم بالحري إذا قال لك اغتسل واطهر».

+ «فنزل وغطس في الأُردن سبع مرَّات حسب قول رجل الله فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر».

٣ - **«لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِماً»**:

أنا أعرف وأعترف، كما يعرف أنها معروفة لدى الله. فهي أمام عينيه. والآن قد عرف تماماً نفسه فخطيته في ضميره دوماً. وضمير الخطية هو الخطوة الأولى في طريق التوبة والاعتراف الذي هو أكبر خطوة نحو المغفرة. وداود لم يعترف بالخطية لنفسه ولله فقط بدون أسف وألم. انظر: (مز ٣٢: ٣-٥):

+ «لمَّا سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله. لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً. تحوَّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ. سلاه. أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي

وأنت رفعت آثام خطيتي. سلاه».

حتى جاء ناثان بالرسالة فأيقظ ضميره.

٤ - **«إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ»**:

كان اعتراف داود أمام ناثان مختصراً جدًّا في كلمتين فقط بالعبري: «لقد أخطأت إلى يهوه». لأن خطيته كانت كسراً لناموسه كما يكسر الإنسان وعده أو أمانته لآخر. فالخطية موجَّهة لله وإلى الواجب نحوه، وبالأكثر لأن داود كان ممثلاً لله وسط الشعب فكم بالحري يكون خائناً لإلهه.

«**والشر قدَّام عينيك صنعت**»:

وصحتها: "وصنعت الذي هو شر في عينيك". انظر: (٢صم ١١:٢٧):

+ «ولمَّا مضت المناحة أرسل داود وضمَّها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً. وأمَّا الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب».

وأيضاً: (٢صم ١٢:٩):

+ «لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه. قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته».

«**لكي تتبرر في أقوالك**»:

حتى يعلن برّك وقداستك ويتحقَّق أنك أصدرت كلمتك ضدِّي وضد خطيتي. انظر: (إش ٥:١٦):

+ «ويتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدَّس الإله القدوس بالبر».

ويلاحظ أن قوله لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك يحتاج إلى مزيد من التوضيح.

فإن اعتراف الخاطئ بخطيته ودينونة نفسه بنفسه هو بحد ذاته تبرير لقول الله على الخطية. انظر: (رو ٣:٤):

+ «ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً. كما هو مكتوب لكي تتبرر في أقوالك وتغلب متى حوكمت».

وأيضاً: (إر ٢:٩):

+ «لذلك أُخاصمكم بعد يقول الرب وبني بنيكم أخاصم».

[٥-٨]:

لقد ورث طبيعة خاطئة وبالرغم من ذلك هو واثق أن الله قادر أن يجعل هذه الطبيعة توافق رغبته ومشيئته تماماً.

٥ - «**هَأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي**»:

لقد صُوِّرْتُ ووُلِدتُ، كلها فعل خطية ورثها الإنسان في طبيعته، ولكن لا يبدو أن داود يختفي وراء خطية طبيعته التي وُلد بها ولكن بالأكثر في إنكار لذاته إنكاراً كلياً هو يعترف وينعي خطيته، وليس خطيته فقط ولكن كل ما أصاب طبيعته من جراء ذلك. انظر: (أي ١٤: ٤):

+ «من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد».

وأيضاً: (رو ٧: ١٨):

+ «فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ أي في جسدي شيء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي وأمَّا أن أفعل الحسنى فلست أجد».

وهذا العدد يُقدِّم للعدد القادم الذي يُبنى عليه، فهو يقارن حرمان طبيعته من الكمال واحتمالها للخطية مع معرفته في الداخل (الباطن) بالحقيقة والحكمة التي يشاءها الله، التي وبوثوق في الله يرى أن الله قادر أن يهب النفس غفراناً وتجديداً!

٦ - «**هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً**»:

في الأعماق الداخلية للفكر والإرادة غير المنظورة للإنسان ولكن معروفة لدى الله: الله يريد فيها الحق والإخلاص الكامل وقلباً كامل التقوى غير قابل أن يغش النفس ويتوِّهها عن الحق - كما فعل داود - أو يغش إنساناً كما فعل هو لكي يغطِّي على خطيته. ومع الحق الذي يريده الله حكمة أيضاً التي هي هبة الله، المعرفة الروحية التي هي موازية لمخافة الله. وهذا هو المبدأ العملي للسلوك الحق. انظر: (أم ١: ٧):

+ «مخافة الرب رأس المعرفة. أمَّا الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب».

وأيضاً: (أم ٩: ١٠):

+ «بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم».

وأيضاً: (أي ٢٨: ٢٨):

+ «وقال للإنسان هوذا مخافة الرب هي الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم».

وأيضاً: (يع ٣: ١٧):

+ «وأمَّا الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة ثمَّ مسالمة مترفِّقة مذعنة مملُوَّة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء».

٧ - «**طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ**»:

تأتي الأفعال هنا في العبرية في صيغة المستقبل هكذا: "ستطهِّرني، ستشفيني، ستستجيب لي". وهي بهذا تعطي صورة لإيمان داود أن الله قادر لو أراد أن يغسله. ويلاحظ أن اللغة التصويرية التي اتخذها هنا مأخوذة من الناموس، حيث الزوفا كانت تُستخدم للرش في طقوس غسيل الأبرص وتطهير النجس وأي تطهير آخر. انظر: (خر ١٢: ٢٢):

+ «وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطست ومسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم ...».

وأيضاً: (لا ١٤: ٤):

+ «يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيَّان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا».

وأيضاً: (عب ٩: ١٩):

+ «لأن موسى بعدما كلَّم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماءٍ وصوفاً قرمزياً وزوفَا ورشّ الكتاب ...».

علماً بأن الغسيل مراراً يكون جزءاً من الطقس بالنسبة للتطهير. وداود ينظر إلى الداخل والروحي الذي هذه الطقوس الظاهرية مجرد رمز له، وهو يدعو الله نفسه أن يغسله بالزوفا الروحانية كما يعمل الكاهن للنجس.

«**فأبيض أكثر من الثلج**»:

نجدها في (إش ١: ١٨):

+ «هلم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف».

حيث كني عن الأحمر هنا، الدم، الذي يصبغ الروح ويلوِّث الملابس كما يلوِّث القلب. انظر: (رؤ ٣: ٤و٥):

+ «عندك أسماء قليلة في ساردس لم ينجّسوا ثيابهم فسيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقون».

+ «مَنْ يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة».

واللغة في هذا العدد مأخوذة من الناموس.

٨ – «أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا»:

عندما يتطهَّر النجس من نجاسته يهيأ للفرح والسرور في العبادة داخل الهيكل الذي كان محروماً منه. انظر: (مز ٤٢:٤):

+ «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ. لأني كنت أمرّ مع الجُمَّاع أتدرَّج معهم إلى بيتِ الله بصوت ترنُّمٍ وحمدٍ جمهورٍ معيِّدٍ».

لهذا بعد أن تصوَّر داود أن الله قد استجاب لغسله أكثر من الثلج أنه صار مهيَّأً لفرح العبادة وسرورها. وتبتهج عظامه التي انسحقت من فعل حزن الضمير وتأنيب صوت الله وإحساس داود بغضب الله. انظر: (مز ٣٢:٣):

+ «لمَّا سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله».

[٩-١٢]:

تكرار الصلاة من أجل الغفران والغسيل والتجديد، والأفعال تتحوَّل من المستقبل إلى نوعٍ من الأمر توضِّح أن جزءاً آخر من المزمور يبتدئ هنا.

٩ – «اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ، وَامْحُ كُلَّ آثَامِي»:

انظر: (مز ٣٢:١):

+ «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته».

وأيضاً: (مز ٩٠:٨):

+ «قد جعلتَ آثامنا أمامك، خفيَّاتنا في ضوء وجهك».

وهنا عبارة "استر وجهك" لها معنى خاص غير مألوف لأن في العادة الله "يستر وجهه" تعني أنه يسحب نعمته.

١٠ – «قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي»:

لاحظ أن الخلق هو عمل مما لا شيء. فالقلب هنا محتاج خلقة جديدة أمَّا الروح فلا تحتمل

الخلقة ولكن تناسبها التجديد، أي أنه يطلب قلباً جديداً جدة كلية جدة الخلق، لأن صورته قد تلوَّثت في ذهن داود (فالذي اشتهى قد انتهى) وهو يطلب قلباً لم يُلوَّث بالشهوة ليعبد به عبادة جديدة، ومثل هذا القلب الجديد والروح المستقيمة هما يصلحان للشركة مع الله كينبوع لحياة جديدة، انظر: (إر ٢٤:٧):

+ «وأعطيهم قلباً ليعرفوني أني أنا الرب فيكونوا لي شعباً ... لأنهم يرجعون إليَّ بكل قلبهم».

وأيضاً: (إر ٣١:٣٣):

+ «بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب. أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم ...».

وأيضاً: (إر ٣٢:٣٩):

+ «وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم».

وأيضاً: (حز ١١:١٩):

+ «وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم».

وأيضاً: (حز ١٨:٣١):

+ «اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة. فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل».

وأيضاً: (حز ٣٦:٢٦):

+ «وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم».

وأيضاً: (٢كو ٥:١٧):

+ «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً».

وأيضاً: (غل ٦:١٥):

+ «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفعُ شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة».

١١ - «لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي»:

الإنسان المستقيم يرى وجه الله. انظر: (مز ١١:٧):

+ «لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يبصر وجهه».

والله يقدِّمه في حضرته إلى الأبد. انظر: (مز ٤١:١٢):

+ «أمَّا أنا فبكمالي دعَمتني وأقمتني قدَّامك إلى الأبد».

لأن روح الرب (يهوه) حلَّ على داود كما فارق شاول. فهل خاف داود أن يأخذ نصيب شاول ويُنفى من أمام وجه الرب ويُحرم من نعمته؟ وبالرغم من أن أقنوم الروح القدس لم يُشرح في العهد القديم فإن صفحات مثل مزمور (٥١) بها أن يهوه إنما يعمل بالروح القدس إعداداً لكشف حقيقة الروح القدس العامل بأقنومه.

١٢ - «رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي»:

لقد حطَّمت الخطية ثقة داود بمعونة الله التي كانت دائماً هي فرحة قلبه. انظر: (مز ٩:١٤):

+ «لكي أحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجاً بخلاصك».

وأيضاً: (مز ١٣:٥):

+ «أمَّا أنا فعلى رحمتك توكَّلت. يبتهج قلبي بخلاصك».

وأيضاً: (مز ٢٠:٥):

+ «نترنَّم بخلاصك وباسم إلهنا نرفع رايتنا. ليكمِّل الرب كل سؤلك».

وأيضاً: (مز ٣٥:٩):

+ «أمَّا نفسي فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه».

ويُلاحظ القارئ أنها كلها مزامير لداود وقبل سقوطه!! فهو يصلِّي ليرد الله ما كان له مع الله من مسرَّة دائمة.

«وبروح منتدبة (رئاسي)»:

تُرجم هنا روح حرَّة أو روح ذات إرادة حرَّة "سموحة". انظر: (خر ٣٥: ٥و٢٢):

+ «خذوا من عندكم تقدمة للرب. كل مَنْ قلبه **سموح** فليأتِ بتقدمة الرب ذهباً وفضة ونحاساً».

+ «وجاء الرجال مع النساء. كل **سموح** القلب جاء بخزائم وأقراط وخواتم ...».

وأيضاً: (مز ٥٤:٦):

+ «أذبح لك (لله) **منتَدِباً** (روح تقدمة حرَّة). أحمَدُ اسمك يا رب لأنه صالحٌ».

فهو يطلب أن يُعان ليقوم من سقطته بإلهام ونعمة روحية ليتحرَّك بحرية إرادته نحو الحق.

[١٣-١٧]:

تصميم على الشكر.

١٣ - «فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ»:

عندما ذاق فرحة التوبة والعودة أخذ عهداً أن يُعلِّم الخطاة في طرق يهوه، وخاصة الذين لا يودون أو الذين لا يعرفون. انظر: (إش ٤٢:٢٤):

+ «مَنْ دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين. أليس الرب الذي أخطأنا إليه و لم يشاءوا أن يسلكوا في طرقه و لم يسمعوا لشريعته».

وهكذا يعود إليه الذين خرجوا و لم يعودوا. وقد ألَّفَ داود مزمور (٣٢) الذي يصف هذا العزم والتصميم كأفضل ثمرة للتوبة.

١٤ - «نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللهُ إِلهَ خَلاَصِي. فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ»:

نجني من جريمة الدماء التي هي قوة وعقوبة خطيتي! انظر: (مز ٣٩:٨):

+ «من كل معاصيَّ نجني. لا تجعلني عاراً عند الجاهل».

وأيضاً: (مز ٤٠:١٢):

+ «لأن شروراً لا تُحصى قد اكتنفتني. حاقت بي آثامي ولا أستطيع أن أُبصر. كثرت أكثر من شعر رأسي وقلبي قد تركني».

علماً بأن الموت وسفك الدم هو ثمن الخطية كعقوبة والمثل بالنسبة لخطية داود في أوريا الحثي. انظر: (حز ١٨:١٣):

+ «وأعطى بالربا وأخذ المرابحة أفيحيا؟ لا يحيا، قد عمل كل هذه الرجاسات فموتاً يموت. دمه يكون على نفسه».

وأيضاً: (مز ٩: ١٢):

+ «لأنه مطالب بالدماء. ذكرهم. لم ينسَ صراخ المساكين!».

وداود ثابتة عليه التهمة. انظر: (٢صم ١٢: ٥و١٣):

+ «فحمي غضب داود على الرجل (وهو نفسه) جدًّا وقال لناثان حيٌّ هو الرب إنه يُقتل الرجل الفاعل ذلك».

+ «فقال داود لناثان قد أخطأتُ إلى الرب». خطية عظيمة.

+ «فقال ناثان لداود الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت!». الله أعظم!

«فيُسبِّح لساني برّك»:

أي أمانته، فأمانة الله على حفظ عهده إنما تظهر في العفو عن التائب ليس أقل من قسوة الحكم على غير التائب. انظر: (١يو ١: ٩):

+ «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم».

١٥ - **«يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ، فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ»:**

أنت ستفتح، هذا هبة من الله! انظر: (مز ٤٠: ٣):

+ «وجعل في فمي ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكَّلون على الرب».

داود في هذا العدد وسابقه أيضاً يلمِّح لعبادة علنية، انظر: (مز ٢٦: ٦و٧):

+ «أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب. لأُسمِّع بصوت الحمد وأحدِّث بجميع عجائبك».

فهو يشبِّه نفسه جدًّا بالأبرص بعد أن يُعلن عنه أنه طاهر واستعادة شركته مع الشعب التي حُرم منها!

١٦ - **«لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى»:**

داود قدَّر مستوى خطيته أنها لا تُمحى بذبيحة ولا بمحرقة. فنفسه مطالبة للقتل ولن يفلت من هذا العقاب إلاَّ بانكسار القلب أمام الله وطلب المغفرة بإلحاح. انظر: (مز ٤٠: ٦):

+ «بذبيحة وتقدمة لم تُسر. أُذني فتحت. بمحرقة وذبيحة خطية لم تطلب».

فليس أقل من ذبيحة الطاعة والشكر. انظر: (مز ٥٠: ١٤و٢٣):

+ «اذبح لله حمداً وأوفِ العليَّ نذورك! ذابح الحمد يمجِّدني والمقوِّم طريقه أريه خلاص الله».

«لا تسر»:

نفس الكلمة التي تُقال عند قبول الذبيحة. وتترجم أيضاً بـ"الرضا"، انظر: (مز ١٩: ١٤):

+ «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي **مرضية** أمامك يا رب صخرتي ووليِّي».

وهنا لا يقصد أن الله يرفض الذبائح ولكن يرفض الاختباء وراءها بجرائم تستحق العقاب. فالذبائح لخطايا السهو فقط.

١٧ - **«ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ»:**

لأن الانسحاق الحقيقي يحمل روح الأسف والندم ويقدِّر عظم المحنة (عدد ٨: عظام سحقتها) وبذلك يكون له عمله أمام الله، أمَّا الكبرياء للمعاند فلا يمكن أن يتحوَّل إلى انكسار! انظر: (مز ٣٤: ١٨):

+ «قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلِّص المنسحقي الروح».

وأيضاً: (إش ٥٧: ١٥):

+ «لأنه هكذا قال العليّ المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه. في الموضع المرتفع المقدَّس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين».

«لا تحتقره»:

مع أن داود قد احتقر كلمة الرب. انظر: (٢صم ١٢: ٩):

+ «لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه. قد قتلت أوريا الحثِّي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة. وإيَّاه قتلت بسيف بني عمون».

ولكنه كان واثقاً أن الله لن يحتقر قلبه. انظر: (مز ١٠٢: ١٧):

+ «التفت إلى صلاة المضطر و لم يرذل دعاءهم».

وأيضاً: (يو ٦: ٣٧):

+ «كل ما يعطيني الآب فإليَّ يقبل ومَنْ يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً».

[١٨و١٩]:

صلاة إسرائيل في السبي للعودة إلى أُورشليم وتجديد الهيكل. رؤيا متَّسعة تشمل المستقبل المظلم. وهناك أسباب توحي بأن العائدين من السبي أضافوها لتناسب حاجتهم.

١٨ - «أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ»:

انظر: (مز ١٠٢: ١٣-١٦):

+ «أنت تقوم وترحم صهيون لأنه وقت الرأفة لأنه جاء الميعاد.
لأن عبيدك قد سُروا بحجارها وحنُّوا إلى ترابها.
فتخشى الأُمم اسم الرب وكل ملوك الأرض مجدك.
إذا بنى الرب صهيون يُرى بمجده».

١٩ - «حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ الْبِرِّ، مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولاً»:

انظر: (مز ٦:٥):

+ «لأنه ليس في الموت ذكرك. في الهاوية مَنْ يحمدك».

وأيضاً: (تث ٣٣:١٩):

+ «إلى الجبل يدعوان القبائل. هناك يذبحان ذبائح البر لأنهما يرتضعان من فيض البحار...».

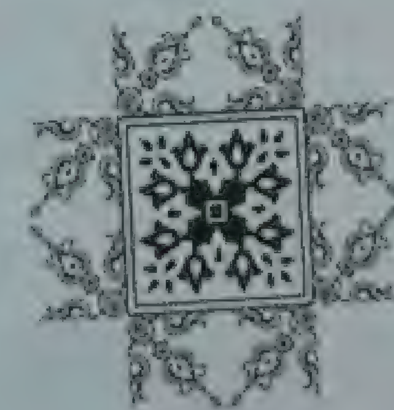
ذبيحة المحرقة = olah ذبيحة كاملة تحرق تشير في دخانها الصاعد إلى تمام التقديم لتعطي الرمز والتشبيه للعابد الذي يؤخذ كله بعبادة الله الصاعدة إليه. انظر: (تث ٣٣:١٠):

+ «يعلِّمون يعقوب أحكامك وإسرائيل ناموسك. يضعون بخوراً في أنفك. ومحرقات على مذبحك».

وأيضاً: (١صم ٧:٩):

+ «فأخذ صموئيل حملاً رضيعاً وأصعده محرقة بتمامه للرب. وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل فاستجاب له الرب!».

وظلّت إسرائيل مشغولة بالذبائح حتى جاء الذبيح الأعظم الذي أنهى على الذبائح إلى الأبد!



المزمور الثاني والخمسون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ.

قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ وَأَخْبَرَ شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ: "جَاءَ دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ أَخِيمَالِكَ".

١- «لِمَاذَا تَفْتَخِرُ بِالشَّرِّ أَيُّهَا الْجَبَّارُ؟ رَحْمَةُ اللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ!

٢- لِسَانُكَ يَخْتَرِعُ مَفَاسِدَ. كَمُوسَى مَسْنُونَةٍ يَعْمَلُ بِالْغِشِّ.

٣- أَحْبَبْتَ الشَّرَّ أَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ، الْكَذِبَ أَكْثَرَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالصِّدْقِ. سِلاَهْ.

٤- أَحْبَبْتَ كُلَّ كَلاَمٍ مُهْلِكٍ وَلِسَانِ غِشٍّ.

٥- أَيْضاً يَهْدِمُكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. يَخْطَفُكَ وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ، وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ. سِلاَهْ.

٦- فَيَرَى الصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ، وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ:

٧- "هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ، بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ".

٨- أَمَّا أَنَا فَمِثْلُ زَيْتُونَةٍ خَضْرَاءَ فِي بَيْتِ اللهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.

٩- أَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ لأَنَّكَ فَعَلْتَ، وَأَنْتَظِرُ اسْمَكَ فَإِنَّهُ صَالِحٌ قُدَّامَ أَتْقِيَائِكَ».

دراسة:

العنوان الموضِّح للمزمور يصفه لداود ويصله بحادثة دواغ الأدومي لما أخبر شاول عن داود أن داود قد استقبله أخيمالك في نوب وساعده بوسائل للهرب. انظر الأصحاحين (١صم ٢١و٢٢):

موجز الأصحاح (٢١): [«فجاء داود إلى نوب إلى أخيمالك الكاهن. فاضطرب أخيمالك عند لقاء داود وقال له لماذا أنت وحدك وليس معك أحد. فقال داود لأخيمالك الكاهن إن الملك أمرني بشيء وقال لي لا يعلم أحد شيئاً من الأمر الذي أرسلتك فيه وأمرتك به».

(وبقية قصته أخذ داود خبز الوجوه وأكله هو وغلمانه الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة فقط) وقد اخترع داود هذه القصة حتى يقبله الكاهن.

«وكان هناك رجل من عبيد شاول ذلك اليوم ... اسمه دواغ الأدومي رئيس رعاة شاول».

وطلب داود من أخيمالك سلاحاً فأعطاه سيف جليات. «وقام داو
وهرب في ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش ملك جت ...»]

موجز الأصحاح (٢٢): [«فذهب داود من هناك ونجا إلى مغارة عدلام. فلما سمع إخوته وجميـ
بيت أبيه نزلوا إليه إلى هناك واجتمع إليه كل رجل متضايق وكل مَـ
كان عليه دين وكل رجل **مر النفس** فكان عليهم رئيساً! وكان معه نحو
أربع مئة رجل. وذهب داود من هناك إلى مصفاة موآب وقـال للملـ
موآب ليخرج أبي وأمي إليكم ... فودعهما عند ملك مـوآب فأقامـ
عنده (في الحصن). ثم ذهب داود وجاء إلى وعـر حـارث (في أرض
يهوذا) وسمع شاول وكان مقيماً في جبعة ... فأجاب دواغ الأدومـي
الذي كان موكلاً على عبيد شاول وقال: قد رأيت ابن يسَّى آتيـاً إلى
نوب إلى أخيمالك ... وأعطاه زاداً وسيف جليات»].

والأوصاف والرذائل التي كُشفت وفُضحت في المزمور هي التي كان يتصف بها دواغ الأدومي. وكان رجلاً غنياً، وذا حيثية باعتباره رئيس رعاة شاول (حافظ خيول وبغال بحسب السبعينية). وكان لسانه غاشاً، لأنه بالرغم من أن الحوادث التي سردها عن داود لشاول كانت صحيحة، ولكنه أهاج شاول وأثار شكوكه، وأعطى مشورة هلاك داود، لأن قصته كانت مملوءة خبثاً ونتائج مميتة. تماماً حسب العنوان الذي وضعه جامع المزامير.

ولكن لغياب قصة ذبح كهنة نوب التي اشترك فيها دواغ كعميل لشاول عندما استعفى بقية ضبَّاط شاول من هذه الجريمة، يُشك بأن داود هو كاتب هذا المزمور، إلاَّ إذا كان تأليف هذا المزمور بعد قصة دواغ وقبل المذبحة التي ارتكبها شاول مع دواغ الأدومي.

ولكي نحكم على المزمور من محتوياته، فالمزمور يفضح رجلاً غنياً وقوياً وعالي القيمة متهماً بأنه حطَّم أشخاصاً أبرياء بواسطة غش وخداع وتلفيق التهم. وأعماله السيئة تقارن بإحسانات الله. ويُحتمل أنه كان قطباً من الأقطاب الذين يفضحهم الأنبياء دائماً، الذي استخدم وظيفته وواجبه واستغنى من دم الفقراء ولم يختش أن يحطم فريسته بواسطة الغش وتلفيق التهم واستخراج أحكام مميتة ضدَّهم. مثلاً: انظر: (مي ٢: ١-٣):

+ «ويل للمفتكرين بالبطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في

قدرة يدهم. فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه. لذلك هكذا قال الرب: هأنذا أفتكر على هذه العشيرة بشر لا تزيلون منه أعناقكم ولا تسلكون بالتشامخ لأنه زمان رديء».

وأيضاً: (مي ٣: ١-٤):

+ «وقلت اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل. أليس لكم أن تعرفوا الحق. المبغضين الخير والمحبين الشر النازعين جلودهم عنهم ولحمهم عن عظمهم. والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشّمون عظامهم ويشققون كما في القدر وكاللحم في وسط المقلى. حينئذ يصرخون إلى الرب فلا يجيبهم بل يستر وجهه عنهم. في ذلك الوقت كما أساءوا أعمالهم».

وأيضاً: (مي ٧:٣):

+ «اليدان إلى الشر مجتهدتان. الرئيس طالب والقاضي بالهدية والكبير متكلِّم هوى نفسه فيعكشونها».

وصاحب المزمور يتكلَّم كمندوب عن المتألمين ومرِّي النفس وكل مَنْ عليه دين، الذين سيفرحون عند سقوط ظالميهم بحسب أمانة الله وحكمته.

والمزمور يقع في قسمين:

١ - فاعل الإثم مدعو للمحاكمة وصفاته الرديئة مفضوحة وحظه النهائي مُعلن (١-٥).

٢ - الأبرار يتعجَّبون لسقوطه ويُسرون بدينونته كمن يثق في نفسه، في حين أن صاحب المزمور يقارن بأمانته تحت حماية الله ويعطي عهداً لشكر علني دائم (٦ - ٩).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٥]:

يفضح العامل بالشر ويتنبأ بنصيبه.

١ - **«لِمَاذَا تَفْتَخِرُ بِالشَّرِّ أَيُّهَا الْجَبَّارُ؟ رَحْمَةُ اللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ!»:**

هذا العدد يوضِّح القصد من هذا المزمور، وهو المقارنة بين عمل الشر وإحسانات الله (مراحمه) والعدد ينقسم إلى قسمين: هما نفس القسمين اللذين يقسمان المزمور! وحقيقة رحمة الله قُدِّمت فجأ بدون تمهيد ولكنها الإيجابية الوحيدة لما جاء في الأول. وماذا يستفيد أن يفتخر بنجاح الشر؟ وهو باطل، مع أن مراحم الله تدوم كل يوم. فهو عهد المحبة الذي يتمسَّك به صاحب المزمور (٨) والذي هو موضوع كل القديسين (٩).

«أيها الجبَّار»:

والقوة سريعاً ما تضمحل، ولكن هنا يستهزئ به استهزاءً لاذعاً. انظر: (إش ٥:٢٢):

+ «ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج المسكر».

وأيضاً: (إر ٩:٣):

+ «يَمدُّون ألسنتهم كقسيهم للكذب لا للحق. قووا في الأرض. لأنهم خرجوا من شر إلى شر وإياي لم يعرفوا يقول الرب».

«رحمة الله (إيل)»:

"إيل" هو القوي "جباروت"، انظر: (مز ٥٠:١). له مراحم كل يوم.

+ «إله (إيل) الآلهة الرب تكلَّم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها».

يظن الشرير أنه جبَّار ولكن يوجد مَنْ هو أقوى منه وسوف يقوم للمساءلة!

٢ - **«لِسَانُكَ يَخْتَرِعُ مَفَاسِدَ. كَمُوسَى مَسْنُونَةٍ يَعْمَلُ بِالْغِشِّ»**

انظر: (مز ٣٥:٢٠):

+ «لأنهم لا يتكلَّمون بالسلام. وعلى الهادئين في الأرض يتفكَّرون بكلام مكر».

خطية اللسان الغش في الكلام والمكر والخداع وشهادة الزور، هذه يفضحها المزمور وكذلك الأنبياء. انظر: (مز ٥:٩):

+ «لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوَّة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها».

وأيضاً: (مز ١٠:٧):

+ «فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقة وإثم».

وأيضاً: (مز ١٢: ٢-٥):

+ «يتكلَّمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلَّمون».

+ «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلِّم بالعظائم».

+ «الذين قالوا بألسنتنا نتجبَّر. شفاهنا معنا. مَنْ هو سيد علينا».

+ «من اغتصاب المساكين من صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب».

وأيضاً: (مي ٦:١٢):

+ «فإن أغنياءها ملآنون ظلماً وسكَّانها يتكلَّمون بالكذب ولسانهم في فمهم غاش».

«كموسى مسنونة»:

الذي يقطع قبل أن يدري الإنسان بالقطع وتتحرس في مسكه والاقتراب منه، لأنه يعمل بالغش، انظر: (مز ٥٥:٢١):

+ «أنعم من الزبدة فمه وقلبه قِتالٌ. ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة».

وأيضاً: (مز ٥٧:٤):

+ «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتَّقدين بني آدم أسنانهم أسنَّة وسهام ولسانهم سيف ماضٍ».

وأيضاً: (مز ٥٩:٧):

+ «هوذا يبقُّون بأفواههم. سيوف في شفاههم. لأنهم يقولون مَنْ سامع».

«يعمل بالغش»:

والأصح أن تكون "أيها العامل بالغش"! انظر: (مز ١٠١:٧):

+ «لا يسكن وسط بيتي عامل غش. المتكلِّم بالكذب لا يثبت أمام عينيَّ».

٣ – **«أَحْبَبْتَ الشَّرَّ أَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ، الْكَذِبَ أَكْثَرَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالصِّدْقِ. سِلاَهْ»**:

والمعنى أنه اختار الشر عوض الخير. انظر: (مي ٣:٢):

+ «المبغضين الخير والمحبين الشر النازعين جلودهم عنهم ...».

والصدق هنا يحوي العدل بالضرورة لأن الغرض الأساسي للشرير هو إبطال العدالة وتعويجها.

٤ – **«أَحْبَبْتَ كُلَّ كَلاَمٍ مُهْلِكٍ وَلِسَانِ غِشٍّ»**:

انظر: (مز ٣٥:٢٥):

+ «لا يقولوا في قلوبهم هه شهوتنا. لا يقولوا قد ابتلعناه».

وأيضاً: (مز ٥٣:٤):

+ «ألم يعلم فاعلو الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والله لم يدعوا».

«لسان غاش»:

وصحتها: "أيها اللسان الغاش". هنا يفرز ويوضِّح الإنسان ذا اللسان الغاش ويشير إليه. انظر: (مز ١٢٠: ٢و٣):

+ «يا رب نجِّ نفسي من شفاه الكذب من لسانِ غِشٍّ».

+ «ماذا يعطيك وماذا يزيد لك لسان الغش؟».

وأيضاً: (مز ١٢:٣):

+ «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة. واللسان المتكلِّم بالعظائم».

٥ – **«أَيْضاً يَهْدِمُكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. يَخْطَفُكَ وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ، وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ. سِلاَهْ»**:

"أيضاً" = لذلك، أو هكذا، لأنه يوجد صلة وعلاقة أساسية بين الخطية وعقوبتها. انظر: (مي ٢: ١و٣):

+ «ويل للمفتكرين بالبطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم».

+ «لذلك هكذا قال الرب: هأنذا أفتكر على هذه العشيرة بشر لا تزيلون منه أعناقكم ولا تسلكون بالتشامخ».

وهكذا، فالأشرار الذين لا قلب لهم كما طردوا الفقراء والمساكين من بيوقم، هكذا يساقون كالغنم إلى السبي!! ومصير الأشرار المحزن يوصف بأوصاف كثيرة، فكما يظن نفسه قد تقوقع بأمان في حصن غناه وأمواله، يأتي الله ويحطِّم حصونه التي اتكل عليها! انظر: (قض ٨:٩):

+ «فكلَّم أيضاً أهلَ فنوئيل قائلاً: عند رجوعي بسلام أهدم هذا البرج».

ويقول المزمور إن ذلك إلى الأبد، أي ليس هناك رجعة ولا قيام ولا عودة. وكما هو مستريح في بيته يحلم في أيام السلام والرفاهية يأتي الله ويلتقطه بملقط كما يلتقط إنسان قطعة جمر من الكانون ويلقيها بعيداً، ويكون بلا مأوى يهيم جائلاً. انظر: (تث ٢٨: ٦٣و٦٤):

+ «وكما فرح الرب لكم ليُحسن إليكم ويكثركم. كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتُستأصلون من الأرض التي أنت داخل عليها لتمتلكها (صعبة؟). ويبدِّدك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها».

ويصف الشرير كشجرة مغروسة في تربتها. انظر: (مز ٣٧: ٣٥و٣٦):

+ «قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة. عبر فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد».

ولكن الله يقتلعه من أرض حياته. انظر: (إر ٩:١٩):

+ «لأن صوت رثاية سُمع من صهيون كيف أُهلكنا. خزينا جدًّا لأننا تركنا الأرض لأنهم هدموا مساكننا!».

وهكذا يضع المزمور نصيب الشرير في مقابل نصيب صاحب المزمور.

وهذا العدد هو مثل صلاة: ليت الرب يهدمك ... إلخ، والجملة منطوقة بنغمة النبوَّة وبسلطان، انظر: (إش ٢٢:٧):

+ «فتكون أفضل أوديتك ملآنة مركبات والفرسان تصطف اصطفافاً نحو الباب».

و"**سلاه**" هنا تُنهي الجزء الأول من المزمور.

[٦–٩]:

سقوط الشرير يلهم البار بالعجب والدهش وفرصة للابتهاج لإثبات عدل الله وقضائه، ويعطي ثقة وأملاً ورجاءً وشكراً.

٦ - «فَيَرَى الصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ، وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ».

٧ - «"هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ، بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ"»:

والانطباع الأول من المنظر هو الخوف والدهش والتوقير الزائد لله ودينونته، ثم يزداد توقير الله وقضائه للعالم. أمَّا بعد ذلك فبالنسبة لأعمال الأشرار هو الإحساس بالاحتقار للذين اتكلوا على غناهم. أمَّا الفرح والضحك فهو الانتصار رغم أنف الأشرار، أمَّا الشمت بالأعداء حينما تصيبهم بلية فهي مرفوضة ومدانة في العهد القديم، انظر: (أي ٣١: ٢٩و٣٠):

+ «إن كنت قد فرحت ببليَّة مبغضي أو شمتُّ حين أصابه سوء. بل لم أدع حنكي يخطئ في طلب نفسه بلعنة».

وأيضاً: (أم ٢٤: ١٧و١٨):

+ «لا تفرح بسقوط عدوك ولا يبتهج قلبك إذا عثر. لئلاَّ يرى الرب ويسوء ذلك في عينيه فيرد عنه غضبه!».

ولكن بالنسبة لمحاكمة الشرير فهي مقياس لعدل الله وقضائه الصحيح. فيلزم أن يرحَّب بها بالسرور بواسطة الأبرار. انظر: (رؤ ١٨: ٢٠):

+ «افرحي لها أيتها السماء والرسل القديسون والأنبياء لأن الرب قد دانها دينونتكم».

وأيضاً: (رؤ ١٩: ١و٢):

+ «وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً: هللويا. الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا. لأن أحكامه حق وعادلة إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها وانتقم لدم عبيده من يدها».

فيلزم أن ننتبه أن عدم مراجعة وصد ازدهار الشرير هو بحد ذاته تجربة لإيمان البار الذي ينظر أن أعمال الله محدودة فقط بهذا العالم، فهم دائماً يطلبون تحقيق بر الله في معاملة الله للجميع ويفرحون لذلك. انظر: (مز ٥٨: ١٠و١١):

+ «يفرح الصديق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير»، في العهد القديم فقط!

+ «ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض».

وأيضاً: (مز ٦٤: ٧و٩و١٠):

+ «فيرميهم الله بسهم بغتة كانت ضربتهم».

+ «ويخشى كل إنسان ويخبر بفعل الله وبعمله يفطنون. يفرح الصديق بالرب ويحتمي به ويبتهج كل المستقيمي القلوب».

وأيضاً: (مز ٥: ١١و١٢):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبُّو اسمك».

+ «لأنك أنت تبارك الصديق يا رب. كأنه بترس تحيطه بالرضا».

«هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه»:

كعمل قائم دائم في قلبه.

«بل اتكل على كثرة غناه»:

انظر: (مز ٤٩: ٦):

+ «الذين يتكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون».

٨ - «أَمَّا أَنَا فَمِثْلُ زَيْتُونَةٍ خَضْرَاءَ فِي بَيْتِ اللهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ»:

وهكذا يوازن بين موضع الشرير من الله وموضع مَنْ اتكل على الله ومستقبله. والمتكلِّم هنا لا يظهر إن كان صاحب المزمور أو شخصية الصديق!؟ ولكن لو كان هو صاحب المزمور فهو يتكلَّم بفم الصديق!

«زيتونة خضراء في بيت الله»:

انظر: (مز ٩٢: ١٣و١٤):

+ «مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون. أيضاً يثمرون في الشيبة. يكونون دساماً وخضراً».

فهو كشجرة خضراء ثابتة في بيت الله، له كرامة وعناية. أمَّا الشرير فيُقلع! أمَّا هو فضيف الله ونزيله، انظر: (إر ١١: ١٦):

+ «زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة دعا الرب اسمكِ».

ثمَّ عن الأمة، انظر: (هو ١٤: ٨):

+ «أنا كسروة خضراء. من قبلي يوجد ثمرك».

وأيضاً: (مز ١: ٣):

+ «فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه. التي تعطي ثمرها في أوانه. وورقها لا يذبل. وكل ما يصنع ينجح».

وأيضاً: (مز ٩٢:١٢):

+ «الصديق كالنخلة يزهو كالأرز في لبنان ينمو».

أمَّا من حيث أنه ضيف الله. انظر: (مز ٢٣:٦):

+ «إنما خيرٌ ورحمة يتبعانني كلَّ أيام حياتي وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام».

وأيضاً: (مز ٢٧:٤):

+ «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي».

وأيضاً: (مز ١٥:١):

+ «يا رب مَنْ يترل في مسكنك. مَنْ يسكن في جبل قدسك».

٩ – «أَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ لأَنَّكَ فَعَلْتَ، وَأَنْتَظِرُ اسْمَكَ فَإِنَّهُ صَالِحٌ قُدَّامَ أَتْقِيَائِكَ»:

انظر: (مز ٥٠:٢٣):

+ «ذابح الحمد يمجِّدني والمقوِّم طريقه أريه خلاص الله».

«لأنك فعلت»:

انظر: (مز ٢٢:٣١):

+ «يأتون ويخبرون ببرِّه شعباً سيولد بأنه قد فعل».

وأيضاً: (مز ٣٧:٥و٦):

+ «سلِّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجري. ويُخرج مثل النور برَّك ...».

«وأنتظر اسمك فإنه صالح»:

انظر: (إش ٢٦: ٨و٩):

+ «ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس».

+ «بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر!!».

المزمور الثالث والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «الْعُودِ». قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ

١- «قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً.

٢- اللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟

٣- كُلُّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا مَعاً، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ.

٤- أَلَمْ يَعْلَمْ فَاعِلُو الإِثْمِ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ، وَاللهَ لَمْ يَدْعُوا؟

٥- هُنَاكَ خَافُوا خَوْفاً، وَلَمْ يَكُنْ خَوْفٌ، لأَنَّ اللهَ قَدْ بَدَّدَ عِظَامَ مُحَاصِرِكَ. أَخْزَيْتَهُمْ لأَنَّ اللهَ قَدْ رَفَضَهُمْ.

٦- لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ اللهِ سَبْيَ شَعْبِهِ، يَهْتِفُ يَعْقُوبُ، وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ».

دراسة:

هذا المزمور نسخة تنقيحية من مزمور (١٤). ومن حيث الأعداد (١-٤) لا يوجد تغيير بين المزمورين، ولكن عدد (٥) يختلف كثيراً عن (٥و٦) في مزمور (١٤). هل التشابه راجع إلى قصد أو أن الأصل أصابه تغيير؟ على كل حال فإن المشابهة واضحة ويبدو أن التعديل حدث لكي يشابه الظروف التي قد تكون بسبب حرب سنحاريب.

وكاتب المزمور يتتبَّع أصل فساد البشرية من البداية وهو عدم طلبهم الله (١-٣) وهو يصف هذا الفساد بالنسبة لمعاملة شعب الله بالقوَّة والقسوة، وكيف صنع معهم يهوه آية عنايته (٤و٥). وينتهي المزمور بصلاة أنه سيُبهج قلب إسرائيل بخلاص كامل (٦).

وعلى العموم يُظن أن صاحب المزمور يصف الفجور والفساد في جيله وفي بلده، ولكن على الأقل الأعداد (١-٣) هي عامة عند كل البشر. ووصفه يشبه النموذج القديم جدًّا في العالم سابقاً في أيام الفيضان وفي بابل وسدوم، وفي هذه النسخة على كل حال فإن كلمة "شعبي" في عدد (٤) يلزم أن يكون "إسرائيل" الشعب المختار من الله. على أن فاعلي الإثم والفساد هم الغازون الغرباء وليس إسرائيل (٥). وفي التعليق على مزمور (١٤) كان العددان (٤و٥) يعودان على الضيق الذي عانته إسرائيل في مصر والخلاص في البحر الأحمر، وقد تحوَّرت هنا لتشير إلى غزو يهوذا بواسطة أشور وتحطيم سنحاريب الإعجازي.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٣]:

فجور البشرية العام وسببه.

١ - «قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: "لَيْسَ إِلهٌ". فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً»:

«الجاهل»:

طبقة من الناس وليس فرد محدَّد بالذات. والكلمة أصلاً "نابال" وهي للفساد الأخلاقي وليس مجرَّد جهالة. والجهالة هي عكس الحكمة، ويمكن وصفها بنسيان الله أو بوقاحة مقاومة الله. انظر: (تث ٣٢:٦):

+ «ألرَّبَّ تكافئون بهذا يا شعباً غبيًّا (نابال) غير حكيم. أليس هو أباك ومقتنيك. هو عملك وأنشأك».

وأيضاً: (أي ٢:١٠):

+ «فقال لها تتكلَّمين كلاماً كإحدى الجاهلات. ألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل. في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه».

وأيضاً: (أي ٤٢:٨):

+ «واذهبوا إلى عبدي أيوب وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدي أيوب يُصلِّي من أجلكم، لأني أرفع وجهه لئلاَّ أصنع معكم حسب حماقتكم، لأنكم لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدي أيوب».

وأيضاً: (مز ٧٤: ١٨و٢٢):

+ «اذكر هذا أن العدو قد عيَّر الرب وشعباً جاهلاً قد أهان اسمك».

+ «قم يا الله. أقم دعواك. اذكر تعيير الجاهل إيَّاك اليوم كله».

ولوصف الجاهل في جهله. انظر: (إش ٣٢: ٥و٦):

+ «ولا يُدعى اللئيم (نابال) بعد كريماً ولا الماكر يُقال له نبيل. لأن اللئيم يتكلَّم باللؤم وقلبه

يعمل إثماً ليصنع نفاقاً ويتكلَّم على الرب بافتراء».

«قال ... في قلبه: ليس إله»:

انظر: (مز ١٠: ١١و١٣):

+ «قال في قلبه إن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد».

+ «لماذا أهان الشرير الله. لماذا قال في قلبه لا تطالب».

«ليس إله»:

انظر: (مز ١٠:٤):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».

هذه مقولة يقولها الشرير من واقع حياته وأعماله وليس مجرَّد فكر، فهو ينكر قضاء الله وسلطانه. انظر: (مز ٧٣:١١):

+ «وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العليّ معرفة».

وأيضاً: (إر ٥:١٢):

+ «جحدوا الرب وقالوا ليس هو ولا يأتي علينا شر ولا نرى سيفاً ولا جوعاً».

وأيضاً: (صف ١:١٢):

+ «وأعاقب الرجال الجامدين على دُرْدِيِّهِم القائلين في قلوبهم إن الرب لا يُحسن ولا يُسيء».

وأيضاً: (رو ١:٢٨):

+ «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق».

«فسدوا ورجسوا رجاسة. ليس من يعمل صلاحاً»:

يلاحظ في المزمور أن الفاعل هنا هي البشرية عامة، تركوا الإيمان وأفسدوا طبيعتهم وعملوا المفاسد. وكلمة فسدوا تعني أنهم جرَّدوا أنفسهم من طبيعتهم الطيبة وحوَّلوها إلى ممارسات كريهة. هكذا كان في الحقيقة حال البشرية قبل الطوفان، انظر: (تك ٦: ١٢و١٣):

+ «ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض».

+ «فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم. فها أنا

مهلكهم مع الأرض».

وأيضاً: (رو ١: ١٨ و٢١ و٢٢ و٢٤ و٢٦):

+ «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم».

+ «لأنهم لمّا عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء».

+ «لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم».

+ «لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان ...».

٢ – «اللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟»:

انظر: (مز ٣٣: ١٣و١٤):

+ «من السموات نظر الرب. رأى جميع بني البشر. من مكان سكناه تطلّع إلى جميع سكان الأرض».

وأيضاً: (مز ٢:١٤):

+ «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله».

لاحظ هنا أن المزمور ٣٥ يستخدم كلمة "الله" لأنه يتعامل مع كل البشر، وليس الرب إله إسرائيل.

٣ – «كُلُّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا مَعاً، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ»:

هذا ما انتهى إليه صاحب المزمور من تقييم للبشرية في فكره.

"ارتدوا": انظر: (مز ١٨:٤٤):

+ «لم يرتد قلبنا إلى وراءٍ ولا مالت خطوتنا عن طريقك».

"فسدوا": انظر: (أي ١٦:١٥):

+ «فبالحري مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء».

[٤و٥]:

فساد البشرية في مقابل معاملة الله لشعبه وحمايته الممثّلة في خلاصهم.

٤ – «أَلَمْ يَعْلَمْ فَاعِلُو الإِثْمِ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ، وَاللهَ لَمْ يَدْعُوا؟»:

هنا المتكلّم هو الله نفسه. وهو يستنكر عدم علم الأمم كيف يفرّقون ما يرضي الله مما لا يرضيه، أو الظلمة من النور، أو الحق من الباطل. انظر: (مز ٥:٨٢):

+ «لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشّون. تتزعزع كل أُسس الأرض».

ولم يعلموا حتى بعدما حدث لجيش أشور الذي تعاهد لكي يأكلوا لحم شعبي وإذا بهم رمم ذات عظام بيضاء مطروحة على الأرض حول أُورشليم. هذا هو المضمون. انظر: (هو ٧:٩):

+ «جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل. النبي أحمق. إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد».

«الذين يأكلون شعبي»:

يلتهمونهم بالقتل والتعذيب ويفنونهم. وبعدها يأتي الجواب في الآية (٥) كيف صاروا رمماً وعظاماً بيضاء ملقاة، الذين حاصروا أُورشليم ليبتلعوها؟ كمن يأكل الخبز بلا اعتبار لله؟ انظر: (عد ٩:١٤):

+ «إنما لا تتمرّدوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلّهم والرب معنا. لا تخافوهم».

وأيضاً: (عد ٨:٢٤):

+ «يأكل أُمماً، مضايقيه، ويقضم عظامهم ويحطّم سهامه».

وأيضاً: (إش ٧:١):

+ «بلادكم خربة. مدنكم محرقة بالنار. أرضكم تأكلها غرباء ...».

وأيضاً: (إر ٢٥:١٠):

+ «اسكب غضبك على الأُمم التي لم تعرفك وعلى العشائر التي لم تدعُ باسمك. لأنهم أكلوا يعقوب. أكلوه وأفنوه وأخربوا مسكنه».

وأيضاً: (إر ١٦:٣٠):

+ «لذلك يؤكل كل آكليك ويذهب كل أعدائك قاطبة إلى السبي ويكون كل سالبيك سلباً ...».

وأيضاً: (حب ١٤:٣):

+ «... ابتهاجهم كما لأكل المسكين في الخفية».

وأيضاً: (مز ٧٩:٧):

+ «لأنهم قد أكلوا يعقوب وأخربوا مسكنه».

وأيضاً: (مي ٣:٣):

+ «والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم ...».

٥ - **«هُنَاكَ خَافُوا خَوْفاً، وَلَمْ يَكُنْ خَوْفٌ، لأَنَّ اللهَ قَدْ بَدَّدَ عِظَامَ مُحَاصِرِكَ. أَخْزَيْتَهُمْ لأَنَّ اللهَ قَدْ رَفَضَهُمْ»:**

ولكن مرَّة واحدة أخذهم الخوف الشديد. هؤلاء عاملو الإثم (جيش سنحاريب) الذين جاءوا ليأكلوا شعبي، أُمسكوا بقوة فائقة ودهاهم الخوف المريع مع أنه لم يكن ما يثير الخوف. انظر: (١صم ١٤:١٥):

+ «وكان ارتعاد في المحلة في الحقل وفي جميع الشعب. الصف والمخرِّبون ارتعدوا هم أيضاً ورجفت الأرض فكان ارتعاد عظيم».

وأيضاً: (٢مل ٧:٦):

+ «فإن الرب أسمع جيش الأراميين صوت مركبات وصوت خيل صوت جيش عظيم، فقالوا الواحد لأخيه هوذا ملك إسرائيل قد استأجر ضدَّنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا».

وأيضاً: (٢مل ١٩: ٧ و٣٥ و٣٦):

+ «هأنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف في أرضه» (سنحاريب).

+ «وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً (بالطاعون). ولمَّا بكَّروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة. فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً».

«لأن الله قد بدَّد عظام محاصرك»:

وقعت عظام جثث موتى سنحاريب حول أُورشليم في العراء والشمس حتى نصعَ بياضها لأنها لم

تُدفن، وهذه لم تكن هزيمة في حرب، ولكن عمل التاريخ بيد الرب الذي استرجعه المؤلِّف ليقوي عزيمة الشعب أيام الضيق.

«أخزيتهم»:

انظر: (٢مل ١٩: ٢٠-٢٨):

+ «فأرسل إشعياء بن آموص إلى حزقيا قائلاً: هكذا قال الرب إله إسرائيل الذي صلَّيت إليه من جهة سنحاريب ملك أشور. قد سمعتُ. هذا هو الكلام الذي تكلَّم به الرب عليه: احتقرتْكَ واستهزأتْ بكَ العذراء ابنة صهيون ... مَنْ عيَّرت وجدَّفت؟ وعلى مَنْ علَّيت صوتاً وقد رفعت إلى العلاء عينيكَ؟ على قدوس إسرائيل؟ على يد رُسلك عيَّرت السيد وقلت بكثرة مركباتي قد صعدت إلى علو الجبال ... ولكني عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك عليَّ ... أضع خزامتي في أنفك ولجامي في شفتيك وأردّك في الطريق الذي جئت فيه».

وكانت هذه الكارثة ردًّا على تجديفهم. انظر: (مز ٢: ٤و٥):

+ «الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلَّم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه».

٦ - **«لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ اللهِ سَبْيَ شَعْبِهِ، يَهْتِفُ يَعْقُوبُ، وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ»:**

صلاة من أجل رجعة كاملة لإسرائيل.

يرى بعض الشُّرَّاح أن هذه إضافة ليتورجية بعد زمان المزمور بكثير، ولكن وجودها في المزمورين ١٤و٥٣ يُثبت أصالتها وهي تكون نهاية مناسبة للمزمور. فلأول وهلة هذه الآية تعطي المزمور تاريخاً فيما بعد السبي.

ولكن بفحص كلمة "سبي شعبه" وجدت ليست سبي بابل بل مجرَّد عودة الشعب إلى سابق مجده، انظر: (أي ٤٢: ١٠):

+ «وردّ الرب (نفس الكلمة) **سبي أيوب** لمَّا صلَّى لأجل أصحابه وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً».

وأيضاً: (حز ١٦:٥٣):

+ «وأرجع سبيهنَّ سبي سدوم وبناتها وسبي السامرة وبناتها وسبي مسبييك في وسطها

(إسرائيل)».

وأيضاً: (صف ٢:٧):

+ «ويكون الساحل لبقية بيت يهوذا عليه يرعون. في بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأن الرب إلههم يتعهَّدهم ويرد سبيهم (أيام عزّهم)».

وأيضاً: (عا ٩:١٤):

+ «وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً ويشربون خمرها ويصنعون جنَّات ويأكلون أثمارها».

وأيضاً: (هو ٦:١١):

+ «وأنت أيضاً يا يهوذا قد أُعدَّ لك حصاد عندما أرد سبي شعبي».

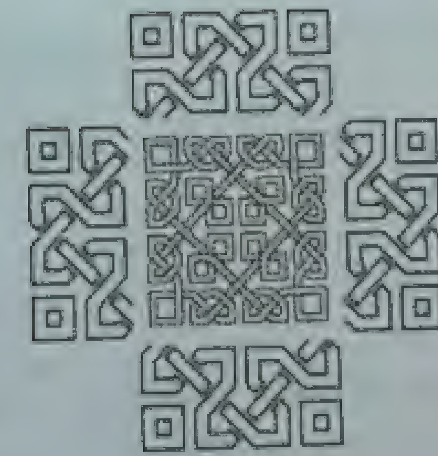
وهذه الآيات معظمها كان قبل زمان سبي بابل؟!

«يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل»:

انظر: (مز ١٣: ٥و٦):

+ «أمَّا أنا فعلى رحمتك توكَّلت. يبتهج قلبي بخلاصك».

+ «أغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ!».



المزمور الرابع والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «ذَوَاتِ الأَوْتَارِ». قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ
عِنْدَمَا أَتَى الزِّيفِيُّونَ وَقَالُوا لِشَاوُلَ: «أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئاً عِنْدَنَا؟».

١ - «اَللَّهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي، وَبِقُوَّتِكَ احْكُمْ لِي.
٢ - اسْمَعْ يَا اللهُ صَلاَتِي. اصْغَ إِلَى كَلاَمِ فَمِي.
٣ - لأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَعُتَاةً طَلَبُوا نَفْسِي لَمْ يَجْعَلُوا اللهَ أَمَامَهُمْ. سِلاَهْ.
٤ - هُوَذَا اللهُ مُعِينٌ لِي. الرَّبُّ بَيْنَ عَاضِدِي نَفْسِي.
٥ - يَرْجِعُ الشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي. بِحَقِّكَ أَفْنِهِمْ.
٦ - أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِباً. أَحْمَدُ اسْمَكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ صَالِحٌ.
٧ - لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيْقٍ نَجَّانِي، وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي».

دراسة:

هذا المزمور مكوَّن من قسمين يفصلهما "سلاه".

١ - صلاة من أجل المعونة في الضيقة من الأشرار الذين لا يهابون الله، من الأعداء (١-٣).

٢ - اعتراف بعدم الزعزعة في الثقة أن الله سوف يدافع وينتقم لصاحب المزمور، وعهد بالشكر من الخلاص المحفوظ له (٤-٧).

وعنوان المزمور يشير إلى زمن داود واضطهاد شاول له، عند انتباه داود وعلمه أن سكان حخيلة في أنانية بلا تعقل عزموا على تسليمه لشاول، فهرب برجاله إلى برية زيف مكان قرب حبرون، ولكن الزيفيين ذهبوا إلى شاول في جبعة وقالوا له أليس داود مختفياً معنا في مخابئ الغابة في تل حخيلة جنوب الصحراء؟ انظر: (١صم ٢٣: ١٩و٢٠):

+ «فصعد الزيفيون إلى شاول إلى جبعة قائلين أليس داود مختبئاً عندنا في حصون في الغاب في تلّ حخيلة التي إلى يمين القفر. فالآن حسب كل شهوة نفسك أيها الملك في النزول انزل وعلينا أن نُسلِّمه ليد الملك».

ونزل شاول يطلب داود الذي كان في مصيبة وشيكة أن يُحاط ويُمسك، فلمّا سمع شاول بغزو الفلسطينيين رجع من طريقه. وفي مناسبة أخرى قريبة كرَّر الزيفيون خيانتهم وكشفوا عن مخبأ داود. انظر: (١صم ٢٦: ١و٢):

+ «ثم جاء الزيفيون إلى شاول إلى جبعة قائلين أليس داود مختفياً في تل حخيلة الذي مقابل القفر. فقام شاول ونزل إلى برية زيف ومعه ثلاثة آلاف رجل منتخبي إسرائيل لكي يفتش على داود في برية زيف».

ولكن الكلمات عامة وليس فيها علامات لتحديد صاحبها. والمزمور يُستخدم في افتتاح صلاة الساعة السادسة في "الأجبية" وفي الكنيسة الغربية يستخدمونه في صلوات الجمعة الحزينة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «اَللّهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي، وَبِقُوَّتِكَ احْكُمْ لِي.

٢ - اسْمَعْ يَا اللهُ صَلاَتِي. اصْغَ إِلَى كَلاَمِ فَمِي»:

«باسمك»:

اسم الله هو استعلان لشخص الله ومجموع كل صفاته. فصاحب المزمور يلتجيء إليه لأن الله قال إنه يُسر بخلاص الذين يضعون ثقتهم فيه! انظر: (مز ٥: ١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلّلهم. ويبتهج بكَ محبو اسمك».

«احكم لي»:

أي امنحني عدلك. فهو واثق من صلاح الله ومن صلاح قضيته وهو واثق أنه إذا حوكم بالعدل فهو حتماً سيخلص. انظر: (١صم ٢٤: ١٥):

+ «فيكون الرب الديان ويقضي بيني وبينك ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك (داود لشاول)».

وأيضاً: (مز ٧: ٨):

+ «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقي ومثل كمالي الذي فيَّ».

وأيضاً: (مز ٩: ٤):

+ «لأنك أقمت حقي ودعواي. جلست على الكرسي قاضياً عادلاً».

وأيضاً: (مز ٢٦: ١):

+ «اقضِ لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكّلت بلا تقلقل».

وأيضاً: (مز ٣٥: ٢٤):

+ «اقضِ لي حسب عدلك يا رب إلهي فلا يشمتوا بي».

وأيضاً: (مز ٤٣: ١):

+ «اقضِ لي يا الله وخاصم مخاصمتي مع أُمة غير راحمة ومن إنسان غش وظلم نجّني».

«بقوتك»:

لأن الله ليس فقط يريد بل بقوة يخلّص خادمه، فهو القوي الذي يخلّص. انظر: (صف ٣: ١٧):

+ «الرب إلهك في وسطكِ جبَّار. يخلّص. يبتهج بكِ فرحاً. يسكت في محبته. يبتهج بكِ بترنّم».

٣ - «لأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَعُتَاةً طَلَبُوا نَفْسِي. لَمْ يَجْعَلُوا اللهَ أَمَامَهُمْ. سِلاَهْ»:

هذا العدد يكرَّر حرفياً في مزمور (٨٦: ١٤) الذي يكاد يكون موزاييك مكوَّناً من قطع من المزامير مع اختلافات تأتي جزافاً أو عمداً. ويلاحظ أن كلمة Zarim تعني غرباء، Zedim تعني متكبِّر. ودائماً يتشابهان بسبب تشابه حرف الدال والراء. وقد وجدنا أن بعض المخطوطات العبرية والترجوم تقرأ Zedim أي متكبِّر، ولكن الماسورية والنسخة السبعينية تؤيد المكتوب هنا.

«وعتاة طلبوا نفسي»:

انظر: (١صم ٢٣: ١٥):

+ «فرأى داود أن شاول قد خرج يطلب نفسه. وكان داود في برية زيف».

ويُلاحظ أن شعب إسرائيل يُقال له أيضاً أنه "شعب قوي" لذلك فالعنوان يخطئ إن كان يقصد الغرباء. انظر: (إش ٢٥: ٣):

+ «لذلك يكرمك شعب قوي وتخاف منك قرية أُمم عتاة».

ولكن تستخدم أيضاً بمعنى أشخاص عنفاء أو مرعبين، انظر: (أي ٦: ٢٣):

+ «أو نجّوني من يد الخصم أو من يد العتاة افدوني».

وأيضاً: (إر ٢١:١٥):

+ «فأنقذك من يد الأشرار وأفديك من كف العتاة».

«لم يجعلوا الله أمامهم»:

لم يحسبوا إرادة الله، ولا يخافون من حكمه. انظر: (مز ٤:١٠):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».

وأيضاً: (مز ١:٣٦):

+ «نأمة معصية الشرير في داخل قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه».

والمعروف أن أمانة الزيفيين لشاول استلزمت منهم أن يسلِّموا داود ليده، ولكن هذا يُحسبون أنهم يحاربون ضد الله إذ يجعلون أنفسهم أداة نقمة شاول من مسيح الرب. لأنه كان معروفاً للجميع أن داود سيصير ملكاً على إسرائيل.

[٤-٧]:

توقُّع واثق من الخلاص وعهد للشكر.

٤ - **«هُوَذَا اللهُ مُعِينٌ لِي. الرَّبُّ بَيْنَ عَاضِدِي نَفْسِي»**:

هذا تأكَّد منه من سابق خبرته مع الله، هذا جعله بسهولة أن يقول: "الرب معين لي".

والله فعلاً في صفِّه، لذلك فالجملة ليس مشكوكاً فيها. والمعنى ليس أن الله وسط الذين يعضدونه بل عاضد ولكن على أعلى مستوى. انظر: (مز ٧:١١٨):

+ «الرب لي بين معينيَّ وأنا سأرى بأعدائي».

وأيضاً: (مز ٥:٣):

+ «أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني».

وأيضاً: (مز ١٢:٥١):

+ «رُدَّ لي بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدني».

٥ - **«يَرْجِعُ الشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي. بِحَقِّكَ أَفْنِهِمْ»**:

يود ويطلب ويتمنى أن الله يجعل الشر الذي يبثونه له أن يرتد عليهم، أو ببساطة أن يعود الشر

من حيث أتى. انظر: (مز ١٦:٧):

+ «يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه».

«أعدائي»:

جاءت هنا كلمة نادرة غير كلمة أعداء المألوفة، ونجدها فقط في (مز ٨:٥) وفي (مز ١١:٢٧):

+ «علمني يا رب طريقك، واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي».

وأيضاً: (مز ٢:٥٦):

+ «تهمَّمني أعدائي اليوم كله لأن كثيرين يقاومونني بكبرياء».

وأيضاً: (مز ١٠:٥٩):

+ «إلهي رحمته تتقدَّمني. الله يريني بأعدائي».

هي تعني الذين يترصَّدون لي كما يكمن الوحش لفريسته، انظر: (هو ٧:١٣):

+ «فأكون لهم كأسد. أرصد على الطريق كنمر».

«بحقِّك أفنهم»:

لأنك لا تتنكَّر لوعدك أن تخلِّصني!

٦ - **«أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِباً. أَحْمَدُ اسْمَكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ صَالِحٌ»**:

منتدباً يعني بحرِّيَتي أو حرية إرادتي. انظر: (عد ٣:١٥):

+ «وعملتم وقوداً للرب محرقة أو ذبيحة وفاء لنذر أو **نافلة** (بحريتكم) أو في أعيادكم».

حيث جاءت هنا كلمة نافلة بمعنى بدون أن تكون فريضة أي بحرية إرادتكم.

«أحمد اسمك»:

انظر: (مز ٩:٥٢):

+ «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت وأنتظر اسمك فإنه صالح قدَّام أتقيائك»!

«يا ربُّ»:

تأتي هنا كلمة «يا رب» بعكس نظام الكتاب الثاني للمزامير حيث لا يذكر يهوه بل الله.

٧ - «**لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ نَجَّانِي، وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي**»:

والفاعل هنا اسم الرب الصالح. انظر: (لا ٢٤: ١١):

+ «فجدَّف ابن الإسرائيلية على الاسم وسبَّ».

وأيضاً: (إش ٣٠: ٢٧):

+ «هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة».

وهنا يتكلَّم صاحب المزمور بالماضي كمنتهى الثقة في القبول: «لأنك فعلت» (مز ٥٢: ٩).

«**وبأعدائي رأت عيني**»:

انظر: (مز ٣٧: ٣٤):

+ «انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنتظر».

وأيضاً: (مز ٥٢: ٦):

+ «فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون».

وأيضاً: (مز ٥٩: ١٠):

+ «إلهي رحمته تتقدَّمني. الله يريني بأعدائي».

وأيضاً: (مز ٩٢: ١١):

+ «وتبصر عيني بمراقبي. وبالقائمين عليَّ بالشر تسمع أذناي».

وأيضاً: (مز ١١٢: ٨):

+ «قلبه ممكَّن فلا يخاف حتى يرى بمضايقيه».

وأيضاً: (مز ١١٨: ٧):

+ «الرب لي بين معيني وأنا سأرى بأعدائي».

هذه الفرحة بسقوط الأعداء مرفوضة جدًّا في العهد الجديد.

المزمور الخامس والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "ذَوَاتِ الأَوْتَارِ" قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ

١- «اِصْغَ يَا اللهُ إِلَى صَلاَتِي، وَلاَ تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي.

٢- اسْتَمِعْ لِي وَاسْتَجِبْ لِي. أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ

٣- مِنْ صَوْتِ الْعَدُوِّ، مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ الشِّرِّيرِ. لأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ إِثْماً، وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي.

٤- يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي، وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ.

٥- خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ.

٦- فَقُلْتُ: "لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَالْحَمَامَةِ، فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ!

٧- هَأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً، وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ.

٨- كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَمِنَ النَّوْءِ".

٩- أَهْلِكْ يَا رَبُّ، فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْماً وَخِصَاماً فِي الْمَدِينَةِ.

١٠- نَهَاراً وَلَيْلاً يُحِيطُونَ بِهَا عَلَى أَسْوَارِهَا، وَإِثْمٌ وَمَشَقَّةٌ فِي وَسَطِهَا.

١١- مَفَاسِدُ فِي وَسَطِهَا، وَلاَ يَبْرَحُ مِنْ سَاحَتِهَا ظُلْمٌ وَغِشٌّ.

١٢- لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ.

١٣- بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي،

١٤- الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ.

١٥- لِيَبْغَتْهُمُ الْمَوْتُ. لِيَنْحَدِرُوا إِلَى الْهَاوِيَةِ أَحْيَاءً، لأَنَّ فِي مَسَاكِنِهِمْ، فِي وَسْطِهِمْ شُرُوراً.

١٦- أَمَّا أَنَا فَإِلَى اللهِ أَصْرُخُ، وَالرَّبُّ يُخَلِّصُنِي.

١٧- مَسَاءً وَصَبَاحاً وَظُهْراً أَشْكُو وَأَنُوحُ، فَيَسْمَعُ صَوْتِي.

١٨- فَدَى بِسَلاَمٍ نَفْسِي مِنْ قِتَالٍ عَلَيَّ، لأَنَّهُمْ بِكَثْرَةٍ كَانُوا حَوْلِي.

١٩- يَسْمَعُ اللهُ فَيُذِلُّهُمْ، وَالْجَالِسُ مُنْذُ الْقِدَمِ. سِلاَهْ. الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَغَيُّرٌ، وَلاَ يَخَافُونَ اللهَ.

٢٠- أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَى مُسَالِمِيهِ. نَقَضَ عَهْدَهُ.

٢١- أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ، وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ.

٢٢- أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لاَ يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ.

٢٣- وَأَنْتَ يَا اللهُ تُحَدِّرُهُمْ إِلَى جُبِّ الْهَلاَكِ. رِجَالُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ لاَ يَنْصُفُونَ أَيَّامَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ».

«دراسة»:

يأس، حزن، سخط، إيمان، وجدت اصطلاحاتها بالتتابع في هذا التسجيل العاطفي الذي في الاضطهاد، بمرارة الخيانة لصديق قريب. وهذا المزمور يقابل مزمور (٤١) وينبغي مقارنتهما. والعنوان يحيله إلى داود ومناسبته كما يُظن هي ثورة أبشالوم وخيانة أخيتوفل. الذي في نسخة الترجوم يذكره هنا في المزمور بالاسم في العدد (١٣). ومعظم المزمور هو على قياس ظروف داود كتعبير عن شعوره في المحنة المرَّة. ولكن بالتحليل الدقيق يصبح من الصعب بل من المستحيل أن نتصوَّر أن هذا المزمور قد كتبه داود، فلا يوجد أي أثر ينبِّئ بأنه ملك وسلطانه مهدَّد، وهل داود يصف أخيتوفل بأنه إنسان عديله؟ والمزمور يوضِّح أن قائله لا يزال في المدينة ولا يستطيع الهروب منها (٩-١٠) وهو يعيش في وسط أعدائه وعداوتهم مكشوفة ولا تُخفى! فبالنسبة لداود فإنه بعد هروبه من المدينة أُخبر بأن أخيتوفل يدبر خيانة! وقد كان في حبرون وليس في أُورشليم حينما قامت ثورة أبشالوم وأعوان داود كانوا أقوياء بما فيه الكفاية، ولم يُعمل أي عمل إلاَّ بعد وصول أبشالوم وما أُعدّ للثورة كان كله في الخفية. وحينما صمَّم داود على الهرب لم يجد أي صعوبة! وبالرغم من أن حكومة داود كانت مسترخية وغير كاملة فمن الصعب أن يُقال إن أُورشليم كانت بهذا الوصف الذي يصفه المزمور.

وأيضاً من الصعب أن نعتقد أن داود قد استخدم هذه الألفاظ التي جاءت في هذا المزمور من جهة الحالة العامة للشعب والمدينة التي كان مسئولاً عنها.

وبهذه النتيجة يلزم أن نبقى مقتنعين أنه من المستحيل أن نقرر بتأكيد بواسطة من ولا في أي زمان كُتب هذا المزمور.

ولكن يُلاحَظ أنه من ضمن المخطوطات قد وُجِدَت لجيروم مخطوطة لهذا المزمور بعنوان: [صوت المسيح ضد رؤساء اليهود والخائن يهوذا]. ولكن هذا المزمور ليس بأكثر من مزمور (٤١) نبوَّة عن خيانة يهوذا.

ولكن حياة ابن الإنسان تعطي فرصة لفهم وتصديق كل خيانة للأصدقاء لأنه جاء ليكشف هذه

الأعماق الخبيثة المستترة. وكل عمل الصديقين في كل الأجيال السالفة إنما "يكمل" في المسيح!!

والمزمور يقع في ثلاثة أجزاء متساوية: في **الأول** اليأس **والثاني** السخط **والثالث** الثقة. وهناك وقفات صغيرة بين الأجزاء الكبيرة من المزمور.

١ - يبدأ المزمور بصلاة عاجلة أن يسمعه الله في حزنه وضيقته (١-٣) ويصف طبيعتها وتأثيرها عليه (٣-٥) وبلغة عاطفية جميلة يصف شوقه للهروب في مكان بعيد هادئ (٦-٨).

٢ - فجأة تتغيَّر لغته ففي سخط شديد يدعو بإحباط مخططات أعدائه ويصف الإثم المتفشِّي في المدينة (٩-١١). والذي يجعل عداوتهم غير محتملة أن قائد الحملة كان صديقاً حميماً (١٢-١٤)، وليتهم يأخذون نصيبهم الذي يستحقونه (١٥).

٣ - في نغمة هادئة يصف ثقته أن الله سيخلِّصه (١٦-١٨) ويحاكم الأعداء (١٩)، وأثناء ما يصفهم يعود ذهنه إلى الخائن، الأصل في المصيبة (٢٠و٢١). وفي ارتباكه يؤكِّد لنفسه الفارق بين عناية الله بالأبرار ومحاكمته للأشرار (٢٢و٢٣).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-٣ أ]:

استعطاف صاحب المزمور الله ليسمع لحزنه.

١ - «اِصْغَ يَا اللهُ إِلَى صَلاَتِي، وَلاَ تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي»:

انظر: (مز ٥٤:٢):

+ «اسمع يا الله صلاتي اصغَ إلى كلام فمي».

٢ - «اسْتَمِعْ لِي وَاسْتَجِبْ لِي. أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ.

٣ أ - مِنْ صَوْتِ الْعَدُوِّ، مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ الشِّرِّيرِ»:

[٣ ب - ٥]:

يصف طبيعة الاضطهاد والملاحقة التي يتألَّم منها وأثرها على نفسه.

٣ ب – «لأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ إِثْماً، وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي»:

«لأنهم يحيلون عليَّ إثمًا»:

لا يتهمونني بجرائم أنا منها بريء ولكنهم يزيحون عليَّ شروراً وشكوكاً كما يلقي الأعداء حجارة على معاديهم. انظر: (مز ١٤٠:١٠):

+ «ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا».

وأيضاً: (مز ٢١:١١):

+ «لأنهم نصبوا عليكَ شراً. تفكَّروا بمكيدة. لم يستطيعوها».

وأيضاً: (٢صم ١٥:١٤):

+ «فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أُورشليم قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم. أسرعوا للذهاب لئلاً يُبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف».

٤ – «يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي، وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ»:

أهوال كأنها الموت. أم المخاوف.

٥ – «خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ»:

انظر: (حز ٧:١٨):

+ «ويتنطَّقون بالمسح ويغشاهم رعب وعلى جميع الوجوه خزي».

وأيضاً: (أي ٢١:٦):

+ «عندما أتذكَّر أرتاع وأَخَذَتْ بَشَرِي رعدةٌ».

وأيضاً: (إش ٢١:٤):

+ «تاه قلبي. بغتني رعب. ليلة لذَّتي جعلها لي رعدة».

[٦–٨]:

يود لو يذهب إلى ملجأ فريد. انظر: (إر ٩:٢):

+ «يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين».

٦ – «فَقُلْتُ: لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَالْحَمَامَةِ، فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ!»:

سأم حياته في المدينة القاسية وتمنى لو يطير بجناحين كالحمامة التي تلتجئ إلى محاجئ الصخور وتختفي (نش ٢:١٤):

+ «يا حمامتي في محاجئ الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك أسمعيني صوتك ...».

واختار الحمامة لأنها تشبه براءته وضعفه! وهذا المزمور يُقال في طقس رسامة الرهبان.

٧ – «هَأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً، وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ»:

سلاه. هنا وفي عدد (١٩) في غير موضعها.

٨ – «كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَمِنَ النَّوْءِ»:

كل هذه أوصاف حال المدينة من الداخل.

[٩–١٥]:

هنا يفتتح الآيات بصخب من سخطه.

(٩–١١): يصلِّي من أجل خطط أعدائه ويصف حال المدينة السيء.

٩ – «أَهْلِكْ يَا رَبُّ، فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْماً وَخِصَاماً فِي الْمَدِينَةِ»:

حرفياً: "ابتلعهم يا رب" كما ابتلعت الأرض قورح. ابتلعهم. وواضح أن لسانهم لا يكف عن النم عليه، فهو يودّ لو تتفرَّق ألسنتهم كما حدث في برج بابل. انظر: (تك ١١:٩):

+ «لذلك دُعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بدَّدهم ...».

١٠ – «نَهَاراً وَلَيْلاً يُحِيطُونَ بِهَا عَلَى أَسْوَارِهَا، وَإِثْمٌ وَمَشَقَّةٌ فِي وَسَطِهَا.

١١ – مَفَاسِدُ فِي وَسَطِهَا، وَلاَ يَبْرَحُ مِنْ سَاحَتِهَا ظُلْمٌ وَغِشٌّ»:

عوض العدل والقضاء العادل سار الظلم والغش يتمخطر وسط المدينة، دون من يردع أو يُخيف وكل المدينة تحت رحمتهم، انظر: (مز ١٠:٧):

+ «فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقة وإثم».

(١٢–١٤): أكثر الأعداء همَّاً على داود هو مَنْ كان سابقاً عديله، رجل رفقته، الذي كان يسير

معه إلى بيت الرب وله يعزو كل لغة السخط والضيق والحيرة التي في قلب صاحب المزمور.

١٢ - «**لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ**»:

ويظهر أنه قائد هذه المصيبة. انظر: (مز ٤١: ٩):

+ «أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليَّ عقبه».

وأيضاً: (مز ٣٥:٢٦):

+ «ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل **المتعظّمون عليَّ**».

١٣ - «**بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي**»:

انظر: (أم ١٦:٢٨):

+ «رجل الأكاذيب يطلق الخصومة والنمّام يفرِّق الأصدقاء».

وأيضاً: (مي ٧:٥):

+ «لا تأتمنوا صاحباً لا تثقوا بصديق. احفظ أبواب فمك عن المضطجعة في حضنك».

وأيضاً: (إر ٩:٤):

+ «احترزوا كل واحد من صاحبه وعلى كل أخ لا تتكلوا لأن كل أخ يعقب عقباً وكل صاحب يسعى في الوشاية».

١٤ - «**الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ**»:

صداقة تحت رعاية بيت الله والصلاة والجماعة، عبادة معاً وعشرة معاً.

١٥ - «**لِيَبْغَتْهُمُ الْمَوْتُ. لِيَنْحَدِرُوا إِلَى الْهَاوِيَةِ أَحْيَاءً، لأَنَّ فِي مَسَاكِنِهِمْ، فِي وَسْطِهِمْ شُرُوراً**»:

من الذاكرة الحزينة على ما فات من صداقة وعشرة ومحبة وصلاة إلى سخط جارف وغضب مريع. هنا يختفي هذا الفرد خلف الجماعة الظالمة المفترسة التي يطلب فناءها. ليت الموت يدهمهم دون أن يعوه، ليتهم ينزلون أحياء إلى الهاوية. هنا تشبيه لموت قورح وداثان وثورتهم على موسى. ليباغتهم الموت قبل أن يبلغوا نهايتهم. انظر: (مز ٣٥: ٨):

+ «لتأته التهلكة وهو لا يعلم. ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع».

وأيضاً: (مز ١٢٤:٣):

+ «إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا».

وأيضاً: (أم ١:١٢):

+ «لنبتلعهم أحياء كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب».

[١٦-٢٣]:

في هذا القسم من المزمور هبطت عاصفة السخط وعاد صاحب المزمور إلى ثقته بنفسه.

(١٦-١٨): تأكّد صاحب المزمور من سماع صلاته.

١٦ - «**أَمَّا أَنَا فَإِلَى اللهِ أَصْرُخُ، وَالرَّبُّ يُخَلِّصُنِي**»:

هنا يتّكل على يهوه صاحب الوعد والعهد.

١٧ - «**مَسَاءً وَصَبَاحاً وَظُهْراً أَشْكُو وَأَنُوحُ، فَيَسْمَعُ صَوْتِي**»:

اليوم العبري يبتدئ في المساء عند غروب الشمس ولكن ذكر الساعات هنا يتوقّع على مواعيد الصلاة مما يفيد أنه مستمر ومداوم على كل صلاة وهذه نادرة.

١٨ - «**فَدَى بِسَلاَمٍ نَفْسِي مِنْ قِتَالٍ عَلَيَّ، لأَنَّهُمْ بِكَثْرَةٍ كَانُوا حَوْلِي**»:

ويقصد أن الذين كانوا ضدّه كانوا كثرة ونجا من جميعهم.

١٩ - «**يَسْمَعُ اللهُ فَيُذِلُّهُمْ، وَالْجَالِسُ مُنْذُ الْقِدَمِ. سِلاَهْ. الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَغَيُّرٌ، وَلاَ يَخَافُونَ اللهَ**»:

«**يسمع الله فيذلهم، والجالس منذ القدم. سلاه**»:

الذي يجلس ملكاً وقاضياً على كرسيه منذ القدم. انظر: (تث ٣٣:١٥):

+ «ومن مفاخر الجبال القديمة ومن نفائس الآكام الأبدية».

وأيضاً: (مز ٩: ٧و٨):

+ «أمّا الرب فإلى الدهر يجلس. ثبّت للقضاء كرسيه».

+ «وهو يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة».

وأيضاً: (مز ٢٩:١٠):

+ «الرب بالطوفان جلس ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد».

وأيضاً: (مز ١٢:٧٤):
+ «والله ملكي منذ القدم فاعل الخلاص في وسط الأرض».

وأيضاً: (حب ١٢:١):
+ «ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي. لا نموت. يا رب للحكم جعلتها. ويا صخر للتأديب أسستها».

«الذين ليس لهم تغيُّر، ولا يخافون الله»:
وتعني أن الذين ينجحون ويثمرون ولا يتغيَّرون يدخلهم الغرور فلا يخافون الله. انظر: (مز ١٠: ٤-٦):
+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».
+ «تَثْبُتُ سبله في كل حين. عالية أحكامك فوقه. كل أعدائه ينفث فيهم».
+ «قال في قلبه لا أتزعزع. من دور إلى دور بلا سوء».

وأيضاً: (مز ٤:٧٣):
+ «لأنه ليست في موتهم شدائد وجسمهم سمين».

(٢٠و٢١): يعود مرَّة أخرى للخائن، مرَّة واحدة من جماعة أعدائه إلى العدو الوحيد.

٢٠ - «أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَى مُسَالِمِيهِ. نَقَضَ عَهْدَهُ»:
وهو الخائن. انظر: (١صم ٩:٢٦):
+ «فقال داود لأبيشاي لا تهلكه فمن الذي **يمد يده** إلى مسيح الرب ويتبرأ».

وأيضاً: (مز ٤:٧):
+ «إن كافأت **مسالمي** شرًّا وسلبت مضايقي بلا سبب».

وأيضاً: (مز ٩:٤١):
+ «أيضاً رجل **سلامتي** الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليَّ عقبه».

وأيضاً: (إر ١٠:٢٠):
+ «لأني سمعت مذمَّة من كثيرين. خوف من كل جانب. يقولون اشتكوا فنشتكي عليه. كل

أصحابي (مسالميَّ) يراقبون ظلعي قائلين لعلَّه يُطغَى فنقدر عليه وننتقم منه».

وأيضاً: (إر ٢٢:٣٨):
+ «قد خدعك وقدر عليك **مسالموك**. غاصت في الحمأة رجلاك وارتدتا إلى الوراء».

وأيضاً: (١صم ٣:١٨):
+ «وقطع يوناثان وداود **عهداً** لأنه أحبَّه كنفسه».

٢١ - «أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ، وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ»:
النعومة في العبرية هي الغش والرياء والتملق. انظر: (مز ٩:٥):
+ «لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوَّة. حلقهم قبر مفتوح (فمهم المتثائب)».

وأيضاً: (مز ٢:١٢):
+ «يتكلَّمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلَّمون».

«ألين من الزيت كلماته»:
الكلام المعزِّي ووراءه خديعة، والصوت الحلو الذي ينوي الذبح.

«وهي سيوف مسلولة»:
مستعدة بكلمة يقولها كمن يضرب السيف في القلب، يقتل الإنسان وهو حي.

(٢٢و٢٣): الخاتمة: يستحث نفسه وكل أحد في مثل هذه الورطة مؤكِّداً لنفسه ولهم أن الله سوف يقيم البار ويدين الشرير. وفي التسبيح الليتورجي لهذا المزمور يقول هذه الكلمات صوت آخر!

٢٢ - «أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لاَ يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ»:
انظر: (١بط ٧:٥):
+ «مُلقين كل همِّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم».

سواء هم الألم أو الاهتمام بالأمور، فهو يعينك ويسندك دون أن يرفع أو يلغي الحمل الذي قد أُلقي عليك، لأنه أفضل للإنسان أن الله يعينه على حمل همومه من أن يرفعها عنه. يرفعك فوقها فلا تسقط تحتها. انظر: (مز ٨:٢٢):
+ «اتكل على الرب فلينجِّه. لينقذه لأنه سُرَّ به».

وأيضاً: (مز ٣٧:٥):

+ «سلِّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري».

«لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد»:

انظر: (مز ١٠:٦):

+ «قال في قلبه لا أتزعزع. من دور إلى دور بلا سوء».

وأيضاً: (مز ١٣:٤):

+ «لئلاَّ يقول عدوِّي قد قويت عليه. لئلاً يهتف مضايقي بأني تزعزعت».

وأيضاً: (مز ٣٠:٦):

+ «وأنا قلت في طمأنينتي لا أتزعزع إلى الأبد».

٢٣ - «وَأَنْتَ يَا اللهُ تُحَدِّرُهُمْ إِلَى جُبِّ الْهَلاَكِ. رِجَالُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ لاَ يَنْصُفُونَ أَيَّامَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ»:

لا يزال يذكر الأعداء الذين ملأوا فكره فنهايتهم الحفرة بموت سابق لأوانه ينتظر سافكي الدماء والغشَّاشين. انظر: (مز ٣٧: ٣٥و٣٦):

+ «قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة. عبر فإذا هو ليس بموجود».

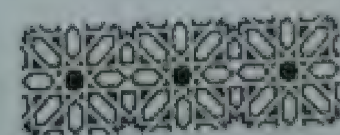
وأيضاً: (مز ١٠٩: ٨-١٠):

+ «لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر».

+ «ليكن بنوه أيتاماً وامرأته أرملة. لِيَتِهْ بنوه تيهاناً ويستعطوا. ويلتمسوا خبزاً من خربهم».

«أمَّا أنا فأتكل عليك»:

وهكذا تبقى الأرض مسرحاً للحياة: واحد يسقط وينحدر إلى الجحيم والآخر يرتفع إلى الله. وهكذا عمل الله وتمحيص الأخلاق وجزاؤها.



المزمور السادس والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "الْحَمَامَةِ الْبَكْمَاءِ بَيْنَ الْغُرَبَاءِ".
مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ فِي جَتَّ.

١- «ارْحَمْنِي يَا اللهُ لأَنَّ الإِنْسَانَ يَتَهَمَّمُنِي، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ مُحَارِباً يُضَايِقُنِي.
٢- تَهَمَّمَنِي أَعْدَائِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُقَاوِمُونَنِي بِكِبْرِيَاءَ.
٣- فِي يَوْمِ خَوْفِي، أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ.
٤- اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ؟
٥- الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ.
٦- يَجْتَمِعُونَ، يَخْتَفُونَ، يُلاَحِظُونَ خُطُوَاتِي عِنْدَمَا تَرَصَّدُوا نَفْسِي.
٧- عَلَى إِثْمِهِم جَازِهِمْ. بِغَضَبٍ أَخْضِعِ الشُّعُوبَ يَا اَللهُ.
٨- تَيَهَانِي رَاقَبْتَ. اجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟
٩- حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى الْوَرَاءِ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ فِيهِ. هذَا قَدْ عَلِمْتُهُ لأَنَّ اللهَ لِي.
١٠- اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. الرَّبُّ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ.
١١- عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الإِنْسَانُ؟
١٢- اَللّهُمَّ، عَلَيَّ نُذُورُكَ. أُوفِي ذَبَائِحَ شُكْرٍ لَكَ.
١٣- لأَنَّكَ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ. نَعَمْ، وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ، لِكَيْ أَسِيرَ قُدَّامَ اللهِ فِي نُورِ الأَحْيَاءِ».

دراسة:

الثقة بالله في وقت الخطر هي مفتاح هذا المزمور وما بعده، لأنهما متصلان ببعض للغاية. فالخطر وارد والخوف لا يمكن التخلُّص منه ولكن الإيمان ينتصر فوق الخوف.

روح المزمور مركَّز حول القرار الذي جاء مكرراً مرَّتين (٣و٤)، (١٠و١١).

هذا المزمور ومزمور (٣٤) متصلان معاً بالعنوان في نفس المدة أثناء حياة داود في أول زيارة له لجت. انظر: (١صم ٢١:١٠):

+ «وقام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش ملك جت».

فحينما ذهب إلى هناك كهارب (أو لاجيء) كانت هذه هي الفرصة التي تكلَّم أثناءها بهذا المزمور. ولمَّا وجد حياته أنها ليست في أمان في يهوذا، ذهب واتخذ أعداءه خباءة من شاول، وذهب إلى الفلسطينيين راجياً أن لا يكتشفوا أنه هو الذي ذبح بطلهم جليات يوماً من الأيام. ولكن شكوكهم تيقظت، وكان أن داود لمَّا أحسَّ بالخطر أمام الملك ادَّعى الجنون حتى يظهر عديم القيمة والخطر، ولم يرد في سفر صموئيل أن الفلسطينيين أدانوه، وبعدها هرب (١صم ٢٢:١) وهذا يكشف أنه كان سجيناً.

والعنوان يذكر: [على الحمامة البكماء بين الغرباء] وبالفحص بالأصل العبري شُرحت بأن الشعب لمَّا أُبعد من هيكله صار كالحمامة البكماء، ولمَّا رجعوا سبَّحوا رب العالم. وهذا التفسير جيد لأنه واضح منه أن المزمور قد استخدم ليتورجياً باسم الشعب، وكأن الشعب المتألِّم كان يتكلَّم بهذا المزمور! فاعتبر المزمور أنه من أفواه المتألمين المبعدين من الشعب. ولكن لم يكن هذا الشرح هو الأصل القديم، لأنه في الأصل اعتبر أنه اختبار شخصي، وهذا طبيعي منذ البدء ولكن الشعب في السبي قد غنَّى به. ولكن حادثة جت لا دخل لها في تأليف المزمور وغير مذكور منها شيء قط، إنما داود تغنَّى به في ضيقه.

والمزمور مكوَّن من وقفتين تنتهي كل واحدة منها بقرار: (١-٤)، (٨-١١) وينتهي بالشكر (١٢و١٣). وفي كل وقفة صلوات من أجل المعونة ضد الأعداء مع وصف عداوتهم مع تعبيرات للثقة بالله ليقويه ويثبته. أمَّا العنوان فقد وضع بعد ذلك وفقاً للموسيقى المصاحبة عبارة: "على الحمامة البكماء"، بالنسبة لداود، والتي تعني الصامت في آلامه وغربته، ولكن تركت من الشرح الآن ولا يُعتد بها.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٤]: بالرغم من قوة أعدائه فهو واثق بالله الذي ولابد أن يكون صادقاً في وعده.

١ - **«ارْحَمْنِي يَا اللهُ لأَنَّ الإِنْسَانَ يَتَهَمَّمُنِي، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ مُحَارِباً يُضَايِقُنِي»**:

"ارحمني" بمعنى كن ذا إحسان لي: أحسن إليَّ. انظر: (مز ٥١:١):

+ «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امح معاصيَّ». وأيضاً: (مز ٥٧:١):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بكَ احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».

«لأن الإنسان يتهمَّمني»:

بمعنى يهينني ويريد أن يبتلعني مثل وحش يفترس. والترجمات القديمة مثل السبعينية تترجمها: "لأن الإنسان يدوسني أو يسحقني". انظر: (مز ٥٧:٣):

+ «يرسل من السماء ويخلِّصني. عيَّر الذي يتهمَّمني (يدوسني). سلاه».

"الإنسان": تعني الإنسان المحدود في مقابل الله. انظر: (مز ٩:١٩):

+ «قم يا رب. لا يعتز **الإنسان**. لتحاكم الأُمم قدَّامك». وأيضاً: (مز ١٠:١٨):

+ «لحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود أيضاً يرعبهم **إنسان** من الأرض».

وهل يسمح الله أن يجعل إنساناً يتعالى ويغلب إرادته؟

«محارباً يضايقني»:

انظر: (مز ٤٢:٩):

+ «أقول لله صخرتي لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو».

«اليوم كله»:

اصطلاح يختص بهذا المزمور (٢و٥).

٢ - **«تَهَمَّمَنِي أَعْدَائِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُقَاوِمُونَنِي بِكِبْرِيَاءَ»**:

يدوسونني ويسحقونني بكبريائهم. انظر: (مز ٥٤:٥):

+ «يرجع الشر على أعدائي. بحقِّك أفنِهم».

«يقاومونني بكبرياء»:

وتعني يقاومونني بيد عالية. انظر: (مز ٧٨:٨):

+ «ولا يكونون مثل آبائهم جيلاً زائغاً ومارداً. جيلاً لم يثبت قلبه ولم تكن روحه أمينة لله».

وصاحب المزمور يصلِّي لكي يرتفع الله على كبريائهم.

٣ - **«فِي يَوْمِ خَوْفِي، أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ»**:

تغرُّب داود في جت كان الفرصة الوحيدة التي جعلته يخاف. انظر: (١صم ٢١:١٢):

+ «فوضع داود هذا الكلام في قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جت».

«أنا عليك أتكل»:

هم يتّكلون على قوتهم وأمّا أنا فأتكل على الرب، هذه مقولة داود منذ كان صبياً، وكل يوم من المحنة يمر عليه كان تلمذة جديدة للإيمان بوجود الله وعمله. ولقوة الله ونعمته بحسب وعده. انظر: (مز ١٣٠: ٥و٦):

+ «انتظرتك يا رب، انتظرت نفسي وبكلامه رجوت».

+ «نفسي تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح. أكثر من المراقبين الصبح»!

٤ - «اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ؟»:

بقوة الله ونعمته سأستطيع أن أُسبِّح وأشكر كلمات وعده. انظر: (مز ٤٤: ٨):

+ «بالله نفتخر اليوم كله واسمك نحمد إلى الدهر».

«على الله توكَّلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي البشر»:

البشر = اللحم = (١١) تعني الإنسان بالمفهوم المادي كتراب وإلى التراب يعود بالنسبة لله الأبدي والعالي. انظر: (مز ٧٨: ٣٩):

+ «ذكر أنهم بشر. ريح تذهب ولا تعود»! وأيضاً: (تك ٦: ٣):

+ «فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان (لا تسكن في الإنسان) إلى الأبد لزيغانه، هو بشر، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة»! وأيضاً: (إش ٤٠: ٥-٧):

+ «فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلَّم».

+ «صوت قائل ناد. فقال بماذا أُنادي. كل جسد (بشر) عشب وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقــاً الشعب عشب»! وأيضاً: (إر ١٧: ٥):

+ «هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه».

[عدد ٥-١١]: القسم الثاني من المزمور مشابه للقسم الأول: وصف للمحنة الحاضرة وصلاة للمعونة بعدها ثقة في حماية الله.

٥ - «الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ»:

من علو إيمانه السابق يعود للحقيقة الماثلة، للحزن الحاضر أمامه. انظر: (مز ٤٢: ٦):

+ «يا إلهي نفسي منحنية فيَّ. لذلك أذكرك من أرض الأُردن وجبال حرمون من جبل مصعر».

أعداؤه يسمِّمون عقل شاول بتحريف كلام داود ليصير كأنه مهاجمة وافتراء وشتيمة لشاول: انظر: (١صم ٢٤: ٩):

+ «وقال داود لشاول لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيَّتك». وأيضاً: (مز ٧: ٣):

+ «يا رب إلهي إن كنت قد فعلت هذا إن وُجِد ظلم في يديَّ»!

«كل أفكارهم بالشر»:

انظر: (مز ٤١: ٧):

+ «كل مبغضيَّ يتناجون معاً عليَّ. عليَّ تفكَّروا بأذيتي».

٦ - «يَجْتَمِعُونَ، يَخْتَفُونَ، يُلاَحِظُونَ خُطُوَاتِي عِنْدَمَا تَرَصَّدُوا نَفْسِي»:

انظر: (مز ٥٩: ٣):

+ «لأنهم يكمنون لنفسي. الأقوياء يجتمعون عليَّ لا لإثمي ولا لخطيتي يا رب». وأيضاً: (١صم ٢٣: ٢٢و٢٣):

+ «فاذهبوا أكِّدوا أيضاً واعلموا وانظروا مكانه حيث تكون رجله ومن رآه هناك لأنه قيل لي إنه مكراً يمكر! فانظروا واعلموا جميع المختبآت التي يختبئ فيها ثمَّ ارجعوا إليَّ».

«عندما ترصدوا نفسي»:

كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة ليقتلوه. انظر: (مز ١١٩: ٩٥):

+ «إياي انتظر الأشرار ليهلكوني. بشهاداتك أفطن».

٧ - «عَلَى إِثْمِهِمْ جَازِهِمْ. بِغَضَبٍ أَخْضِعِ الشُّعُوبَ يَا اَللهُ»:

جاءت في الأصل العبري: «هل ينجون بإثمهم؟» انظر: (إش ٢٨: ١٥):

+ «لأنكم قلتم قد عقدنا عهداً مع الموت وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية». وأيضاً: (مز ٥٨: ٢):

+ «بل بالقلب تعملون شروراً في الأرض ظلم أيديكم تزنون».

جازهم بغضب: انظر: (مز ٥٥:٢٣):

+ «وأنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم». وأيضاً (إش ٦٣:٦):

+ «فدست شعوباً بغضبي وأسكرتهم بغيظي وأجريت على الأرض عصيرهم».

٨ - «**تَيَهَانِي رَاقَبْتَ. اجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟**»:

أنت أدرى بحال وأيام هروبي عندما أُخرجت من بيتي كتائه ومتشرِّد. انظر: (أي ٣١:٤):

+ «أليس هو ينظر طرقي ويحصي جميع خطواتي». وأيضاً: (مت ١٠:٣٠):

+ «وأمَّا أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة».

«**اجعل أنت دموعي في زقك**»:

الله يرى ويحس ويجمع دموع أحزاننا في زق كأنها ثمينة.

ولا توجد مراجع في المزامير وغيرها عن تخزين الدموع في آنية (عن العالِم: كيرك باتريك).

«**أما هي في سفرك؟**»:

انظر: (مل ٣:١٦):

+ «حينئذ كلَّم متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه». وأيضاً: (خر ٣٢:٣٢):

+ «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت». وأيضاً: (مز ١٣٩:١٦):

+ «رأت عيناك أعضائي وفي سفرك كلها كتبت يوم تصوَّرت إذ لم يكن واحد منها».

٩ - «**حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى الْوَرَاءِ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ فِيهِ. هذَا قَدْ عَلِمْتُهُ لأَنَّ اللهَ لِي**»:

إن تأكيد صاحب المزمور أن الله معه هو أساس ثقته أن الأعداء سوف يهربون. انظر: (مز ٩:٣):

+ «عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدَّام وجهك». وأيضاً: (مز ١١٨:٦):

+ «الرب لي فلا أخاف ماذا يصنع بي الإنسان».

١٠ - «**اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. الرَّبُّ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ**

١١ - **عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الإِنْسَانُ؟**»:

"**أفتخر بكلامه**" انظر: (أم ١٣:١٣):

+ «من ازدرى بالكلمة يخرب نفسه ومن خشي الوصية يُكافأ».

وهنا تأتي كلمة الله مع الرب: يهوه! للتأكيد. فبدل يهوه في العهد يأتي أيضاً الله للكل. انظر: (مز ٥٥:١٦):

+ «أمَّا أنا فإلى **الله** أصرخ **والرب** يخلِّصني». وأيضاً: (مز ٥٨:٦):

+ «اللهم كسر أسنانهم في أفواههم. اهشم أضراس الأشبال يا رب».

[عدد ١٢و١٣]: الختام والشكر.

١٢ - «**اَللَّهُمَّ، عَلَيَّ نُذُورُكَ. أُوفِي ذَبَائِحَ شُكْرٍ لَكَ**»:

يؤكِّد سابق وعده ونذوره. انظر: (مز ٦٦:١٣):

+ «أدخل إلى بيتك بمحرقات. أوفيك نذوري». وأيضاً: (أع ٢١:٢٣):

+ «فافعل هذا الذي نقول لك (نصيحة مشئومة). عندنا أربعة رجال عليهم نذر ...».

١٣ - «**لأَنَّكَ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ. نَعَمْ، وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ، لِكَيْ أَسِيرَ قُدَّامَ اللهِ فِي نُورِ الأَحْيَاءِ**»:

مثلها في (مز ٥٤:٧):

+ «لأنه من كل ضيق نجَّاني وبأعدائي رأت عيني».

فهو سيقف أمام الله في المستقبل وينظر إلى الوراء كيف منحه الله الخلاص.

«**ورجلي من الزلق. لكي أسير قدَّام الله في نور الأحياء**»:

ليس فقط أحيا بين الأحياء في حضرته وتحت حمايته، ولكن أخدمه برضاي.

"**الزلق**": انظر: (مز ١١٨:١٣):

+ «دحرتني **دحوراً** لأسقط. أمَّا الرب فعضدني». وأيضاً: (مز ٣٦:١٢):

+ «هناك سقط فاعلو الإثم. **دحروا** فلم يستطيعوا القيام».

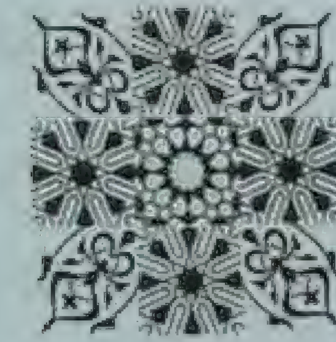
«أسير قدام الله»: انظر: (تك ١٧:١):

+ «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير. **سر أمامي** وكن كاملاً».

«في نور الأحياء»:

أرض الأحياء، أرض النور مقابل ظلمة القبر، ونور الله وحضرته تضيئها حيث منها تكون السعادة، حيث السعادة الأرضية مثال قدّمه لنا داود على المستوى الروحي ليسلّمه إلى الكنيسة بمعناها الأزلي، انظر: (يو ٨:١٢):

+ «أنا هو نور العالم، مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة».



المزمور السابع والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "لاَ تُهْلِكْ Al – tascheth"

مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي الْمَغَارَةِ.

١- «ارْحَمْنِي يَا اللهُ ارْحَمْنِي، لأَنَّهُ بِكَ احْتَمَتْ نَفْسِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَنْ تَعْبُرَ الْمَصَائِبُ.

٢- أَصْرُخُ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ، إِلَى اللهِ الْمُحَامِي عَنِّي.

٣- يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ الَّذِي يَتَهَمَّمُنِي. سِلاَهْ. يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ.

٤- نَفْسِي بَيْنَ الأَشْبَالِ. أَضْطَجِعُ بَيْنَ الْمُتَّقِدِينَ بَنِي آدَمَ. أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ وَسِهَامٌ، وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ.

٥- ارْتَفِعِ اللَّهُمَّ عَلَى السَّمَوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ.

٦- هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي. انْحَنَتْ نَفْسِي. حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلاَهْ.

٧- ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ، ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ.

٨- اسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي! اسْتَيْقِظِي يَا رَبَابُ وَيَا عُودُ! أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَراً.

٩- أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ. أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ.

١٠- لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَوَاتِ، وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ.

١١- ارْتَفِعِ اللَّهُمَّ عَلَى السَّمَوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ».

دراسة:

هذا المزمور يشبه المزمور السابق في الفكر واللغة والتركيب. وهو يحمل روحاً عالية بثقة في وجود الخطر. وهو يبدأ بنفس الصرخة: "ارحمني يا الله" بمعنى أحسن إليّ، ويستخدم نفس الكلمات (٣) ليصف قسوة الأعداء. وللمزمور قسمان كل منهما ينتهي بقرار (٥و١١). والمزمور له مواصفات مميزة في فكره واللغة والرتم، ونبرته تميل أكثر إلى النصرة ويمتاز بأنه يستخدم الصورة المتداولة في الربابة وشعرها، وهي التكرار المؤكّد للكلمات (١و٣و٧و٨).

ويُنسب المزمور لداود عندما كان في المغارة التي لعدلام. انظر: (١صم ٢٢:١):

+ «فذهب داود من هناك ونجا إلى مغارة عَدُلاَّمَ».

والبيت الذي فيه أن الأعداء وقعوا في الحفرة التي حفروها (٦) ربما يعود إلى المناسبة التي تكلّم

عنها في (اصم ٢٤): «ولمَّا رجع شاول من وراء الفلسطينيين أخبروه قائلين: هوذا داود في برية عين جدي. فأخذ شاول ثلاثة آلاف رجُلٍ منتخبين من جميع إسرائيل وذهب يطلب داود ورجاله على صخور الوعول. وجاء إلى صير الغنم التي في الطريق وكان هناك كهفٌ (واسع) فدخل شاول لكي يغطي رجليه (أي يستريح وينعس)، وداود ورجاله كانوا جلوساً في مغابن الكهف (أركانه الداخلية)». وهكذا سقط شاول في يد داود وفي نفس الحفرة التي حفرها له (أي المغارة) ولكن داود كان رحيماً ولم يمسه، إلاَّ أنه تسلَّل إليه وهو نائم وقطع قطعة من جبّته علامة على أنه كان قد سقط في يده ولم يمسه بسوء.

وليس في المزمور كله ما يفيد أنه ليس لداود.

وقد استخدم هذا المزمور ليتورجياً بلسان الأُمة اليهودية المتألِّمة، ولكن لغة المزمور واضحة أنها لمؤلف واحد.

والمزمور ينقسم إلى قسمين كل منهما ينتهي بنفس القرار وهو رجاء الله أن يُظهر سلطانه وحمايته:

١ - صلاة للحماية وثقة في الاستجابة وسط الخطر (١-٥).

٢ - تصميم لإعطاء الشكر لله لصلاحه على الأقل لأن مكر الأعداء سوف يعود على هاماتهم (٦-١١).

والمزمور يعتبر مزموراً مناسباً لعيد القيامة، في كونه يقدِّم الشكر لغلبة المسيح فوق قوات الموت والجحيم ولسبب أن القرار يُلمِّح إلى الرجاء المسيَّاني الذي أخذ نصرته ودوامه بالقيامة (اكو ١٥: ٢٤-٢٨):

+ «بعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة».
+ «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه».
+ «آخر عدو يُبطل هو الموت».
+ «لأنه أخضَعَ كل شيء تحت قدميه. ولكن حينما يقول: إن كل شيء قد أُخضِع فواضح أنه غير الذي أخْضَعَ له الكل».
+ «ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل».

والأعداد (٧-١١) تُكوِّن الجزء الأول من (مز ١٠٨)، وعدد (١٠) يتكرَّر بنفس الكلام في (مز ٣٦:٥):

+ «يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام».

وانظر أيضاً تقابل الآية (١) مع مزمور (٣٦:٧):

+ «ما أكرم رحمتك يا الله. فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون».

أمَّا اللحن لهذا المزمور وللمزمورين بعده وأيضاً مزمور ٧٥ فإنه يُسبَّح بها كالوصف في العنوان: Al-taschêth بالعبري تعني على "لا تُهلك"، وهذا النشيد له آثار باقية في (إش ٦٥: ٨و٩):

+ «هكذا قال الرب كما أن السلاف (حبات العنب) يوجد في العنقود فيقول قائل: لا تهلكه لأن فيه بركة. هكذا أعمل لأجل عبيدي حتى لا أهلك الكل. بل أُخرج من يعقوب نسلاً ومن يهوذا وارثاً لجبالي فيرثها مختاري وتسكن عبيدي هناك».

هذه الكلمات لها في العبرية لحن ربابي وهو السطر الأول من أحد الألحان التي تُقال عند جمع ثمار الكروم في إسرائيل ولها أصول شعبية، وكان لها صلة بحياة المسرَّة للأمة (بقلم روبرتسن سميث).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٥]: صاحب المزمور أحيط بأعداء مرعبين قساة، وهو يرمي نفسه على حراسة الله مع اليقين بمعونة سريعة.

١ - «**ارْحَمْنِي يَا اللهُ ارْحَمْنِي، لأَنَّهُ بِكَ احْتَمَتْ نَفْسِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَن تَعْبُرَ الْمَصَائِبُ**»:

مثل مزمور (٥٦:١). لقد وضع نفسه تحت حماية يهوه وفي محنته يطلب الحماية كواحد من أتباع يهوه.

«**ظل جناحيك**»:

تمثيل جميل من عناية أم الطيور من جهة صغارها، حينما يأتي الخطر تجري الفراخ وتحتمي تحت الجناحين. انظر: (مز ٣٦:٧):

+ «ما أكرم رحمتك يا الله. فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون». وأيضاً: (مز ٦٣:٧):
+ «لأنك كنتَ عوناً لي وبظل جناحيك أبتهج». وأيضاً: (مز ٩١:٤):

+ «بخوافيه يظلِّلك وتحت أجنحته تحتمي. ترس ومجن حقه». وأيضاً: (را ١٢:٢):

+ «ليكافئ الرب عملك. وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئت لكي تحتمي تحت جناحيه». وأيضاً: (مت ٣٧:٢٣):

+ «يا أُورشليم يا أُورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرَّة أردت أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا».

«المصائب»:

في مزمور (٢:٥٢) هي نفس الكلمة ولكن تُرجمت مفاسد.

٢ - «أَصْرُخُ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ، إِلَى اللهِ الْمُحَامِي عَنِّي»:

انظر: (مز ١٦:٥٥):

+ «أمَّا أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلِّصني». وأيضاً: (مز ٩:٥٦):

+ «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علمته لأن الله لي».

وكلمة "الله العليّ" = إلوهيم عليون موجودة هنا فقط مع (مز ٥٦:٧٨):

+ «فجربوا وعصوا الله العلي وشهاداته لم يحفظوا».

و"العليّ" وُجدت في (مز ٣٥:٧٨):

+ «وذكروا أن الله صخرهم والله العلي (إيل عليون) وليهم». وأيضاً: (مز ١١:٧٣):

+ «وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العلي معرفة». وأيضاً: (تك ١٨:١٤):

+ «وملكي صادق ملك ساليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي (إيل عليون)».

وعندما ناداه صاحب المزمور فهو يستجير بقوته ليعينه كصاحب السلطان على كل العالم. ثمَّ يدعوه كالله (إيل) أنه يعمل كل شيء له كناية عن إرادة الله الصالحة من نحوه دائماً. انظر: (مز ٨:١٣٨):

+ «الرب يحامي عني. يا رب رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ». وأيضاً: (في ١٩:٤):

+ «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع».

٣ - «يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ الَّذِي يَتَهَمَّمُنِي. سِلاَهْ. يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ»:

"يرسل":

انظر: (مز ٢:٢٠):

+ «ليرسل لك عوناً من قدسه ومن صهيون ليعضدك».

«يتهمَّمني»:

انظر: (مز ١:٥٦):

+ «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني (يعيرني) واليوم كله محارباً يضايقني». وأيضاً: (إش ٣٧: ٢٣و٣٤):

+ «مَنْ عيَّرت وجدَّفت؟ وعلى مَنْ علَّيت صوتاً وقد رفعت إلى العلاء عينيك؟ على قدوس إسرائيل؟».

+ «في الطريق الذي جاء فيه يرجع وإلى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب». وأيضاً: (مز ١٠:٤٢):

+ «بسحق في عظامي عيَّرني مضايقيَّ بقولهم لي كل يوم أين إلهك». وأيضاً: (مز ١٢:٥٥):

+ «لأنه ليس عدوٌّ يعيِّرني فأحتمل. ليس مبغضيَّ تعظم عليَّ فأختبئ منه».

«يُرسل الله رحمته وحقَّه»:

إحسانات الله وحقَّه. انظر: (مز ٨:٤٢):

+ «بالنهار يوصي الرب رحمته وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي».

وأيضاً: (مز ٣:٤٣):

+ «أرسل نورك وحقَّك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك».

نعم من إحسانات عهده المقدس ومن سماء حبه ورحمته يُرسل.

٤ - «نَفْسِي بَيْنَ الأَشْبَالِ. أَضْطَجِعُ بَيْنَ الْمُتَّقِدِينَ بَنِي آدَمَ. أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ وَسِهَامٌ. وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ»:

المزمور تسبحة مسائية.

«بين الأشبال»:

انظر: (مز ٧:٢):

+ «لئلاّ يفترس كأسد نفسي هاشماً إيَّاها ولا مُنقذ». وأيضاً: (مز ١٠:٩):
+ «يكمن في المختفى كأسد في عرِّيسه. يكمن ليخطف المسكين. يخطف المسكين بجذبه في شبكته». وأيضاً: (مز ١٧:١٢):
+ «مثله مثل الأسد القَرِم إلى الافتراس وكالشبل الكامن في عرّيسه».

«أسنانهم أسنة وسهام»:

انظر: (مز ٥٢:٢):
+ «لسانك يخترع مفاسد كموسى مسنونة يعمل بالغش». وأيضاً: (مز ٥٨:٦):
+ «اللهم كسِّر أسنانهم في أفواههم. اهشم أضراس الأشبال يا رب». وأيضاً: (مز ٦٤:٣):
+ «الذين صقَّلوا ألسنتهم كالسيف. فوَّقوا سهمهم كلاماً مرًّا». وأيضاً: (أم ٣٠:١٤):
+ «جيلٌ أسنانه سيوفٌ وأضراسه سكاكين لأكل المساكين عن الأرض والفقراء من بين الناس».

٥ – «ارْتَفِعِ اللَّهُمَّ عَلَى السَّمَوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ»:

إن عداوة الناس القاتلة إنما تعطي فرصة للصلاة حتى أن الله يُعلن نفسه في جلاله، ومن الضيقات في الأرض ينظر صاحب المزمور إلى الله. انظر: (مز ١١:٤):
+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران أجفانه تمتحن بني آدم». وأيضاً: (مز ٣٦:٥):
+ «يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام».

«ارتفع اللهم على السموات»:

انظر: (مز ٢١:١٣):
+ «ارتفع يا رب بقوّتك. نرنم وننغم بجبروتك». وأيضاً: (مز ٤٦:١٠):
+ «كفّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأمم أتعالى في الأرض».

الله يرتفع بالمجد. انظر: (إش ٦:١):
+ «في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع ...».

والذي يطلبه صاحب المزمور أن يظهر سلطانه السائد فوق هؤلاء الثائرين. انظر: (إش ٢:١١):
+ «توضع عينا تشامخ الإنسان وتُخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم».

[عدد ٦–١١]: اقتنع أن الله سيُظهر سلطانه ويتأمَّل في ألاعيب الأعداء كيف تتحوَّل إلى هزيمة لهم. ويعطي الشكر والفرح.

٦ – «هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي. انْحَنَتْ نَفْسِي. حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلاَهْ»:

عاد ينظر إلى حاله ولكن الإيمان يقنعه أن الصلاة المرفوعة في عدد (٥) قد استُجيبت وباستعلان سلطان الله الأعلى انخمدت كل المقاومات وتأكَّد العدو من خراب نفسه.

«انحنت نفسي»:

في السبعينية يمكن قراءتها: «قد أحنوا نفسي». مثل (مز ٥٦:١):
+ «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني (يدوسني) واليوم كله محارباً يضايقني».

«حفروا قدّامي حفرة»:

انظر: (مز ٧:١٥):
+ «كرا جبًّا. حفره فسقط في الهوة التي صنع». وأيضاً: (مز ٩:١٥):
+ «تورَّطت الأُمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم». وأيضاً: (مز ٣٥:٧):
+ «لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوَّة شبكتهم. بلا سبب حفروا لنفسي». وأيضاً: (حز ١٩:٤):
+ «فلمَّا سمعت به الأُمم أُخذ في حفرتهم فأتوا به بخزائم إلى أرض مصر». وأيضاً: (جا ١٠:٨):
+ «مَنْ يَحفر هوَّة يقع فيها ومَنْ ينقض جداراً تلدغه حيَّة».

٧ – «ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ، ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وأُرَنِّمُ»:

انظر: (مز ٥١:١٠):
+ «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي». وأيضاً: (مز ١١٢:٧):
+ «لا يخش من خبر سوء. قلبه ثابت متكلاً على الرب». وأيضاً: (كو ١:٢٣):
+ «إن ثبتم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه المكروز به في كل الخليقة التي تحت السماء، الذي صرت أنا بولس خادماً له». وأيضاً: (مز ١٠٨:١):
+ «ثابت قلبي يا الله. أغنِّي وأُرنِّم. كذلك مجدي».

٨ - «**اسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي! اسْتَيْقِظِي يَا رَبَابُ وَيَا عُودُ! أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَرًا**»:

انظر: (قض ٥:١٢):

+ «استيقظي استيقظي يا دَبُورة استيقظي استيقظي وتكلَّمي بنشيد. قم يا باراق واسبِ سبيك يا ابن أبينوعم». وأيضاً: (إش ٥١:٩):
+ «استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم كما في الأدوار القديمة». وأيضاً: (إش ٥٢:١):
+ «استيقظي استيقظي البسي عزَّكِ يا صهيون. البسي ثيابَ جمالكِ يا أُورشليم المدينة المقدسة».

«**يا مجدي**»:

يقصد روحه كأعظم جزء فيه أو كصورة الله صاحب المجد الأسنى. انظر: (مز ٧:٥):

+ «فليطارد عدو نفسي وليدركها وليدس إلى الأرض حياتي. وليحط إلى التراب مجدي. سلاه». وأيضاً: (مز ١٦:٩):
+ «لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي (في العبري: مجدي). جسدي أيضاً يسكن مطمئناً».

«**يا رباب ويا عود!**»:

آلتان وتريتان يُذكران دائماً معاً Psaltery and Harp. انظر: (مز ٣٣:٢):

+ «احمدوا الرب بالعود. بربابة ذات عشرة أوتار رنِّموا له». وأيضاً: (١صم ١٠:٥):
+ «وبعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون». وأيضاً: (٢صم ٦:٥):
+ «وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك وبالصنوج». وأيضاً: (١مل ١٠:١٢):
+ «فعمل سليمان خشب الصندل درابزيناً لبيت الرب وبيت الملك وأعواداً ورباباً للمغنين». وأيضاً (إش ٥:١٢):
+ «وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون».

«**أنا أستيقظ سحراً**»:

أي في الفجر. آية جميلة ونشيطة تغنِّي الشعر وتدسمه، حيث الفجر دائماً يُشخَّص كشخص:

انظر: (أي ٤١:١٨):

+ «عطاسه يبعث نوراً وعيناه كهدب الصبح». وأيضاً: (مز ١٣٩:٩):
+ «إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر».

هكذا يحكي داود أنه بالفجر يستيقظ وفي يده العود والرباب ليمدح ويسبِّح ويمجِّد قبل ضياء نور النهار.

٩ - «**أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ. أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ**»:

بصفته ملك إسرائيل، وإسرائيل عظيمة الأُمم المسئولة عن إيمان الشعوب. انظر: (مز ١٨:٤٩):

+ «لذلك أحمدك يا رب في الأُمم وأرنِّم لاسمك». وأيضاً: (مز ٩:١١):
+ «رنِّموا للرب الساكن في صهيون. أخبروا بين الشعوب بأفعاله».

١٠ - «**لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَوَاتِ، وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ**»:

تُكتب: "لأن إحساناتك قد عظمت" عوض "رحمتك". وهكذا هذا المزمور يؤكِّد مزمور (٩) لأن مراحم وإحسانات الله التي تملأ الأرض إلى السموات تحتاج إلى شكر وتسبيح على الأرض. انظر: (مز ٣٦:٥):

+ «يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام».

١١ - «**ارْتَفِعِ اللَّهُمَّ عَلَى السَّمَوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ**»:

وهكذا بالنهاية بعد كل الأعذار والاحتياجات المستعجلة. حاجة الأرض كلها لتمجيد الله ولرفع اسمه أعلى من السموات. هذا هو أمله ورجاؤه.

انظر: (١كو ١٥:٢٨):

+ «ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل». وأيضاً: (إش ٦:٣):
+ «وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض»!



المزمور الثامن والخمسون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "لاَ تُهْلِكْ". لِدَاوُدَ. مُذَهَّبَةٌ

١- «أَحَقًّا بِالْحَقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ، بِالْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟

٢- بَلْ بِالْقَلْبِ تَعْمَلُونَ شُرُوراً فِي الأَرْضِ ظُلْمَ أَيْدِيكُمْ تَزِنُونَ.

٣- زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِباً.

٤- لَهُمْ حُمَةٌ مِثْلُ حُمَةِ الْحَيَّةِ. مِثْلُ الصِّلِّ الأَصَمِّ يَسُدُّ أُذُنَهُ،

٥- الَّذِي لاَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْحُوَاةِ الرَّاقِينَ رُقَى حَكِيمٍ.

٦- اَللَّهُمَّ، كَسِّرْ أَسْنَانَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. اهْشِمْ أَضْرَاسَ الأَشْبَالِ يَا رَبُّ.

٧- لِيَذُوبُوا كَالْمَاءِ، لِيَذْهَبُوا. إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ.

٨- كَمَا يَذُوبُ الْحَلَزُونُ مَاشِياً مِثْلَ سِقْطِ الْمَرْأَةِ لاَ يُعَايِنُوا الشَّمْسَ.

٩- قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ قُدُورُكُمْ بِالشَّوْكِ، نِيئاً أَوْ مَحْرُوقاً، يَجْرُفُهُمْ.

١٠- يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى النَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خُطُوَاتِهِ بِدَمِ الشِّرِّيرِ.

١١- وَيَقُولُ الإِنْسَانُ: "إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَراً. إِنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ قَاضٍ فِي الأَرْضِ"».

دراسة:

يبدأ المزمور بمهاجمة توبيخية لأصحاب السلطة الذين ليس فقط خابوا في إقامة العدل، بل وهم أنفسهم من الذين تمادوا في عمل الشر وسط كل الأشرار (١و٢)، ثمَّ وصف للشرير الذي لا شفاء له (٣-٥)، ثمَّ صلاة هي في الحقيقة تعبير عن الثقة المؤكّدة أن الله سيجعلهم بلا قوة حتى لا يؤذوا أحداً أو حتى يحطمهم تماماً (٦-٩)، ثمَّ يصف النتيجة المزدوجة كيف يتحرَّر الصديقون من ربقة الأشرار ويتهلّلون ويُعرف الله كقاضي الحق في العالم (١٠و١١).

والمزمور يمتاز بلغته الرصينة والكلمات القوية وشجاعة تقديم الصور للأشخاص. وله رنة السلطة النبوية خاصة في رفض الأشرار الذين يتبوَّأون الأماكن العالية.

وإذا رجعنا إلى العنوان نجده ينسبه إلى داود، ففي العدد الأول والثاني نجد صورة لأبشالوم يدَّعي القدرة على الحكم بالحق. انظر: (٢صم ١٥: ٢-٦):

+ «وكان أبشالوم يبكر ويقف بجانب طريق الباب وكل صاحب دعوى آتٍ إلى الملك لأجل

الحكم كان أبشالوم يدعوه إليه ويقول من أية مدينة أنتَ؟ فيقول من أحد أسباط إسرائيل عبدك. فيقول أبشالوم له. انظر: أمورك صالحة ومستقيمة ولكن ليس مَنْ يسمع لك من قبل الملك. ثمَّ يقول أبشالوم مَنْ يجعلني قاضياً في الأرض فيأتي إليَّ كل إنسان له خصومة ودعوى فأنصفه ... فاسترق أبشالوم قلوب رجال إسرائيل».

مع أنه كان في الحقيقة يضمر أقسى خيانة كابن مجرم وقام بثورة وهو لا يخاف من أي جهة. انظر: (٢صم ١٦، ١٧: ١-٤):

+ «وقال أخيتوفل لأبشالوم دعني أنتخب اثني عشر ألف رجل وأقوم وأسعى وراء داود هذه الليلة. فآتي عليه وهو متعب ومرتخي اليدين فأزعجه فيهرب كل الشعب الذي معه وأضرب الملك وحده!! وأرد جميع الشعب إليك، كرجوع الجميع هو الرجل الذي تطلبه فيكون كل الشعب في سلام. فحسن الأمر في عيني أبشالوم وأعين جميع شيوخ إسرائيل».

ولكنها مشورة قد أُبطلت.

والأعداد (٦-٩) تعود إلى انحصار الثوار وتوقُّفهم، (١٠و١١) مسرَّة داود. انظر: (٢صم ١٨: ١٩):

+ «وقال أخيمعص بن صادوق دعني أجرِ فأُبشِّر الملك لأن الله قد انتقم له من أعدائه (موت أبشالوم)».

وهكذا حكم الله وخلَّص داود من يد أعدائه.

ولكن كلام المزمور عنيف ويستحيل أن ينسجم مع داود من نحو أبشالوم كما نقرأه في (٢صم ١٨: ٥و٣٣):

+ «وأوصى الملك يوآب وأبيشاي وإتَّاي قائلاً ترفقوا لي بالفتى أبشالوم. وسمع جميع الشعب حين أوصى الملك جميع الرؤساء بأبشالوم».

ولمَّا مات:

+ «فانزعج الملك وصار إلى علية الباب وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشَّى يا ابني أبشالوم يا ابني يا ابني أبشالوم يا ليتني متُّ عوضاً عنك يا أبشالوم ابني يا ابني».

ربما يكون المزمور عائداً إلى تاريخ متأخر لإسرائيل، ولكن ليس أساس واضح كاف أن المزمور يقصد القضاة غير العادلين سواء من بابل أو فارس أو مملكة السلوقيين، أو أن المزمور هو فيما بعد السبي. ويلزم أن نقارنه بمزامير ١٢و١٤و٨٢. والخاتمة تشبه خاتمة مزموري ٦٤و١٤٠.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١و٢]: احتجاج ساخط على الذين في المنصب الرئاسي الذين عوض أن يدينوا الجريمة هم أنفسهم مجرمون مدانون.

١ - «**أَحقًّا بِالْحَقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ، بِالْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟**»:

وترجمتها عن العبرية الصحيحة: «هل في صمت تتكلّمون بالبر» وهو يكلّم القضاة الذين أهملوا عملهم (هم خرس حينما يجب أن يتكلّموا!) وهم أيضاً صمّ حينما يجب أن يسمعوا. والقصد أن الذي يتكلّم بالحق يعني يصدر قضاءً. فالعدل والبر هما خاصان بأحكام الله. انظر: (مز ٩: ٧و٨):

+ «أمّا الرب فإلى الدهر يجلس. ثبَّت للقضاء كرسيه. وهو يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة».

الأمور التي يجب أن تعم الأرض وكل القضاة.

ولكن يرى العالِم Kay أن المخاطبة هنا بخصوص الحكم على أعمال أبشالوم بحسب ما ورد في (٢صم ١٥: ٢-٦) المذكور أعلاه مما يزيد الاحتمال أن يكون المزمور لداود.

٢ - «**بَلْ بِالْقَلْبِ تَعْمَلُونَ شُرُوراً فِي الأَرْضِ ظُلْمَ أَيْدِيكُمْ تَزِنُونَ**»:

مزيد من الاتهام، حيث حرف "بل" يعني هنا "بالأكثر" بمعنى وأكثر من تحكمكم في قضاء شرير فأنتم أنفسكم أكبر أشرار.

«**بالقلب**»: يجرون الظلم على أساس مبدأ داخلي قلبي مقتنعين به. انظر: (مي ٢: ١):

+ «ويل للمفتكرين بالبطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم».

وهنا يتمادى في نقد لاذع باستخدامه كلمة هي عادة لميزان العدل: "تَزِنُون". انظر: (أي ٣١: ٦):

+ «ليزنّي في ميزان الحق فيعرف الله كمالي».

«**تعملون شروراً في الأرض** (أرض إسرائيل)»:

أي علناً وعلى المكشوف تمارسون خططكم التي صممتموها في قلوبكم.

[عدد ٣-٥]: وصف الطبقة التي يتبعها القضاة الأشرار، أشرار يمارسون الشر بحريتهم لا يسمعون للانتقادات أو التعيير ولا يستطيعون العودة إلى الإصلاح.

٣ - «**زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِباً**»:

تغرَّبوا عن الله وناموسه. انظر: (أف ٤: ١٨):

+ «إذ هُم مُظلِمُو الفكرِ، ومتجنّبونَ عن حياةِ اللهِ لسببِ الجهلِ الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبِهم».

وأيضاً: (كو ١: ٢١):

+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيينَ وأعداءً في الفكرِ، في الأعمالِ الشريرةِ ...».

كما جاءت في سفر التكوين عن الله قوله: «لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته» (تك ٨: ٢١). ولكن هؤلاء الناس هم أكثر من مستوى الأشرار المعروف إذ صار الشر فيهم طبيعة ثانية.

٤ - «**لَهُمْ حُمَةٌ مِثْلُ حُمَةِ الْحَيَّةِ. مِثْلُ الصِّلِّ الأَصَمِّ يَسُدُّ أُذُنَهُ،**

٥ - **الَّذِي لاَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْحُوَاةِ الرَّاقِينَ رُقَى حَكِيمٍ**»:

ليسوا فقط محترفي الغش والكذب ولهم حُمَة (أي سُمّ) مثل الأفعى، ولكن وأكثر من هذا فهم مقاومون كل محاولة للإصلاح أو التعديل. وصمٌّ لا يسمعون كالصلّ. وفي سفر الجامعة يذكر رقي الثعابين (جا ١٠: ١١):

+ «إن لدغت الحية بلا رُقيَّة فلا منفعة للراقي». انظر: (إر ٨: ١٧):

+ «هأنذا مُرسل عليكم حيَّات أفاعي لا ترقى فتلدغكم يقول الرب».

هكذا هؤلاء قفلوا آذانهم عن سماع التحذيرات وتنبيه الأنبياء، وهذا حقيقي لأنه من بين أبناء البشر رجال يُمارسون الشر على مستوى شيطاني لمقاومة الصلاح. ولكن ليس إنسان خارج رحمة الله إلاَّ الذي يسد أذنيه عن صوت الروح القدس. انظر: (مت ١٢: ٣١):

+ «لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يُغفر للناس. وأمّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس».

[عدد ٦-٩]: ولأنهم هكذا على مستوى العناد الشديد وشرّهم بلا شفاء فلا رجاء إلاّ أن يُحرموا من القوة التي بها يُمارسون شرّهم.

٦ - «**اَللّهُمَّ، كَسِّرْ أَسْنَانَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. اهْشِمْ أَضْرَاسَ الأَشْبَالِ يَا رَبُّ**»:
من الثعبان الأطرش القمة في اللؤم القاتل، إلى الأسد القمة في الافتراس العلني.

«**كسّر ... اهشم**»: أي أفقدهم قوة الاعتداء والضرر، وهذان الفعلان هما أساس قوة التخريب والتحطيم. انظر: (مز ٣:٧):

+ «قم يا رب. خلّصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشّمت أسنان الأشرار». وأيضاً: (أي ٤:١٠):
+ «زمجرة الأسد وصوت الزئير وأنياب الأشبال تكسّرت». وأيضاً: (أم ٣٠:١٤):
+ «جيل أسنانه سيوف وأضراسه سكاكين لأكل المساكين عن الأرض والفقراء من بين الناس».

وفي النسخة السبعينية تأتي هذه الأفعال في الماضي كأفعال تمّت فعلاً: "قد تكسّرت"، "قد هشّم". وهكذا تأتي بقية أفعال عدد (٦-٨) تبعاً لذلك في المستقبل: "سوف يذوبون". وهكذا استعلان هذه العقوبة يكون مختزناً ومحفوظاً للأشرار بنقمة نبوية.

٧ - «**لِيَذُوبُوا كَالْمَاءِ، لِيَذْهَبُوا. إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ**»:
بعد شتاء قصير تهب الريح فلا يبقى أثر للماء. انظر: (أي ٦:١٥):

+ «أمّا إخواني فقد غدروا مثل الغدير. مثل ساقية الوديان يعبرون».

وهكذا حينما يُفوّق الله سهامه عليهم يتلاشون ويضمحلون. انظر: (مز ٩٠:٦):

+ «بالغداة يزهر فيزول. عند المساء يُجزّ فييبس».

وعبارة "إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ" جاءت في الترجمة الحديثة: "يداسون ويُزالون كالعشب".

٨ - «**كَمَا يَذُوبُ الْحَلَزُونُ مَاشِياً مِثْلَ سِقْطِ الْمَرْأَةِ لاَ يُعَايِنُوا الشَّمْسَ**»:
صورتان لكيف يضمحل الأشرار أمام قوة الله، يذوبون ويختفون! والحلزون من صفاته أنه وهو سائر ببطء إذا أحسّ بخطر يغيّر لونه من الأحمر الفاتح إلى الأبيض الباهت ويظهر كأنه ذاب إذ يدخل قوقعته ويختبئ. انظر: (أي ٣:١٦):

+ «أو كسقط مطمور فلم أكن. كأجنّة لم يروا نوراً».

٩ - «**قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ قُدُورُكُمْ بِالشَّوْكِ، نِيئاً أَوْ مَحْرُوقاً، يَجْرُفُهُمْ**»:
يعني سرعة التحطيم إذا جاء كالعاصفة يجرف القدر والشوك نيئاً أو محروقاً، أي لا يكمّلون طبخ خططهم ولا يأكلون منها. انظر: (هو ٧:٤):

+ «كلهم فاسقون كتنور مُحمى مِنَ الخبّاز. يبطل الإيقاد من وقتما يعجن العجين إلى أن يختمر». وأيضاً: (إش ٣٣:١٢):
+ «وتصير الشعوب وقود كلس أشواكاً مقطوعة تحرق بالنار». وأيضاً: (جا ٧:٦):
+ «لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهّال. هذا أيضاً باطل». وأيضاً: (أي ٢٧:٢١):
+ «تحمله الشرقية فيذهب وتجرفه من مكانه».

[عدد ١٠و١١]: نتائج المحاكمة. البار يفرح في الضيق بالرغم من المضايقين والناس عموماً يدركون حكم الله في العالم.

١٠ - «**يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى النَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خُطُوَاتِهِ بِدَمِ الشِّرِّيرِ**»:
وذلك لأن الصديق يفرح حقيقة بأن قضاء الله موجود وفعّال. كما يفرح الصديق لأن نصرة البار قد حضرت. ولكن هذه ليست روح الإنجيل بل بالعكس.
أمّا «يغسل خطواته بدم الشرير» فتعني: يوم الحرب للرب والشرير هو المُدان.

١١ - «**وَيَقُولُ الإِنْسَانُ: "إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَراً. إِنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ قَاضٍ فِي الأَرْضِ"**»:
انظر: (مز ٧:١١):

+ «الله قاضٍ عادل وإله يسخط في كل يوم». وأيضاً: (مز ٩: ٧و١٩):
+ «أمّا الرب فإلى الدهر يجلس. ثبّت للقضاء كرسيه».
+ «قم يا رب. لا يعتز الإنسان. لتحاكم الأمم قدامك». وأيضاً: (مز ١١:٤):
+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه». وأيضاً: (لو ١٨: ٦-٨):
+ «اسمعوا ما يقول قاضي الظلم (إنه أنصف باللجاجة)، أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهّل عليهم؟ أقول لكم: إنه ينصفهم سريعاً ...».

المزمور التاسع والخمسون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ»
مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لَمَّا أَرْسَلَ شَاوُلُ وَرَاقَبُوا الْبَيْتَ لِيَقْتُلُوهُ

١- «أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلهِي. مِنْ مُقَاوِمِيَّ احْمِنِي.
٢- نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي الإِثْمِ، وَمِنْ رِجَالِ الدِّمَاءِ خَلِّصْنِي،
٣- لأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ لِنَفْسِي. الأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ، لاَ لإِثْمِي وَلاَ لِخَطِيَّتِي يَا رَبُّ.
٤- بِلاَ إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُونَ وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ. اسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي وَانْظُرْ!
٥- وَأَنْتَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، إِلهَ إِسْرَائِيلَ انْتَبِهْ لِتُطَالِبَ كُلَّ الأُمَمِ. كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لاَ تَرْحَمْ. سِلاَهْ.
٦- يَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ.
٧- هُوَذَا يُبِقُّونَ بِأَفْوَاهِهِمْ. سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ. لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: "مَنْ سَامِعٌ".
٨- أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ الأُمَمِ.
٩- مِنْ قُوَّتِهِ إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي.
١٠- إِلهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي اللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي
١١- لاَ تَقْتُلْهُمْ لِئَلاَّ يَنْسَى شَعْبِي. تَيِّهْهُمْ بِقُوَّتِكَ وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ تُرْسَنَا.
١٢- خَطِيَّةُ أَفْوَاهِهِمْ هِيَ كَلاَمُ شِفَاهِهِمْ. وَلْيُؤْخَذُوا بِكِبْرِيَائِهِمْ، وَمِنَ اللَّعْنَةِ وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ.
١٣- أَفْنِ، بِحَنَقٍ أَفْنِ، وَلاَ يَكُونُوا، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. سِلاَهْ.
١٤- وَيَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ.
١٥- هُمْ يَتِيهُونَ لِلأَكْلِ. إِنْ لَمْ يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا.
١٦- أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ، وَأُرَنِّمُ بِالْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي، وَمَنَاصاً فِي يَوْمِ ضِيقِي.
١٧- يَا قُوَّتِي لَكَ أُرَنِّمُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي، إِلهُ رَحْمَتِي».

دراسة:

هذا المزمور يعطي صلاة أخرى للخلاص من أعداء أشدّاء يهدّدون حياة صاحب المزمور.

ويتكوّن من قسمين رئيسيين (١-٩)، (١٠-١٧) كل منها ينتهي بقرار، ولكن يوجد من تحتهما أقسام، ففي نهاية الوقفة الأولى في كلٍّ منها توجد سلاه، وبداية الوقفة الثانية في كل من القسمين متماثلة (ع ٦ = ع ١٤):

(أ): ١ - من انهزام حياته يصرخ (١و٢) شارحاً أن هجومهم عليه بلا سبب (٣) وهو يصلّي ليتدخّل الله ويعاقب (٤و٥).

٢ - يصف عدم الرحمة وعدم المخافة عند أعدائه (٦و٧)، ولكنه يعلن ثقته في أن يهوه يعاملهم بقسوة (٨و٩).

(ب): ١ - مبتدأً من ارتفاع ثقته (١٠) يصلّي حتى يوضعهم الله ولكن لا يقتلهم، بل يتركهم ليكونوا عبرة حتى أن خطاياهم تؤكّد هلاكهم (١١و١٢) واختفاءهم يعلن نصرة إله يعقوب (١٣).

٢ - وبالعودة إلى الواقع يقارن بين تلفيقات ثورتهم عليه (١٤و١٥) وبين أغنيته بالشكر من أجل الخلاص (١٦و١٧).

وهكذا فالمزمور يعطي ثقة غير مهزوزة في الله تحت ظروف المخاطر والصعاب، وتكرارها باستمرار هو لإراحة وتشجيع الأبرار إذا وقعوا في الضيقات.

ظروف المزمور:

بحسب العنوان أن شاول قد أرسل ليراقب البيت الذي فيه داود ليقتله، والحكاية في (١صم ١٨:١٩ إلخ) توضّح أن بعد إخفاق شاول، هرب داود:

+ «فهرب داود ونجا وجاء إلى صموئيل في الرامة وأخبره بكل ما عمل به شاول. وذهب هو وصموئيل وأقاما في نايوت».

+ «فأرسل شاول رُسلاً لأخذ داود ولمّا رأوا جماعة الأنبياء ...».

ويقص العالم كيرك باتريك أخذاً عن السبعينية (١صم ١٩: ١١و١٢) في كتابه أنه [حدث في ذلك الليل أن شاول أرسل رُسلاً إلى بيت داود لكي يراقبوه حتى يذبحه في الصباح، وميكال عملت على هروبه بإسقاطه من الشباك]. وهكذا يوجد في المزمور ما يثبت هذا الكلام، واصفاً أن حياته في خطر فعلاً. وقد تحدّث شاول مع يوناثان ابنه وكل عبيده بأنه يلزم ذبح داود. انظر: (١صم ١:١٩):

+ «وكلّم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود».

وهكذا يقارنهم داود وهم يدورون حول بيته وفي المدينة مثل الكلاب يهرون (٦و١٤) وأيضاً. انظر: (١صم ٢٤:٩):

+ «وقال داود لشاول لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيتك».

وفي المزمور يدافع داود عن براءته في عدة مواقف، وأن الجري وراءه واضطهاداته هي بلا سبب. انظر: (١صم ٢٠:١):

+ «فهرب داود من نايوت في الرامة وجاء وقال قدَّام يوناثان: ماذا عملت وما هو إثمي وما هي خطيَّتي أمام أبيك حتى يطلب نفسي؟». وأيضاً: (١صم ٢٤:١١):
+ «فانظر يا أبي (داود لشاول) انظر أيضاً طرف جُبَّتك بيدي. فمن قطعي طرف جُبَّتك (وأنت نائم في المغارة) وعدم قتلي إيَّاك اعلم وانظر أنه ليس في يدي شرّ ولا جرم و لم أُخطئ إليك وأنت تصيد نفسي لتأخذها». وأيضاً: (١صم ٢٦:١٨):
+ «لماذا سيدي يسعى وراء عبده؟ لأني ماذا عملت وأي شرٌّ بيدي».

وبالمقارنة بين ما جاء في المزمور وما هو مدوَّن في تاريخ إسرائيل في سفر صموئيل النبي يتَّضح أن صاحب المزمور هو ملك وأن داود فعلاً هو صاحب المزمور، ولكن استُخدم ليكون ليتورجياً ينفع عند مهاجمة الأمم على الأمة!

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد١ـ٥]:

١ ـ «**أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلهِي. مِنْ مُقَاوِمِيَّ احْمِنِي**»:

انظر: (مز ٧:١):

+ «يا رب إلهي عليك توكَّلت. خلِّصني من كل الذين يطردونني ونجِّني».

«**احمني**»: الترجمة الصحيحة: "ارفعني". انظر: (مز ٢٠:١):

+ «ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب». وأيضاً: (مز ٩١:١٤):
+ «لأنه تعلَّق بي أنجِّيه. أرفِّعه لأنه عرف اسمي». وأيضاً: (مز ٤٦:٧):
+ «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه».

٢ ـ «**نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي الإِثْمِ، وَمِنْ رِجَالِ الدِّمَاءِ خَلِّصْنِي**»:

من المتعطشين للدماء خلِّصني. انظر: (مز ١٣٩:١٩):

+ «ليتك تقتل الأشرار يا الله. فيا رجال الدماء ابعدوا عني». وأيضاً: (أم ٢٩:١٠):
+ «أهل الدماء يبغضون الكامل. أمَّا المستقيمون فيسألون عن نفسه».

٣ ـ «**لأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ لِنَفْسِي. الأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ، لاَ لإِثْمِي وَلاَ لِخَطِيَّتِي يَا رَبُّ.**

٤ ـ **بِلاَ إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُونَ وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ. اسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي وَانْظُرْ**».

كانت هناك مؤامرات سريَّة تجري، والآن هم يديرون هجوماً مكشوفاً. وهو في هذه الضيقة يدعو الله أن يستيقظ من نومه الشكلي وكأنه لا يهمه شيء، ويقابله كجيش الخلاص. وكل هذه التعديات هي في حقيقتها موجهة ضد الله، لأنه بريء وهذا لا يُحسب عقاباً له. انظر: (١صم ٢٠:١) ذُكر أعلاه.

٥ ـ «**وَأَنْتَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، إِلهَ إِسْرَائِيلَ انْتَبِهْ لِتُطَالِبَ كُلَّ الأُمَمِ. كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لاَ تَرْحَمْ. سِلاَهْ**»:

وبما أنك رب الجنود إله إسرائيل انتبه لتطالب لأن الله له القوة وهو مطالب. والملاحظ هنا أن دخول كلمة الأُمم (الوثنيون) تكشف تغييراً حدث للمزمور ليوافق الأمة في محنتها. فهو تعديل ليتورجي، وأيضاً في العدد (٨) أن الأُمم ضد داود. وهكذا يتضح أكثر أن تغييرات جوهرية جرت على المزمور ليطابق الأُمة في محنتها ضد الأعداء الغرباء.

[عدد ٦ـ٩]: ثقته في الله فوق مقاومة أعدائه.

٦ ـ «**يَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ**»:

يشبِّه أعداءه بالكلاب التي تجول تعوي في المدينة، كما هو حاصل في كل مدن الشرق وينشطون في الليل يلتمسون معركة أو مأكلاً.

٧ ـ «**هُوَذَا يُبِقُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ. سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ. لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: "مَنْ سَامِعٌ"**»:

أفواههم ملآنة لعنات وتجاديف وأكاذيب، ويشرحها العدد (١٢) أنهم يهدِّدون بالموت وأنهم سيتخلَّصون منه ويفتخرون علناً بنيتهم في قتله. انظر: (مز ٥٢:٢):

+ «لسانك يخترع مفاسد كموسى مسنونة يعمل بالغش».

وحينما يدَّعون أنه لا سامع فهم يقصدون الله أنه لا يهمُّه خادمه. انظر: (مز ١٠: ٤و١١و١٣):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».
+ «قال في قلبه أن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد».
+ «لماذا أهان الشرير الله. لماذا قال في قلبه لا تطالب». وأيضاً: (مز ٦٤:٥):
+ «يشدِّدون أنفسهم لأمر رديء. يتحادثون بطمر فخاخ. قالوا مَنْ يراهم». وأيضاً: (مز ٧٣:١١):
+ «وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العلي معرفة». وأيضاً: (مز ٩٤:٧):
+ «ويقولون الرب لا يُبصر وإله يعقوب لا يلاحظ».

٨ - «**أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ الأُمَمِ**»:
أعداء الله يفكِّرون تفكير الأشرار.

٩ - «**مِنْ قُوَّتِهِ إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي**»:
أعداؤه أقوياء ولكن الله هو قوته. هم يُلاحِظُون بيته ولكن هو يلاحظ الله وإرادته منتظراً بالإيمان وهو واثق بالاستجابة لأن الله نفسه هو ملجأه.

وفي النسخ الأقدم (السبعينية وجيروم والترجوم والفولجاتا) تُقرأ "قوَّتي" بدل "قوَّته".

[عدد١٠-١٣]: سيعاقب الله أعداءه، ولكن يا ليتهم لا يهلكون نهائياً ولكن يبقون تحت سلطان الله والنقمة.

١٠ - «**إِلهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي اللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي**»:
انظر: (مز ٧٩:٨):
+ «لا تذكر علينا ذنوب الأوَّلين. **لتتقدَّمنا** مراحمك سريعاً لأننا قد تذلَّلنا جدًّا». وأيضاً: (مز ٢١:٣):
+ «لأنك **تتقدَّمه** ببركات خير. وضعت على رأسه تاجاً من إبريز». وأيضاً: (مز ٥٤:٧):
+ «لأنه من كل ضيق نجَّاني **وبأعدائي رأت عيني**».

١١ - «**لاَ تَقْتُلْهُمْ لِئَلاَّ يَنْسَى شَعْبِي. تَيِّهْهُمْ بِقُوَّتِكَ وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ تُرْسَنَا**»:
أي ليت عقابهم يستمر أمام الشعب حتى يرى بعينيه كيف يعاقب الشرير وكيف أن الله موجود وسط شعبه وقضاؤه قائم. انظر: (خر ٩: ١٥و١٦):

+ «فإنه الآن لو كنت أمد يدي وأضربك وشعبك بالوبإ لكنت تباد من الأرض».
+ «ولكن لأجل هذا أقمتُكَ لكي أريك قوَّتي ولكي يخبر باسمي في كل الأرض».

وبالمثل عمل الله مع شعبه إسرائيل: تشتت ولكن لم يفن!! كتذكار دائم لحكم الله الإلهي.

«**تيهِّهم بقوتك**»: أي شتتهم وليس لهم مأوى ليعيشوا مطرودين أمامك فيرى شعبك. انظر: (مز ٣٥: ٥و٦):
+ «ليكونوا مثل العصافة قدَّام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلاماً وزلقاً وملاك الرب طاردهم».

«**أهبطهم يا رب ترسنا**»: انظر: (مز ٥٥:٢٣):
+ «وأنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم». وأيضاً: (مز ٥٦:٧):
+ «على إثمهم جازهم. بغضب أخضع الشعوب يا الله». وأيضاً: (مز ٣:٣):
+ «أمَّا أنت يا رب فترس لي. مجدي ورافع رأسي». وأيضاً: (خر ١٥: ١و٢):
+ «حينئذ رنَّم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبحة للرب وقالوا: أرنم للرب فإنه قد تعظَّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر».
+ «الرب قوتي ونشيدي. وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأُرَفِّعه». وأيضاً: (تك ١٥:١):
+ «بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام. أنا تُرس لك أجرك كثير جداً». وأيضاً: (تث ٣٣:٢٩):
+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك». وأيضاً: (مز ١٨:٢):
+ «الرب صخرتي وحصني ومُنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. تُرسي وقرن خلاصي وملجإي».

١٢ - «**خَطِيَّةُ أَفْوَاهِهِمْ هِيَ كَلاَمُ شِفَاهِهِمْ. وَلْيُؤْخَذُوا بِكِبْرِيَائِهِمْ، وَمِنَ اللَّعْنَةِ وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ**»:
«**ليؤخذوا**»: أي يُمسكوا بشبكتهم وخططهم تنقلب عليهم. انظر: (مز ٩:١٥):
+ «تورَّطت الأمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم». وأيضاً:

(مز ٣٥: ٨):

+ «لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع». وأيضاً:

(أم ١١: ٦):

+ «بر المستقيمين ينجّيهم أمّا الغادرون فيؤخذون بفسادهم».

١٣ - «أَفْنِ، بِحَنَقٍ أَفْنِ، وَلاَ يَكُونُوا، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. سِلاَهْ»:

التكرار هنا تأكيد وإصرار. انظر: (مز ٥٧: ١و٧و٨):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».

+ «ثابت قلبي يا الله ثابت قلبي. أغنّي وأُرنّم».

+ «استيقظ يا مجدي. استيقظي يا رباب ويا عود. أنا أستيقظ سحراً».

أمّا بالنسبة للغضب الإلهي فانظر: (مز ٥٦: ٧):

+ «على إثمهم جازهم. بغضب أخضع الشعوب يا الله».

الله متسلّط في يعقوب إلى أقصى الأرض. انظر: (١صم ١٧: ٤٦):

+ «هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك. وأعطي جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض فتعلم كل الأرض أنه يوجد إلهٌ لإسرائيل».

[عدد ١٤-١٧]: يقارن بين هيجان العدو التلفيقي وبين هدوء الله والثقة فيه.

١٤ - «وَيَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ.
١٥ - هُمْ يَتِيهُونَ لِلأَكْلِ. إِنْ لَمْ يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا»:

بالنسبة للعدد (١٤): هو تكرار لعدد (٦) ولكن بتكرار ولوم لاذع كلعنة، يجولون هنا وهناك جائعين متعطّشين إلى الدماء، والفريسة هي صاحب المزمور، ولأنهم أصيبوا بالخيبة ولم يهتدوا إلى مكانه ظلوا طول الليل يهرون مثل الكلب يطلبون فريستهم.

١٦ - «أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ، وَأُرَنِّمُ بِالْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي، وَمَنَاصاً فِي يَوْمِ ضِيقِي.
١٧ - يَا قُوَّتِي لَكَ أُرَنِّمُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي، إِلهُ رَحْمَتِي»:

وعندما يأتي الصباح يأتي السلام بعد ليل الفزع، وينتهي بأغنية فرح.

المزمور الستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "السُّوسَنِّ". شَهَادَةٌ مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لِلتَّعْلِيمِ.
عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ أَرَامَ النَّهْرَيْنِ وَأَرَامَ صُوبَةَ، فَرَجَعَ يُوآبُ وَضَرَبَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي الْمِلْحِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً.

١- «يَا اَللهُ رَفَضْتَنَا. اقْتَحَمْتَنَا. سَخِطْتَ. أَرْجِعْنَا.
٢- زَلْزَلْتَ الأَرْضَ، فَصَمْتَهَا. اجْبُرْ كَسْرَهَا لأَنَّهَا مُتَزَعْزِعَةٌ!
٣- أَرَيْتَ شَعْبَكَ عُسْراً. سَقَيْتَنَا خَمْرَ التَّرَنُّحِ.
٤- أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ رَايَةً تُرْفَعُ لأَجْلِ الْحَقِّ. سِلاَهْ.
٥- لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَاسْتَجِبْ لِي!
٦- اَللهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ: "أَبْتَهِجُ، أَقْسِمُ شَكِيمَ، وَأَقِيسُ وَادِي سُكُّوتَ.
٧- لِي جِلْعَادُ وَلِي مَنَسَّى، وَأَفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي، يَهُوذَا صَوْلَجَانِي.
٨- مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ اهْتِفِي عَلَيَّ".
٩- مَنْ يَقُودُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ؟ مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟
١٠- أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اَللهُ الَّذِي رَفَضْتَنَا، وَلاَ تَخْرُجُ يَا اَللهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟
١١- أَعْطِنَا عَوْناً فِي الضِّيقِ، فَبَاطِلٌ هُوَ خَلاَصُ الإِنْسَانِ.
١٢- بِاللهِ نَصْنَعُ بِبَأْسٍ، وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا».

دراسة:

المزمور ذكرى تاريخ هام.

فبحسب العنوان فهو يشير إلى حادثة في حروب داود، عندما كان مشتبكاً مع أرام النهرين وأرام صوبة، ويوآب، في الرجوع قتل من أدوم في وادي الملح ثمانية عشر ألفاً. وغزو داود لأدوم مذكور في (٢صم ٨: ١٣ إلخ):

+ «ونصب داود تذكاراً عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر ألفاً من أرام في وادي الملح».

+ «وجعل في أدوم محافظين، وضع محافظين في أدوم كلها وكان جميع الأدوميين عبيداً لداود وكان الرب يخلّص داود حيثما توجّه. وملك داود على جميع إسرائيل وكان داود يُجري

قضاءً وعدلاً لكل شعبه».

ويُلاحَظ أن العدد (١٣) في هذا النص المذكور من ٢صم ٨ تحوَّر وصحته [أن داود أخذ اسماً عندما رجع من كسرة الأراميين وضرب من أدوم في وادي الملح ثمانية عشر ألفاً]. وبينما كان داود منغمساً في حرب الشمال هجم الأدوميون على جنوب يهوذا وأحدثوا تخريباً كثيراً، فلو كانوا قد نجحوا إلى النهاية لكانت رحلة داود في الشمال أصبحت بلا قيمة. وكانت لحظة حرجة. ولكن داود بسرعة رتَّب قوة وانقضَّت على أدوم وذبحوا منهم الشيء الكثير في وادي الملح. وهذا الوادي هو جنوب البحر الميت وكان الحد الأدنى بين أدوم ويهوذا. وحدثت نصرة أخرى على أدوم أيام الملك أمصيا (٢مل ١٤:٧) انتهت بخضوع أدوم.

والمزمور يُظن أنه كُتب عندما كان داود في الشمال وأتته أخبار عن ضربة أدوم ليهوذا وأرسل ليوآب ليطرد الغازين. وقد كانت فترة حرجة جدًّا لأن الأمة كانت في خطر وداود أيضاً. والنصرة على أدوم قيلت لداود وقيلت لأبشاي (١أي ١٨:١٢) وقيلت ليوآب في عنوان هذا المزمور. ولا يوجد صعوبة في ذلك لأن داود كان هو الملك المدبِّر وحنكته في الحروب كان صاحب تخطيط.

علماً بأن أرام النهرين هي في اللغة العبرية أرام نهارَيم وفي اللغة اليونانية ميسوبوتاميا، وأرام صوبة قرب دمشق جنوب حماة، وعنوان المزمور ليس بالضرورة صحيحاً وهو قائم على أجزاء من سفر صموئيل ومن سفر الملوك ولكن هو أفضل مما تصوَّر النُّقَّاد من شروحات أخرى.

وقد اعتُبر المزمور للتعليم للذكرى: انظر: (تث ٣١:٢٢):

+ «فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلَّم بني إسرائيل إيَّاه».

والمزمور ينقسم إلى ثلاثة أجزاء بثلاث وقفات:

١ - داود يراجع الله كونه ترك الشعب إلى كارثة وكسرة (١-٤).

٢ - يرجو الله أن يعطي وعداً أن يثبت الأرض لشعبه ويعطيهم سيادة على الجيران (٥-٨).

٣ - ولو أن الله يبدو أنه هجر الشعب في هذه اللحظة ولكنه هو وحده الذي يعين ويرجوه داود بثقة (٩-١٢).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٤]:

مصيبة حلَّت بإسرائيل بسبب عدم رضا الله.

١ - «**يَا اَللهُ رَفَضْتَنَا. اقْتَحَمْتَنَا. سَخِطْتَ. أَرْجِعْنَا**»:

انظر: (مز ٤٤: ٩و٢٣):

+ «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا ولا تخرج مع جنودنا».

+ «استيقظ. لماذا تتغافى يا رب. انتبه. لا ترفض إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٧٤:١):

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد. لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك». وأيضاً: (مز ٧٧:٧):

+ «هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد». وأيضاً: (مز ٨٩:٣٨):

+ «لكنك رفضت ورذلت. غضبت على مسيحك».

«**اقتحمتنا**»: جاءت في الترجمة "بعثرتنا"، "شتَّتنا". انظر: (٢صم ٥:٢٠):

+ «وجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك وقال قد اقتحم الرب أعدائي أمامي ...».

وهي أصلاً كلمة تأتي من هدم حائط أو مبنى.

«**سخطت**»: لم تُسرَّ وغضبت، فأعد عهد رضاك.

٢ - «**زَلْزَلْتَ الأَرْضَ، فَصَمْتَهَا. اجْبُرْ كَسْرَهَا لأَنَّهَا مُتَزَعْزِعَةٌ!**»:

المصيبة تشبه الزلزال لأن قضاء الله يأتي صاخباً. انظر: (إش ٢٤:١٨):

+ «ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يُؤخذ بالفخ، لأن ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت». وأيضاً: (إش ٣٠: ١٣و١٤):

+ «لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدع منقض ناتئ في جدار مرتفع أتى هَدُّهُ بغتة في لحظة».

+ «ويُكسر ككسر إناء الخزَّافين مسحوقاً بلا شفقة حتى لا يوجد في مسحوقه شقفة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب».

أمَّا من جهة الشفاء (أرجعنا). انظر: (إر ١٩:١١):

+ «وتقول لهم: هكذا قال رب الجنود: هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يُكسر وعاء الفخَّاري بحيث لا يمكن جبره بعد، وفي توفة يُدفنون حتى لا يكون موضع للدفن».

٣ - «أَرَيْتَ شَعْبَكَ عُسْراً. سَقَيْتَنَا خَمْرَ التَّرَنُّحِ»:

كأس خمر الله تعني القضاء بالغضب. انظر: (إش ١٧:٥١):

+ «انهضي انهضي قومي يا أُورشليم التي شربت من يد الرب كأس غضبه ثُفل كأس الترنُّح شربت مصصت».

٤ - «أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ رَايَةً تُرْفَعُ لأَجْلِ الْحَقِّ. سِلاَهْ»:

المعنى بحسب السبعينية والفولجاتا وسيماخوس وجيروم: ''حتى يتسنَّى لهم الهرب من أمام القوس''. انظر: (إش ٨:٣١):

+ «ويسقط أشور بسيف غير رجل وسيف غير إنسان يأكله فيهرب من أمام السيف ...».

وهذا العدد هو خاتمة الوقفة الأُولى في المزمور. وتعني خائفيك هنا إسرائيل. وتعني أن إسرائيل أمينة ليهوه تخافه. انظر: (مز ١٧:٤٤):

+ «هذا كله جاء علينا وما نسيناك ولا خنَّا في عهدك».

ومعنى أنه قد أعطاهم راية: يوضِّحه (إش ٢٦:٥):

+ «فيرفع راية للأُمم من بعيد ويصفر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً». وأيضاً: (إش ٢:١٣):

+ «أقيموا راية على جبل أقرع. ارفعوا صوتاً إليهم. أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة».

أي ليجمعهم معاً للمحاربة حسب عمل الله، ولكي يهربوا قبل مجيء رؤساء الأُمم. والكلام توبيخ لاذع لأن الله قادهم للهزيمة والهرب. انظر: (تث ٢٧:١):

+ «وتمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليـــدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا».

[عدد ٥-٨]:

صلاة للخلاص والنصرة مبنية على وعد الله أن يعطي إسرائيل ملك كنعان وسيادة على الأُمم من حولها.

٥ - «لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَاسْتَجِبْ لِي!»:

أحباؤه إسرائيل. انظر: (تث ١٢:٣٣):

+ «ولبنيامين قال: حبيب الرب يسكن لديه آمناً. يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن». وأيضاً: (إر ١٥:١١):

+ «ما لحبيبتي في بيتي. قد عملت فظائع كثيرة. واللحم المقدَّس قد عبر عنكِ. إذا صنعتِ الشر حينئذ تبتهجين».

ومحبة الرب لإسرائيل هي الرد البليغ لمخافة إسرائيل لله.

«خلِّص بيمينك واستجب لي»:

تعني أعطِ نصرة واستجبني سريعاً، بحسب أقدم النسخ.

٦ - «اللهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ: ''أَبْتَهِجُ، أَقْسِمُ شَكِيمَ، وَأَقِيسُ وَادِيَ سُكُّوتَ''»:

«تكلَّم بقدسه»:

بمعنى أعطى عهداً أو أقسم. انظر: (مز ٨٩: ٣٥و٣٦):

+ «مرَّة حلفت بقدسي أني لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي».

وقدس الله يعني كل ما هو نعرفه من طبيعته وأعماله الفائقة والخيرية ويستحيل أن يكسر وعده. انظر: (عد ١٩:٢٣):

+ «ليس الله إنساناً فيكذب. ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلَّم ولا يفي».

«أبتهج»: من الذي يبتهج الله أم داود؟ الأرجح أنه داود.

«أقسم شكيم أقيس وادي سكوت»:

انظر: (إش ١:٦٣):

+ «من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة، هذا البهيّ بملابسه المتعظِّم بكثرة قوته. أنا المتكلِّم بالبر العظيم للخلاص!».

هنا يظهر الله كمحارب قوي منتصر أخضع الأرض تحت قدمي يشوع. انظر: (يش ١٠:١٨):

+ «فألقى لهم يشوع قرعة في شيلوه أمام الرب وهناك قسم يشوع الأرض لبني إسرائيل حسب فرقهم».

صنع أفرايم خط دفاعه الأول لمملكته، يهوذا عرش حكومته، واستخدم الأُمم من حوله كأتباع. انظر: (٢صم ٧:٩):

+ «وكنت معك حيثما توجَّهت وقرضت جميع أعدائك من أمامك وعملت لك اسماً عظيماً كاسم العظماء ...». وأيضاً: (مز ٢:٧):

+ «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك». وأيضاً: (مز ٨٩:١٩):

+ «حينئذ كلَّمت برؤيا تقيّك وقلت جعلت عوناً على قوي. رفعت مختاراً من بين الشعب».

«شكيم ... وادي سكوت»:

شكيم أرض رئيسية ذات أهمية، هي الأرض غرب الأُردن، وسكوت جنوب نهر يبوق بين نيال والأردن وهي أرض شرق الأُردن. هذان المكانان لهما تاريخ مع يعقوب عندما حطَّ رحاله أولاً في سكوت وبعدها نزل إلى شكيم عندما رجع إلى كنعان. انظر: (تك ٣٣: ١٧ـ٢٠):

+ «وأمَّا يعقوب فارتحل إلى سكوت. وبنى لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلات. لذلك دَعَا اسم المكان **سكوت**».

+ «ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان. حين جاء من فدان أرام ونزل أمام المدينة وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمئة قسيطة».

+ «وأقام هناك مذبحاً ودعاه "**إيل**" إله إسرائيل».

فالله تمم وعده ليعقوب وملَّكَ شعبه الأرض التي أقام فيها آباؤهم الأول.

٧ - «**لِي جِلْعَادُ وَلِي مَنَسَّى، وَإِفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي، يَهُوذَا صَوْلَجَانِي**»:

جلعاد ومنسى هي أرض باشان التي فيها أقام نصف سبط منسَّى وهي الأرض شرق الأُردن وأقامت هناك الأسباط. وإفرايم ويهوذا تقفان بالنسبة للأسباط غرب الأُردن. والرب يستدعي خاصته والكل يطالب بعناية وحماية الله.

إفرايم دفاع الرأس ويهوذا صولجاني، لأن إفرايم أقوى سبط وهو خط الدفاع الرئيسي للأمة وهو ينسب للأمة كخوذة المحارب! يهوذا هو السبط الذي أتى منه داود وسلطانه. انظر: (تك ٤٩:١٠):

+ «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب».

٨ - «**مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ اهْتِفِي عَلَيَّ**»:

الشعوب المجاورة أخذت نصيب الخدمة. فبالنسبة للكرامة التي أُعطيت لإفرايم أن يكون خوذة حرب على الرأس ويهوذا القابض على صولجان الملوكية، يأتي الشعب الفاقد النعمة موآب وأدوم موآب حقير مزدرى إزاء كبريائه. انظر: (إش ١٦:٦):

+ «قد سمعنا بكبرياء موآب المتكبِّرة جدًّا عظمتها وكبريائها وصلفها بُطل افتخارها».

جاءت بالنسبة للمحارب المنتصر لتغسل رجليه عندما يعود من الموقعة. فالعدو القديم لله وشعبه قد انهبط إلى خدمة المراحيض، وهكذا صار خادماً وتابعاً.

«**وعلى أدوم أطرح نعلي**»: كعبد وخادم عليه أن يحمل الحذاء لينظفه ويرعاه. هكذا أدوم المتعالية انحطَّت إلى الدناءة. انظر: (عو ١ـ٤):

+ «هكذا قال السيد الرب عن أدوم ... إني قد جعلتك صغيراً بين الأمم. أنت محتقرٌ جدًّا. تكبُّر قلبك قد خدعك أيها الساكن في محاجئ الصخر رفعة مقعده القائل في قلبه مَنْ يُحدرني إلى الأرض. إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عُشُّك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحدرك يقول الرب».

هكذا قد وُضع عليه خدمة عبد يقوم بها ملتزماً ومضطراً. وحينما قال المزمور أطرح عليه نعلي أي يؤخذ غلاباً وأمتلكه وأدوسه.

«**يا فلسطين اهتفي عليَّ**»:

فلسطين القوية تهتف هتاف الخضوع والتبعية لغازيها وفاتحها. انظر: (مز ٢:١١):

+ «اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة». وأيضاً: (مز ١٨:٤٤):

+ «من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذلَّلون لي». وأيضاً: (مز ٤٧:١):

+ «يا جميع الأُمم صفّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج». وأيضاً: (مز ١٠٨:٩):

+ «موآب مرحضتي. على أدوم أطرح نعلي. يا فلسطين اهتفي عليَّ».

[عدد ٩ـ١٢]:

ليس إلاَّ الله من يعطي العون ولو أنه قد هجر شعبه إلى لحظة فسوف يقودهم حتماً إلى نصرة.

٩ - «**مَنْ يَقُودُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ؟ مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟**»:

ربما سالع أو بترا عاصمة أدوم، مشهورة بتحصيناتها التي لا تُقهر (عوبديا ٣):

+ «تكبّر قلبك قد خدعك أيها الساكن في محاجئ الصخر رفعة مقعده القائل في قلبه من يحدرني إلى الأرض».

«مَنْ يهديني إلى أدوم»:

إشارة إلى اقتحام سابق ناجح على أدوم.

١٠ – «أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اَللهُ الَّذِي رَفَضْتَنَا، وَلاَ تَخْرُجُ يَا اَللهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟»:

هذه هي إجابة للعدد (٩) ولكن في نغمة الواثق التي تتناسب مع العدد (١٢). فلو أن الله قد هجر وترك إلى لحظة ولم يَعُدْ الجيش إلى النصرة، إلاَّ أنه أكيداً سيعطي عوناً لأننا نثق فيه وحده. انظر: (مز ٤٤:٩):

+ «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا ولا تخرج مع جنودنا».

١١ – «أَعْطِنَا عَوْناً فِي الضِّيقِ، فَبَاطِلٌ هُوَ خَلاَصُ الإِنْسَانِ»:

وهكذا يغلب اليقين الشك وتُنظر المعونة بعد الهجر والضيق. انظر: (مز ٣٣:١٧):

+ «باطل هو الفرس لأجل الخلاص وبشدة قوته لا ينجّي». وأيضاً: (مز ٤٤: ٦و٧):

+ «لأني على قوسي لا أتكل وسيفي لا يخلّصني».

+ «لأنك أنت خلّصتنا من مضايقينا وأخزيت مبغضينا». وأيضاً: (١صم ١٧:٤٧):

+ «وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلّص الرب لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا». وأيضاً: (إر ١٧:٥):

+ «هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه». وأيضاً: (قض ٧: ٤و٧):

+ «وقال الرب لجدعون: لم يزل الشعب كثيراً (الذين رتّبهم للحرب لأن الرب سيحارب بقدرته الخاصة). فقال الرب لجدعون بالثلاث مئة الرجل الذين ولغوا أخلّصكم وأدفع المديانيين ليدك». وأيضاً: (١صم ١٤:٦):

+ «فقال يوناثان للغلام حامل سلاحه تعال نعبر إلى صف هؤلاء الغلف لعل الله يعمل معنا لأنه ليس للرب مانع عن أن يخلّص بالكثير أو بالقليل». وأيضاً: (٢أي ١٤:١١):

+ «ودعا آسا الرب إلهه وقال: أيها الرب ليس فرقاً عندك أن تساعد الكثيرين ومَنْ ليس لهم قوة. فساعدنا أيها الرب إلهنا لأننا عليك اتكلنا وباسمك قدمنا على هذا الجيش. أيها الرب

أنت إلهنا. لا يقو عليك إنسانٌ».

١٢ – «بِاللهِ نَصْنَعُ بِبَأْسٍ، وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا»:

انظر: (مز ٥٦:٤):

+ «الله أفتخر بكلامه على الله توكّلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي البشر». وأيضاً: (عد ٢٤:١٨):

+ «ويكون أدوم ميراثاً ويكون سعير أعداؤه ميراثاً. ويصنع إسرائيل ببأس» وأيضاً: (مز ١١٨: ١٥و١٦):

+ «صوت ترنُّم وخلاص في خيام الصديقين. يمين الرب صانعة ببأس!».

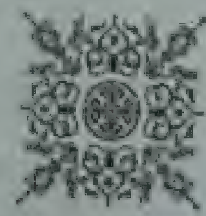
+ «يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس!».

«يدوس أعداءنا»:

انظر: (مز ٤٤:٥):

+ «بك ننطح مضايقينا. باسمك ندوس القائمين علينا». وأيضاً: (مز ١٨:٤٢):

+ «فأسحقهم كالغبار قدام الريح. مثل طين الأسواق أطرحهم».



المزمور الحادي والستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "ذَوَاتِ الأَوْتَارِ" لِدَاوُدَ

١ – «اِسْمَعْ يَا اللهُ صُرَاخِي، وَاصْغَ إِلَى صَلاَتِي.

٢ – مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ أَدْعُوكَ إِذَا غُشِيَ عَلَى قَلْبِي. إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مِنِّي تَهْدِينِي.

٣ – لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي، بُرْجَ قُوَّةٍ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ.

٤ – لأَسْكُنَنَّ فِي مَسْكَنِكَ إِلَى الدُّهُورِ. أَحْتَمِي بِسِتْرِ جَنَاحَيْكَ. سِلاَهْ.

٥ – لأَنَّكَ أَنْتَ يَا اللهُ اسْتَمَعْتَ نُذُورِي. أَعْطَيْتَ مِيرَاثَ خَائِفِي اسْمِكَ.

٦ – إِلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ تُضِيفُ أَيَّاماً. سِنِينُهُ كَدَوْرٍ فَدَوْرٍ.

٧ – يَجْلِسُ قُدَّامَ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ. اجْعَلْ رَحْمَةً وَحَقًّا يَحْفَظَانِهِ.

٨ – هكَذَا أُرَنِّمُ لاِسْمِكَ إِلَى الأَبَدِ، لِوَفَاءِ نُذُورِي يَوْماً فَيَوْماً».

دراسة:

كاتب هذا المزمور كان بعيداً عن أُورشليم، غير أن صلواته قد استُجيبت ويمكنه أن ينظر إلى العودة إليها بثقة. ولكنه كان في ظروف كآبة وغم. وهو إمَّا أن يكون ملكاً أو أحد المقرَّبين إليه ومتصل بشئونه.

ولأول وهلة عدد (٦و٧) ترجِّح نظرية أن الملك يتكلَّم عن نفسه في الغائب.

والمزمور يرجع إلى زمن المملكة المتحدة، فإذا كان داود هو الكاتب فالوقت المرجَّح لهذا المزمور هو عندما كان في محنايم بعد إخماد ثورة أبشالوم ولكن قبل عودته إلى أُورشليم. والأمل في الرجوع إلى مساكن الله يقع في قلبه موقع العمق بعد أن غادر المدينة. انظر: (٢صم ١٥:٢٥):

+ «فقال الملك لصادوق أرجع تابوت الله إلى المدينة فإن وجدتُ نعمة في عيني الرب فإنه يرجعني ويُريني إيَّاه ومسكنه!».

وهذه تشير إلى نجاته غير المترقبة. وعدد (٦و٧) تشير إلى المواعيد العُظمى الموجودة في (٢صم ٧). وأمَّا عبارة "مسكن الرب" فهي "خيمة الرب" (٤) ولها صلة بالخيمة التي أقامها داود للتابوت. وهكذا ظروف داود تشرح المزمور وتوضِّحه.

والمزمور ينقسم إلى وقفتين:

١ ـ صلاة للمعونة والعودة إلى مسكن الله (١–٤).

٢ ـ يذكر خبرته في استجابة الصلاة وأن وعود الله أكيدة للملك وينظر بثقة إلى حياة شكر لمراحم الله (٥–٨).

والمزمور له صلة كبيرة بالمزامير ٢٠ و٢١ و٢٧ و٤٢ و٤٣ و٦٣ وسفر الأمثال. وفي الأيام الأخيرة عُدِّل المزمور ليناسب كصلاة للأمة في تشتتها، والملك يشير إلى المسيا.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١–٤]: داود يصلِّي لكي يصير الله ملجأ له كما في الأوقات السالفة لكي يحيا في حضرته وتحت حمايته في أُورشليم.

١ ـ «**اِسْمَعْ يَا اَللهُ صُرَاخِي، وَاصْغَ إِلَى صَلاَتِي**»:

اسمع واصغ فعلان للاستغاثة. انظر: (مز ١٧:٦):

+ «أنا دعوتك لأنك تستجيب لي يا الله. أمل أذنيك إليَّ (اصغ) اسمع كلامي». وأيضاً: (مز ١٧:١):

+ «اسمع يا رب للحقِّ، أنصت إلى صراخي، أصغِ إلى صلاتي من شفتين بلا غش». وأيضاً: (١مل ٨:٢٨):

+ «فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرُّعه أيها الرب إلهي واسمع الصراخ والصلاة التي يصلِّيها عبدك أمامك». وأيضاً: (إر ٧:١٦):

+ «وأنت فلا تُصَلِّ لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلحّ عليَّ لأني لا أسمعك».

٢ ـ «**مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ أَدْعُوكَ إِذَا غُشِيَ عَلَى قَلْبِي. إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مِنِّي تَهْدِينِي**»:

صاحب المزمور واقف في طرف الأرض وأُورشليم في الوسط ولكن لشدة الضيقة والفراق نظر البُعد فوجده شديداً.

"**أدعوك إذا غُشي على قلبي**": انظر: (مز ١٤٢:٣):

+ «عندما أعيت روحي فيَّ وأنت عرفت مسلكي. في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً».

«إلى صخرة أرفع منّي تهديني»: كملجأ سرّي خفي حتى لا يدركني عدوي، على أن الرب نفسه صخرة أعلى منه! انظر: (مز ٦٢:٦):

+ «إنما هو صخرتي وخلاصي ملجإي لا أتزعزع». وأيضاً: (١صم ٢٤:٢):

+ «فأخذ شاول ثلاثة آلاف رجل منتخبين من جميع إسرائيل وذهب يطلب داود ورجاله على صخور الوعول». وأيضاً: (١أي ١١:١٥):

+ «ونزل ثلاثة من الثلاثين رئيساً إلى الصخر إلى داود إلى مغارة عدلام ...».

٣ - **«لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي، بُرْجَ قُوَّةٍ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ»**:

ينظر إلى الوراء لخبرات سابقة. انظر: (مز ٧:١):

+ «يا رب إلهي عليك توكّلت. خلّصني من كل الذين يطردونني ونجّني». وأيضاً: (انظر: مز ١١:١):

+ «على الرب توكّلت. كيف تقولون لنفسي اهربوا إلى جبالكم كعصفور». وأيضاً: (مز ١٦: ١و٢):

+ «احفظني يا الله لأني عليك توكّلت. قلت للرب أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك». وأيضاً: (مز ٣١:١):

+ «عليك يا رب توكّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك (ببرك) نجني». وأيضاً: (مز ٥٧:١):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بكَ احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب». وأيضاً: (مز ٧١:١):

+ «بك يا رب احتميت فلا أخزى إلى الدهر».

والصخرة في المفهوم الروحي ترادف الحصن المتين. انظر: (أم ١٨:١٠):

+ «اسم الرب برج حصين. يركض إليه الصديق ويتمنّع».

٤ - **«لأَسْكُنَنَّ فِي مَسْكَنِكَ إِلَى الدُّهُورِ. أَحْتَمِي بِسِتْرِ جَنَاحَيْكَ. سِلاَهْ»**

الكلمات هنا صلاة، فهو في منفاه يصلّي حتى يُستقبل مرّة أخرى كنزيل على يهوه، حتى يستمتع

بحماه وعنايته، حتى يسكن في المكان الذي كرّسه يوماً في حضرته. انظر: (مز ١٥:١):

+ «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك؟ مَنْ يسكن في جبل قدسك؟» انظر: (مز ٢٧:٥):

+ «لأنه يخبّئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني».

عندما يقول: "**إلى الدهور**" يقصد كل أيام حياته. انظر: (١صم ١:٢٢):

+ «ولكن حنّة لم تصعد لأنها قالت لرجلها متى فُطم الصبي آتي به ليتراءى أمام الرب ويقيم هناك إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٢٣:٦):

+ «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام».

علماً بأن الإنجيل قد كشف للإنسان أن الحياة الحقيقية لا تنتهي على الأرض.

«أحتمي بستر جناحيه»: انظر: (مز ٥٧:١):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بكَ احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب». وأيضاً: (٢٧:٥):

+ «لأنه يخبّئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني». وأيضاً: (مز ٣١:٢٠):

+ «تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن».

والترجوم اليهودي يحدّد أن "تخفيهم في مظلة" تعني "في حضرتك" التي هي الشاكيناه Shekhinah.

[٥-٨]: داود يقدّم صلاته في ثقة لأن صلاته استجيبت مبدئياً فله أن ينظر إلى الأمام في إيمان إلى تكميل وعود الله لملكه ويظل بقية حياته يشكر ويمدح:

٥ - **«لأَنَّكَ أَنْتَ يَا اللهُ اسْتَمَعْتَ نُذُورِي. أَعْطَيْتَ مِيرَاثَ خَائِفِي اسْمِكَ»**:

استمعت لي ولنذوري وأعطيتني ميراث الصديقين.

«ميراث خائفي اسمك»:

عبارة "ميراث الآباء" تعني الوجود في أرض إسرائيل. انظر: (تث ٢:١٩):

+ «فمتى قربت إلى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم. لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً». وأيضاً: (تث ٣:١٨):

+ «وأمرتكم في ذلك الوقت قائلاً الرب إلهكم قد أعطاكم هذه الأرض لتمتلكوها (حرفياً: لترثوها)». وأيضاً: (مز ٣٧: ٩ و١١ و٢٢ و٢٩ و٣٤):
+ «لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض».
+ «أمَّا الودعاء فيرثون الأرض ويتلذَّذون في كثرة السلامة».
+ «لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يُقطعون».
+ «الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد (بقية عمرهم)».
+ «انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض، إلى انقراض الأشرار تنظر».

وعندما انطفأت ثورة أبشالوم ومات وعاد الحق والأمانة للإسرائيليين وأظهروا مخافتهم لله ولاسيما وذلك بالتصاقهم بالملك داود مختاره، صاروا وارثين الأرض بالضرورة لأنهم كانوا في خطر من الحرمان.

وهنا قوله "استمعت نذوري" التي بمقتضاها يعود إلى ملكه وميراثه.

٦ - «إِلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ تُضِيفُ أَيَّاماً. سِنِينُهُ كَدَوْرٍ فَدَوْرٍ»:

انظر: (٢مل ٢٠: ٦):
+ «وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة وأنقذك من يد ملك أشور مع هذه المدينة وأحامي عن هذه المدينة».

وهكذا يتحوَّل داود من الحديث عن الناس للحديث عن نفسه، وبعد أن كانت حياته في خطر هوذا تُضاف إليه السنين.

«سنينه كدور فدور»:

وسنينه إلى أجيال كثيرة. هي صلاة ورجاء في أمانة الله وبركاته. انظر: (خر ٢٣: ٢٦):
+ «لا تكون مسقطة ولا عاقر في أرضك. وأكمل عدد أيامك». وأيضاً: (١مل ٣: ١١):
+ «فقال له الله من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم ...». وأيضاً: (أم ٣: ٢):
+ «فإنها تزيدك (شريعتي) طول أيام وسني حياة وسلامة». وأيضاً: (مز ٢١: ٤):
+ «حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد». حيث الكلام هنا هو في حقيقته نوع من المبالغة المحبوبة مثل: (١مل ١: ٣١):

+ «فخرَّت بثشبع على وجهها إلى الأرض وسجدت للملك وقالت ليحيى سيدي الملك داود إلى الأبد». وأيضاً: (نح ٢: ٣و٤):
+ «وقلت للملك: ليحيى الملك إلى الأبد. كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار. فقال الملك ماذا طالب أنت ...» وأيضاً: (٢صم ٧: ١٣ و١٦ و٢٩):
+ «هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبِّت كرسي مملكته إلى الأبد».
+ «ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».
+ «فالآن ارتضِ وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد أمامك لأنك أنت يا سيدي الرب قد تكلَّمت فليُبارك بيت عبدك ببركتك إلى الأبد ...». وأيضاً: (مز ٨٩: ٢٩و٣٦):
+ «وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات».
+ «نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي».

ولكن هذه كلها لا تجوز لبني آدم فقد قيلت بالنبوَّة عن المسيح! والترجوم قد احتاط وقال إن الملك هنا هو الملك المسيا.

٧ - «يَجْلِسُ قُدَّامَ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ. اجْعَلْ رَحْمَةً وَحَقًّا يَحْفَظَانِهِ»:

يجلس على عرشه أمام الله إلى الأبد. انظر: (مز ٤٠: ١١):
+ «أمَّا أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني. تنصرني رحمتك وحقك دائماً». وأيضاً: (٢صم ٧: ١٦ و٢٦ و٢٩):
+ «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد». في التصحيح: "أمامي".
+ «وليتعظَّم اسمك إلى الأبد فيُقال رب الجنود إله على إسرائيل. وليكن بيت عبدك داود ثابتاً **أمامك**».
+ «فالآن ارتضِ وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد **أمامك** لأنك أنت يا سيدي الرب قد تكلَّمت ...». وأيضاً: (مز ٢١: ٦):
+ «لأنك جعلته بركات إلى الأبد. تفرحه ابتهاجاً **أمامك**». وأيضاً: (مز ٨٩: ٣٦ ب):
+ «... وكرسيه كالشمس **أمامي**». وفي قوله "يجلس". انظر: (مز ٩: ٧):
+ «أمَّا الرب فإلى الدهر يجلس. ثبَّت للقضاء كرسيه».

٨ ـ «هكَذَا أُرَنِّمُ لاِسْمِكَ إِلَى الأَبَدِ، لِوَفَاءِ نُذُورِي يَوْماً فَيَوْماً»:

لأن حفظ الحياة يقابلها شكر دائم ممتد. انظر: (مز ٥٠: ١٤و١٥):

+ «اذبح لله حمداً وأوفِ العلي نذورك وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني».

والترجوم يشرح ذلك بصلاة بديعة: [هكذا أصلي وأوفي نذوري في يوم فداء إسرائيل حتى إلى يوم مجيء الملك المسيَّا الممسوح للملك].



المزمور الثاني والستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «يَدُوثُونَ» مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١- «إِنَّمَا للهِ انْتَظَرَتْ نَفْسِي. مِنْ قِبَلِهِ خَلاَصِي.

٢- إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي، مَلْجَإِي، لاَ أَتَزَعْزَعُ كَثِيراً.

٣- إِلَى مَتَى تَهْجُمُونَ عَلَى الإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ!

٤- إِنَّمَا يَتَآمَرُونَ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ شَرَفِهِ. يَرْضَوْنَ بِالْكَذِبِ. بِأَفْوَاهِهِمْ يُبَارِكُونَ وَبِقُلُوبِهِمْ يَلْعَنُونَ. سِلاَهْ.

٥- إِنَّمَا للهِ انْتَظِرِي يَا نَفْسِي، لأَنَّ مِنْ قِبَلِهِ رَجَائِي.

٦- إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي، مَلْجَإِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ.

٧- عَلَى اللهِ خَلاَصِي وَمَجْدِي، صَخْرَةُ قُوَّتِي مُحْتَمَايَ فِي اللهِ.

٨- تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ يَا قَوْمُ اسْكُبُوا قُدَّامَهُ قُلُوبَكُمْ. اللهُ مَلْجَأٌ لَنَا. سِلاَهْ.

٩- إِنَّمَا بَاطِلٌ بَنُو آدَمَ. كَذِبٌ بَنُو الْبَشَرِ. فِي الْمَوَازِينِ هُمْ إِلَى فَوْقُ. هُمْ مِنْ بَاطِلٍ أَجْمَعُونَ.

١٠- لاَ تَتَّكِلُوا عَلَى الظُّلْمِ وَلاَ تَصِيرُوا بَاطِلاً فِي الْخَطْفِ. إِنْ زَادَ الْغِنَى فَلاَ تَضَعُوا عَلَيْهِ قَلْباً.

١١- مَرَّةً وَاحِدَةً تَكَلَّمَ الرَّبُّ، وَهَاتَيْنِ الاثْنَتَيْنِ سَمِعْتُ: أَنَّ الْعِزَّةَ للهِ،

١٢- وَلَكَ يَا رَبُّ الرَّحْمَةُ، لأَنَّكَ أَنْتَ تُجَازِي الإِنْسَانَ كَعَمَلِهِ».

دراسة:

حينما كان شاول يبحث طالباً حياة داود ذهب يوناثان إلى داود سرًّا وقوَّى يده في الله. انظر: (١صم ٢٣: ١٦):

+ «فقام يوناثان بن شاول وذهب إلى داود إلى الغاب وشدَّد يده بالله».

وعندما كان أتباع داود في حالة نفسية رديئة وفقدوا الأمل هدَّدوا أنهم يرمونه بالحجارة ولكنه تقوَّى بالله: انظر: (١صم ٣٠: ٦):

+ «فتضايق داود جدًّا لأن الشعب قالوا برجمه لأن أنفس جميع الشعب كانت مرَّة كل واحد على بنيه وبناته. وأمَّا داود فتشدَّد بالرب إلهه».

وقد عاش داود في مواجهة خيانات ومخطَّطات ضد شرفه وحياته أيضاً، وحينما هُدِّد أتباعه بالخطر أن يؤخذوا بعيداً بواسطة الأغنياء وسطوتهم، في هذا داود تقوَّى في الله. وكان يعيش بفكر النصرة لأن الله كان كل شيء بالنسبة له: صخرته، صخرته القوية، برجه العالي، ملجأه، خلاصه، رجاءه. وأخذ يُقارن بين الثقة في الله وبين جنون الاتكال على الإنسان والثروة والإمكانيات المادية وحياة الفراغ في مقاومة الله.

والثقة الواثقة والشجاعة في هذا المزمور هي حقـاً جديرة بداود وحده. فإذا كان زمن المزمور هو زمن أبشالوم وثورته، فهو له صلة قريبة بمزمور (٤) الذي يبدو أنه من ذلك الزمان. وكنَّا ننتظر تنويهات عن الثورة التي قام بها أبشالوم في هذا المزمور، ولكن على أي حال فإن مركز صاحب المزمور لا يختلف كثيراً عن ذلك الزمن. فهنا إشارة عن السفلة المستهترين الذين بلا مبادئ والمرائين من الأعداء الذين يبحثون كيف يهدمونه من مركز كرامته (٣و٤). وكان له جماعة أتباع كان يعتمد عليهم (٨)، ولكن بعضهم لا يزال في تردُّد وكانوا في خطر أن ينخدعوا من مظاهر القوة الكاذبة والوعود الخلاَّبة التي يقدِّمها أعداؤه.

وهذا المزمور فيه اسم يدوثون في العنوان كمثل عنوان مزمور (٣٩) المشابه له في نقاط كثيرة، غير أن الموقف يختلف ولكن يُفهم منه في مزمور (٦٢) أنه على نمط يدوثون. وعنوان مزمور (٧٧) أيضاً على يدوثون. ويظهر أنه يسمَّى أيضاً إيثان (١أي ١٧:١٥) الذي مع هيمان وآساف كانوا هم الذين يرتِّبون نظام الموسيقى في الهيكل.

وتركيب المزمور عادي وله ثلاث وقفات متساوية:

١ - الله وحده هو المدافع عن صاحب المزمور، وإلى متى يخطط الأعداء ضدَّه؟ (١-٤).

٢ - مع تغيير طفيف ولكن ذات أهمية نجد الآيات الأُولى في الوقفة الثانية متكرِّرة كمثيلتها في الوقفة الأُولى، ثمَّ يهتف صاحب المزمور بالذين معه أن يثقوا في الله (٥-٨).

٣ - باطل أن يثق الإنسان في الإنسان والقوة الغاشمة والغنى المادي. الله هو إله القوة والمحبة، الأمور التي تظهر في عدالة قضائه (٩-١٢).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٤]: بصبر ينتظر صاحب المزمور معونة الله. ويتنازع مع أعدائه بسبب مكرهم وريائهم.

١ - «إِنَّمَا للهِ انْتَظَرَتْ نَفْسِي. مِنْ قِبَلِه خَلاَصِي».

حرف akh في العبري (المترجم ''إنما'') يتكرَّر هنا ست مرَّات وفي المزمور (٣٩) يتكرَّر أربع مرَّات، ويأتي دائماً في مقدِّمة الجملة ١ و٢ و٤ و٥ و٦ و٩ وهو حرف توكيد: حقـاً أو أكيداً. ولكن كلمة ''إنما'' جاءت هنا بمعنى (أنه فقط only). وعن هذا الانتظار الصامت نقرأ: (مز ٧:٣٧):

+ «انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه، من الرجل المجري مكايد». وأيضاً: (مز ٢:٣٩):

+ «صمتُّ صمتاً سكتُّ عن الخير فتحرَّك وجعي». وأيضاً: (مرا ٢٦:٣):

+ «جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقَّع بسكوت خلاص الرب».

٢ - «إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي، مَلْجَإِي، لاَ أَتَزَعْزَعُ كَثِيراً»:

هذه أيضاً نجدها في (مز ٢:١٨):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. تُرسي وقرن خلاصي وملجإي».

والاستخدام المتواصل للصخرة يُعنى به القوة والأمانة وعدم التغيير التي ليهوه. وتجدها أيضاً في (مز ٢:٦١):

+ «من أقصى الأرض أدعوك إذا غُشي على قلبي. إلى صخرة أرفع مني تهديني».

«لا أتزعزع كثيراً»: حتى إن سقطتُ لا أنفرش على الأرض منبطحاً. انظر: (مز ٢٤:٣٧):

+ «إذا سَقَطَ لا ينطرح لأن الرب مسند يده». وأيضاً: (أم ١٦:٢٤):

+ «لأن الصديق يسقط سبع مرَّات ويقوم. أمَّا الأشرار فيعثرون بالشر».

٣ - «إِلَى مَتَى تَهْجُمُونَ عَلَى الإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ!»:

لاحظ تكرار ''إلى متى'' في هذا المزمور، وفي مزمور ٢:٤: «يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً، حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب». والله في جانب صاحب المزمور فلا يقوون على

ضرره فإلى متى يحاربون باطلاً؟ لماذا تستخدمون الخسَّة مع القوة لإسقاط حائط آيل للسقوط. ن...
إن كان الإنسان سيموت فلماذا تتعجَّلون في موته! انظر: (٢صم ١:١٧):

+ «وقال أخيتوفل لأبشالوم: دعني أنتخب اثني عشر ألف رجل وأقوم وأسعى وراء داود هـ... الليلة».

٤ - «إِنَّمَا يَتَآمَرُونَ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ شَرَفِهِ. يَرْضَوْنَ بِالْكَذِبِ. بِأَفْوَاهِهِمْ يُبَـارِكُونَ وَبِقُلُـوبِهِمْ يَلْعَنُونَ. سِلاَهْ»:

لأن مؤامراتهم هي كذب وقائمة على الكذب في مبدأها أو غايتها. انظر: (مز ٢:٤):

+ «يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً. حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب. سلاه».

وقد كانوا مداهنين في عظم جريمتهم وريائهم والثنائية الفاضحة في التصرُّف. انظر: (مز ٢:١٢):

+ «يتكلَّمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلَّمون». وأيضاً: (مز ٣:٢٨):

+ «لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم». وأيضاً (مز ٢١:٥٥):

+ «أنعم من الزبدة فمه وقلبه قتالٌ. ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة».

[عدد ٥-٨]: افتتاح الكلام مكرَّر من عدد ١و٢ مع تغيير طفيف، وينتهي بمنـاداة الـذين مع صاحب المزمور أن يثقوا بالله.

٥ - **«إِنَّمَا للهِ انْتَظِرِي يَا نَفْسِي، لأَنَّ مِنْ قِبَلِهِ رَجَائِي»:**

دائماً يشجِّع نفسه حتى يهدأ (١) ويزال هادئاً خاصة عندما يتذكَّر أعداءه مزدوجي الأخلاق والوجه والسلوك فيزداد هيجاناً. انظر: (مز ٧:٣٧):

+ «انتظر الرب واصبر له ولا تغرْ من الذي ينجح في طريقه، من الرجل المجري مكايد».

حيث رجاؤه هنا هو الخلاص من أعدائه والخروج من هذه الضيقة التي حاصرته.

٦ - **«إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي، مَلْجَإِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ»:**

كونه لا يتزعزع يكشف عن إيمانه.

٧ - **«عَلَى اللهِ خَلاَصِي وَمَجْدِي، صَخْرَةُ قُوَّتِي مُحْتَمَايَ فِي اللهِ»:**

نفسه ترتاح في الله ويثق في الخلاص ليدافع عن كرامته بصفته داود الملك. انظر: (مز ٢:٤):

+ «يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً. حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب». وأيضاً: (إش ٤:٢٦):

+ «توكَّلوا على الرب إلى الأبد لأن في "ياه" الرب صخر الدهور».

الآيات (٨) و(١٠) شرحها داخل في بقية الشرح.

٩ - **«إِنَّمَا بَاطِلٌ بَنُو آدَمَ. كَذِبٌ بَنُو الْبَشَرِ. فِي الْمَوَازِينِ هُمْ إِلَى فَوْقُ. هُمْ مِنْ بَاطِلٍ أَجْمَعُونَ»:**

الله هو وحده حق والإنسان كذب وباطل، نفخة تزول، يُغوَى الذين يعتمدون على البشر وكلهم باطل. والمترددون حينما يرون كثرة الذاهبين وراء الباطل يتأثرون.

١١- **«مَرَّةً وَاحِدَةً تَكَلَّمَ الرَّبُّ، وَهَاتَيْنِ الاثْنَتَيْنِ سَمِعْتُ: أَنَّ الْعِزَّةَ للهِ،**
١٢- **«وَلَكَ يَا رَبُّ الرَّحْمَةُ، لأَنَّكَ أَنْتَ تُجَازِي الإِنْسَانَ كَعَمَلِهِ»:**

انظر (أي ١٤:٣٣):

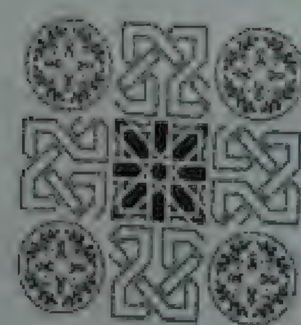
+ «لكن الله يتكلَّم مرَّة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان». وأيضاً: (أي ٤٠: ٤و٥):

+ «وضعت يدي على فمي. مرَّة تكلَّمت فلا أجيب ومرَّتين فلا أزيد».

الله تكلَّم وصاحب المزمور سمع. انظر: (مز ٨:٨٥):

+ «إني أسمع ما يتكلَّم به الله الرب. لأنه يتكلَّم بالسلام لشعبه ولأتقيائه فلا يرجعن إلى الحماقة».

والمعنى لا عزَّة للبشر ولا بين البشر، فالعزَّة لله وهي الارتفاع في الفكر والقول والعمل، وكل مَنْ يتكل على الله بإيمان وثقة يعتزّ به!



المزمور الثالث والستون

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لَمَّا كَانَ فِي بَرِّيَّةِ يَهُوذَا

١- «يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي. يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ،

٢- لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ. كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ.

٣- لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ.

٤- هكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ.

٥- كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيِ الابْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي.

٦- إِذَا ذَكَرْتُكَ عَلَى فِرَاشِي، فِي السُّهْدِ أَلْهَجُ بِكَ،

٧- لأَنَّكَ كُنْتَ عَوْنًا لِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَبْتَهِجُ.

٨- الْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي.

٩- أَمَّا الَّذِينَ هُمْ لِلتَّهْلُكَةِ يَطْلُبُونَ نَفْسِي، فَيَدْخُلُونَ فِي أَسَافِلِ الأَرْضِ.

١٠- يُدْفَعُونَ إِلَى يَدَيِ السَّيْفِ. يَكُونُونَ نَصِيبًا لِبَنَاتِ آوَى.

١١- أَمَّا الْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِاللهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ، لأَنَّ أَفْوَاهَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ تُسَدُّ».

دراسة:

الآن يكون قد بلغ الإيمان الذي استعرضه صاحب المزمور في المزمورين السابقين إلى قمته في هذا المزمور وهو بعيد عن الهيكل مسكن الله، ثمّ في وسط الضيقة يرمي صاحب المزمور نفسه على الله.

والذي يتمنّاه فوق كل شيء هو الإحساس بوجود الله، كما قد مارسه أثناء الصلاة في الهيكل (١و٢). وفي تقديم الشكر لله على مدى الحياة يجد قمة فرحه ورضاه (٣-٥). ويقضي الليل كله في تأملاته في الله متذكراً نعمه وإحساناته (٦و٧). وبينما هو يقترب إلى الله شيئاً فشيئاً سيختفي أعداؤه في الظلام السفلي (٨و٩) وتُلقى جثثهم معرّاة في أرض المعركة وحينئذ تنتهي كل المؤامرات.

هذا المزمور لا يقدّم أية وقفات، فالفكر يتلو الفكر من قلب امتلأ حبًّا، والارتباط بين الآيات غير واضح.

مثل هذا المزمور يعطي تعليماً أكثر عمقاً من كافة التعريفات النظرية عن الله كإله شخصي الذي معه تتحدّث النفس بكل القوة والحرارة والتقوى. وارتفاع هذا المزمور روحياً هو ما يصل إليه القليل من المزامير الأخرى، ولكن ينحدر المزمور فجأة لندخل في جو آخر إلى جو الأرض وهمومها اليومية حيث الأعداء البشريون وعراكهم، حيث العواطف البشرية المتأثرة بشدّة. فبعد أن كان يسكب نفسه في حرارة العلاقة الشخصية بالله كمتصوّف أو عابد معتكف قد راح في دهشته وتأملاته، يتحوّل إلى آخر يحارب عدوًّا من لحم ودم يرجو أن يفضح خبثهم وينكسروا وتطرح جثثهم في العراء للذئاب.

ويلزم أن نتذكر أن صاحب المزمور يشعر بقوة أن عدوه هو عدو الله، لذلك ينتظر بوارهم ليس فقط من أجل الله نفسه وحكمه وعدله بل كعلامة أن الله لم يسحب نفسه من قضاء المسكونة، وهو يؤسس مملكته وإن كان ببطء بين الناس.

مؤلّف هذا المزمور ملك (١) منتظر تحطيم أعدائه (٩و١٠). وهو بعيد شكلاً عن الهيكل وأيضاً في خطر من عدو مخادع. والعنوان ينسبه لداود عندما كان في برية يهوذا. ولأنه يذكر أنه ملك فهو ليس في فترة تجولاته السابقة لملكه (١صم ٢٣:١٤ إلخ) ولكن أثناء هروبه من أبشالوم ابنه. والطريق إلى أريحا الذي اتخذه داود بعد أن خرج من أُورشليم يمر في شمال برية يهوذا قبل أن يعبر الأُردن. انظر: (٢صم ١٥: ٢٣ و٢٨):

+ «وكانت جميع الأرض تبكي بصوت عظيم وجميع الشعب يعبرون وعبر الملك في وادي قدرون وعبر جميع الشعب نحو طريق البرية».

+ «انظروا. أني أتوانى في سهول البرية حتى تأتي كلمة منكم لتخبيري». والوصف هنا يعود أكثر إلى وصف ما عاناه الملك في هروبه المُسرع. انظر: (٢صم ١٦: ١و٢):

+ «ولمّا عبر داود قليلاً عن القمة إذا بصيبا غلام مفيبوشث قد لقيه بحمارين مشدودين عليهما مئتا رغيف خبز ومئة عنقود زبيب ومئة قرص تين وزق خمر. فقال الملك لصيبا: ما لَكَ وهذه؟ فقال صيبا: الحماران لبيت الملك للركوب، والخبز والتين للغلمان ليأكلوا، والخمر ليشربه مَنْ أعيا ...». وأيضاً: (٢صم ١٧:٢٩):

+ «عسلاً وزبدة وضأناً وجبن بقر لداود وللشعب الذي معه ليأكلوا. لأنهم قالوا الشعب جوعان ومتعب وعطشان في البرية».

مقدَّمة لداود في محنايم من شوبي بن ناحاش من ربة بني عمون وآخرين!؟ أغراب. وأيضاً: (٢صم ١٧: ٢و٣):

+ «فآتي عليه وهو متعب ومرتخي اليدين فأُزعجه فيهرب كل الشعب الذي معه وأضرب الملك وحده».

فالملك وأتباعه من الشعب كانوا قد أعيوا في الأرض الوعرة، مما قدَّمت صورة متوافقة مع ضيقات الملك النفسية. والبذرة الأُولى في المزمور هي في الإيمان وفي كلمات الاستسلام التي قالها داود لصادوق: احمل التابوت وارجع به إلى المدينة. فإن وجدت نعمة في عيني الرب هو يعيدني ثانية ويريني إيَّاه (التابوت) انظر: (٢صم ١٥: ٢٥و٢٦):

+ «فقال الملك لصادوق: أرجع تابوت الله إلى المدينة فإن وجدت نعمة في عيني الرب فإنه يرجعني ويُريني إيَّاه ومسكنه. وإن قال هكذا إني لم أُسَرّ بك فهأنذا فليفعل بي حسبما يحسن في عينيه».

ومعظم المزمور يحكي عن موقف داود وعن قوته الروحية وجمال تقواه (١-٨).

وليس عجباً أن اختارت الكنيسة هذا المزمور كمزمور الصباح مع مزمور (٤١) ليكون مزمور المساء. وآباء الكنيسة مثل ذهبي الفم [كانوا يسبِّحون بهذا المزمور كل صباح كترنيمة روحية ودواء لرفع الخطايا وليُشعل فينا الشوق لله، ويرفع النفس ويُلهبها بنار قوية للتقوى ويفيض صلاحاً وحبًّا، ويهيِّئنا للترائي أمام الله]. (انظر: بنجهام Antiq. Book .XIII, Chapter 10)

وبجوار مقارنة هذا المزمور بالمزمورين ٦١و٦٢ يجب مقارنته أيضاً بالمزمورين ٤٢و٤٣، اللذان هما القطع الموازية في مجموعة قورح.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١و٢]: يتذكَّر الرؤى العظيمة لله التي استمتع بها في هيكله وهو يعطش إلى تجديدها في حضرته.

١ - «**يَا اللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي. يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ**»:

''إلوهيم أنتَ إلهي'' هكذا يُخاطب يهوه. انظر: (مز ١٤٠:٦):

+ «قلت للرب أنت إلهي ...». لأنه الأقوى الذي يدعوه بثقة في عوزه. انظر: (مز ٤٢: ٢و٨و٩):

+ «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدَّام الله؟».

+ «بالنهار يوصي الرب رحمته وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي».

+ «أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو؟» وأيضاً: (مز ٤٣:٤):

+ «فآتي إلى مذبح الله إلى الله بهجة فرحي وأحمدك بالعود يا الله إلهي».

«**إليك أبكّر**»: وُجدَت هذه الكلمة بمعنى: ''يُبكِّر'' في الصباح في إنجيل القديس لوقا وبسببها أصبح استخدام هذا المزمور كمزمور للصباح مناسباً جدًّا. انظر: (لو ٢١:٣٨):

+ «وكان كل الشعب **يبكّرون** إليه في الهيكل ليسمعوه».

ولكن الكلمة العبرية تبدو مشتقة من كلمة ''السَحَر'': (إش ٢٦:٩) = سَحَر sahar:

+ «بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك **أبتكر** (essahereka)»

«**نفسي ... جسدي**»: كل ذاتي: نفساً وروحاً. انظر: (مز ٨٤:٢):

+ «... قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي».

«**عطشت إليك نفسي**»: انظر: (مز ٤٢:٢):

+ «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدَّام الله؟».

«**يشتاق إليك جسدي**»: انظر: (مز ٨٤:٢):

+ «تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب».

وكلمة يشتاق كلمة قوية جاءت هنا فقط وتعني يذوب رغبة.

«**في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء**»: انظر: (مز ١٤٣:٦):

+ «بسطتُ إليك يدي. نفسي نحوك كأرض يابسة. سلاه». وأيضاً: (إش ٣٢:٢):
+ «ويكون إنسان كمخبأ من الريح وستارة من السيل كسواقي ماءٍ في مكان يابس كظل صخرة عظيمة في أرض معيية».

هذه الكلمات تشبيهية لأنه لا يشتهي الماء حقيقة بل "ماء الحياة" التي تعطي الإنعاش الروحي لا الجسدي، حيث الله هو الذي يحيي المُعْيِيَ.

٢ - «لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ. كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ»:

أشتهي أن أحيا معك لأني رأيت عظمتك في حضرتك في الهيكل حينما كنت أتفرَّس فيك. انظر: (مز ٢٧:٤):

+ «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله». وأيضاً: (مز ١١:٧):
+ «لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يبصر وجهه». وأيضاً: (مز ١٧:١٥):
+ «أمَّا أنا فبالبرِّ أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك».

وكان تابوت العهد رمزاً لوجود وحضور الرب وقوَّته وجلاله. انظر: (١صم ٤:٢١):

+ «فدعت الصبي إيخابود قائلة: قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أُخذ». وأيضاً: (مز ٢٤:٧):
+ «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات. فيدخل ملك المجد». وأيضاً: (مز ٧٨:٦١):
+ «وسلَّم للسبي عزَّه وجلاله ليد العدو». وأيضاً: (مز ١٣٢:٨):
+ «قم يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزِّك». وهذه المعاني كلها سرائرية!

[عدد ٣-٥]: فرح التسبيح والمديح.

٣ - «لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ»:

من أجل هذه الإحسانات يزداد شوقه للقيا (١). وهكذا فإحسانات الله فتحت شفتيه للتسبيح.

حينما اشتهى موسى أن يرى الله دخل في دهش ورأى مجده، وهذا يُحسب أفضل من الحياة التي تُحسب لدى البشر أغنى وأعز شيء. ولكن داود حياته في خطر وقد دخلت في إمكانية عدم الوجود، ولكن هذه المخاطر زالت من رؤياه لينظر ويتفرَّس في إنعامات الله وحبه.

٤ - «هكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ»:

انظر: (مز ١٠٤:٣٣):

+ «أغني للرب في حياتي. أُرنِّم لإلهي ما دمت موجوداً». وأيضاً: (مز ١٤٦:٢):
+ «أسبِّح الرب في حياتي. وأُرنِّم لإلهي ما دمت موجوداً».

«**أرفع يدي**»: لأصلي. انظر: (مز ٢٨:٢):

+ «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يدي إلى محراب قدسك». وأيضاً: (مز ١٤١:٢):
+ «لتستقم صلاتي كالبخور قدَّامك ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية». وأيضاً: (١تي ٢:٨):
+ «فأريد أن يُصلِّي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة ...».

«**باسمك**»: معتمدين على أن كل ما أظهرته عن نفسك هو كائن. انظر: (مز ٤٤:٥):

+ «بك ننطح مضايقينا. باسمك ندوس القائمين علينا». وأيضاً: (يو ١٤:١٣):
+ «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن».

٥ - «كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيْ الابْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي»:

الله يُشبع النفس الجائعة إليه بطعامه الدسم ذي الفائدة الروحية الجليلة. انظر: (تث ٣٢:١٣):

+ «أركَبَهُ على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرْضَعَه عسلاً من حجر زيتاً من صوان الصخر». وأيضاً: (مز ٢٢:٢٦):
+ «يأكل الودعاء ويشبعون. يسبِّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٢٣:٥):
+ «ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقي. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريًّا». وأيضاً: (مز ٣٦:٨):
+ «يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم». وأيضاً: (إش ٢٥:٦):
+ «ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن وليمة خمر ...». وأيضاً: (إش ٥٥:٢):

+ «لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع. استمعوا لي استماعاً وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم». وأيضاً: (إر ٣١:١٤):

+ «وأروي نفس الكهنة من الدسم ويشبع شعبي من جودي يقول الرب».

الدسم هنا ترجمته الصحيحة "مخاخ العظم"، لأن الدهن لم يكن يُسمح بأكله بل يُحرق للرب.

[عدد ٦و٧]: تشكرات لذكريات مضت.

٦ - «إِذَا ذَكَرْتُكَ عَلَى فِرَاشِي، فِي السُّهْدِ أَلْهَجُ بِكَ»:

تسبق الآية السالفة ومبنية عليها. فعندما يتذكَّر الله مرَّة وهو نائم على سريره يمتلئ أفكاراً لمحبة الله فيأخذ يتأمَّل فيها كل الليل. وكان الليل مقسَّماً إلى ثلاثة هزع أو محارس، أمَّا في العهد الجديد فمقسَّم إلى أربعة بحسب الوضع الروماني.

٧ - «لأَنَّكَ كُنْتَ عَوْناً لِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَبْتَهِجُ»:

في سترك لي وعونك أفرح وألهج وأهتف.

[عدد ٨و٩]: حينما يقترب إلى الله، أعداؤه ينخذلون.

٨ - «الْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي»:

انظر: (تث ١٠:٢٠):

+ «الرب إلهك تتقي، إيَّاه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف».

«يمينك تعضدني»: انظر: (مز ١٧:٧):

+ «ميِّز مراحمك يا مخلِّص المتكلين عليك بيمينك من المقاومين». وأيضاً: (مز ١٨:٣٥):

+ «وتجعل لي ترس خلاصك ويمينك تعضدني ولطفك يعظمني». وأيضاً: (مز ٤١:١٢):

+ «أمَّا أنا فبكمالي دعمتني وأقمتني قدَّامك إلى الأبد». وأيضاً: (إش ٤١:١٠):

+ «لا تخف لأني معك. لا تتلفت لأني إلهك. قد أيَّدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برِّي».

وهكذا جهد الإنسان فيما لله يقابله الله بعنايته. انظر: (في ٢:١٣):

+ «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة».

٩ - «أَمَّا الَّذِينَ هُمْ لِلتَّهْلُكَةِ يَطْلُبُونَ نَفْسِي، فَيَدْخُلُونَ فِي أَسَافِلِ الأَرْضِ»:

بينما طريق داود صاعد نحو الله، طريقهم هابط نحو الهاوية "أسافل الأرض". انظر: (إش ٤٤:٢٣):

+ «ترنَّمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً...». وأيضاً: (حز ٢٦:٢٠):

+ «أهبطك مع الهابطين في الجب إلى شعب القدم وأجلسك في أسافل الأرض ...».

[عدد ١٠و١١]: بينما يكون أعداؤه نهايتهم إلى الفناء يكون الملك خارجاً من معركته منتصراً فوق كل المصائب.

١٠ - «يُدْفَعُونَ إِلَى يَدَيِ السَّيْفِ. يَكُونُونَ نَصِيباً لِبَنَاتِ آوَى»:

انظر: (إش ١٨:٦):

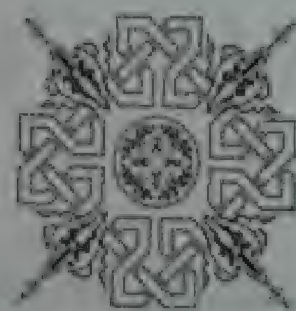
+ «تترك معاً لجوارح الجبال ولوحوش الأرض فتُصيِّف عليها الجوارح وتشتِّي عليها جميع وحوش الأرض».

١١ - «أَمَّا الْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِاللهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ، لأَنَّ أَفْوَاهَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ تُسَدُّ»:

انظر: (مز ٦١:٦):

+ «إلى أيام الملك تضيف أياماً سنينه كدور فدور». وأيضاً: (إش ٦٥:١٦):

+ «فالذي يتبرك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق».



المزمور الرابع والستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١- «اِسْتَمِعْ يَا اَللهُ صَوْتِي فِي شَكْوَايَ. مِنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ احْفَظْ حَيَاتِي.
٢- اسْتُرْنِي مِنْ مُؤَامَرَةِ الأَشْرَارِ، مِنْ جُمْهُورِ فَاعِلِي الإِثْمِ،
٣- الَّذِينَ صَقَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ كَالسَّيْفِ. فَوَّقُوا سَهْمَهُمْ كَلاَماً مُرًّا،
٤- لِيَرْمُوا الْكَامِلَ فِي الْمُخْتَفَى بَغْتَةً. يَرْمُونَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ.
٥- يُشَدِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ لأَمْرٍ رَدِيءٍ. يَتَحَادَثُونَ بِطَمْرِ فِخَاخٍ. قَالُوا: "مَنْ يَرَاهُمْ؟".
٦- يَخْتَرِعُونَ إِثْماً، تَمَّمُوا اخْتِرَاعاً مُحْكَماً. وَدَاخِلُ الإِنْسَانِ وَقَلْبُهُ عَمِيقٌ.
٧- فَيَرْمِيهِمِ اللهُ بِسَهْمٍ. بَغْتَةً كَانَتْ ضَرْبَتُهُمْ.
٨- وَيُوقِعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يُنْغِضُ الرَّأْسَ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ.
٩- وَيَخْشَى كُلُّ إِنْسَانٍ وَيُخْبِرُ بِفِعْلِ اللهِ، وَبِعَمَلِهِ يَفْطَنُونَ.
١٠- يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ بِالرَّبِّ وَيَحْتَمِي بِهِ، وَيَبْتَهِجُ كُلُّ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ».

دراسة:

هدف المزمور هو دينونة الله للأعداء ضد الأبرار.

والمزمور يقع في قسمين أساسيين كل قسم فيه الأعداد ازدواجية:

١ - صاحب المزمور يدعو الله بثقة للحماية ضد خطط الأعداء السرية وهجماتهم المكشوفة (١و٢) الذين انتهوا إلى تحطيم الأبرياء بالمكر والخديعة (٣و٤) ويطيِّبون نفوس بعضهم أن لا شيء يخافونه ويرتبون خططهم باختراعات شريرة وتصميم (٥و٦).

٢ - ولكن فجأة وأكيداً أن سهم الله ودينونته ستقع عليهم وتشتت خططهم والكل يحتقروهم (٧و٨) وفي نصيبهم يذكرون الله وقوة يده ويفرح الأبرار لأعمال الله (٩و١٠).

ويُظهر صاحب المزمور حاجته الشخصية التي أُضيرت كثيراً بخطط الأشرار ويؤكِّد عقابهم لشرِّهم بسلطان نبوي.

والمزمور له مميزاته الخاصة الواضحة وذلك بالرغم من أن أفكاره لها ما يوازيها ولغته موجودة في مزامير أخرى خاصة مزامير: ٥ و٧ و١٠ و١١ و١٢ و١٤ و٣٦ و٥٢ و٥٥ و٥٧ و٥٨.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٦]: صلاة للحفظ من العدو المخادع الذي يخطط ضده بحيل وخيانات وتصميمات.

١ - «**اِسْتَمِعْ يَا اَللهُ صَوْتِي فِي شَكْوَايَ. مِنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ احْفَظْ حَيَاتِي**»:
في مقارع مطاردة العدو الرب يحفظ حياته. انظر: (مز ١٢:٧):
+ «أنت يا رب تحفظهم. تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر». وأيضاً: (مز ٥٦:٧):
+ «على إثمهم جازهم. بغضب أخضع الشعوب يا الله».

الفعل هنا وفي العدد القادم أمر ولكن يتحوّل صاحب المزمور إلى لغة الثقة، كالحادث في (مز ١٦:١٠):
+ «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيَّك يرى فساداً».

٢ - «**اسْتُرْنِي مِنْ مُؤَامَرَةِ الأَشْرَارِ، مِنْ جُمْهُورِ فَاعِلِي الإِثْمِ**»:
من تكتيكاتهم السرِّية والظاهرة. انظر: (مز ٣١:١٣):
+ «لأني سمعت مذمَّة من كثيرين. الخوف مستدير بي بمؤامرتهم معاً عليَّ. تفكَّروا في أخذ نفسي». وأيضاً: (مز ٥٥:٢١):
+ «أنعم من الزبدة فمه وقلبه قِتَالٌ. ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة». وأيضاً: (مز ٥٧:٤):
+ «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتقدين بني آدم أسنانهم أسنَّة وسهام ولسانهم سيف ماضٍ». وأيضاً: (مز ٥٩:٧):
+ «هوذا يبقُّون بأفواههم. سيوف في شفاههم. لأنهم يقولون مَنْ سامع».

٣ - «**الَّذِينَ صَقَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ كَالسَّيْفِ. فَوَّقُوا سَهْمَهُمْ كَلاَماً مُرًّا**»:
انظر: (مز ٥٨:٧):
+ «ليذوبوا كالماء ليذهبوا. إذا فوَّق سهامه فلتنبُ».

كلامهم مر بمعنى أنه كالسهم المسموم بسم زعاف.

٤ - «لِيَرْمُوا الْكَامِلَ فِي الْمُخْتَفَى بَغْتَةً. يَرْمُونَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ»:

انظر: (مز ١١: ٢):

+ «لأنه هوذا الأشرار يمدون القوس. فوّقوا السهم في الوتر ليرموا في الدُجى مستقيمي القلوب». وأيضاً: (مز ١٠: ٨):

+ «يجلس في مكمن الديار في المختفيات يقتل البريء. عيناه تراقبان المسكين». وأيضاً: (مز ١٧: ١٢):

+ «مثله مثل الأسد القرم إلى الافتراس وكالشبل الكامن في عرّيسه». وأيضاً: (أم ٢٩: ١٠):

+ «أهل الدماء يبغضون الكامل. أمّا المستقيمون فيسألون عن نفسه».

«**ولا يخشون**»: انظر: (مز ٥٥: ١٩):

+ «يسمع الله فيذلهم والجالس منذ القدم. سلاه. الذين ليس لهم تغيُّر **ولا يخافون الله**».

٥ - «يُشَدِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ لأَمْرٍ رَدِيءٍ. يَتَحَادَثُونَ بِطَمْرِ فِخَاخٍ. قَالُوا: "مَنْ يَرَاهُمْ؟"»:

يتبارون في حبك الأمر الرديء ولا يذخرون وسعاً في إخفائه، ويظنون أنه لا يوجد في العالم مَنْ يرى ويحاكم، وقد أقنعوا أنفسهم أنه لا يوجد إله يرى ويحاكم. انظر: (مز ١٠: ١١و١٣):

+ «قال في قلبه إن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد».

+ «لماذا أهان الشرير الله؟ لماذا قال في قلبه لا تطالب؟». وأيضاً: (مز ١٢: ٤):

+ «الذين قالوا بألسنتنا نتجبَّر. شفاهنا معنا. مَنْ هو سيد علينا». وأيضاً: (مز ٥٩: ٧):

+ «هوذا يبقّون بأفواههم. سيوف في شفاههم. لأنهم يقولون مَنْ سامع». وأيضاً: (إش ٢٩: ١٥):

+ «ويل للذين يتعمّقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون مَنْ يبصرنا ومَنْ يعرفنا».

٦ - «يَخْتَرِعُونَ إِثْماً، تَمَّمُوا اخْتِرَاعاً مُحْكَماً. وَدَاخِلُ الإِنْسَانِ وَقَلْبُهُ عَمِيقٌ»:

يخفون أفكارهم عميقاً ووسائلهم للفتك. انظر: (إر ١٧: ٩و١٠):

+ «القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس مَنْ يعرفه».

+ «أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله». وأيضاً: (مي ٧: ٣):

+ «اليدان إلى الشر مجتهدتان. الرئيس طالب والقاضي بالهدية والكبير يتكلّم بهوى نفسه».

[عدد ٧-١٠]: يخططون ولكن وسط تخطيطاتهم ينطلق سهم الله ودينونته لتصيبهم، والأمناء يتشجّعون.

٧ - «فَيَرْمِيهِمِ اللهُ بِسَهْمٍ. بَغْتَةً كَانَتْ ضَرْبَتُهُمْ»:

هذه مقولة سائرة كانت على أفواه شعب إسرائيل ومحفوظة. انظر: (مز ٧: ١٢و١٣):

+ «إن لم يرجع يحدِّد سيفه. مدَّ قوسه وهيَّأها».

+ «وسدَّد نحوه آلة الموت. يجعل سهامه ملتهبة».

يقولون في اللغة العامية إن سهم الله وقع عليه.

٨ - «وَيُوقِعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يُنْغِضُ الرَّأْسَ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ»:

انظر: (مز ١٤٠: ٩و١٠):

+ «أمّا رؤوس المحيطين بي فشقاء شفاههم يغطيهم. ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار». وأيضاً: (مز ٢٢: ٧):

+ «كل الذين يرونني يستهزئون بي. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس».

٩ - «وَيَخْشَى كُلُّ إِنْسَانٍ وَيُخْبِرُ بِفِعْلِ اللهِ، وَبِعَمَلِهِ يَفْطَنُونَ»:

وبهذه النتيجة بسقوط العدو تسود مخافة الله. انظر: (مز ٢٨: ٥):

+ «لأنهم لم ينتبهوا إلى أفعال الرب ولا إلى أعمال يديه يهدمهم ولا يبنيهم». وأيضاً: (مز ١٠٦: ٧):

+ «آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك لم يذكروا كثرة مراحمك فتمرّدوا عند البحر». وأيضاً: (هو ١٤: ٩):

+ «مَنْ هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها. فإن طريق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها وأمّا المنافقون فيعثرون فيها».

١٠ - «يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ بِالرَّبِّ وَيَحْتَمِي بِهِ، وَيَبْتَهِجُ كُلُّ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ»:

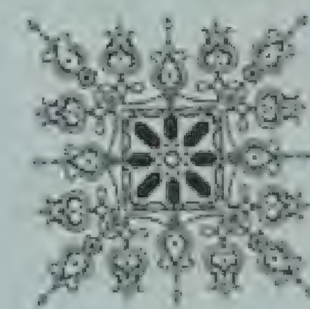
وهكذا تكون أحكام الله الرادعة للأشرار محل راحة وفرح للأبرار، إذ تكون لهم تأكيداً أنه توجد

عدالة في الأرض. وأنه ملجأ أمين للأمناء. انظر: (مز ٥: ١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك». وأيضاً: (مز ٥٢: ٦و٧):
+ «فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون. هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتزَّ بفساده». وأيضاً: (مز ٥٨: ١٠):
+ «يفرح الصديق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير». وأيضاً: (مز ٤٨: ١١):
+ «يفرح جبل صهيون تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكامك».

«**ويحتمي به**»: انظر: (مز ٥٧: ١):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب». وأيضاً: (مز ٦١: ٤):
+ «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك. سلاه».



المزمور الخامس والستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ. تَسْبِيحَةٌ

١- «لَكَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اَللهُ فِي صِهْيَوْنَ، وَلَكَ يُوفَى النَّذْرُ.
٢- يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ، إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ.
٣- آثَامٌ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيَّ. مَعَاصِينَا أَنْتَ تُكَفِّرُ عَنْهَا.
٤- طُوبَى لِلَّذِي تَخْتَارُهُ وَتُقَرِّبُهُ لِيَسْكُنَ فِي دِيَارِكَ. لَنَشْبَعَنَّ مِنْ خَيْرِ بَيْتِكَ قُدْسِ هَيْكَلِكَ.
٥- بِمَخَاوِفَ فِي الْعَدْلِ تَسْتَجِيبُنَا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا، يَا مُتَّكَلَ جَمِيعِ أَقَاصِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ الْبَعِيدَةِ.
٦- الْمُثْبِتُ الْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، الْمُتَنَطِّقُ بِالْقُدْرَةِ،
٧- الْمُهْدِّئُ عَجِيجَ الْبِحَارِ، عَجِيجَ أَمْوَاجِهَا وَضَجِيجَ الأُمَمِ.
٨- وَتَخَافُ سُكَّانُ الأَقَاصِي مِنْ آيَاتِكَ. تَجْعَلُ مَطَالِعَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تَبْتَهِجُ.
٩- تَعَهَّدْتَ الأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ. تُغْنِيهَا جِدًّا. سَوَاقِي اللهِ مَلآنَةٌ مَاءً. تُهَيِّئُ طَعَامَهُمْ لأَنَّكَ هكَذَا تُعِدُّهَا.
١٠- أَرْوِ أَتْلاَمَهَا. مَهِّدْ أَخَادِيدَهَا. بِالْغُيُوثِ تُحَلِّلُهَا. تُبَارِكُ غَلَّتَهَا.
١١- كَلَّلْتَ السَّنَةَ بِجُودِكَ، وَآثَارُكَ تَقْطُرُ دَسَماً.
١٢- تَقْطُرُ مَرَاعِي الْبَرِّيَّةِ، وَتَتَنَطَّقُ الآكَامُ بِالْبَهْجَةِ.
١٣- اكْتَسَتِ الْمُرُوجُ غَنَماً، وَالأَوْدِيَةُ تَتَعَطَّفُ بُرًّا. تَهْتِفُ وَأَيْضاً تُغَنِّي».

دراسة:

المزمور تسبيحة حسب العنوان، والقصد أن يُسبَّح به في عيد البواكير في الفصح. انظر (لا ٢٣: ٩-١٢):

+ «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل وقُل لهم: متى جئتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن. فيُردِّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم. في غد السبت يردِّدها الكاهن. وتعملون يوم ترديدكم الحزمة خروفاً صحيحاً حولياً محرقة للرب».

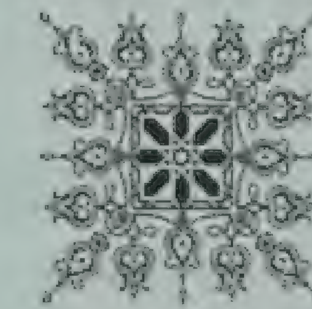
وواضح من اجتماع الشعب في الهيكل (٢و٤) أن المزمور ترتَّب ليكون تسبيحة في أحد الأعياد

عدالة في الأرض، وأنه ملجأ أمين للأمناء. انظر: (مز ٥:١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلّلهم. ويبتهج بك محبو اسمك». وأيضاً: (مز ٥٢: ٦و٧):
+ «فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون. هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتزَّ بفساده». وأيضاً: (مز ٥٨:١٠):
+ «يفرح الصديق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير». وأيضاً: (مز ٤٨:١١):
+ «يفرح جبل صهيون تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكامك».

«**ويحتمي به**»: انظر: (مز ٥٧:١):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب». وأيضاً: (مز ٦١:٤):
+ «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك. سلاه».



المزمور الخامس والستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ. تَسْبِيحَةٌ

١- «لَكَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اَللهُ فِي صِهْيَوْنَ، وَلَكَ يُوفَى النَّذْرُ.
٢- يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ، إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ.
٣- آثَامٌ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيَّ. مَعَاصِينَا أَنْتَ تُكَفِّرُ عَنْهَا.
٤- طُوبَى لِلَّذِي تَخْتَارُهُ وَتُقَرِّبُهُ لِيَسْكُنَ فِي دِيَارِكَ. لَنَشْبَعَنَّ مِنْ خَيْرِ بَيْتِكَ قُدْسِ هَيْكَلِكَ.
٥- بِمَخَاوِفَ فِي الْعَدْلِ تَسْتَجِيبُنَا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا، يَا مُتَّكَلَ جَمِيعِ أَقَاصِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ الْبَعِيدَةِ.
٦- الْمُثْبِتُ الْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، الْمُتَنَطِّقُ بِالْقُدْرَةِ،
٧- الْمُهْدِئُ عَجِيجَ الْبِحَارِ، عَجِيجَ أَمْوَاجِهَا وَضَجِيجَ الأُمَمِ.
٨- وَتَخَافُ سُكَّانُ الأَقَاصِي مِنْ آيَاتِكَ. تَجْعَلُ مَطَالِعَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تَبْتَهِجُ.
٩- تَعَهَّدْتَ الأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ. تُغْنِيهَا جِدًّا. سَوَاقِي اللهِ مَلآنَةٌ مَاءً. تُهَيِّئُ طَعَامَهُمْ لأَنَّكَ هكَذَا تُعِدُّهَا.
١٠- أَرْوِ أَتْلاَمَهَا. مَهِّدْ أَخَادِيدَهَا. بِالْغُيُوثِ تُحَلِّلُهَا. تُبَارِكُ غَلَّتَهَا.
١١- كَلَّلْتَ السَّنَةَ بِجُودِكَ، وَآثَارُكَ تَقْطُرُ دَسَماً.
١٢- تَقْطُرُ مَرَاعِي الْبَرِّيَّةِ، وَتَتَنَطَّقُ الآكَامُ بِالْبَهْجَةِ.
١٣- اكْتَسَتِ الْمُرُوجُ غَنَماً، وَالأَوْدِيَةُ تَتَعَطَّفُ بُرًّا. تَهْتِفُ وَأَيْضاً تُغَنِّي».

دراسة:

المزمور تسبيحة حسب العنوان، والقصد أن يُسبَّح به في عيد البواكير في الفصح. انظر (لا ٢٣: ٩-١٢):

+ «وكلّم الرب موسى قائلاً: كلّم بني إسرائيل وقُل لهم: متى جئتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن. فيُردِّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم. في غد السبت يردِّدها الكاهن. وتعملون يوم ترديدكم الحزمة خروفاً صحيحاً حولياً محرقة للرب».

وواضح من اجتماع الشعب في الهيكل (٢و٤) أن المزمور ترتَّب ليكون تسبيحة في أحد الأعياد

الكبرى. ولأن القمح لا يزال في الحقول (١٣) فإن أعياد الخمسين أو الحصاد أو المظال لا تصح.

والمزمور يلمِّح إلى خلاصٍ للأمة قد تمَّ حديثاً (٥). والعالِم Delitzsch يعتقد أنه الربيع للسنة الثالثة المذكور في (إش ٣٧: ٣٠-٣٢):

+ «وهذه لك العلامة. تأكلون هذه السنة زريعاً وفي السنة الثانية خلفة وأمَّا السنة الثالثة ففيها تزرعون وتحصدون وتغرسون كروماً وتأكلون أثمارها. ويعود الناجون من بيت يهوذا الباقون يتأصلون إلى أسفل ويصنعون ثمراً إلى ما فوق. لأنه من أُورشليم تخرج بقية وناجون من جبل صهيون. غيرة رب الجنود تصنع هذا».

فبعدما تقهقر أشور ترك بني إسرائيل أحراراً ليزرعوا حقولهم. ويُعتقد أن هذه السنة هي المقصودة في هذا المزمور. هذا يجد صدى أيضاً في اللغة المشابهة لهذا المزمور في مزمور (٤٦) الذي ينتمي إلى مثل هذا الوقت، كذلك يتناسب مع إشعياء أعلاه وكذلك مع لغة مزمور (٦٦) المتصل بخلاص أُورشليم من أشور.

والمزمور يتكوَّن من ثلاث وقفات:

١ - إنه يليق بالشعب الشاكر أن يجتمع في الهيكل ليقدِّموا تسابيحهم لسامع الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر، ولكن الخطية تمنعهم من الاقتراب من الله، ولكنه يصنع فداءً لهم، وفي بركات بيته سيجدون أقصى سعادتهم (١-٤).

٢ - إله إسرائيل هو موضع الثقة الوحيد لكل البشرية. فهو الخالق والمقيم للعالم ويدبِّر الشعوب فيه وعلامات قوَّته تلهم العجب للجميع بالفرح (٥-٨).

٣ - والآن يتعيَّن على إسرائيل بالخصوص أن تعترف بمحبة الله وخيريته في الغِنَى المزدهر الذي بارك به السنة كلها (٩-١٣).

بعض النسخ للسبعينية والفولجاتا تضيف للعنوان بصورة غريبة: تسبيح لإرميا وحزقيا والشعب أثناء الأسر قبل أن ينطلقوا. ولكن لم تكن هذه الزيادة أصيلة في السبعينية.

هذا المزمور والثلاثة مزامير التالية تحمل العنوان المزدوج: تسبيحة ومزمور (إش ٣٠: ٢٩و٣٠):

+ «تكون لكم أغنية (تسبيحة) كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل. ويسمع الرب جلال صوته ...».

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٤]: إنه واجب على الشعب الذي يحيا الشكر لله أن يقدِّموه في هيكله للصلاة ليقدِّموا نذورهم لسامع الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر. أمَّا الإحساس بالخطايا فربما يمنعهم من الاقتراب إلى الله القدوس إذا لم يكن هو منعماً بالفداء لهم ليطهرهم من خطاياهم. وفي البركات التي يمنحها - ومنها الدخول إلى بيته - يجد الإنسان أسعد ما يتمناه.

١ - «لَكَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اَللهُ فِي صِهْيَوْنَ، وَلَكَ يُوفَى النَّذْرُ»:

بجمال رائع تفترض الآية وجود الشعب الشاكر المعترف بالفضل مجتمعاً ليقدِّم تشكراته لله منتظراً بدء العيد.

«**النذر**»: انظر: (مز ٦٦: ١٣):

+ «أدخل إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذوري».

وبخصوص النذور مجتمعة مع التسبيح انظر: (مز ٢٢: ٢٥):

+ «من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدَّام خائفيه». وأيضاً: (مز ٦١: ٨):

+ «هكذا أرنم لاسمك إلى الأبد لوفاء نذوري يوماً فيوماً».

والسبعينية والفولجاتا تضيف كلمة "في أُورشليم" في آخر الآية، فيكون التوازي بين صهيون وأورشليم كما في: (مز ١٠٢: ٢١):

+ «لكي يحدِّث في صهيون باسم الرب وبتسبيحه في أورشليم». وأيضاً: (مز ١٤٧: ١٢):

+ «سبِّحي يا أُورشليم الرب سبِّحي إلهك يا صهيون».

٢ - «يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ، إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ»:

هكذا يخاطَبُ اللهُ لأنه أعطى شعبه حق الوقوف والصلاة، وهكذا هيَّأ نفسه لسماع كل صلاة. ولكن الكلام يرتفع إلى إعطاء الله صفة الحب والوفاء والاهتمام برعاياه. فكل حين تجده على استعداد لسماع الصلاة. إنما صفة مضافة لله نصنعها نحن بوقوفنا أمامه في ملء الخوف والخضوع والطاعة المذعنة والوداعة.

«**كل بشر**»: لأول وهلة تأتي إسرائيل في الذهن أنها هي المعنية بعبارة "كل بشر" لأنها المستضعفة والمستحقة بالسماع أكثر من بني البشر. انظر: (يؤ ٢: ٢٨و٢٩):

+ «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام».

ولكن الهيكل بيت الصلاة لكل الشعب (مر ١١:١٧) وهكذا يرى إشعياء (٢:٢ إلخ) وميخا أيضاً. انظر: (مي ٤: ١و٢):

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب! وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب». وأيضاً: (إش ٢:٢ إلخ):
+ «ويكون في آخر الأيام ... (مثل ميخا، ويزيد) ... فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين». وأيضاً: (إر ١٦:١٩):
+ «يا رب عزّي وحصني وملجإي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون إنما ورث آباؤنا كذباً وأباطيل وما لا منفعة فيه». وأيضاً: (إش ٦٦:٢٣):
+ «ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي قال الرب». وأيضاً: (مز ٢٢:٢٧):
+ «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدامك كل قبائل الأمم». وأيضاً: (مز ٨٦:٩):
+ «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك».

٣ - «آثَامٌ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيَّ. مَعَاصِينَا أَنْتَ تُكَفِّرُ عَنْهَا»:

وعند ولوجه بيت الرب قامت عليه خطاياه وتراكمت معاصيه فصرخ إلى الرب من أجل التدخُّل للتكفير وهو يعترف بخطيته وخطية شعبه لأنه ملك ونبي، والرب وحده يُطهِّر، والمزمور معمول للعيد ولولا قوله إن القمح في الحقول (١٣) لكان الأرجح أنه يعني عيد المظال لأن يوم الكفّارة يسبق هذا العيد مباشرة.

٤ - «طُوبَى لِلَّذِي تَخْتَارُهُ وَتُقَرِّبُهُ لِيَسْكُنَ فِي دِيَارِكَ. لَنَشْبَعَنَّ مِنْ خَيْرِ بَيْتِكَ قُدْسِ هَيْكَلِكَ»:

سعيد ذلك الذي تختاره يا رب، لأنه لا يختار ولا يقرِّب إليه إلاَّ الذي ارتاح إليه واختبره وأحبَّه وزكَّاه. انظر: (عد ١٦:٥):

+ «ثم كلَّم قورح وجميع قومه قائلاً غداً يعلن الرب مَنْ هو له ومن المُقدَّس حتى يقرِّبه إليه». وأيضاً: (إر ٣٠:٢١):
+ «ويكون حاكمهم منهم ويخرج واليهم من وسطهم **وأقربه** فيدنو إليَّ لأنه من هو هذا الذي أرهن قلبه ليدنو إليَّ ...» وأيضاً: (زك ٣:٧):
+ «هكذا قال رب الجنود إن سلكت في طرقي وإن حفظت شعائري فأنت أيضاً تدين بيتي وتحافظ أيضاً على دياري وأعطيك مسالك بين هؤلاء الواقفين».

هنا ليس فقط أولاد هارون بل ولكل الأمة لأنها أمة مملكة كهنة (خر ١٩:٦)، كلهم نزلاء عند الله في بيته أعضاء بيت الله. وزيارة الهيكل كانت لكل تقي في إسرائيل كعيد سرائري رمز للبركات الروحية المهيَّأة بواسطة الله للشعب في حياته معه. انظر: (مز ١٥: ١و٢):

+ «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك. مَنْ يسكن في جبل قدسك. السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلِّم بالصدق في قلبه». وأيضاً: (مز ٢٣: ٥و٦):
+ «ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقي. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريًّا».
+ «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام». وأيضاً: (مز ٢٧:٤):
+ «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله». وأيضاً (مز ٣٦: ٨و٩):
+ «يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمتك تسقيهم. لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً».

«**لنشبعنَّ**»: انظر: (مز ١٧:١٥):

+ «أمَّا أنا فبالبر أنظر وجهك. **أشبع** إذا استيقظت بشبهك». وأيضاً: (مز ٢٢:٢٦):
+ «يأكل الودعاء ويشبعون. يُسبِّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد».

«**قدس هيكلك**»: انظر: (مز ٤٦:٤):

+ «نهر سواقيه تفرِّح مدينة الله مقدس مساكن العليّ». وأيضاً: (مز ٦٣:٢):
+ «لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك».

[عدد ٥–٨]: في المستقبل كما في الماضي يحقّق الله بره بأعمال عجيبة من نحو شعبه استجابة لطلباتهم، لأنه هو الذي خلق وأقام العالم ويدبِّر كل قواته في الطبيعة والشعوب.

٥ – «**بِمَخَاوِفَ فِي الْعَدْلِ تَسْتَجِيبُنَا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا، يَا مُتَّكَلَ جَمِيعِ أَقَاصِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ الْبَعِيدَةِ**»:

الله مخوف هو في طبعه. انظر: (مز ٤٧:٢):

+ «لأن الرب عَليٌّ. مخوف ملك كبير على كل الأرض». وأيضاً: (مز ٧٦: ٧و٨):
+ «أنت مهوب أنت. فمن يقف قدَّامك حال غضبك».
+ «من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكتت!!»

لذلك فإن أعماله رهيبة تقنع أعداءه بالرعب، أمَّا شعبه فيزداد مخافة وخشية ووقاراً عجيباً. وهنا تلميح إلى أعمال غضبه في مصر والبحر الأحمر. انظر: (تث ١٠:٢١):

+ «هو فخرك وهو إلهك الذي صنع معك تلك العظائم والمخاوف التي أبصرتها عيناك». وأيضاً (٢صم ٧:٢٣):
+ «وأيَّة أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعباً ويجعل له اسماً ويعمل لكم العظائم والتخاويف لأرضك أمام شعبك الذي افتديته لنفسك من مصر ...» وأيضاً: (إش ٦٤: ٣و٤):
+ «حين صنعت مخاوف لم ننتظرها نزلت تزلزلت الجبال من حضرتك. ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم ترَ عين إلهاً غيرك يصنع لمن ينتظره». وأيضاً: (مز ١٠٦:٢٢):
+ «وعجائب في أرض حام ومخاوف على بحر سوف». وأيضاً: (مز ١٤٥:٦):
+ «بقوة مخاوفك ينطقون وبعظمتك أحدِّث».

هذه الإنقاذات والنجدات كلها تمَّت إثر صلوات للشعب المختار، لأن برَّ الله وأمانته قوام قضاء الله وهما قرينا الخلاص، لأنه من أجل بر الله وأمانته يستصرخ الشعب الله ليَستجيب وينجِّي شعبه. انظر: (مز ٤٨:١٠):

+ «نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقاصي الأرض. يمينك ملآنة **برًّا**». وأيضاً: (إش ٤١:١٠):
+ «لا تخف لأني معك. لا تتلفَّت لأني إلهك. قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين **برِّي**». وأيضاً: (إش ٤٥:٨):
+ «اقطري أيتها السموات من فوق ولينزل الجو برًّا (الخبز النازل من السماء). لتنفتح الأرض فيثمر الخلاص ولتنبت برًّا معاً. أنا الرب قد خلقته». وأيضاً: (إش ٤٥:٢١):

+ «أخبروا قدِّموا وليتشاوروا معاً. مَنْ أعلم بهذه منذ القديم أخبر بها منذ زمان. أليس أنا الرب ولا إله آخر غيري، إله **بار** ومخلِّص. ليس سواي». وأيضاً: (إش ٥١:٥):
+ «قريب **برِّي**. قد برز **خلاصي** وذراعاي يقضيان للشعوب. إيَّاي ترجو الجزائر وتنتظر ذراعي».

«**متكل جميع أقاصي الأرض**»: لأنه هو الذي يقضي حوائجهم ويحكم مقاصدهم. انظر: (مز ٦٧:٤):

+ «تفرح وتبتهج الأُمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة. وأُمم الأرض تهديهم». وأيضاً: (عا ٩:٧):
+ «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب. ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير».

كذلك فإن أعمال الله في النقمة من الأعداء وتحطيم ظلمهم هي التي جعلت أفكار الشعوب تتجه إليه وحده. انظر: (إش ٣٣:١٣):

+ «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت واعرفوا أيها القريبون بطشي».

٦ – «**الْمُثْبِتُ الْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، الْمُتَنَطِّقُ بِالْقُدْرَةِ**»:

الجبال تعبِّر عن قوة ورسوخ الأرض. انظر: (مز ١٨:٧):

+ «فارتجَّت الأرض وارتعشت أُسس الجبال ارتعدت وارتجَّت لأنه غضب». وأيضاً: (مز ٤٦:٢):
+ «لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار».

«**المتنطِّق بالقوة**»: انظر (مز ٩٣:١)

+ «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة. لا تتزعزع».

٧ – «**الْمُهْدِّئُ عَجِيجَ الْبِحَارِ، عَجِيجَ أَمْوَاجِهَا وَضَجِيجَ الأُمَمِ**»:

الله يضبط الأُمم ويضبط الطبيعة. انظر: (مز ٤٦: ٣و٦):

+ «تعج وتجيش مياهها. تتزعزع الجبال بطموِّها. سلاه».
+ «عجَّت الأُمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته ذابت الأرض». وأيضاً: (إش ١٧: ١٢و١٣):
+ «آه ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة. قبائل

تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً وتُطرد كعصافة الجبال أمام الريح».

٨ – «وَتخافُ سُكّانُ الأَقَاصِي مِنْ آيَاتِكَ. تَجْعَلُ مَطَالِعَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تَبْتَهِجُ»:

أعمال الطبيعة المخيفة ترتد على قلوب الناس أن الله ضابطها فتنزل المخافة في قلوب البشر، لأن بين الطبيعة والله رباط الخلقة الذي يربطها. انظر: (مز ١٩: ١و٢و٤–٦):

+ «السموات تحدِّث بمجد الله. والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدي علماً».
+ «جعل للشمس مسكناً فيها. وهي مثل العروس الخارج من حجلته. يبتهج مثل الجبَّار للسباق في الطريق».
+ «من أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها ولا شيء يختفي من حرِّها».

«**تبتهج**»: انظر: (مز ٥:١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلِّلهم. ويبتهج بك محبو اسمك».

[عدد ٩–١٣]: الموضوع الخاص للمزمور: الشكر على مدار السنة. فالمطر هدية الله، ووجه الأرض يبتهج من فرط الغِنَى.

٩ – «تَعَهَّدْتَ الأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ. تُغْنِيهَا جِدًّا. سَوَاقِي اللهِ مَلآنَةٌ مَاءً. تُهَيِّئُ طَعَامَهُمْ لأَنَّكَ هكَذَا تُعِدُّهَا»:

انظر: (يؤ ٢:٢٤):

+ «فتُملأ البيادر حنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً». وأيضاً: (يؤ ٣:١٣):
+ «أرسلوا المِنجَل لأن الحصيد قد نضج. هلموا دوسوا لأنه قد امتلأت المعصرة. فاضت الحياض».

هذا الغِنَى الفائض أساسه مطر السماء الذي اعتبره صاحب المزمور هدية السماء. انظر: (تث ١١:١١):

+ «بل الأرض التي أنتم عابرون إليها لكي تمتلكوها هي أرض جبال وبقاع. من مطر السماء تشرب ماء». وأيضاً: (أي ٣٨: ٢٥–٢٧):
+ «مَنْ فرَّع قنوات للهطل وطريقاً للصواعق. ليمطر على أرض حيث لا إنسان. على قفر لا أحد فيه. ليروي البلقع والخلاء وينبت مخرج العشب».

١٠ – «أَرْوِ أَتْلاَمَهَا. مَهِّدْ أَخَادِيدَهَا. بِالْغُيُوثِ تُحَلِّلُهَا. تُبَارِكُ غَلَّتَهَا»:

يرنو صاحب المزمور إلى الأمطار المبكرة في الخريف والشتاء (نوفمبر – فبراير) التي تهيِّئ الأرض لوضع البذور وتضمن نموها – ثمَّ ينظر (١١) نحو المحاصيل كوعد الله السنوي من نحو الحصاد.

١١ – «كَلَّلْتَ السَّنَةَ بِجُودِكَ، وَآثَارُكَ تَقْطُرُ دَسَماً»:

وهكذا يجمل صاحب المزمور خصب الأرض لحساب يهوه ويجعل سنة الرب المقبولة سنة مزهرة ذات خيرات عميمة. والآثار تقطر دسماً من واقع الحملان التي تغذَّت على أعشابها، كما جاءت الأمطار الأخيرة لتجعل الأرض تفيض بالخيرات. انظر: (أي ٢٩:٢٣):

+ «وانتظروني مثل المطر وفغروا أفواههم كما للمطر المتأخِّر». وأيضاً: (أم ١٦:١٥):
+ «في نور وجه الملك حياة ورضاه كسحاب المطر المتأخر». وأيضاً: (إر ٣:٣):
+ «فامتنع الغيث ولم يكن مطر متأخِّر ...».

١٢ – «تَقْطُرُ مَرَاعِي الْبَرِّيَّةِ، وَتَتَنَطَّقُ الآكَامُ بِالْبَهْجَةِ»:

انظر: (يؤ ٢: ٢١–٢٤):

+ «لا تخافي أيتها الأرض ابتهجي وافرحي لأن الرب يعظِّم عمله. لا تخافي يا بهائم الصحراء فإن مراعي البرية تنبت لأن الأشجار تحمل ثمرها التينة والكرمة تعطيان قُوَّتهما».
+ «ويا بني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب إلهكم لأنه يعطيكم المطر المبكِّر على حقِّه ويُنزل عليكم مطراً مبكِّراً ومتأخراً في أول الوقت فتُملأ البيادر حنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً». وأيضاً: (مز ٩٦: ١١و١٢):
+ «لتفرح السموات ولتبتهج الأرض ليعج البحر وملؤه. ليجذل الحقل وكل ما فيه لتترنَّم حينئذ كل أشجار الوعر».

١٣ – «اكْتَسَتِ الْمُرُوجُ غَنَماً، وَالأَوْدِيَةُ تَتَعَطَّفُ بُرًّا. تَهْتِفُ وَأَيْضاً تُغَنِّي»:

انظر: (إش ٥٥: ١٢و١٣):

+ «لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون. الجبال والآكام تُشيد أمامكم ترنُّماً وكل شجر الحقل تصفِّق بالأيادي. عوضاً عن الشوك ينبت سرو وعوضاً عن القريس يطلع آس. ويكون للرب اسماً علامة أبدية لا تنقطع».

المزمور السادس والستون

لِإمَامِ الْمُغَنِّينَ. تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ

١– «اهْتِفِي للهِ يَا كُلَّ الأَرْضِ!

٢– رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ. اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّداً.

٣– قُولُوا للهِ: "مَا أَهْيَبَ أَعْمَالَكَ! مِنْ عِظَمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ.

٤– كُلُّ الأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ وَتُرَنِّمُ لَكَ. تُرَنِّمُ لاِسْمِكَ". سِلاَهْ.

٥– هَلُمَّ انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ. فِعْلَهُ الْمُرْهِبَ نَحْوَ بَنِي آدَمَ!

٦– حَوَّلَ الْبَحْرَ إِلَى يَبَسٍ، وَفِي النَّهْرِ عَبَرُوا بِالرِّجْلِ. هُنَاكَ فَرِحْنَا بِهِ.

٧– مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الأُمَمَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لاَ يَرْفَعُنَّ أَنْفُسَهُمْ. سِلاَهْ.

٨– بَارِكُوا إِلهَنَا يَا أَيُّهَا الشُّعُوبُ، وَسَمِّعُوا صَوْتَ تَسْبِيحِهِ.

٩– الْجَاعِلَ أَنْفُسَنَا فِي الْحَيَاةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ أَرْجُلَنَا إِلَى الزَّلَلِ.

١٠– لأَنَّكَ جَرَّبْتَنَا يَا اللهُ. مَحَصْتَنَا كَمَحْصِ الْفِضَّةِ.

١١– أَدْخَلْتَنَا إِلَى الشَّبَكَةِ. جَعَلْتَ ضَغْطاً عَلَى مُتُونِنَا.

١٢– رَكَّبْتَ أُنَاساً عَلَى رُؤُوسِنَا. دَخَلْنَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الْخِصْبِ.

١٣– أَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ بِمُحْرَقَاتٍ، أُوفِيكَ نُذُورِي

١٤– الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا شَفَتَايَ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فَمِي فِي ضِيقِي.

١٥– أُصْعِدُ لَكَ مُحْرَقَاتٍ سَمِينَةً مَعَ بَخُورِ كِبَاشٍ. أُقَدِّمُ بَقَراً مَعَ تُيُوسٍ. سِلاَهْ.

١٦– هَلُمَّ اسْمَعُوا فَأُخْبِرَكُمْ يَا كُلَّ الْخَائِفِينَ اللهَ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي.

١٧– صَرَخْتُ إِلَيْهِ بِفَمِي، وَتَبْجِيلٌ عَلَى لِسَانِي.

١٨– إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ.

١٩– لكِنْ قَدْ سَمِعَ اللهُ. أَصْغَى إِلَى صَوْتِ صَلاَتِي.

٢٠– مُبَارَكٌ اللهُ، الَّذِي لَمْ يُبْعِدْ صَلاَتِي وَلاَ رَحْمَتَهُ عَنِّي.

دراسة:

مزمور آخر عن الشكر مثل مزمور (٦٥) للاستخدام في الفصح، ولكن يستمد أصله من ظروف خاصة استدعت الفرح والتسبيح.

والمزمور مكوَّن من جزئين مميَّزين باستخدام المتكلِّم الجمع (١–١٢) والمتكلِّم المفرد (١٣–٢٠) على التوالي. وله خمس وقفات على مسافات متساوية منتهية بسلاه.

أولاً: ١ – كل ساكني المسكونة مدعوون لتسبيح الله والاعتراف بسلطانه (١–٤).

٢ – ليتأمَّلوا أعماله القوية بالنسبة لشعبه في الماضي، وسلطانه لتدبير العالم (٥–٧).

٣ – مدعوون لمديح الله بسبب خلاصه الجديد لشعبه من الضيقة التي هدَّت كيانه (٨–١٢).

ثانياً: ١ – ممثل الشعب يدخل الهيكل ليوفي النذور وقت ضيقهم (١٣–١٥).

٢ – دعوة لخائفي الله ليستمعوا شكره وهو يمجِّد الله عندما استجاب صلاته، ولتسبيح صلاحه (١٦–٢٠).

والقارئ يندهش من التغيير المفاجئ من المتكلِّم بنحن (١–١٢) إلى المتكلِّم بأنا (١٣–٢٠) فلماذا؟ ومَنْ هو المتكلِّم؟ (١٣).

(أ) بعض النُّقَّاد يقولون إنه مكوَّن من نصفي مزمورين الأول للجماعة والثاني للفرد، ولكن ألم يفطن إلى ذلك الذي جمع المزمور؟ وما سبب التشابه في الموقفين (٩) إلخ، (١٤) إلخ، وفي الأسلوب (٥و٨و١٦)؟ ففي النصفين هناك ما يؤكِّد وحدة المزمور!

(ب) بالرغم من الانتقال من المتكلِّم الجمع إلى المتكلِّم المفرد فإن لغة (١٣) ... إلخ ربما يكون فيها المجمع مجتمعاً للعبادة هو الذي يرفع صوته كفرد واحد بإحساس الترابط القوي الذي يناسب عقلية إسرائيل القديمة.

(ج) ولكن هذا لا يرد على الانتقال من الجمع للمفرد والأفضل أن نسمع في هذه الأعداد صوت المسئول والممثِّل الشخصي للأمة (الذي ليس بالضرورة أن يكون هو المؤلِّف) الذي يوحِّد نصيب الأُمة ومصالحها بنفسه.

فمَنْ يكون هذا القائد للأمة؟ وما هي المناسبة؟ فإن لغة العدد (٩) تشير إلى تدخُّل عجيب لله بواسطته أُنقذت الأُمة من الخطر الذي كان يهدِّد وجودها. هل هذا حدث في نهاية غزوة الأشوريين

التي انتهت بتحطيم جيش سنحاريب؟ أم كانت العودة من بابل؟ فإذا كانت العودة من أسر بابل فيلزم أن يكون المزمور بعد سنة ٥١٦ ق.م لأن الهيكل نراه قائماً وعبادة الذبائح معمول بها ـ ولكن ليس هناك أي تلميح للسبي، فاللغة تشير إلى ضيقة مفاجئة وليس مطوَّلة في أسر. والمزمور كله يسمح بشرح أن الحادث مبكِّر نوعاً ما:

١ ـ فالهجوم الأشوري كان شديداً بما فيه الكفاية والخطر على يهوذا كان كبيراً، وهذا يناسب لغة العدد (٩) إلخ ويبدو أن أُورشليم بلغت إلى ساعتها الأخيرة والمملكة الجنوبية أصبحت شريكة للشمالية.

٢ ـ الواضح في المزمور هو الدعوة للأُمم لكي يدركوا عظمة يهوه كملك على العالم. وفي هذه الروح يصلّي حزقيا للخلاص من سنحاريب لكي تعرف كل الأُمم على الأرض أنك أنت هو الله والله وحده. انظر: (إش ٣٧: ٢٠):

+ «والآن أيها الرب إلهنا خلِّصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك».

وبلسان الله يأمر إشعياء البعيدين أن يسمعوا ماذا صنع والقريبين أن يتحقَّقوا قوَّته. انظر: (إش ٣٣: ١٣):

+ «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ واعرفوا أيها القريبون بطشي».

٣ ـ وهناك توازٍ بين ما صنع الله في الخروج والإنقاذ الحديث الذي جرى بقوة. وربما يشير ذلك إلى الرجوع من السبي الذي كثيراً ما تكلَّم عنه أنه الخروج الثاني. ولكن التوازي بين ضيقة مصر وضيقة الأشوريين نجده وارداً دائماً في ذهن إشعياء. انظر: (إش ١٠: ٢٤و٢٥):

+ «ولكن هكذا يقول السيد رب الجنود لا تخف من أشور يا شعبي الساكن في صهيون. يضربك بالقضيب ويرفع عصاه عليك على أسلوب مصر. لأنه بعد قليل جدًّا يتم السخط وغضبي في إبادتهم».

وهو يشرح المقارنة بين أفراح الخلاص التي يقومون بها وبين أفراح الفصح. انظر: (إش ٣٠: ٢٩-٣٢):

+ «تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل. ويُسمع الرب جلال صوته ويُري نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة

نوءٍ وسيلٍ وحجارةِ بردٍ. لأنه من صوت الرب يرتاع أشور. بالقضيب يضرب. ويكون كل مرور عصا القضاء التي يُنزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان ...».

٤ ـ والمزمور يحمل بعض التوازي الشديد في الفكر واللغة مع إشعياء (١) ومزامير (٤٦ و٤٨ و٧٥ و٧٦) التي تعود إلى نفس المدة.

فإذا كان المزمور تسبيحة من أجل الفصح يُعيِّد لذكرى خلاص أُورشليم من الطاغية سنحاريب والأشوريين يكون المتكلِّم في العدد (١٣) (الذي ليس بالضرورة هو مؤلِّف المزمور) هو حزقيا.

وهذا يشرح أسلوب المتكلِّم المفرد في هذا الجزء فهو يتكلَّم كممثل للأمة والمتكلِّم بفم الأُمة في محنتها وخلاصها، وفي العدد (١٦) إلخ ليس مخفياً تلميحه عن قيامه من مرضه!! الذي كان له أيضاً كطلب الخروج من الموت كما خروج الأُمة من هلاكها (٣٨: ٥ إلخ ...)

+ «اذهب وقُل لحزقيا: هكذا يقول الرب إله داود أبيك: قد سمعتُ صلاتك. قد رأيتُ دموعك. هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة. ومن يد ملك أشور أُنقذك وهذه المدينة. وأُحامي عن هذه المدينة ...».

هذا يأتي موازياً لـ (١٨)، (١٩).

ويُلاحَظ أن هذا المزمور ومزمور (٦٧) هما المزموران الوحيدان المتشابهان في كون عنوان كل منهما لا يشير إلى اسم المؤلِّف بل يشير إلى أنه لإمام المغنين. مزمور وتسبيحة أي مزمور للموسيقى.

وفي السبعينية يزيد على عنوان المزمور أنه للقيامة. وغالباً بسبب ٩و١٦ حيث يذكر المزمور "الجاعل أنفسنا في الحياة و لم يسلم أرجلنا للزلل".

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١ـ٤]: الأرض مدعوة لعبادة الله والاعتراف بعظم قوته.

١ ـ **«اهْتِفِي للهِ يَا كُلَّ الأَرْضِ!»**:

والهتاف هو رفع أصوات الجماعة بالسرور لله. والهتاف صنعة شعب إسرائيل فهو شغله الشاغل

في أيام أفراحه وأعياده. حتى أنه قيل: «طوبى للشعب العارفين الهتاف.» (مز ٨٩:١٥)

٢ - «رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ. اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّداً»:

أو سبِّحوا لمجد اسمه أي احتفلوا بالفرح لاستعلان عمل الله.

٣ - «قُولُوا للهِ: مَا أَهْيَبَ أَعْمَالَكَ! مِنْ عِظَمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ»:

انظر: (مز ٦٥:٥):

+ «بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا يا متكل جميع أقاصي الأرض ...» وأيضاً: (رؤ ١٥:٣):

+ «وهم يرتِّلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين».

«من عظم قوتك»: انظر: (مز ٤٦:١):

+ «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجدَ شديداً». وأيضاً: (مز ٦٣:٢):

+ «لكي أُبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك». وأيضاً: (مز ٦٨: ٣٣و٣٤):

+ «للراكب على سماء السموات القديمة. هوذا يعطي صوته صوت قوة».

+ «أعطوا عزًّا لله. على إسرائيل جلاله وقوته في الغمام».

«تتملَّق لك أعداؤك»: أي تخضع خضوع ذلة. انظر: (مز ١٨:٤٤):

+ «من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذلَّلون لي». وأيضاً: (مز ٨١:١٥):

+ «مبغضو الرب يتذلَّلون له. ويكون وقتهم إلى الدهر». وأيضاً: (تث ٣٣:٢٩):

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك. فيتذلَّل لك أعداؤك ...».

٤ - «كُلُّ الأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ وَتُرَنِّمُ لَكَ. تُرَنِّمُ لاسْمِكَ. سِلاَهْ»:

هذا النداء وُضِعَ في فم الأُمم لكي تخاطب به الله.

[عدد ٥-٧]: دعاء للأُمم أن تتأمَّل قوة الله وقوَّة أعماله لشعبه منذ القديم وتدرك مدى سلطانه الذي يحمل الشهادة له، فهو سلطان أبدي ويشمل العالم كله.

٥ - «هَلُمَّ انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ. فِعْلَهُ الْمُرْهِبَ نَحْوَ بَنِي آدَمَ!»:

انظر: (مز ٤٦:٨):

+ «هلموا انظروا أعمال الله كيف جعل خرباً في الأرض (لمَّا خرَّب جيش أشور)».

فقد ظهر استعلاؤه فوق البشر فكل الناس يخافونه بالضرورة.

٦- «حَوَّلَ الْبَحْرَ إِلَى يَبَسٍ، وَفِي النَّهْرِ عَبَرُوا بِالرِّجْلِ. هُنَاكَ فَرِحْنَا بِهِ»:

الكلام عن الخروج وعبور البحر الأحمر وعن عبورهم نهر الأردن كأعظم أعماله في الماضي.

انظر: (مز ٧٤:١٣):

+ «أنت شققت البحر بقوتك. كسرت رؤوس التنانين على المياه». وأيضاً: (مز ٧٨:١٣):

+ «شقَّ البحر فعبَّرهم ونصب المياه كندٍّ».

«هناك فرحنا به»:

هنا صاحب المزمور يخاطب الأُمم ويكشف عن وحدة الشعب واتحاده على مر الزمان والسنين، فهو يعبِّر عن فرحه وفرح أُمَّته معه الآن مع الشعب القديم الخارج من مصر. هذه وحدة إسرائيل العجيبة والقوة الرابطة بين الأفراد لشعب واحد متحد يتكلَّم باسم الفرد والجماعة معاً بصورة منقطعة النظير. وإلى الآن هو بهذه القوة في عظمة الوحدة التي تربط الفرد وبالأمة بآن! وهنا صاحب المزمور يفرح مع الفرحين الذين عبروا البحر بالرجل ومشوا على قاع النهر.

٧ - «مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الأُمَمَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لاَ يَرْفَعُنَّ أَنْفُسَهُمْ. سِلاَهْ»:

انظر: (مز ٦٥:٦):

+ «المُثْبتُ الجبال بقوَّته المتنطِّق بالقوة».

«إلى الدهر»: تسلط الله أمس كاليوم فهو كل يوم وإلى الدهر، الحاضر كالماضي كالمستقبل.

انظر: (مز ١٤٥:١٣):

+ «مُلكك مُلك كل الدهور وسلطانك في كل دور فدور». وأيضاً: (إر ١٠:١٠):

+ «أمَّا الرب الإله فحق. هو إله حي وملك أبدي. من سخطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأُمم غضبه».

«عيناه تراقبان الأمم»:

أي عيناه تفحصان وتفتشان أعمال الأُمم. فهو صفته الساهر على كل الأرض. انظر: (أم ١٥:٣):

+ «في كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين». وأيضاً: (مز ٣٣:١٠):
+ «الرب أبطل مؤامرة الأمم. لاشى أفكار الشعوب». وأيضاً: (إش ٢٧: ٢و٣):
+ «في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة. أنا الرب حارسها. أسقيها كل لحظة. لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً ونهاراً».

وهنا نعطي قول حزقيا وهو يصلّي: (إش ٣٧: ١٧-٢٠):

+ «أمل يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر واسمع كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليعيِّر الله الحي. حقــاً يا رب إن ملوك أشور قد خربوا كل الأُمم ... والآن أيها الرب إلهنا خلّصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك».

«المتمرِّدون لا يَرفعُنَّ أنفسهم»:

الثائرون لا يرفعون قرنهم ويقاومون مشيئة الله. انظر: (مز ٦٨: ٦و١٨):

+ «الله مُسكن المتوحِّدين في بيت، مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمرِّدون يسكنون الرمضاء».
+ «صعدت إلى العلاء. سبيت سبياً. قبلت عطايا بين الناس وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله».

اسمع توبيخ الله للمتمرِّد سنحاريب: (إش ٣٧: ٢٣-٢٩):

+ «مَنْ عيَّرت وجدَّفت وعلى مَنْ علَّيت صوتاً وقد رفعت إلى العلاء عينيك على قدوس إسرائيل؟ عن يد عبيدك عيَّرت السيد وقلت بكثرة مركباتي قد صعدتُ إلى علو الجبال عقاب لبنان فأقطع أرزه الطويل وأفضل سروه وأدخل أقصى علوّه وَعْر كرمله! أنا قد حفرت وشربت مياهاً وأنشّف ببطن قدمي جميع خلجان مصر ... لأن هيجانك عليَّ وعجرفتك قد صعدا إلى أذني أضع خزامتي في أنفك وشكيمتي في شفتيك وأردّك في الطريق الذي جئت فيه».

[عدد ٨-١٢]: دعوة جديدة للأُمم لتسبيح الله لإنقاذه إسرائيل من الخطر الذي هدَّد بقاء الأمة.

٨ - **«بَارِكُوا إِلهَنَا يَا أَيُّهَا الشُّعُوبُ، وَسَمِّعُوا صَوْتَ تَسْبِيحِهِ»**:

لا يزال يطالب الأمم أن يشتركوا معه ومع إسرائيل في إعطاء الله البركة والعزَّة والمجد والسلطان،

وذلك من إحساس أن إسرائيل مدعوة أن تكون رسالة للأُمم وللعالم، ليفرح بفرحها ويحزن بحزنها، مما يوضِّح لنا أن المتكلِّم إنما يتكلَّم من موضع ولاية على شعب إسرائيل.

٩ - **«الْجَاعِلَ أَنْفُسَنَا فِي الْحَيَاةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ أَرْجُلَنَا إِلَى الزَّلَلِ»**:

كانت الأمة في حكم الموت والهلاك والإبادة ولكن الله أعانها ونصرها وأقامها للحياة بمجد. وأزمنة الأفعال في هذا القول تدلّ أنه لا يقصد تقرير حقيقة عامة مجرَّدة بل تسجيل واقع تاريخي محدَّد.

١٠ - **«لأَنَّكَ جَرَّبْتَنَا يَا اللهُ. مَحَصْتَنَا كَمَحْصِ الْفِضَّةِ»**:

كما تفحص المعادن الثمينة بدقة وبشدَّة ونار شديدة لكي تتخلَّص من شوائبها. انظر: (مز ٢:٢٦):

+ «جربني يا رب وامتحني. صفِّ كليتي وقلبي». وأيضاً: (مز ٣:١٧):
+ «جرّبت قلبي تعهَّدته ليلاً. محَّصتني. لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدَّى فمي». وأيضاً: (إر ٧:٩):
+ «لذلك هكذا قال رب الجنود هأنذا أنقيهم وأمتحنهم ...». وأيضاً: (زك ١٣: ٩):
+ «وأدخل الثلث في النار وأمحِّصهم كمحص الفضة وأمتحنهم امتحان الذهب». وأيضاً: (ملا ٣: ٢و٣):
+ «ومَنْ يحتمل يوم مجيئه ومَنْ يثبت عند ظهوره. لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار. فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقّي بني لاوي ويصفّيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقرَّبين للرب».

وهكذا أراد أن يرفع عن الشعب زغلهم وإثمهم وزيغانهم وذلك بامتحانهم على يد تجربة الأشوريين (إش ١: ٢٥و٢٦):

+ «وأردّ يدي عليكِ وأنقّي زغلكِ كأنه بالبورق وأنزع كل قصديركِ. وأعيد قضاتكِ كما في الأول ومشيريكِ كما في البداءة. بعد ذلك تُدعَيْنَ مدينة العدل القرية الأمينة».

١١ - **«أَدْخَلْتَنَا إِلَى الشَّبَكَةِ. جَعَلْتَ ضَغْطاً عَلَى مُتُونِنَا»**:

وضعهم تحت ثقل خطر أشور العدو الغاصب المُتفتري لكي يعاقبهم على إثمهم. وهذا يصوِّره أيوب هكذا: انظر: (أي ١٩: ٦-١٠):

+ «فاعلموا إذن أن الله قد عوَّجني ولفَّ عليَّ أحبولته. ها إني أصرخ ظلماً فلا أُستجاب. أدعو

وليس حكم. قد حوّط طريقي فلا أعبر وعلى سُبلي جعل ظلاماً. أزال عني كرامتي ونزع تاج رأسي. هدمني من كل جهة فذهبتُ...».

وضع على متوهم ثقل أشور فانحنوا انحناءً تحت إرهابه.

١٢ – «رَكَّبْتَ أُنَاساً عَلَى رُؤُوسِنَا. دَخَلْنَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الْخِصْبِ»:

تمثيل مرعب لوقوع إسرائيل تحت ثقل وفزع جيش سنحاريب المريع وعجلاته بالآلاف وكأنها تسير على ظهر الشعب، ومثّل دخول شعب إسرائيل في هذه التجربة بدخول الذهب في النار وبعدها الماء لينقّي زغلها. وليزيد التجربة مذلة دعا العدو أُناساً أي بني الناس وليس بني آدم المحترمين. وذكر النار وبعدها الماء أو الثلج: هنا عنف التجربة بين الضدّين. انظر: (إش ٤٣: ٢و٣):

+ «إذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذع واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلّصك».

«**وأخرجتنا إلى الخصب**»: انظر: (مز ١٨: ١٩):

+ «أخرجني إلى الرحب. خلّصني لأنه سُرَّ بي». وأيضاً: (مز ١١٩: ٤٥):

+ «وأتمشّى في رحب لأني طلبت وصاياك».

[عدد ١٣–١٥]: قائد الشعب في المزمور وممثّله يدخل الهيكل ليوفي نذوره التي قطعها على نفسه في ضيقة شعبه.

١٣ – «أَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ بِمُحْرَقَاتٍ، أُوفِيكَ نُذُورِي»:

هنا الانتقال من المتكلّم باسم الجماعة إلى المتكلّم بشخصه الفردي ولكن ممثّلاً للجماعة كملك. وهو يدخل بالمحرقات والنذور التي نطقها في ضيقة الأمة، تعبيراً عن تقديم الخضوع لله والطاعة والامتنان باسمه وباسم الأمة وتقديم ذبائح السلامة إيفاءً للوعود والنذور وللشكر والفرح.

١٤ – «الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا شَفَتَايَ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فَمِي فِي ضِيقِي»:

انظر: (قض ١١: ٣٥و٣٦):

+ «وكان لما رآها أنه مزّق ثيابه وقال: آه يا بنتي قد أحزنتني حزناً وصرتِ بين مكدِّريَّ لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع. فقالت له: يا أبي هل فتحت فاك إلى الرب. فافعل بي كما خرج من فيك ...».

١٥ – «أُصْعِدُ لَكَ مُحْرَقَاتٍ سَمِينَةً مَعَ بَخُورِ كِبَاشٍ. أُقَدِّمُ بَقَراً مَعَ تُيُوسٍ. سِلاَهْ»:

كلمة بخور كباش تعني ذبيحة سلامة تصعد للرب مع البخور. وبحسب قوانين اللاويين فإن الخروف يُقدَّم كمحرقة بواسطة الشعب كله أو أمرائه بواسطة الكاهن الأعظم أو الكاهن العادي أو النذير المكرَّس (نازاريت) ولكن ليس بإنسان. وبهذا تكون الذبائح مقدَّمة بواسطة الأُمة أو قوّادها. انظر: (إش ١: ١١):

+ «لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمتُ من محرقات كباش وشحم مسمنات ...»

[عدد ١٦–٢٠]: كل مَنْ يخاف الله يؤمر أن يسمع ماذا صنع الله لصاحب المزمور. فقد صلّى في زمن مقبول للسماع عالماً أن الإخلاص أساس قبول الصلاة. واستجابة الصلاة أثبتت إخلاصه أمام الله، وبالنهاية يبارك الله لامتداد إحساناته.

١٦ – «هَلُمَّ اسْمَعُوا فَأُخْبِرَكُمْ يَا كُلَّ الْخَائِفِينَ اللهَ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي»:

يخاطب خائفي الله أينما وُجِدوا أي بني شعبه أو الغرباء، كل مَنْ أدرك الصلاة ومعناها والعبادة لله وإدراك أعماله.

«**بما صنع لنفسي**»:

عندما كنتُ في ضيقتي وحياتي في خطر. والمتكلّم هنا هو حزقيا إذ يتكلّم أيضاً من واقع نفسه والأُمة، والخطر الذي حاق به من المرض، والخطر الذي حاق بالأمة من غزو سنحاريب، والموت الذي كان يهدِّد الأُمة والموت الذي كان يهدِّد حياته. فقد صلّى من أجل نفسه ومن أجل الأمة (إش ٣٨: ١٧) وقد صلّى من أجل الاثنين. انظر: (إش ٣٧: ١٥–٢٠):

+ «وصلّى حزقيا إلى الرب قائلاً: يا رب الجنود إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض ... أمل يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر واسمع كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليعيِّر الله الحي ... والآن أيها الرب إلهنا خلّصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك».

ومن أجل نفسه. انظر: (إش ٣٨: ١–٦):

+ «في تلك الأيام مرض حزقيا للموت. فجاء إليه إشعياء بن آموص النبي وقال له: هكذا يقول الرب: أوصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش. فوجَّه حزقيا وجهه إلى الحائط وصلّى إلى الرب وقال: آه يا رب اذكر كيف سرتُ أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك.

وبكى حزقيا بكاءً عظيماً!! فصار قول الرب إلى إشعياء قائلاً: اذهب وقُل لحزقيا: هكذا يقول الرب إله داود أبيك قد سمعتُ صلاتك. قد رأيت دموعك. هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة! ومن يد ملك أشور أنقذك وهذه المدينة. وأحامي عن هذه المدينة!».

١٧ – «صَرَخْتُ إِلَيْهِ بِفَمِي، وَتَبْجِيلٌ عَلَى لِسَانِي»:

أي عظَّمته وعلَّيته بلساني. انظر: (مز ١٤٩:٦):

+ «تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدَّين في يدهم».

أي حتى وهو يصلّي لم يكف عن التسبيح والتبجيل وكان متأكّداً من الاستجابة.

١٨ – «إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ.

١٩ – لكِنْ قَدْ سَمِعَ اللهُ. أَصْغَى إِلَى صَوْتِ صَلاَتِي»:

الكبرياء يفسد المصلّي والصلاة. ولكنه كان واثقاً أنه ليس كذلك ووثق أن استجابة الصلاة ستزكّي سيرته أمام الله. لم يكن به أي اعتداد أو بر ذاتي ولكن بساطة ضمير خالٍ من أي شائبة تجاه الله والناس. فكان دعاء حزقيا المذكور في إشعياء. انظر أيضاً: (مز ١٧: ١–٣و٥):

+ «اسمع يا رب للحق. أنصت إلى صراخي. أصغِ إلى صلاتي من شفتين بلا غش».

+ «من قدَّامك يخرج قضائي. عيناك تنظران المستقيمات. جرَّبت قلبي تعهَّدته ليلاً. محَّصتني. لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدَّى فمي ... تمسَّكت خطواتي بآثارك فما زلَّت قدماي». وأيضاً: (مز ١٨: ٢٠–٢٤):

+ «يكافئني الرب حسب برِّي. حسب طهارة يدي يرد لي. لأني حفظت طريق الرب ولم أعصِ إلهي. لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لم أُبعدها عن نفسي. وأكون كاملاً معه وأتحفظ من إثمي. ليرد الرب لي كبرِّي وكطهارة يدي أمام عينيه». وأيضاً: (أي ١٦:١٧):

+ «مع أنه لا ظلم في يدي وصلاتي خالصة». وأيضاً: (١يو ٣:٢١):

+ «أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله».

٢٠ – «مُبَارَكٌ اللهُ، الَّذِي لَمْ يُبْعِدْ صَلاَتِي وَلاَ رَحْمَتَهُ عَنِّي»:

انظر: (مز ٢٨:٦):

+ «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرُّعي». وأيضاً: (مز ٣١:٢١):

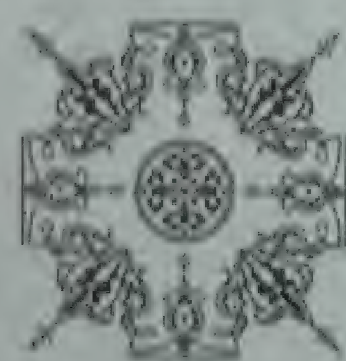
+ «مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً رحمته لي في مدينة محصَّنة». وأيضاً: (مز ٦٨:

١٩و٣٤و٣٥):

+ «مبارك الرب يوماً فيوماً يُحمِّلُنا إله خلاصنا».

+ «أعطوا عزًّا لله. على إسرائيل جلاله وقوَّته في الغمام. مخوف أنت يا الله من مقادسك. إله إسرائيل هو المعطي قوَّة وشدَّة للشعب. مبارك الله».

مبارك الله الذي لم يحرمني من القوة لأصلّي، أو البركة ليستجيب لي. ولا سحب إحساناته مني!



المزمور السابع والستون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «ذَوَاتِ الأَوْتَارِ». مَزْمُورٌ. تَسْبِيحَةٌ

١- «لِيَتَحَنَّنِ اللهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا. لِيُنِرْ بِوَجْهِهِ عَلَيْنَا. سِلاَهْ.
٢- لِكَيْ يُعْرَفَ فِي الأَرْضِ طَرِيقُكَ، وَفِي كُلِّ الأُمَمِ خَلاَصُكَ.
٣- يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمْ.
٤- تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ الأُمَمُ لأَنَّكَ تَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ، وَأُمَمَ الأَرْضِ تَهْدِيهِمْ. سِلاَهْ.
٥- يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمْ.
٦- الأَرْضُ أَعْطَتْ غَلَّتَهَا. يُبَارِكُنَا اللهُ إِلهُنَا.
٧- يُبَارِكُنَا اللهُ وَتَخْشَاهُ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ».

دراسة:

مزمور آخر مُبهج وأنشودة مفرحة خصيصاً لاستخدام الهيكل في العبادة، ربما مثل المزمورين السابقين ٦٥و٦٦، في عيد الفصح، أو على الأرجح في زمن الحصاد الذي يبدو أنه قِيلَ فيه (٦)، أي في عيد الخمسين أو عيد المظال.

ويتكوّن المزمور من ثلاث وقفات والثانية والثالثة لهما قرار في بدايتهما:

١ - كلمات مأخوذة من البركة الكهنوتية القديمة حينما يجتمع الشعب ليصلّي من أجل بركة الله حتى يتعلّم العالم كله كيفية معاملات الله لعناية الإنسان (١و٢).
٢ - كل الأُمم تجتمع وتصلّي لله وتفرح لتأسيس ملكوته على الأرض (٣و٤).
٣ - حقـاً سيجتمعون للصلاة لله. لقد منح إسرائيل حصاداً وفيراً، وقد باركهم وسيستمر يباركهم، وهكذا كل الشعوب تكتسب معرفة الله كإله للجميع (٥-٧).

المزمور متصل في الأصل وفي الغرض بالمزمورين ٦٥و٦٦، وهو مثلهم ليس مجرد شكر من أجل المحصول الوافر، ولكنه ملهم يتذكر خلاصاً كبيراً حُسب ليكون ذا تأثير كبير على كل الشعوب الذين انتظروا أن يكون إرهاصة لتعميم البر على الأرض. وكسرة سنحاريب وجيشه التي نراها السبب في المزمورين السابقين ٦٥و٦٦ كانت هي الحدث. ونعلم أن أنبياء ذلك الزمان ظنوا أن به يتأسس الملكوت المسيّاني ليتبع مباشرة بعد نزوح الطاغية وجيشه إلى أشور. انظر (إش ١٠:٢٣):

+ «لأن السيد رب الجنود يصنع فناءً وقضاءً في كل الأرض». وأيضاً: (إش ١١:٩):
+ «لا يسوؤون ولا يفسدون في كل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطّي المياه البحر». وأيضاً: (مي ٥:٢):
+ «أمّا أنتِ يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلّطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل». ومزمور ٦٦ كله.

حيث ظهرت عناية الله لإسرائيل في مثل هذه الضيقة العُظمى، وهكذا يكون صلاحه نحو شعبه موضّحاً وممثلاً في مثل هذا الحصاد الكبير الذي حمّسهم لكي ينظروا إلى مكسب كل الأمم لخدمة يهوه.

فالكارثة والنكسة والقحط جعلت إسرائيل عاراً أمام الأُمم كما قال يوئيل (٢: ١٧-٢١):

+ «ليبكِ الكهنة خُدّام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا: اشفق يا رب على شعبك ولا تُسلّم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأُمم مثلاً. لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم؟»
+ «فيغار الرب لأرضه ويرق لشعبه. ويجيب الرب ويقول لشعبه: هأنذا مُرسل لكم قمحاً ومسطاراً وزيتاً لتشبعوا منها ولا أجعلكم أيضاً عاراً بين الأمم!»
+ «والشمالي أبعده عنكم (سنحاريب وقتها كان في شمال البلاد) وأطرده إلى أرض ناشفة ومقفرة. مقدّمته إلى البحر الشرقي وساقته إلى البحر الغربي فيصعد نتنه وتطلع زهمته لأنه قد تصلّف في عمله. لا تخافي أيتها الأرض ابتهجي وافرحي لأن الرب يعظّم عمله ...»

وهكذا فإن الخلاص من الخطر وبداية الخير للشعب كان شهادة للأُمم لحقيقة وجود إله إسرائيل. فالمزمور يحمل إلهاماً أن إسرائيل هي مُرسلة من قبل الله للأُمم لتكون بحق "أُمة مسيانية" وأداة لصنع وتأسيس مملكة الله العامة على الأرض. وهو يُحسب كصلاة من أجل تكميل إرسالية إسرائيل هذه!!

ونجد أن صلوات العهد القديم لامتداد خلاص الله لكل الشعوب مناسبة لتستخدم كنشيد بديل لنشيد: «أطلق عبدك بسلام» للشكر للمخلّص الذي بواسطته يتحقّق الرجاء في إيمان الأُمم.

كما يُستخدم المزمور لخدمة بعد الظهر عند بعض اليهود السفارديم؟

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١و٢]: الهدف الأخير الذي تصلي إسرائيل من أجله أن كل العالم يعرف الله.

١ - «**لِيَتَحَنَّنِ اللهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا. لِيُنِرْ بِوَجْهِهِ عَلَيْنَا. سِلاَهْ**»:

الكلمات هي من البركة الكهنوتية. انظر: (عد ٦: ٢٤و٢٥):

+ «يباركك الرب ويحرُسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك».

لذلك بعض النسخ تضيف على «لينر وجهه علينا» كلمة ''ويرحمنا'' كالأصل. كذلك نجد المزمور الذي يلي هذا المزمور وهو (٦٨) يبتدئ بالدعاء الذي يقوله موسى عند انتقال تابوت العهد.

«**ليتحنَّن الله علينا**»:

فليكن الله ذا إحسان لنا كما جاءت في سفر العدد (٦: ٢٥):

+ «يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك (يُحسن إليك)».

ونسمع عن البركة الكهنوتية في (مز ٤: ٦):

+ «ارفع علينا نور وجهك يا رب». وأيضاً: (مز ٢٩: ١١):
+ «الرب يُعطي عزًّا لشعبه. الرب يبارك شعبه بالسلام». وأيضاً: (مز ٣١: ١٦):
+ «أضئ بوجهك على عبدك ..». وأيضاً: (مز ٨٠: ٣و٧):
+ «يا الله أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص».
+ «يا إله الجنود أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص».

''سلاه'': في موضعها المضبوط وهي فصلة موسيقية بعد هذا الدعاء الكهنوتي.

٢ - «**لِكَيْ يُعْرَفَ فِي الأَرْضِ طَرِيقُكَ، وَفِي كُلِّ الأُمَمِ خَلاَصُكَ**»:

وكأنه دعاء في القرن العشرين. حينما خرجت إسرائيل منتصرة من محنة حرب سنحاريب رأت أن ما صنعه الله معها تمنَّت أن يصنعه مع جميع الشعوب. انظر: (إر ٣٣: ٩):

+ «فتكون لي اسم فرح للتسبيح وللزينة لدى كل أُمم الأرض الذين يسمعون بكل الخير الذي أصنعه معهم فيخافون ويرتعدون من أجل كل الخير ومن أجل كل السلام الذي أصنعه لها».

وأيضاً: (زك ٨: ٢٠-٢٣):

+ «هكذا قال رب الجنود سيأتي شعوب بعد وسكان مدن كثيرة. وسكان واحدة يسيرون إلى أخرى قائلين لنذهب ذهاباً لنترضَّى وجه الرب ونطلب رب الجنود. أنا أيضاً أذهب. فتأتي شعوب كثيرة وأُمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أُورشليم وليترضَّوا وجه الرب. هكذا قال رب الجنود. في تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأُمم يتمسَّكون بذيل رجل يهودي قائلين: نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم!» وأيضاً: (إش ١١: ٩):
+ «لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر».

[عدد ٣و٤]: ليت كل الأُمم يعترفون بإله إسرائيل سريعاً كإلهٍ لهم أيضاً.

٣ - «**يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمْ**»:

انظر: (مز ١١٧: ١و٢):

+ «سبِّحوا الرب يا كل الأُمم حمّدوه يا كل الشعوب. لأن رحمته قد قويت علينا وأمانة الرب إلى الدهر. هللويا».

٤ - «**تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ الأُمَمُ لأَنَّكَ تَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ، وَأُمَمَ الأَرْضِ تَهْدِيهِمْ. سِلاَهْ**»:

استقامة دينونة الله هي فرح الشعوب. انظر: (إش ١١: ٣-٥):

+ «ولذَّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه».
+ «بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه».
+ «ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه». وأيضاً: (مز ٧٢: ١٢):
+ «لأنه ينجِّي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له».

«**تدين**»: وصحتها ''تحكم'' بحيث الحكومة هنا هي القيادة كما قاد الله إسرائيل في البرية. انظر: (مز ٧٨: ١٤و١٥):

+ «وهداهم بالسحاب نهاراً والليل كله بنور نار. شق صخوراً في البرية وسقاهم كأنه من لجج

عظيمة». وأيضاً: (عا ٩:٧):

+ «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب. ألم أُصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير».

[عدد ٥-٧]: ظرف المزمور كونه في زمن الحصاد.

٥ - «يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمْ»:

هذا قرار تمني ورغبة في قلب صاحب المزمور جعله رجاءه. وهكذا تحوَّلت الصلاة إلى رجاء عزيز صادق لأنها جاءت في فعل المستقبل.

٦ - «الأَرْضُ أَعْطَتْ غَلَّتَهَا. يُبَارِكُنَا اللهُ إِلهُنَا»:

انظر: (لا ٢٦:٤):

+ «أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها». وأيضاً: (مز ٨٥:١٢):

+ «أيضاً الرب يعطي الخير وأرضنا تعطي غلتها». وأيضاً: (مز ٦٥: ٩-١٣):

+ «تعهَّدت الأرض وجعلتها تفيض. تغنيها جدًّا. سواقي الله ملآنة ماء. تهيِّئ طعامهم لأنك هكذا تعدها».

+ «أرو أتلامها مهِّد أخاديدها. بالغيوث تحللها. تبارك غلتها. كلَّلت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً. تقطر مراعي البرية وتتنطَّق الآكام بالبهجة. اكتست المروج غنماً والأودية تتعطَّف بُرًّا. تهتف وأيضاً تغني».

٧ - «يُبَارِكُنَا اللهُ وَتَخْشَاهُ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ»:

الجزء الأخير من الآية (٦) وهذه الآية صلاة مشيرة إلى كثافة الحصاد (٦) فالشعب الشاكر يعلن بركة الله عليه حتى أن أُمم أقاصي الأرض تبدأ تخاف الله وتعبد الإله الوحيد. انظر: (مز ٦٦: ١٦-٢٠):

+ «هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي. صرخت إليه بفمي وتبجيل على لساني. إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب. لكن قد سمع الله. أصغى إلى صوت صلاتي. مبارك الله الذي لم يُبعد صلاتي ولا رحمته عني».

المزمور الثامن والستون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ. تَسْبِيحَةٌ

١- «يَقُومُ اللهُ. يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ.

٢- كَمَا يُذْرَى الدُّخَانُ تُذْرِيهِمْ. كَمَا يَذُوبُ الشَّمَعُ قُدَّامَ النَّارِ يَبِيدُ الأَشْرَارُ قُدَّامَ اللهِ.

٣- وَالصِّدِّيقُونَ يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحاً.

٤- غَنُّوا للهِ. رَنِّمُوا لاسْمِهِ. أَعِدُّوا طَرِيقاً لِلرَّاكِبِ فِي الْقِفَارِ بِاسْمِهِ يَاهْ، وَاهْتِفُوا أَمَامَهُ.

٥- أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ، اللهُ فِي مَسْكَنِ قُدْسِهِ.

٦- اللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ. مُخْرِجُ الأَسْرَى إِلَى فَلاَحٍ. إِنَّمَا الْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ الرَّمْضَاءَ.

٧- اللَّهُمَّ، عِنْدَ خُرُوجِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ، عِنْدَ صُعُودِكَ فِي الْقَفْرِ. سِلاَهْ.

٨- الأَرْضُ ارْتَعَدَتِ. السَّمَوَاتُ أَيْضاً قَطَرَتْ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ. سِينَا نَفْسُهُ مِنْ وَجْهِ اللهِ إِلهِ إِسْرَائِيلَ.

٩- مَطَراً غَزِيراً نَضَحْتَ يَا اَللهُ. مِيرَاثُكَ وَهُوَ مُعْيٍ أَنْتَ أَصْلَحْتَهُ.

١٠- قَطِيعُكَ سَكَنَ فِيهِ. هَيَّأْتَ بِجُودِكَ لِلْمَسَاكِينِ يَا اَللهُ.

١١- الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ:

١٢- "مُلُوكُ جُيُوشٍ يَهْرُبُونَ يَهْرُبُونَ، الْمُلاَزِمَةُ الْبَيْتَ تَقْسِمُ الْغَنَائِمَ.

١٣- إِذَا اضْطَجَعْتُمْ بَيْنَ الْحَظَائِرِ فَأَجْنِحَةُ حَمَامَةٍ مُغَشَّاةٌ بِفِضَّةٍ وَرِيشُهَا بِصُفْرَةِ الذَّهَبِ".

١٤- عِنْدَمَا شَتَّتَ الْقَدِيرُ مُلُوكاً فِيهَا، أَثْلَجَتْ فِي صَلْمُونَ.

١٥- جَبَلُ اللهِ، جَبَلُ بَاشَانَ. جَبَلُ أَسْنِمَةٍ، جَبَلُ بَاشَانَ.

١٦- لِمَاذَا أَيَّتُهَا الْجِبَالُ الْمُسَنَّمَةُ تَرْصُدْنَ الْجَبَلَ الَّذِي اشْتَهَاهُ اللهُ لِسَكَنِهِ؟ بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ.

١٧- مَرْكَبَاتُ اللهِ رِبْوَاتٌ، أُلُوفٌ مُكَرَّرَةٌ. الرَّبُّ فِيهَا. سِينَا فِي الْقُدْسِ.

١٨- صَعِدْتَ إِلَى الْعَلاَءِ. سَبَيْتَ سَبْياً. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ النَّاسِ، وَأَيْضاً الْمُتَمَرِّدِينَ لِلسَّكَنِ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ.

١٩- مُبَارَكٌ الرَّبُّ، يَوْماً فَيَوْماً يُحَمِّلُنَا إِلهُ خَلاَصِنَا. سِلاَهْ.

٢٠- اللهُ لَنَا إِلهُ خَلاَصٍ، وَعِنْدَ الرَّبِّ السَّيِّدِ لِلْمَوْتِ مَخَارِجُ.

٢١- وَلكِنَّ اللهَ يَسْحَقُ رُؤُوسَ أَعْدَائِهِ، الْهَامَةَ الشَّعْرَاءَ لِلسَّالِكِ فِي ذُنُوبِهِ.

٢٢- قَالَ الرَّبُّ: "مِنْ بَاشَانَ أُرْجِعُ. أُرْجِعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ،

٢٣- لِكَيْ تَصْبَغَ رِجْلَكَ بِالدَّمِ. أَلْسُنُ كِلاَبِكَ مِنَ الأَعْدَاءِ نَصِيبُهُمْ".

٢٤- رَأَوْا طُرُقَكَ يَا اَللهُ، طُرُقَ إِلهِي مَلِكِي فِي الْقُدْسِ.

٢٥- مِنْ قُدَّامٍ الْمُغَنُّونَ. مِنْ وَرَاءٍ ضَارِبُو الأَوْتَارِ. فِي الْوَسَطِ فَتَيَاتٌ ضَارِبَاتُ الدُّفُوفِ.

٢٦- فِي الْجَمَاعَاتِ بَارِكُوا اللهَ الرَّبَّ، أَيُّهَا الْخَارِجُونَ مِنْ عَيْنِ إِسْرَائِيلَ.

٢٧- هُنَاكَ بَنْيَامِينُ الصَّغِيرُ مُتَسَلِّطُهُمْ، رُؤَسَاءُ يَهُوذَا جُلُّهُمْ، رُؤَسَاءُ زَبُولُونَ، رُؤَسَاءُ نَفْتَالِي.

٢٨- قَدْ أَمَرَ إِلهُكَ بِعِزِّكَ. أَيِّدْ يَا اَللهُ هذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ لَنَا.

٢٩- مِنْ هَيْكَلِكَ فَوْقَ أُورُشَلِيمَ، لَكَ تُقَدِّمُ مُلُوكٌ هَدَايَا.

٣٠- انْتَهِرْ وَحْشَ الْقَصَبِ، صِوَارَ الثِّيرَانِ مَعَ عُجُولِ الشُّعُوبِ الْمُتَرَامِينَ بِقِطَعِ فِضَّةٍ. شَتِّتِ الشُّعُوبَ الَّذِينَ يُسَرُّونَ بِالْقِتَالِ.

٣١- يَأْتِي شُرَفَاءُ مِنْ مِصْرَ. كُوشُ تُسْرِعُ بِيَدَيْهَا إِلَى اللهِ.

٣٢- يَا مَمَالِكَ الأَرْضِ غَنُّوا للهِ. رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ. سِلاَهْ.

٣٣- لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ الْقَدِيمَةِ. هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ.

٣٤- أَعْطُوا عِزًّا للهِ. عَلَى إِسْرَائِيلَ جَلاَلُهُ، وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ.

٣٥- مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اَللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ. إِلهُ إِسْرَائِيلَ هُوَ الْمُعْطِي قُوَّةً وَشِدَّةً لِلشَّعْبِ. مُبَارَكٌ اللهُ!».

دراسة:

مقصد هذا المزمور الفخم هو مسيرة الله بالنصر، وهو يتتبّع تأسيس مملكته في إسرائيل في الماضي وينظر إلى الأمام نحو خذلان المقاومين في المستقبل، حتى إلى أن تبلغ ممالك الأرض إلى أن تأخذ إله إسرائيل كسيد ويعطونه الخضوع.

وهذا المزمور أخذ من الشُّرَّاح مأخذاً متسعاً مترامياً حتى أن كل ما يمكن أن يفكر ويعقل فيه الإنسان اعتبروه مترامناً معه!! من أيام يشوع حتى المكابيين ظنوا وفكّروا، وحتى الذين التزموا بالعنوان وبأن المزمور لداود لم يتفقوا على المناسبة التي قيل فيها. فالبعض قال إنه الزمن الخاص بتولي داود الحكم، ويلزم أن يرجع إليه هذا المزمور، والبعض تصوَّر أنه زمن نقل التابوت إلى صهيون

(٢صم ٦)، والبعض إلى تقديم الشكر لنصرة ما، والبعض إنه مناسب لمسيرة النصرة لداود عامة، والبعض قالوا إنه مناسب لزمن بناء الهيكل. والبعض قالوا زمن نقل التابوت لهيكل سليمان، والبعض قالوا في انتصارات يهوشافاط ويهورام ضد موآب أو عند صد الأشوريين في زمن تملُّك حزقيا. والبعض قالوا في آخر زمان الأسر في بابل، والبعض قالوا في زمن الرجوع من السبي. والبعض فكّروا أنه كُتب أثناء الحرب بين مصر وسوريا بسبب امتلاك فلسطين نحو نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. والبعض جعلوه متأخِّراً أثناء الحرب بين بطليموس فيلوباتير والإسكندر بالاس نحو سنة ١٤٦ ق.م (١مك ١١).

والواضح من هذه الاختلافات الواسعة الكثيرة في الأراء يكشف أن العوامل التي يُعتمد عليها ليست كافية لإعطاء زمن محدد للمزمور.

ولكن الأساس الذي بُني عليه القول بأنه يقع في المدة التي أشار إليها إشعياء بين أصحاح ٤٠و٦٦، أي عشرات السنين الأخيرة لسبي بابل، له قدر من البراهين الراجحة التي تعطي شرحاً للمزمور على هذا الأساس، وهي التي استخدمناها في شرحنا هذا. والآتي هي الإثباتات لذلك:

١ _ **اللغة** بلا نزاع هي لغة قديمة ولكن هناك في المزمور ما يُشير إلى أمور جديدة وليست عتيقة. فمثلاً كلمة "فلاح" بمعنى prosperity (٦) خارجة من جذر موجود فقط في الكتب الأخيرة (أستير والجامعة) ولو أنها عادية في اللغة الأرامية. والأقرب إلى كلمة "الرمضاء" parched land (٦) هو في حزقيال والكلمة "شتِّت" scatter (٣٠) ليست عبرية عادية، ولكن نصف أرامية شكلاً.

٢ _ التشابه الأدبي بين هذا المزمور وأسفار أخرى يشير مباشرة إلى هذا الاتجاه، ليس فقط أن هذا المزمور يعتمد على بركة موسى (تث ٣٣) وأنشودة دبورة (قض ٥)، ولكنه يحتوي على متوازيات مع إشعياء (٤٠-٦٦) التي توحي بأن الكاتب له دراية بهذه النبوات أو أن لغته قد تكوَّنت في نفس الجو الفكري والرجاء. فمثلاً التجمُّع المذكور في (٤) «أعدوا طريقاً للراكب في القفار باسمه ياه واهتفوا لاسمه»، فإنها تذكِّرنا فوراً بما جاء في إشعياء (١٤:٥٧)، (١٠:٦٢):

+ «أعدوا أعدوا هيِّئوا الطريق. ارفعوا المعثرة من طريق شعبي».

+ «أعدوا أعدوا السبيل نقّوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب».

أمّا العدد (٦) فيُقارنه مع إشعياء (٧:٤٢)، (٩:٤٩)، (١:٦١). والعدد (٣١) يقارنه مع (إش

١٤:٤٥) وإليك المقارنة:

(مز ٦:٦٨): «الله مسكن المتوحدين في بيت. مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء».

(إش ٧:٤٢): «لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة».

(إش ٩:٤٩): «قائلاً للأسرى اخرجوا. للذين في الظلام اظهروا ...».

(إش ١:٦١): «لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق».

(مز ٣١:٦٨): «يأتي شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله».

(إش ١٤:٤٥): «تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون ذوو القامة إليكِ يعبرون ولكِ يكونون. خلفكِ يمشون بالقيود يمرون ولكِ يسجدون. إليكِ يتضرَّعون قائلين فيكِ وحدكِ الله وليس آخر».

كما أن هناك متوازيات مع صلاة حبقوق على أن اعتماد المزمور على إشعياء يشير إلى زمن بعد الرجوع من السبي سنة ٥٠٠-٤٨٠ ق.م.

٣ - الإشارات الواضحة التاريخية ناقصة ولكن التلميحات يمكن شرحها جيداً في سنين الختام للأسر. فمثلاً:

(أ) الأعداد التي افتُتِحَ بها القسم الأول والثالث من المزمور (١و٢)، (١٩-٢٣) تعطي تطلُّعاً بقرب استعلان قوة الله من نحو شعبه، الأمر الذي ينتهي بالخلاص والفرح لهم، والعار والبوار للأعداء وتوضِّح وتعلن (٥و٦و٢٠) الحاجة الحاضرة للتدخُّل، ولها ما يقابلها في إشعياء ٤٠-٦٦.

(ب) صفات الله في الأعداد (٤-٦) تشير إلى الخروج من مصر والاستيطان في كنعان. ولكن الموازي الذي سبق أن أشرنا إليه من أشعياء (٤٠-٦٦) يعطي أساساً جيداً لنفكر في أن الخروج من بابل والعودة إلى إسرائيل في كنعان كانا أيضاً في ذهن صاحب المزمور.

(ج) الأعداد من (٧-١٨) بها تذكرة تاريخية، فإذا كان الكاتب يتطلَّع إلى قرب عودة الله إلى مسكنه القديم بعد السبي فإن تذكُّره الدخول الأول إليه هو أمر طبيعي.

(د) قد قيل إن الأعداد من (٢٤-٢٧) هو وصف لحفلٍ كان صاحب المزمور حاضراً فيه، وأن ذكره زبولون ونفتالي مع يهوذا وبنيامين يحمل المزمور إلى الوراء ليعطي

زمناً قبل انفصال المملكتين. ولكن اتصال الأفكار يشير إلى أنه احتفال مثالي يتصوره صاحب المزمور بعد الخلاص أو الانعتاق المذكور في (١٩-٢٣) على أنه مستقبلي، وبمعنى آخر إلى احتفال نموذجي يُقدِّم بما يفوق تصور صاحب المزمور كاحتفال النصرة الكبرى فوق أعداء إسرائيل التي يتطلَّع إليها. فإذا كان هذا هو الأمر فإن ذكر أسباط الشمال والجنوب لهم دور في هذا الحفل يمكن شرحه جيداً كاشتراك في تكميل النبوات العديدة التي تتنبأ عن اتحاد إسرائيل ويهوذا.

(هـ) عدد (٢٩) لا يلزم أن يصوِّر وجود الهيكل ولكن هو رؤية مسبقة لإعادته مثل تصوره في زمن داود إذ كان ينظر فقط إلى إقامته. وأهمية الهيكل في زمن إعادته هو فكر متغلغل في حجي وزكريا، وأهمية الهيكل بالنسبة إلى دخول الأمم تظهر في (إش ٦٠ إلخ).

(و) ذكر مصر في عدد (٣١) هو غير واضح ليفيد في تحديد زمن المزمور. فربما في (٣١) ذُكرت مصر كعدو نموذجي لإسرائيل، وعلى كل حال فهذا لا يعطي احتمالاً للأخذ بزمن داود وليس أدنى ذكر أن إسرائيل كانت مهددة بواسطة مصر أثناء حكم داود.

وقد رأى بعض الباحثين أن نغمة الانتصار التي في المزمور تمنع أن يكون مؤلفاً أثناء السبي، ولكن إذا كان السبي والخروج منه قد ألهم أعظم صفحات الأنبياء الكبار في العهد القديم، فما المانع أن يكون أيضاً قد ألهم أعظم المزامير؟ وبحسب الظاهر والرؤية الخارجية يظهر أن الرجوع من بابل كان يوم الأمور الحقيرة في تاريخ الأمة، أما بعين الإيمان فكانت إحدى الخبرات الروحية العظمى في تاريخ الشعب المختار والعالم أيضاً. والمقارنة بينها وبين الخروج كانت دائماً موجودة في ذهن الأنبياء، وصاحب المزمور ينظر من بعيد من خلال الظروف الحاضرة التي كانت تحيط به نحو المعنى الحقيقي والغاية النهائية التي للمسيرة الجديدة لله خلال الصحراء التي كان على وشك أن يراها، وكان يرى التوافق والإثباتات لها من التاريخ الماضي للأمة.

وهناك أجزاء من إشعياء (٤٠-٦٦) مثلاً: (٦٠) التي تكشف أن ليس في زمن الخروج من السبي أي أثر لضعف أو إخفاق، فلماذا لا يكون الزمن القادر أن ينتج مثل هذه النبوة قادراً أن ينتج مثل هذا المزمور؟ على الأقل نقول إن هذه المناسبة كانت تستحق مثل هذا المزمور الذي وصف بحق أنه أعظم المزامير قوة وحيوية في سفر المزامير.

ومهما كان أصل هذا المزمور وزمنه فإن فخامة المزمور تبقى كما هي والإلهام الذي فيه بالتأكيد

على النصرة الأخيرة لله والمعرفة العامة لسلطانه يبقى بلا تغيير.

وقد كان هذا المزمور الأكثر قبولاً لدى الذين يشعرون أن قضيتهم هي قضية الله وفي قوة الله هم متأكدون من النصرة، مثل الصليبيين الذين كانوا يطلبون عودة الأرض المقدَّسة، ومثل سافونا رولا ورهبانه الذين تقدَّموا مقتحمين النار في ميدان فلورنسا، ومثل الهيجينوت الذين أسموه أنشودة المعركة، ومثل كروموبل في دبنار حينما أشرقت الشمس على الضباب في الصباح وقاد الجيش في المعركة، فإن هذا المزمور أمد جميع هؤلاء بكلمات للتعبير عن ما يحسونه بقناعة.

واختيار المزمور للخدمة في المجمع في يوم الخمسين هو بلا شك لما تتضمنه الأعداد (٧و٨) من إشارة لإعطاء الناموس في سيناء وهي المناسبة التي يُحتفل بها للذكرى في هذا العيد.

واختيار هذا المزمور ليكون المزمور المفضل في عيد الخمسين في الكنيسة المسيحية يظن أنه كان تمثُّلاً باليهود. وأيضاً بواسطة القديس بولس لاستخدامه عدد (١٨) للعطايا الروحية الموهوبة للكنيسة بقيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات. ولكن اختيار هذا المزمور لا يقوم على أساس عدد واحد فقط، فلا يوجد مزمور آخر يمثل "ميلاد الكنيسة في العالم" مثل هذا المزمور الذي يحتفل بنصرة الله في تاريخ شعبه، وينظر أيضاً إلى مستقبل ملكوته في العالم.

وإنه حقـــاً جدًّا أن يكون هذا المزمور مسيانياً بالدرجة الأُولى، لأنه بالرغم من أنه لا يحمل أي نبوَّة عن المسيَّا القادم ولكنه مملوء بفكرة حضرة الله وسكناه بين شعبه التي تحقَّقت بالكامل بالتجسُّد، وتحدَّدت بالإحساس بأن أعمال إسرائيل الكبرى لم تكن إلاَّ وسيلة لغاية أعظم وهي غزو العالم روحياً وتأسيس ملكوت الله.

تقسيم المزمور:

الجزء الأول: المقدِّمة: (١-٦):

(أ) الله مزمع أن يُعلن عن حضوره وقوَّته ليحطم أعداءه ويعطي مسرَّة لشعبه (١-٣).

(ب) يدعو بني شعبه أن يحيُّوا مجيء الله ويمهدوا الطريق له ويأمرهم أن يتذكَّروا أنه معين من ليس له معين والمتضايقين وأنه يعتق المسجونين (٤-٦).

الجزء الثاني: مختصر عن تاريخ إسرائيل ليبرهن انتصارات الله وقوَّته ونعمته ومحبته ويعطي الأمثلة (٧-١٨):

(أ) الخروج من مصر ودخول أرض كنعان. أرض الميعاد بيت إسرائيل الذين تحت الضيقة

الطويلة (٧-١٠).

(ب) الغزو أعطاهم نصرة فوق ملوك أقوياء من كنعان (١١-١٤).

(ج) اختيار صهيون مسكنه الأرضي وعاد إلى السماء كمنتصر بعد أن أخضع الإنسان (١٥-١٨).

الجزء الثالث: من الماضي انتقل صاحب المزمور إلى الحاضر ثمَّ المستقبل (١٩-٣٥):

(أ) الله مخلِّص حاضر دائماً بالنسبة لشعبه وينتقم من أعدائهم (١٩-٢٣).

(ب) ومرَّة أخرى ينتصر الله ويُحتفل به من إسرائيل المتحدة (٢٤-٢٧).

(ج) يصلِّي إلى الله أن يظهر قوته ويخضع المقاومين وينظر الشعوب ويحضهم للخضوع (٢٨-٣١).

(د) جميع الشعوب تجتمع وتتحد وتعطي التسبيح لإله إسرائيل.

ويختم المزمور باعتراف الأُمم بإنعاماته السائدة (٣٢-٣٥).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

مزمور فخم يُعتد به، من أجمل ما في سفر المزامير

[عدد ١-٣]: مجيء الله يسبِّب الفزع والتخريب لأعدائه والبركة والفرح لشعبه.

١ - «يَقُومُ اللهُ. يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ»:

يبتدئ المزمور السابق (٦٧) بصدى البركة الكهنوتية. انظر: (عد ٦: ٢٤-٢٦):

+ «يباركك الرب ويحرسك. يُضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً».

وهكذا يُفتتح المزمور (٦٨) على أساس الصلاة التي تُستخدم عندما يُرفع التابوت كرمز لحضور الله وسط إسرائيل ليأخذ طريقه عبر البرية القفر كما هو مدوَّن في سفر العدد (١٠:٣٥) ولكن المزمور يصيغ من جديد صلاة موسى:

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك».

وفي هذا تعبير إيجابي واثق أن الله مزمع أن يقوم ويُظهر قوَّته بالنسبة لشعبه. ومعظم الترجمات قديمة وحديثة جعلت "**ليت الله يقوم**" ولكن شكل الفعل ضد هذا التصرُّف فإذا كانت الكلمات

تعني صلاة فمن الواجب أن تحتفظ الترجمة بصيغة الدعاء الموجودة بالأصل: «قم يا رب ...».

«من أمام وجهه»: والأفضل ''من حضرته'' (حيث الوجه هو الشخص) في أعداد ٢و٨ وأعداد ٣و٤:

٢ - «كَمَا يُذْرَى الدُّخَانُ تُذْرِيهِمْ. كَمَا يَذُوبُ الشَّمْعُ قُدَّامَ النَّارِ يَبِيدُ الأَشْرَارُ قُدَّامَ اللهِ»:

يلزم أن تكون الأفعال للمستقبل كما في العدد (١). والدخان الذي يذري بالهواء مَثَلٌ واضح للاختفاء الكامل. انظر: (مز ٣٧: ٢٠):

+ «لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعي. فنوا كالدخان فنوا». وأيضاً: (هو ١٣:٣):
+ «لذلك يكونون كسحاب (ضباب) الصبح وكالندى الماضي باكراً. كعصافة تُخطف من البيدر وكدخان من الكوة».

أمّا الشمع فلا يقوى على مقاومة النار. انظر: (مز ٩٧:٥):

+ «ذابت الجبال مثل الشمع قدَّام سيد الأرض كلها». وأيضاً: (مي ١:٤):
+ «فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع قدَّام النار. كالماء المنصبّ في منحدر».

هكذا أمام نفخة يهوه يختفي الشرير ولا يترك خلفه أثراً. فأمام غضبه كالنار الآكلة يكون بلا قوة.

٣ - «وَالصِّدِّيقُونَ يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحاً»:

الصديقون هم الأبرار في شعب الله يُنظر إليهم في ضوء دعوتهم. الأشرار هم الوثنيون يُنظر إليهم في ضوء مضادتهم لمشيئات الله وشعب الله. انظر: (حب ١:١٣-١٤):

+ «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور. فَلِمَ تنظر إلى الناهبين وتصمت حين يبلع الشرير مَنْ هو أبر منه. وتجعل الناس كسمك البحر ...».

وفي المقارنة بين إسرائيل والوثنيين يختفي الأشرار في إسرائيل تماماً من الوجود. والحضرة الإلهية التي تحطِّم وتفني الشرير تحمل الفرح والبركة للأبرار. انظر: (مز ٦٧:١):

+ «ليتحنَّن الله علينا وليباركنا. ليُنر بوجهه علينا. سلاه». وأيضاً: (خر ٣٣: ١٤و١٥):
+ «فقال وجهي يسير فأريحك. فقال له إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا». وأيضاً: (إش ٦٣:٩):
+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم. بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم وحملهم

كل الأيام القديمة». وأيضاً: (٢تس ١: ٩و١٠):

+ «الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوَّته. متى جاء ليتمجَّد في قديسيه ويُتعجب منه في جميع المؤمنين ...».

[عدد ٤-٦]: يستدعي شعب الله ليحتفوا بالله ويعدّوا الطريق لمجيئه. فهو ناصر الضعيف والذي لا دفاع له ومخرج المسجونين.

٤ - «غَنُّوا للهِ. رَنِّمُوا لاسْمِهِ. أَعِدُّوا طَرِيقاً لِلرَّاكِبِ فِي الْقِفَارِ بِاسْمِهِ يَاهْ، وَاهْتِفُوا أَمَامَهُ»:

سبِّحوه لأنه استعلن ذاته ليكون ظاهراً للجميع. انظر: (مز ٤٤:٨):

+ «بالله نفتخر اليوم كله واسمك نحمد إلى الدهر». وأيضاً: (خر ٣:١٥):
+ «وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه (ياه) إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور».

مجيء الله يوصف هنا بمنظر مسيرته كملك شرقي والأبطال يجرون أمامه ليمهدوا الطريق أمام مركبته، وبكلمات مطابقة يدعو النبي المسبيين في بابل. انظر: (إش ٤٠: ٣-٥):

+ «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيُعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلَّم». وأيضاً: (إش ٥٧:١٤):
+ «ويقول أعدّوا أعدّوا هيِّئوا الطريق ارفعوا المعثرة من طريق شعبي». وأيضاً: (إش ٦٢:١٠):
+ «هيئوا طريق الشعب. أعدوا أعدوا السبيل نقُّوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب».

وهكذا بنفس الاصطلاح ''أعدوا طريقاً'' استُخدم في عودة إسرائيل من أسر بابل. فشعب الله يلزم أن يُعدّ الطريق أمامه برفع كل العوائق التي ضد الإيمان والانكسار والمهانة التي لحقت بالشعب، وضد ترك الله والتجديف الذي منعه من أن يخلِّصهم. وفي الترجوم يقولها: ''أعدوا له الجالس على عرش في جلال'' ويفسره بمعنى سمائه السابعة (انظر الشحيجة في التلمود 12b).

«ياه»: اختصار يهوه (Yahveh) اختيرت هنا لعلاقتها بسفر الخروج (١٥:٢):

+ «الرب (ياه) قوَّتي ونشيدي. وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأرفِّعه». وأيضاً: (إش ١٢: ٢):
+ «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن **ياه** يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً».

وأيضاً: (مز ١١٨:٥):

+ «من الضيق دعوت الرب (**ياه**) فأجابني من الرحب».

وهذا يقوله صاحب المزمور ليعيد إلى الذهن ذكرى الخروج. وكلمة (**ياه**) غريبة عن سفر المزامير إذ يُستعاض عنها بهللوياه = احمدوا ياه وهي موجودة فقط في (خر ١٥:٢): (خر ١٧:١٦)، (إش ١٢:٢، ٢٦:٤): «توكَّلوا على الرب إلى الأبد لأن في **ياه** الرب صخر الدهور»، وأيضاً: (إش ٣٨:١١). وهناك خطأ حدث في النسخ الأقدم لكتاب الصلاة الإنجليزي حتى سنة ١٧٥٠، حيث جاءت الآية: "سبحوه في اسمه **نعم** yea وافرحوا أمامه"؛ ولكن في الإنجيل الكبير ١٥٣٩ جاءت: "سبحوه في اسمه **ياه** Ia وافرحوا أمامه"؛ ولكن طبعة نوفمبر سنة ١٥٤٠م جاءت: "سبحوه في اسمه، نعم وافرحوا أمامه". وواضح أنها أخطاء مطبعية.

٥ - «**أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ، اللهُ فِي مَسْكَنِ قُدْسِهِ**»:

اليتامى والأرامل هم الذين لا صديق لهم ولا معين ولا مدافع، فهم تحت عناية الله الخاصة وحراسته. انظر: (مز ١٠:١٤):

+ «قد رأيتَ. لأنك تبصر المشقة والغم لتجازي بيدك. إليك يسلِّم المسكين أمره. وأنت صرت معين اليتيم». وأيضاً: (مز ١٤٦:٩):

+ «الرب يحفظ الغرباء. يعضد اليتيم والأرملة». وأيضاً: (هو ١٤:٣):

+ «... إنه بك يُرحم اليتيم».

وقد كان اليتامى والأرامل موضوع عناية منذ القديم في الناموس. انظر: (خر ٢٢: ٢٢-٢٤):

+ «لا تُسيء إلى أرملة ما ولا يتيم. إن أسأت إليه فإني إن صرخ إليَّ أسمع صراخه. فيحمى غضبي وأقتلكم بالسيف فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى ...».

وأُعيد صياغتها في سفر ملاخي (٣:٥):

+ «وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومَنْ يصد الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود». وأيضاً: (إش ١: ١٧و٢٣):

+ «تعلَّموا فعل الخير، اطلبوا الحق انصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة».

+ «رؤساؤكِ متمرِّدون ولغفاء اللصوص. كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون

لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم».

«**مسكن قدسه**»:

ليس الهيكل بل السماء حيث ينظر أسفل ليبارك شعبه. انظر: (تث ٢٦:١٥):

+ «اطَّلع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك إسرائيل والأرض التي أعطيتنا كما حلفت لآبائنا ...».

وحيث يسود العالم وينظر قضية المتواضع الذي يحتقره الناس. انظر: (إر ٢٥:٣٠):

+ «وأنت فتنبَّأ عليهم بكل هذا الكلام وقُل لهم. الرب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته ...». وأيضاً: (زك ٢: ١٢و١٣):

+ «والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدَّسة ويختار أُورشليم بعد. اسكتوا يا كل البشر قدَّام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه». وأيضاً: (٢أي ٣٠:٢٧):

+ «وقام الكهنة اللاويون وباركوا الشعب فسُمع صوتهم ودخلت صلاتهم إلى مسكن قدسه إلى السماء».

٦ - «**اللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ. مُخْرِجُ الأَسْرَى إِلَى فَلاَحٍ. إِنَّمَا الْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ الرَّمْضَاءَ**»:

المزمور يصف عامة معاملات الله مع الإنسان، مع الانتماء خاصة إلى تكوين إسرائيل في كنعان وخروجهم من عبودية مصر ومصير الثوار في البرية، وأيضاً إن كان المزمور قد صحَّ تعبيره عن خروج إسرائيل من بابل المسمَّى الخروج الثاني، وإعادة تكوين إسرائيل في بيتهم القديم. ولكن الذين لا يؤمنون والثائرون جزء من الشعب سيبقى بلا مساعدة في أرض الأعداء لا ينزل عليهم مطر ولا يجري لهم نهر نعمة الله. انظر: (مز ٦٣:١):

+ «يَا اَللهُ إلهي أنت. إليك أُبكِّر. عطشت إليك نفسي يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء». هذا وصف الذين بقوا في السبي.

وقوله: "المتمرِّدون" هم الثائرون وذوو الأدمغة الناشفة. انظر: (تث ٢١: ١٨-٢١):

+ «إذا كان لرجل ابن معاند **ومارد** لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أُمه ويؤدِّبانه فلا يسمع لهما. يمسكه أبوه وأُمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه. ويقولان لشيوخ مدينته: ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكِّير. فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون».

وهذا يشير إلى أن المقصود هم المتمرِّدون في إسرائيل. انظر: (مز ٧٨:٨):

+ «ولا يكونون مثل آبائهم جيلاً زائغاً ومارداً جيلاً لم يُثبِّت قلبه و لم تكن روحه أمينة لله».

أمَّا المعاندون والمردة والثوار ضد يهوه ومشيئته فإنهم يمثِّلون الصفة السائدة في تاريخ شعب إسرائيل. وقد قيل إنه كما في القديم هلك الثائرون على موسى هلاكاً نادراً فظيعاً إذ فتحت الأرض فاها وابتلعتهم أحياءً، والآخرون هلكوا في البرية، هكذا أيضاً الذين تمرمروا في بابل، وهكذا تُرك كثيرون ولم يعودوا إلى أرض إسرائيل.

«مُسكِن المتوحدين»:

مُسكِن الأفراد المهجورين والتائهين الذين ليس لهم مأوى. انظر: (مز ٢٥:١٦):

+ «انظر إليَّ وارحمني (أحسن إليَّ) لأني وَحدٌ ومسكين أنا».

[عدد ٧-١٨]: بعد هذه المقدّمة العامة يتقدَّم صاحب المزمور في الجزء الثاني ليكشف تاريخ الماضي الذي لإسرائيل، كبرهان على حقيقة نصرة الله وقوَّته ونعمته وحبِّه نحو شعبه.

(عدد ٧-١٠): الخروج من مصر ودخول أرض كنعان.

لقد استعار صاحب المزمور هذه الآيات مع حذف البعض وتغيير طفيف من نشيد دبورة. انظر: (قض ٥: ٣-٥):

+ «أنا أنا للرب أترنَّم. أزمِّر للرب إله إسرائيل. يا رب بخروجك من سعير بصعودك من صحراء أدوم الأرض ارتعدت. السموات أيضاً قطرت. كذلك السحب قطرت ماءً. تزلزلت الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل».

وإليك آيات المزمور:

(٧) «اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر. سلاه».

(٨) «الأرض ارتعدت. السموات أيضاً قطرت أمام وجه الله. سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل».

(٩) «مطراً غزيراً نضحت يا الله ...».

٧ - «اَللّهُمَّ، عِنْدَ خُرُوجِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ، عِنْدَ صُعُودِكَ فِي الْقَفْرِ. سِلاَهْ»:

عندما أخرج الله إسرائيل من مصر سار الله أمامهم ليقودهم في الطريق. انظر: (خر ١٣: ٢٠-٢٢):

+ «وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب». وأيضاً: (مي ٢:١٣):

+ «قد صعد الفاتك أمامهم. يقتحمون ويعبرون من الباب ويخرجون منه ويجتاز ملكهم أمامهم والرب في رأسهم».

وفي الظهور الإلهي العظيم في سيناء تركز جدًّا سر استعلان الله العجيب. زلزلة وعاصفة كانتا ترمزان لحضرته وقوَّته. انظر: (خر ١٩: ١٦-١٩):

+ «وحدث في اليوم الثالث لمَّا كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًّا. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخِّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدًّا. فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جدًّا وموسى يتكلَّم والله يجيبه بصوت!!». وأيضاً: (مز ٧:١٨):

+ «فارتجَّت الأرض وارتعشت أُسس الجبال ارتعدت وارتجَّت لأنه غضب». وأيضاً (حب ٣: ٣-٦):

+ «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطَّى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع وهناك استتار قدرته ... وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأُمم ودُكَّت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له!».

جاءت "سلاه" في هذا المزمور ثلاث مرَّات ٧ و١٩ و٣٢. وهي لا تأتي في آخر الوقفة ولكن بعد أول آية من الوقفة. إذا كانت النسخة هنا صحيحة فالقرار الموسيقي أو المقدّمة الموسيقية استخدمت لتُقوِّي الفكر بعد الوقفة.

٨ - «الأَرْضُ ارْتَعَدَتِ. السَّمَاوَاتُ أَيْضاً قَطَرَتْ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ. سِينَا نَفْسُهُ مِنْ وَجْهِ اللهِ إِلهِ إِسْرَائِيلَ»:

بعد الرعد يظهر البرق وبعده ينهار المطر مدراراً. انظر: (مز ١٧:٧٧):

+ «سكبت الغيوم مياهاً أعطت السحب صوتاً (رعد). أيضاً سهامك طارت (البروق)».

«سينا نفسه»:

هنا سينا وذكر إله إسرائيل له علاقة بالعهد الذي تمَّ. انظر: (خر ٢٤: ٨و١٠):

+ «وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال».

+ «ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة».

٩ – «مَطَراً غَزِيراً نَضَحْتَ يَا اَللهُ. مِيرَاثُكَ وَهُوَ مُعْيٍ أَنْتَ أَصْلَحْتَهُ»:

المطر الغزير إشارة إلى جميع العطايا التي هبطت عليهم من السماء سواء المن أو السلوى أو الخيرات التي لا تُقدَّر ولا تُحصى. واضح أن الشعب وهو في أشد حالات الإعياء، سواء وهو يعبر الصحراء إلى فلسطين أو يعبر البرية من بابل، بينما هو في أشد حالات إعيائه الله كان يرتِّب له ميراثه الذي هو ميراث الله.

١٠ – «قَطِيعُكَ سَكَنَ فِيهِ. هَيَّأْتَ بِجُودِكَ لِلْمَسَاكِينِ يَا اَللهُ»:

سكن فيه سواء في خيام صحراء سيناء أو في نهاية المطاف في أرض كنعان.

(**عدد ١١–١٤**): ببعض الكلمات يتذكَّر صاحب المزمور كل الانتصارات التي حازها الشعب في كنعان. ثمَّ يعود إلى أزمنة القضاة أثناء غزو كنعان على يد يشوع.

١١ – «الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ»:

كلمة الله ذات سلطان. انظر: (مز ٣٣:٩):

+ «لأنه قال فكان. هو أمر فصار». وأيضاً: (إش ٣٠:٣٠):

+ «ويُسمِّع الرب جلال صوته ويُري نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة».

لأنه بأمر فتكون النصرة وحينئذ تُسمع الأناشيد والأغاني من النسوة مع رقص.

١٢ – «مُلُوكُ جُيُوشٍ يَهْرُبُونَ يَهْرُبُونَ، الْمُلاَزِمَةُ الْبَيْتَ تَقْسِمُ الْغَنَائِمَ»:

الأعداد (١٢–١٤) لها إشارة وتلميح لنشيد دبورة ويقدِّمها صاحب المزمور لتكون استمراراً لوصف الانتصارات. والعدد (١٣) موازٍ لعدد (١٢) وهنا يصوِّر في الشطر الأول المنظر في المعركة حيث الملوك المتهورون وفي الشطر الثاني المنظر في البيت حيث يقسمون الغنائم.

فالمعركة كُسبت والمحاربون عادوا إلى بيوتهم مع غنائمهم يقتسمونها. انظر: (قض ٨:٢٦):

+ «وكان وزن أقراط الذهب التي طلب ألفاً وسبع مئة شاقل ذهباً ما عدا الأهلة والحلق وأثواب الأرجوان التي على ملوك مديان وما عدا القلائد التي في أعناق جمالهم». وأيضاً: (٢صم ١:٢٤):

+ «يا بنات إسرائيل ابكين شاول الذي ألبسكنَّ قرمزاً بالتنعم وجعل حلي الذهب على ملابسكن». وأيضاً: (٢مل ٧:١٥):

+ «فانطلقوا وراءهم إلى الأردن وإذا كل الطريق ملآن ثياباً وآنية قد طرحها الأراميون من عجلتهم. فرجع الرسل وأخبروا الملك».

١٣ – «إِذَا اضْطَجَعْتُمْ بَيْنَ الْحَظَائِرِ فَأَجْنِحَةُ حَمَامَةٍ مُغَشَّاةٌ بِفِضَّةٍ وَرِيشُهَا بِصُفْرَةِ الذَّهَبِ»:

عدد من الصعب جدًّا شرحه، لأنه يسترجع أجزاءً من مزامير سابقة أو أناشيد سابقة. ولكن يقول العالم كيرك باتريك شرحاً لا بأس به: [إن إسرائيل حينما تعود إلى موطنها وتجلس في راحة وسلام تكون بهيَّة وجميلة كالساكن بين الحظائر، وكالحمام وكأن أجنحته مغشاة بالفضة من بياضه وريشها له صفرة الذهب في ضوء الشمس]. ولكن على العموم لم يوجد مَنْ يشرح هذا الطلسم، إلاَّ الكنيسة في وصفها للعذراء القديسة مريم.

١٤ – «عِنْدَمَا شَتَّتَ الْقَدِيرُ مُلُوكاً فِيهَا، أَثْلَجَتْ فِي صَلْمُونَ»:

«**القدير**»: شدَّاي Shaddai: جاءت مرَّتين فقط في سفر المزامير هنا وفي (مزمور ٩١:١)، والمعنى كلي القدرة Almighty كما جاءت في (المزمور ٩١:١)، والمعنى مبهم لأن الكلام مرتبط بنصوص سابقة مجهولة لدينا الآن.

(**عدد ١٥–١٨**): بعد غزو أرض كنعان اختار الله لسكناه ليس جبل باشان العظيم ولكن جبل صهيون.

١٥ – «جَبَلُ اللهِ، جَبَلُ بَاشَانَ. جَبَلُ أَسْنِمَةٍ، جَبَلُ بَاشَانَ»:

ربما يقصد جبل حرمون؟ هو أكبر جبال فلسطين وكان الحد الأعلى لباشان. انظر: (تث ٣:٨–١٠):

+ «وأخذنا في ذلك الوقت من يد مَلِكَي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون. والصيدونيون يدعون حرمون سيريون والأموريون يدعونه سنير. كل مدن السهل وكل جلعاد وكل باشان إلى سلخة وإذرعي مدينتي مملكة عوج في باشان».

وله ثلاث قمم بارتفاع واحد. وكل مظاهره توحي بأنه جبل الله فعلاً أو الجبل المؤهَّل لسكنى الله. على أن غزو باشان المبكر في أرض كنعان يزيد التأكيد من ذلك.

١٦ – **«لِمَاذَا أَيَّتُهَا الْجِبَالُ الْمُسَنَّمَةُ تَرْصُدْنَ الْجَبَلَ الَّذِي اشْتَهَاهُ اللهُ لِسَكَنِهِ؟ بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ»**:

كل الجبال الضخمة في فلسطين تقف في عظمتها وضخامتها وكأنها تحسد جبل صهيون المنخفض البسيط، سكن الله في سيناء سكناً مؤقتاً ولكنه في صهيون سيسكن إلى الأبد. هكذا في نظر المزمور.

١٧ – **«مَرْكَبَاتُ اللهِ رِبْوَاتٌ، أُلُوفٌ مُكَرَّرَةٌ. الرَّبُّ فِيهَا. سِينَا فِي الْقُدْسِ»**:

وكأن الله داخل أرض كنعان بقوات سمائية لا تُقدَّر ولا تُحصى ومركباته كمركبات الجيوش تُعد بالربوات أي عشرات الألوف وهذا معنى الألوف المكرَّرة، كما ذُكرت في (تث ٣٣:٢):

+ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم ...».

وصحة الترجمة: الرب بينهم كما كان في سيناء المكان المقدَّس. وهكذا جلال ومجد الله الذي تراءى به في سيناء للشعب جاء بنفس المجد لأرض الموعد مسكنه الجديد محاطاً بالقدس أي بالقداسة.

١٨ – **«صَعِدْتَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَيْتَ سَبْياً. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ النَّاسِ، وَأَيْضاً الْمُتَمَرِّدِينَ لِلسَّكَنِ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ»**:

انظر: (مز ٤٧:٥):

+ «صعد الله بهتاف الرب بصوت الصور».

والصعود إلى العلاء هنا هو الصعود إلى السماء، وسيان إن صعد إلى علو سمائه أو علو مسكنه في صهيون وذلك بانتصار في كلا الوضعين.

«سبيت سبياً»: الواضح أن إسرائيل كانت مسبية في مصر، هكذا أخذها الله لحسابه وصارت له سبي محبته وعنايته.

«قبلت عطايا بين الناس»: أخذت منها رسالة أفسس. انظر: (أف ٤:٨):

+ «لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا».

«وأيضاً المتمرِّدين للسكن أيها الرب الإله»: بمعنى حتى الوثنيين سمح لهم بالسكن في إسرائيل لأنهم أعطوا الخضوع والطاعة لله. انظر: (إش ٣٣:١٤):

+ «ارتعب في صهيون الخطاة. أخذت الرعدة المنافقين. مَنْ منَّا يسكن في نار آكلة. مَنْ منَّا يسكن في وقائد أبدية».

وقد استعار القديس بولس هذا العدد في (أف ٤:٨) كما ذكرنا مشيراً إلى العطايا الروحية التي هطلت من السماء على الكنيسة بارتفاع المسيح وصعوده.

[عدد ١٩–٢٣]: الجزء الثالث من المزمور (١٩–٣٥). يبدأ هنا ينتقل من انتصارات الله في الماضي فيأتي هنا إلى الحاضر والمستقبل. فالله هو المخلِّص الأبدي، وهو سيأخذ نقمته من أعدائه أي أعداء شعب إسرائيل.

١٩ – **«مُبَارَكٌ الرَّبُّ، يَوْماً فَيَوْماً يُحَمِّلُنَا إِلهُ خَلاَصِنَا. سِلاَهْ»**:

مرَّة أخرى نتذكر أنشودة دبورة (قض ٥: ٢و٩):

+ «لأجل قيادة القواد في إسرائيل لأجل انتداب الشعب باركوا الرب».

+ «قلبي نحو قضاة إسرائيل المنتدبين في الشعب. باركوا الرب».

«يحملنا إله خلاصنا»: وصحتها في الترجمة: «مبارك الرب يوماً فيوماً يحمِّلنا بالخيرات»، ولكن نسخة سيماخوس وجيروم والترجوم تعطي "الذي يومياً يَحْمِلُنا". انظر: (إش ٤٦: ٣و٤):

+ «اسمعوا لي يا بيت يعقوب وكل بقية إسرائيل المحمَّلين عليَّ من البطن المحمولين من الرحم وإلى الشيخوخة، أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأُنجِّي». وأيضاً: (خر ١٩: ٤):

+ «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ». وأيضاً: (تث ١: ٣١).

+ «وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان». وأيضاً: (مز ٢٨: ٩):

+ «خلِّص شعبك وبارك ميراثك وارعهم واحملهم إلى الأبد».

٢٠ – «اَللهُ لَنَا إِلهُ خَلاَصٍ، وَعِنْدَ الرَّبِّ السَّيِّدِ لِلْمَوْتِ مَخَارِجُ»:

تأتي بالجمع: أنواع خلاص أو مرَّات خلاص. انظر: (مز ٤٤: ٤):

+ «أنت هو ملكي يا الله. فَأْمُرْ بخلاص يعقوب».

ويُلاحَظ في النسخة .A.V كلمة "الله" جاءت مطبوعة بالحروف الكبيرة لأن الكلمة تمثِّل الاسم المقدَّس GOD : Adonai.

«**للموت مخارج**»: وحتى في الموت فالله يهيِّئ طرقاً للخلاص أو الهرب. انظر: (١كو ١٠: ١٣):

+ «لم تصبكم تجربة إلاَّ بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً **المنفذ** لتستطيعوا أن تحتملوا».

عندما تصل التجربة إلى غايتها ويكون ما من بُد للموت أن يسود، حتماً يعطي الله حلاً للخلاص!! فإسرائيل كدولة كانت راقدة رقاد الموت في سبي بابل، فمَنْ كان يظن أن تخرج من هذا السبي الذي للإبادة والاستعباد حتى الموت؟ ولكن أخرجها الله من قبر السبي وأعطاها حياة جديدة! انظر أيضاً: (١صم ٢: ٦):

+ «الرب يُميت ويُحيي. يُهبط إلى الهاوية ويُصعد!». وأيضاً: (هو ٦: ٢):
+ «يُحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يُقيمنا فنحيا أمامه». وأيضاً: (حز ٣٧: ١–١٠):
+ «كانت عليَّ يد الرب فأخرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً. وأمرَّني عليها من حولها وإذا هي كثيرة جدًّا على وجه البقعة وإذا هي يابسة جدًّا. فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام. فقلت يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي تنبَّأ على هذه العظام وقُل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هأنذا أُدخل فيكم روحاً فتحيون. وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أني أنا الرب. فتنبَّأت كما أُمرت وبينما أنا أتنبَّأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه. ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبُسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح. فقال لي: تنبَّأ للروح، تنبَّأ يا ابن آدم وقُل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبَّأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًّا جدًّا».

٢١ – «وَلكِنَّ اللهَ يَسْحَقُ رُؤُوسَ أَعْدَائِهِ، الْهَامَةَ الشَّعْرَاءَ لِلسَّالِكِ فِي ذُنُوبِهِ»:

«**الهامة الشعراء**»: أصحاب الرؤوس ذات الشعر الطويل، وهم طبقة بين الأعداء الذين عليهم نذر في الحرب ويمارسون الذنوب. وكان في القديم في الجنود الذين في الحرب كل مَنْ كان غير حليق أي ذي شعر طويل يُعتبر أنه قد كرَّس نفسه للحرب ولا يمس شعره حتى يأتي على عدوه أو يعود ميتاً. وقد جاءت في سفر القضاة (٥:٢) مضغمة نوعاً. انظر: (تث ٣٢: ٤٢):

+ «أُسكر سهامي بدم ويأكل سيفي لحماً. بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قوَّاد العدو».

وصحتها في الترجمة: "ومن الرؤوس ذات الشعر التي للقواد".

٢٢ – «قَالَ الرَّبُّ: مِنْ بَاشَانَ أُرْجِعُ. أُرْجِعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ»:

المعنى الذي اُتُفق عليه أن الله في غضبه قال: إن الذين هربوا واختفوا من الأعداء حتى ولو كانوا في باشان أعلى الجبال أو أعماق البحر أرجعهم للعقاب.

٢٣ – «لِكَيْ تَصْبِغَ رِجْلَكَ بِالدَّمِ. أَلْسُنُ كِلاَبِكَ مِنَ الأَعْدَاءِ نَصِيبُهُمْ»:

من النقمة على الأعداء حتى دماؤهم التي تقع على الأرض تجعل أرجل إسرائيل تصطبغ بالدم وحتى الكلاب يكون لها نصيبها من جثثهم.

[عدد ٢٤–٢٧]: هذه الأعداد تصف موكباً رسمياً للشكر للهيكل، ليست سروراً لنصرة تمت أخيراً، ولا سروراً من أجل خلاص البحر الأحمر قديماً، ولكن مسرَّة إسرائيل عندما ترى عمل الدينونة والفداء لله والملك. فهو وصف نموذجي فيه يمتد تصور صاحب المزمور إلى الأمام نحو موكب عظيم للنصرة الموصوفة في (٢١–٢٣) ويتراءى أمامه كأنه ماثل أمام عينيه.

٢٤ – «رَأَوْا طُرُقَكَ يَا اَللهُ، طُرُقَ إِلهِي مَلِكِي فِي الْقُدْسِ»:

الفاعل هنا غير محدود، كل الناس الذين كانوا ناظرين المعركة بين الله وأعدائه. انظر: (مز ٩٨: ١–٣):

+ «رنِّموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب. خلَّصته يمينه وذراع قدسه».
+ «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأُمم كشف برّه».
+ «ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل. رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا». وأيضاً: (إش

٤٠: ٥):

+ «فيعلن مجد الرب **ويراه كل بشر** جميعاً لأن فم الرب تكلّم».

«**طرقك**»: موكب العيد الذي يعلن نصرة الله فيما يخص شعبه، ويجيء بالنصر مرّة أخرى كما جاء قديماً.

«**ملكي**»: هذا اللقب ذو معنى هام لأن الله وضع نفسه على رأس الشعب وأعلن بانتصاره سيادته. انظر: (مز ٤٤: ٤):

+ «أنت هو ملكي يا الله. فأْمُرْ بخلاص يعقوب». وأيضاً: (مز ٧٤: ١٢):
+ «والله ملكي منذ القدم. فاعل الخلاص في وسط الأرض».

«**في القدس**»: المعنى أنه دخل هيكله للاستراحة بعد العودة من النصرة، ويعني أيضاً في القداسة تحقيقاً أن نصرته هي من قداسته، الصفة العُظمى والتي تميِّز كل أعماله. انظر: (خر ١٥: ١١):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. من مثلك معتزًّا في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (مز ٧٧: ١٣):
+ «اللهم في القدس طريقك. أي إله عظيم مثل الله».

٢٥ - «مِنْ قُدَّامٍ الْمُغَنُّونَ. مِنْ وَرَاءٍ ضَارِبُو الأَوْتَارِ. فِي الْوَسَطِ فَتَيَاتٌ ضَارِبَاتُ الدُّفُوفِ»:

وصحتها "في وسط الفتيات". من كلا الجهتين للموكب كانت الفتيات وبأيديهن الطبول (الدفوف) كما يرقصن بالمسرة. والمنظر يذكّرنا بما تمّ على البحر الأحمر. انظر: (خر ١٥: ٢٠):

+ «فأخذت مريم النبيَّة أخت هارون الدف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص»، لأن الخلاص هنا شبيه بخلاص البحر الأحمر من مصر.

٢٦ - «فِي الْجَمَاعَاتِ بَارِكُوا اللهَ الرَّبَّ، أَيُّهَا الْخَارِجُونَ مِنْ عَيْنِ إِسْرَائِيلَ»:

هذا العدد من الأفضل أن يكون مع سابقه يصف الموكب. انظر: (قض ٥: ٢):

+ «لأجل قيادة القوّاد في إسرائيل لأجل انتداب الشعب باركوا الرب».

ويتفق بعض الشرّاح أن عين إسرائيل هو الهيكل. انظر: (مز ١١٨: ٢٦):

+ «مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب». وأيضاً: (مز ١٣٥: ٢١):
+ «مبارك الرب من صهيون الساكن في أورشليم».

وقد تُرجمت أيضاً: «أنتم الذين من عين إسرائيل». حيث اعتبر البطاركة كرأس العين (الينبوع) التي منها خرجت الأُمة. انظر: (إش ٤٨: ١):

+ «اسمعوا هذا يا بيت يعقوب المدعوين باسم إسرائيل الذين خرجوا من مياه يهوذا». وأيضاً: (تث ٣٣: ٢٨):
+ «فيسكن إسرائيل آمناً وحده. تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر وسماؤه تقطر ندى»! وهذا النداء الذي يصنعه المزمور يذكرهم بعنايات وامتيازات آبائهم.

وإذا كان حرف الجر "من" غير أصلي تكون الآية "باركوا الله الرب، أيها الخارجون، (باركوا) عَيْنَ إسرائيل". حيث تكون "عين إسرائيل" هي الرب نفسه منبع الشعب وحياته. انظر: (إر ٢: ١٣):

+ «لأن شعبي عمل شرَّين. تركوني أنا ينبوع المياه الحيَّة لينقروا لأنفسهم أباراً. أباراً مشقّقة لا تضبط ماء». وأيضاً: (إر ١٧: ١٣):
+ «أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون. الحائدون عني في التراب يُكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحيَّة». وأيضاً: (مز ٣٦: ٨و٩):
+ «يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم. لأن عندك ينبوع الحياة».

٢٧ - «هُنَاكَ بِنْيَامِينُ الصَّغِيرُ مُتَسَلِّطُهُمْ، رُؤَسَاءُ يَهُوذَا جُلُّهُمْ، رُؤَسَاءُ زَبُولُونَ، رُؤَسَاءُ نَفْتَالِي»:

تقدم أربعة أسباط بنوع خاص يأخذون موضعهم من الموكب. يهوذا وبنيامين يمثلون الجنوب (مملكة يهوذا) حيث أُورشليم على الحدود بينهما والهيكل كان في أرض بنيامين. انظر: (تث ٣٣: ١٢):

+ «ولبنيامين قال: حبيب الرب يسكن لديه آمناً. يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن». وأيضاً (يش ١٨:١٦):
+ «ونزل التخم (تخم بنيامين) إلى طرف الجبل الذي مقابل وادي ابن هنوم الذي في وادي الرفائيين شمالاً ونزل إلى وادي هنوم إلى جانب اليبوسيين من الجنوب ونزل إلى عين روجل». مكان له كرامة حُدِّد له.

ولكن ما شأن زبولون ونفتالي؟ اختيرا خصيصاً ليمثّلا الشمال، ربما لبطولتهما ووطنيتهما حيث ذُكر في نشيد دبورة: (قض ٥: ١٨):

+ «زبولون شعب أهان نفسه إلى الموت مع نفتالي على روابي الحقل».

حيث أن المزمور يحمل علامات كثيرة من هذا النشيد؛ أو ربما لنبوَّة إشعياء ذات الصدى الذي دخل العهد الجديد. انظر: (إش ٩: ١و٢):

+ «ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي يكرم الأخير طريق البحر عبر الأُردن جليل الأُمم. الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت (الأمم) أشرق عليهم نور».

أمَّا أنهما أهينا جدًّا في الزمن الأول فهو أيام غزوة الأشوريين على يد سنحاريب، لهذا عادت لهما كرامتهما بدخول المسيح! هذا لو كان تاريخ المزمور يرصد زمان السبي. على أن الأنبياء تنبأوا على عودة إسرائيل ويهوذا واتحادهما في مملكة واحدة. انظر: (عا ٩: ١١):

+ «في ذلك اليوم أُقيم مظلة داود الساقطة وأحصِّن شقوقها وأُقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر». وأيضاً: (هو ٣: ٥):

+ «بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام».

وصاحب المزمور يرى ذلك بمنظاره كرجاء يتم في موكب العيد الكبير. ويُلاحَظ أن إرميا يتحدَّث في نبوته أيضاً عن هذا الاتحاد الذي سيتم مع دخول الأُمم وتسابقهم للعبادة في أُورشليم الذي يراه المزمور ويتكلَّم عنه في عدد (٢٨) وما بعده:

+ «قد أمر إلهك بعزِّك. أيد يا الله هذا الذي فعلته لنا».

+ «من هيكلك فوق أُورشليم، لك تقدم ملوك هدايا».

على أن بني إسرائيل الذين عادوا من سبي بابل كانوا يعتبرون أنفسهم يمثلون الأُمة كلها وليس مملكة يهوذا التي منها أُخذوا إلى السبي (لأن إسرائيل كانت قد ذابت في سبيها السابق على سبي يهوذا). انظر: (عز ٨: ٣٥):

+ «وبنو السبي القادمون من السبي قرَّبوا محرقات لإله إسرائيل اثني عشر ثوراً عن كل إسرائيل وستة وتسعين كبشاً وسبعة وسبعين خروفاً واثني عشر تيساً ذبيحة خطية. الجميع محرقة للرب (يلاحظ اثني عشر ثوراً عن الاثني عشر سبطاً)». وأيضاً (مز ١٢٢: ٤):

+ «حيث صعدت الأسباط أسباط الرب شهادة لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب».

«**بنيامين الصغير متسلِّطهم**»: ذكر أنه الصغير لأنه أصغر أولاد يعقوب وأقل سبط عدداً، من

جهة مساحة الأرض التي أُعطيت لهم. انظر: (١صم ٩: ٢١):

+ «فأجاب شاول وقال: أما أنا بنياميني من أصغر أسباط إسرائيل وعشيرتي أصغر كل عشائر أسباط بنيامين».

«**متسلِّطهم**»: لأن شاول وهو بنياميني كان ملكاً على إسرائيل. هذا شرح الترجوم.

[عدد ٢٨–٣١]: القصد والنتيجة من رجوع إسرائيل هو تحويل العالم. وصاحب المزمور يُصلِّي الآن أن يكمِّل الله ما فعل بقوَّته ويُخضع المعارضين. ويَرى نُبلاءَ الأُمم يسرعون ليقدِّموا الطاعة والخضوع له.

٢٨ - «قَدْ أَمَرَ إِلهُكَ بِعِزِّكَ. أَيِّدْ يَا اَللهُ هذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ لَنَا»:

صاحب المزمور يكلِّم إسرائيل، والجزء الأول من العدد هو اختصار الخبرات الماضي أعطاه ليكون أساس الصلاة الآتية بعده، ففي الأيام السابقة أعطى الله إسرائيل قوة ودواماً بمعونته وعلى إسرائيل أن تصلي لتجديد هذه المعونة. والترجمات القديمة مثل السبعينية تقول: "يا الله أعطِ أمراً لقوتك". انظر: (مز ٤٢: ٨):

+ «بالنهار **يوصي الرب رحمته** وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي». وأيضاً: (مز ٤٤: ٤):

+ «أنت هو ملكي يا الله. **فأمر بخلاص** يعقوب».

وهذا يؤيِّد الترجمات القديمة للمزمور "أعطِ أمراً لقوتك" أن تكون في صيغة المخاطب لإسرائيل "قد أمر إلهك بعزك".

«**أيد يا الله**»: أي أظهر قوتك يا الله لتكميل ما عملت. انظر: (إش ٢٦: ١٢):

+ «يا رب تجعل لنا سلاماً لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا».

٢٩ - «مِنْ هَيْكَلِكَ فَوْقَ أُورُشَلِيمَ، لَكَ تُقَدِّمُ مُلُوكٌ هَدَايَا»:

عند رجوع إسرائيل من السبي كان الهيكل يُرى كرمز وبرهان أن يهوه قد رجع إلى مسكنه القديم. انظر: (مز ١٢٢: ٩):

+ «من أجل بيت إلهنا ألتمس لك خيراً».

فبرجوع إسرائيل كان من المناسب أن يقدِّم الكل الخضوع ويجدِّدوا الولاء. انظر: (إش ٦٠: ١-٤و١٠):

+ «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليكِ. لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أمَّا عليكِ فيُشرق الرب ومجده عليكِ يُرى. فتسير الأمم في نوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ. ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليكِ. يأتي بنوكِ من بعيد وتُحمل بناتكِ على الأيدي ... وبنو الغريب يبنون أسواركِ وملوكهم يخدمونكِ. لأني بغضبي ضربتُكِ وبرضواني رحمتكِ». وأيضاً: (حج ٢: ٧):

+ «وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود». وأيضاً: (زك ٢: ١١و١٣):

+ «فيتصل أُمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطكِ فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليكِ ... اسكتوا يا كل البشر قدَّام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه». وأيضاً: (زك ٨: ٢٢):

+ «فتأتي شعوب كثيرة وأُمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أُورشليم وليترضَّوْا وجه الرب».

«**تقدّم ملوك هدايا**»: انظر: (إش ١٨: ٧):

+ «في ذلك اليوم تقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل وأجرد ومن شعب مخوف». وأيضاً: (مز ٧٦: ١١):

+ «انذروا وأوفوا للرب إلهكم يا جميع الذين حوله. ليقدِّموا هدية للمهوب!».

٣٠ - **«انْتَهِرْ وَحْشَ الْقَصَبِ، صِوَارَ الثِّيرَانِ مَعَ عُجُولِ الشُّعُوبِ الْمُتَرَامِينَ بِقُطَعِ فِضَّةٍ. شَتِّتِ الشُّعُوبَ الَّذِينَ يُسَرُّونَ بِالْقِتَالِ»**:

وحش القصب (التمساح) رمز مصر العدو الأمثل لإسرائيل والثيران والعجول رمز الأُمم. انظر: (إر ٤٦: ٢٠و٢١):

+ «مصر عجلة حسنة جدًّا. الهلاك من الشمال جاء، جاء أيضاً مستأجروها في وسطها كعجول صيرة، لأنهم هم أيضاً يرتدون يهربون معاً. لم يقفوا لأن يوم هلاكهم أتى عليهم وقت عقابهم».

«**المترامين بقطع فضة**»:

جاءت في إحدى الترجمات: "الذين يُخضعون ذواقم" بقطع من الفضة أي يقدِّمون الجزية للرب إله العالم. انظر: (إش ٦٠: ٩):

+ «إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيكِ من بعيد وفضتهم وذهبهم معهم

لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه مجَّدكِ».

«**شتِّتِ الشعوب**»: ليحقِّق الرب نصرته وسيادته على كل الشعوب.

٣١ - **«يَأْتِي شُرَفَاءُ مِنْ مِصْرَ. كُوشُ تُسْرِعُ بِيَدَيْهَا إِلَى اللهِ»**:

شرفاء: أمراء/ سفراء، هذه الكلمة جاءت هنا فقط. والكل يُسرع إمَّا للعبادة وإمَّا للخضوع أو التوسُّل. انظر: (إش ٤٥: ١١-١٤):

+ «هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل وجابله. اسألوني عن الآتيات. من جهة بنيَّ ومن جهة عمل يديَّ أوصوني. أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها. يداي أنا نشرتا السموات وكل جندها أنا أمرت. أنا قد أنهضته بالنصر وكل طرقه أسهِّل. هو يبني مدينتي ويطلق سبيي لا بثمن ولا بهدية قال رب الجنود. هكذا قال الرب تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون ذوو القامة إليكِ يعبرون ولكِ يكونون. خلفكِ يمشون ... إليكِ يتضرَّعون قائلين فيكِ وحدكِ الله وليس آخر».

مصر والحبشة دائماً يأتيان معاً، وهنا يأتيان كمثل لبقية الشعوب ذات الصيت والمجد والغِنَى. انظر: (إش ١٨: ١-٣):

+ «يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش. المُرسلة رسلاً في البحر وفي قوارب من البردي على وجه المياه. اذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أُمة طويلة وجرداء. إلى شعب مخوف منذ كان فصاعداً أُمة قوَّة وشدَّة ودوس قد خرقت الأنهار أرضها. يا جميع سكان المسكونة وقاطني الأرض عندما ترتفع الراية على الجبال ...».

واجتماع شعوب وخضوعها يدل على أن المعادين لله والبعيدين والأقوياء والشرفاء يعترفون جميعاً بسلطان الله.

[عدد ٣٢-٣٥]: كل الأُمم مدعوة هنا لتتحد لتسبيح الله.

٣٢ - **«يَا مَمَالِكَ الأَرْضِ غَنُّوا للهِ. رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ. سِلاَهْ»**:

دعيت الأُمم لتشترك مع إسرائيل في تسبيحاتها. انظر: (رؤ ١١: ١٥):

+ «ثم بوَّق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة: قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين».

"سلاه". وجود سلاه هنا هو إشارة للموسيقى أن ترتفع نغمتها تحية للجالس على العرش ومجيء كل الأمم.

٣٣ - «لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَوَاتِ الْقَدِيمَةِ. هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ»:

نفس الله الراكب في القفار (٤) عندما يتسلَّط على أقدار الأرض يرتفع إلى أعلى السموات ليخضع الكل ويملأ الكل. انظر: (تث ١٠: ١٤):

+ «هوذا للرب إلهك السموات وسماء السموات والأرض وكل ما فيها». وأيضاً: (١مل ٨: ٢٧):
+ «لأنه هل يسكن الله حقًا على الأرض. هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيتُ!». وأيضاً: (نح ٩: ٦):
+ «أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السموات وسماء السموات وكل جندها والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد!».

«**يعطي صوته**»: انظر: (إش ٣٠: ٣٠):

+ «ويُسمع الرب جلال صوته ويُرى نزول ذراعه ...». وأيضاً: (مز ٤٦: ٦):
+ «عجَّت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته ذابت الأرض». وأيضاً: (مز ٢٩: ٣و٤):
+ «صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد. الرب فوق المياه الكثيرة. صوت الرب بالقوة. صوت الرب بالجلال».

٣٤ - «أَعْطُوا عِزًّا للهِ. عَلَى إِسْرَائِيلَ جَلاَلُهُ، وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ»:

اعترفوا بعزة الله بالتسبيح والمديح والشكر وقوَّته في السماء والأرض. انظر: (تث ٣٣: ٢٦و٢٧):

+ «ليس مثل الله يا يشورون. يركب السماء في معونتك والغمام في عظمته».
+ «الإله القديم ملجأ والأذرع الأبدية من تحت. فطرد من قدَّامك العدو وقال أَهْلِكْ».

٣٥ - «مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اَللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ. إِلهُ إِسْرَائِيلَ هُوَ الْمُعْطِي قُوَّةً وَشِدَّةً لِلشَّعْبِ. مُبَارَكٌ اللهُ!»:

انظر: (خر ١٥: ١١):

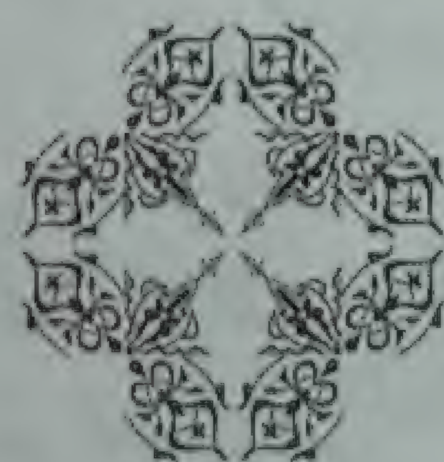
+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك معتزًا في القداسة. مخوفاً بالتسابيح، صانعاً عجائب».

وأيضاً: (تث ١٠: ١٧):

+ «لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبَّار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه».

وأيضاً: (مز ٤٧: ٢):

+ «لأن الرب عَليٌّ. مخوف ملك كبير على كل الأرض».



المزمور التاسع والستون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «السُّوسَنِّ». لِدَاوُدَ

١- «خَلِّصْنِي يَا اَللهُ، لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي.

٢- غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ، وَلَيْسَ مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ، وَالسَّيْلُ غَمَرَنِي.

٣- تَعِبْتُ مِنْ صُرَاخِي. يَبِسَ حَلْقِي. كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنِ انْتِظَارِ إِلهِي.

٤- أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ. اعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِيَّ أَعْدَائِي ظُلْماً. حِينَئِذٍ رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ.

٥- يَا اَللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ.

٦- لاَ يَخْزَ بِي مُنْتَظِرُوكَ يَا سَيِّدُ رَبَّ الْجُنُودِ. لاَ يَخْجَلْ بِي مُلْتَمِسُوكَ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ.

٧- لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي.

٨- صِرْتُ أَجْنَبِيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي، وَغَرِيباً عِنْدَ بَنِي أُمِّي.

٩- لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ.

١٠- وَأَبْكَيْتُ بِصَوْمٍ نَفْسِي، فَصَارَ ذلِكَ عَاراً عَلَيَّ.

١١- جَعَلْتُ لِبَاسِي مِسْحاً، وَصِرْتُ لَهُمْ مَثَلاً.

١٢- يَتَكَلَّمُ فِيَّ الْجَالِسُونَ فِي الْبَابِ، وَأَغَانِيُّ شَرَّابِي الْمُسْكِرِ.

١٣- أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلاَتِي يَا رَبُّ فِي وَقْتِ رِضىً. يَا اَللهُ، بِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ اسْتَجِبْ لِي، بِحَقِّ خَلاَصِكَ.

١٤- نَجِّنِي مِنَ الطِّينِ فَلاَ أَغْرَقَ. نَجِّنِي مِنْ مُبْغِضِيَّ وَمِنْ أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ.

١٥- لاَ يَغْمُرَنِّي سَيْلُ الْمِيَاهِ، وَلاَ يَبْتَلِعَنِّي الْعُمْقُ، وَلاَ تُطْبِقِ الْهَاوِيَةُ عَلَيَّ فَاهَا.

١٦- اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ لأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. كَكَثْرَةِ مَرَاحِمِكَ الْتَفِتْ إِلَيَّ.

١٧- وَلاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنْ عَبْدِكَ، لأَنَّ لِي ضِيقاً. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعاً.

١٨- اقْتَرِبْ إِلَى نَفْسِي. فُكَّهَا. بِسَبَبِ أَعْدَائِي افْدِنِي.

١٩- أَنْتَ عَرَفْتَ عَارِي وَخِزْيِي وَخَجَلِي. قُدَّامَكَ جَمِيعُ مُضَايِقِيَّ.

٢٠- الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ. انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ.

٢١- وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ.

٢٢- لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ قُدَّامَهُمْ فَخًّا، وَلِلآمِنِينَ شَرَكاً.

٢٣- لِتُظْلِمْ عُيُونُهُمْ عَنِ الْبَصَرِ، وَقَلْقِلْ مُتُونَهُمْ دَائِماً.

٢٤- صُبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطَكَ، وَلْيُدْرِكْهُمْ حُمُوُّ غَضَبِكَ.

٢٥- لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَاباً، وَفِي خِيَامِهِمْ لاَ يَكُنْ سَاكِنٌ.

٢٦- لأَنَّ الَّذِي ضَرَبْتَهُ أَنْتَ هُمْ طَرَدُوهُ، وَبِوَجَعِ الَّذِينَ جَرَحْتَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ.

٢٧- اِجْعَلْ إِثْماً عَلَى إِثْمِهِمْ، وَلاَ يَدْخُلُوا فِي بِرِّكَ.

٢٨- لِيُمْحَوْا مِنْ سِفْرِ الأَحْيَاءِ، وَمَعَ الصِّدِّيقِينَ لاَ يُكْتَبُوا.

٢٩- أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَكَئِيبٌ. خَلاَصُكَ يَا اَللهُ فَلْيُرَفِّعْنِي.

٣٠- أُسَبِّحُ اسْمَ اللهِ بِتَسْبِيحٍ، وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ.

٣١- فَيُسْتَطَابُ عِنْدَ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَوْرٍ بَقَرٍ ذِي قُرُونٍ وَأَظْلاَفٍ.

٣٢- يَرَى ذلِكَ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ، وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي اللهِ.

٣٣- لأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ.

٣٤- تُسَبِّحُهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، الْبِحَارُ وَكُلُّ مَا يَدِبُّ فِيهَا.

٣٥- لأَنَّ اللهَ يُخَلِّصُ صِهْيَوْنَ وَيَبْنِي مُدُنَ يَهُوذَا، فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا.

٣٦- وَنَسْلُ عَبِيدِهِ يَمْلِكُونَهَا، وَمُحِبُّو اسْمِهِ يَسْكُنُونَ فِيهَا».

دراسة:

هذا المزمور كله صرخة للمعونة، على قسمين كل واحد ينقسم إلى ثلاث وقفات.

١ - صاحب المزمور يتوسَّل لدى الله أن ينقذه من الأعداء القتلة الذين أحاطوا به (١-٦). والتوسُّل الشديد هو قاعدة المزمور والصلاة، وذلك لأنه من أجل الله هو مضطهد (٧-١٢). وبعد ذلك بأكثر توسُّل يكرِّر الصلاة للمعونة (١٣-١٨).

٢ - مرَّة أخرى يضع أمام الله كل قسوة أعدائه اللاإنسانية (١٩-٢١)، ويطلب لهم المحاكمة التي يستحقونها (٢٢-٢٨). ثمَّ يسترد هدوءه وينظر إلى الأمام بثقة مع نداء وتسبيح للفداء وعودة صهيون الأمر الذي سيكمله الله بالضرورة (٢٩-٣٦).

ونجد اسم داود في العنوان. ولو أن هذا المزمور قد انضمَّ إلى المزامير التي لداود فهو من المستحيل أن يكون داود هو الذي كتبه. ففي أي زمن من حياته يأتي عدد (٨) «صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أمي»، أو كيف يقول في عدد (٣٣) «لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه». وكيف يمكن أن تكون لملك؟ والأعداد الأخيرة المضافة ليكون المزمور ليتورجياً توضِّح أنه زمن السبي أو ختام المملكة عندما كان يهوياكين ونخبة يهوذا قد أُخذوا في السبي (٥٩٧ ق.م).

وكل ما في المزمور ولغته تشابه أسلوب إرميا حتى قيل إن كاتبه هو إرميا، ولكن من غير المحتمل أن يكون هو كاتبه ولكن المشابهة فقط موجودة.

١ - قوله «من أجلك احتملت العار». هي كلمة إرميا بلا شك (إر ١٥: ١٥) ومثل إرميا انسحق تحت المذلة والاحتقار وانكسرت نفسه وروحه، والعداوة التي هدَّدت حياته، وكذلك أقرباؤه تركوه وأعداؤه ليسوا وثنيين ولكن أشرار وزملاء وطن.
٢ - وفي دعائه على أعدائه نجد اللغة والتعبير هما لإرميا.
٣ - التنبُّؤ برجوع صهيون الذي ينتهي به المزمور هو مختصر نبوات إرميا كلها المجموعة في أصحاحات (٣٠-٣٣).
٤ - انحطاط نفسيته وروحه وتغيُّره الفجائي هي صفات إرميا (إر ٢٠: ١٣).
٥ - اللغة مشابهة وتكاد تكون مطابقة للغة إرميا كما سوف نعلِّق عليها في الشرح.

ولكن في هذه الحالة الإثبات مستحيل، ولكن هذه الترجيحات تعطي فكرة وتحقيقاً مرجحاً للمزمور.

فإن كنا نسمع في المزمور نغمة وصوت النبي الشهيد نحو شعب قاسٍ غير تائب استقبلوه بلا أهمية واحتقار ظاهر، وصار فريسة لليأس، فإن هذا المزمور مع مزمور آخر مثله هو مزمور (٢٢) يُرجع إليهما كثيراً جدًّا في العهد الجديد:

- فكل ما فيه خاصة عدد (٤): «أكثر من شعر رأسي الذين **يبغضونني بلا سبب** اعتز مستهلكي أعدائي ظلماً حينئذ رددتُ الذي لم أخطفه» هو مطابق لحال المسيح = (يو ١٥: ٢٥).
- «وغيرة بيتك أكلتني» (٩) هي للمسيح من نحو الآب وبيته الذي جعلوه مغارة لصوص (يو ٢: ١٧)، وبقية هذا العدد استخدمه بولس الرسول من نحو المسيح (رو ١٥: ٣).
- كذلك ما جاء في عدد (٢٥) أُضيف إلى مزمور (١٠٩: ٨) وورد في سفر الأعمال (١: ٢٠): «لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر» الأمر الذي حاق بالخائن.
- والأعداد (٢٢و٢٣) جاءت في (رو ١١: ٩ إلخ): «وداود يقول لتصر مائدتهم فخًّا وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ولْتُحْنِ ظهورهم في كل حين».
- ومعاناة صاحب المزمور في العدد (٢١): «ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاًّ» هي ما جاء عن المسيح في (يو ١٩: ٢٨) ولو أنه لم يُسجِّل موضعها. وهذا ما يمكن أن نعتبره أنه كان في فكر ق. متى (٢٧: ٣٤): «أعطوه خلاًّ ممزوجاً بمرارة ليشرب. ولمَّا ذاق لم يرد أن يشرب». والقديس مرقس: «فركض واحد وملأ إسفنجة خلاًّ وجعلها على قصبة وسقاه.» (مر ١٥: ٣٦)
- الأعداد (١٢و٢٠) في المزمور تشير إلى الاستهزاء الذي تمَّ للمسيح (مت ٢٧: ٢٨و٢٩): «فعرُّوه وألبسوه رداءً قرمزيًّا. وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدَّامه ويستهزئون به».
- العدد (٢٦) في المزمور يمكن أن نراه في ضوء ما أشار إليه إشعياء (٥٣: ٤و٨) وزكريا (١٣: ٧): «استيقظ يا سيف على راعيَّ وعلى رجل رفقتي يقول رب الجنود. اضرب الراعي فتتشتَّت الغنم ...».

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٦]: استدعاء الله للمعونة. صاحب المزمور يرجو إنقاذه لأنه قد بلغ المنتهى.

١ - «**خَلِّصْنِي يَا اَللهُ، لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي**»:
كغريق سقط تحت الكوارث فكادت تودي بحياته. انظر: (مز ١٨: ١٦):
+ «أرسل من العلي فأخذني. نشلني من مياه كثيرة». وأيضاً: (مز ٣٢: ٦):
+ «لهذا يصلِّي لك كل تقي في وقت يجدك فيه. عند غمارة المياه الكثيرة إيَّاه لا تصيب». وأيضاً: (مز ٦٦: ١٢):
+ «رَكَّبْتَ أُناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثمَّ أخرجتنا إلى الخصب». وأيضاً: (مز ١٢٤: ٤و٥):

+ «إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا. إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية».

٢ – «**غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ، وَلَيْسَ مَقَرٌّ دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ، وَالسَّيْلُ غَمَرَنِي**»:

كمن يغرق في مستنقع أو في رمل متحرِّك، كلما تحرَّك فيه سقط إلى أسفل، أو في حمأة لا قرار لها وهذه أصعب التصورات. ولا قرار لرجله بل كلما حاول أن يطفو يستقر إلى أسفل!! أو مرّ عليه سيل جرفه إلى عمق النهر وصار في عداد الغرقى.

٣ – «**تَعِبْتُ مِنْ صُرَاخِي. يَبِسَ حَلْقِي. كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنِ انْتِظَارِ إِلهِي**»:

لقد أُجهد فكراً وصوتاً وحلقاً وعيناً وصار جسمه كله في محنة من كثرة التوتُّر تحت تأثير الشدَّة والضيق والكارثة والصراخ. انظر: (إر ٤٥: ٣):

+ «ويل لي لأن الرب قد زاد حزناً على ألمي. قد غُشي عليَّ في تنهدي و لم أجد راحة».

٤ – «**أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ. اعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِيَّ أَعْدَائِي ظُلْماً. حِينَئِذٍ رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ**»:

«**أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب**»: من الكثرة يصعب عدّهم. انظر: (مز ٤٠: ١٢):

+ «لأن شروراً لا يُحصى قد اكتنفتني. حاقت بي آثامي ولا أستطيع أن أبصر، كثرت **أكثر من شعر رأسي** وقلبي قد تركني». وأيضاً: (مز ٣٥: ١٩):

+ «لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً. ولا يتغامز بالعين الذين **يبغضونني بلا سبب**». وأيضاً: (مز ٣٨: ١٩):

+ «وأمَّا أعدائي فأحياء. عظموا. مقابلي دائماً». وأيضاً: (يو ١٥: ٢٥):

+ «لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم (مز ٦٩) إنهم أبغضوني **بلا سبب**».

«**اعتز مستهلكيَّ أعدائي ظلماً. حينئذ رددتُ الذي لم أخطفه**»:

أعدائي أقوى مني وقد تسلَّطوا ظلماً. انظر: (مرا ٣: ٥٣و٥٤):

+ «قرضوا في الجب حياتي وألقوا عليَّ حجارة. طفت المياه فوق رأسي. قُلتُ قد قُرضت».

وذلك دون وجه حق ولا سبب حقيقي وهو لم يخطف شيئاً لكي يردَّه. انظر: (حز ٣٣: ١٥):

+ «إن رد الشرير الرهن وعوَّض عن المغتصب وسلك في فرائض الحياة بلا عمل إثم فإنه حياة يحيا ولا يموت».

وهذا ادِّعاء أليفاز ضد أيوب: «لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب وسلبت ثياب العراة.» (أي ٢٢: ٦)

[عدد ٥و٦]: تأديبه هو بسبب ذنوبه ولكنه وضع نفسه تحت رحمة القدير ويتوسَّل إليه أن يسمع صوته، فقضيته هي قضية كل الذين يخدمون الله، فإذا تُرك ييأس الآخرون ويزدري بهم العالم. وهو يعتبر أن الخطية حماقة وتستحق التأديب.

٥ – «**يَا اَللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ.**

٦ – **لاَ يَخْزَ بِي مُنْتَظِرُوكَ يَا سَيِّدُ رَبَّ الْجُنُودِ. لاَ يَخْجَلْ بِي مُلْتَمِسُوكَ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ**»:

انظر: (مز ٢٥: ٣):

+ «أيضاً كل منتظريك لا يخزوا. ليخز الغادرون بلا سبب». وأيضاً: (مز ٣٨: ١٥و١٦):

+ «لأني لك يا رب صبرت أنت تستجيب يا رب إلهي».

+ «لأني قلت: "لئلاَّ يشمتوا بي". عندما زلّت قدمي تعظَّموا عليَّ».

ألقاب: «رب الجنود» و«إله إسرائيل» تكشف سلطان الله وعلاقته بالناس شعبه، فهو لا يترك خادمه يُحتقر ويُظلم لأن ذلك يُخجل الذين يترجُّون الله مثله. فقضيته يتعلَّق بها كل الذين لهم مثله رجاء في الله.

[عدد ٧–١٢]: فإذا تُرك بلا استجابة سوف يفقد الكثيرون شجاعتهم ورجاءهم في الله. أمَّا هو فمن أجل علاقته بالله هو يُضطهد ويُستهزأ به.

٧ – «**لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي**»:

انظر: (إر ١٥: ١٥):

+ «أنت يا رب عرفت. اذكرني وتعهَّدني وانتقم لي من مضطهدي. بطول أناتك لا تأخذني. اعرف احتمالي العار لأجلك». وأيضاً: (إش ٥٣: ٣و٤و٦):

+ «محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا. محتقر فلم نعتدّ به».

+ «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً».

+ «كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا». وأيضاً: (مز ٤٤: ١٥):
+ «اليوم كله خجلي أمامي وخزي وجهي قد غطّاني».

٨ - «صِرْتُ أَجْنَبِيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي، وَغَرِيباً عِنْدَ بَنِي أُمِّي»:
انظر: (مز ٣٨: ١١):
+ «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي وأقاربي وقفوا بعيداً». وأيضاً: (أي ١٩: ١٣-١٦):
+ «قد أبعد عني إخوتي. ومعارفي زاغوا عني. أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني. نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرتُ في أعينهم غريباً. عبدي دعوتُ فلم يُجب. بفمي تضرَّعت إليه ...». وأيضاً: (إر ١٢: ٦):
+ «لأن إخوتك أنفسهم وبيت أبيك قد غادروك هم أيضاً. هم أيضاً نادوا وراءك بصوت عالٍ ..».

٩ - «لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ»:
انظر: (مز ١١٩: ١٣٩):
+ «أهلكتني غيرتي لأن أعدائي نسوا كلامك». وأيضاً: (إر ٢٠: ٩):
+ «فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه. فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع».

وغيرة الرب يسوع على بيته وعلى الله الآب إنما هي طبق الأصل. انظر: (يو ٢: ١٦و١٧):
+ «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة. فتذكر تلاميذه أنه مكتوب (مز ٦٩) غيرة بيتك أكلتني».

«تعييرات معيريك وقعت عليّ»:
أي تجاديف المجدفين على الله إنما تجرح وتؤذي مشاعر خادم الله الأمين، وبآن واحد تكون تعايير المعيرين على الله نفسه تنصب على خادمه بالضرورة.

هذه كانت أيضاً خبرة المسيح الذي عنه يقول بولس الرسول في (رو ١٥: ٣):
+ «لأن المسيح أيضاً لم يُرضِ نفسه بل كما هو مكتوب في (مز ٦٩) تعييرات معيريك وقعت عليّ».

١٠ - «وَأَبْكَيْتُ بِصَوْمِ نَفْسِي، فَصَارَ ذلِكَ عَاراً عَلَيَّ»:
بكاءٌ وصلاة باستمرار فَظَهَرَتْ للناس كأنها ضعف شخصية.

١١ - «جَعَلْتُ لِبَاسِي مِسْحاً، وَصِرْتُ لَهُمْ مَثَلاً»:
ولبستُ ثوب المذلة فجعلوني مثلاً للهزء والسخرية.

١٢ - «يَتَكَلَّمُ فِيَّ الْجَالِسُونَ فِي الْبَابِ، وَأَغَانِيُّ شَرَّابِي الْمُسْكِرِ»:
صار عليَّ كلام الغادين والراحين عبر باب المدينة والجالسين عليه، وأخذوني عبرة ومضحكة وصرتُ حديث السكارى. انظر: (أي ٣٠: ٩):
+ «أمّا الآن فصرت أغنيتهم وأصبحت لهم مثلاً».

[عدد ١٣-١٨]: ومن قساوة قلوب البشر يعود المزمور إلى رحمة الله.

١٣ - «أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلاَتِي يَا رَبُّ فِي وَقْتِ رِضىً. يَا اَللهُ، بِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ اسْتَجِبْ لِي، بِحَقِّ خَلاَصِكَ»:
«في وقت رضى»: أي الوقت المقبول، الوقت الذي تُسرُّ به. انظر: (مز ٤٠: ١٣):
+ «**ارتَضِ** يا رب بأن تنجّيني. يا رب إلى معونتي أسرع». وأيضاً: (مز ٥١: ١٨):
+ «أحسن **برضاك** إلى صهيون. ابنِ أسوار أورشليم». وأيضاً: (إش ٤٩: ٨):
+ «هكذا قال الرب: **في وقت القبول** استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك».
يؤمن بأنه سيأتي الوقت المقبول من عند الله ليستجيب صلاته.

«بكثرة رحمتك»: انظر: (خر ٣٤: ٦و٧):
+ «فاجتاز الرب قدّامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب **وكثير الإحسان** والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرئ إبراءً». وأيضاً: (مز ٥١: ١):
+ «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب **كثرة رأفتك** امحُ معاصيّ».
والمعنى بديع: أن الله لو كان معي حسب طبيعته وصفاته تماماً فهو لابد يستجيب لي.

في صلاته يكرِّر الكلمات التي وصف بها كارثته (٢و٤):

١٤ - «نَجِّنِي مِنَ الطِّينِ فَلاَ أَغْرَقَ. نَجِّنِي مِنْ مُبْغِضِيَّ وَمِنْ أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ
١٥ - لاَ يَغْمُرَنِّي سَيْلُ الْمِيَاهِ، وَلاَ يَبْتَلِعَنِّي الْعُمْقُ، وَلاَ تُطْبِقِ الْهَاوِيَةُ عَلَيَّ فَاهَا»:
انظر: (إر ٣٨: ٦):

+ «فأخذوا إرميا وألقوه في جب ملكيا ابن الملك الذي في دار السجن ودلوا إرميا بحبال. ولم يكن في الجب ماء بل وحل فغاص إرميا في الوحل».

١٦ - «اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ لأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. كَكَثْرَةِ مَرَاحِمِكَ الْتَفِتْ إِلَيَّ»:

انظر: (مز ١٠٩: ٢١):

+ «أمَّا أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك. لأن رحمتك طيبة نجّني». وأيضاً: (مز ٥١: ١):
+ «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ». وأيضاً: (مرا ٣: ٣٢):
+ «فإنه ولو أحزن يرحم حسب كثرة مراحمه». وأيضاً: (مز ٢٥: ١٦):
+ «التفت إليَّ وارحمني لأني وحدٌ ومسكين أنا». وأيضاً: (مز ١١٩: ١٣٢):
+ «التفت إليَّ وارحمني كحق محبيّ اسمك».

وتجيء «التفت إليَّ» عكس «لا تحجب وجهك»:

١٧ - «وَلاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنْ عَبْدِكَ، لأَنَّ لِي ضِيقاً. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعاً»:

حقـاً لا يمكن أن يستمر الله حاجزاً رحمته ومعونته لإنسان ارتبط به وأحبَّه ويخدمه ويتّقيه. وهذا النداء له مكانة خاصة عند الله إذا كان المصلّي نبيًّا مثل إرميا. انظر: (عا ٣: ٧):

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاَّ وهو يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء».

«لا تحجب وجهك»: انظر: (مز ٢٧: ٩):

+ «لا تحجب وجهك عني. لا تخيّب بسخط عبدك ...». وأيضاً: (مز ٣١: ١٦):
+ «أضئ بوجهك على عبدك. خلّصني برحمتك». وأيضاً: (مز ٤٤: ٢٤):
+ «لماذا تحجب وجهك، وتنسى مذلّتنا وضيقنا».

١٨ - «اقْتَرِبْ إِلَى نَفْسِي. فُكَّهَا. بِسَبَبِ أَعْدَائِي افْدِنِي»:

هكذا كانت استجابة إرميا. انظر: (مرا ٣: ٥٧-٦٠):

+ «دنوتَ يوم دعوتُك. قلتَ لا تخف. خاصمتَ يا سيد خصومات نفسي. فككتَ حياتي. رأيتَ يا رب ظلمي، أقم دعواي. رأيت كل نقمتهم كل أفكارهم عليَّ». وأيضاً: (إر ١٥: ٢١):
+ «فأنقذك من يد الأشرار وأفديك من كفِّ العتاة». وأيضاً: (مز ١٣: ٤):

+ «لئلاَّ يقول عدوي قد قويت عليه. لئلاَّ يهتف مضايقي بأني تزعزعت».

[عدد ١٩-٢١]: مرَّة أخرى يضع أمام الله قسوة آلامه وعدم رحمة أعدائه.

١٩ - «أَنْتَ عَرَفْتَ عَارِي وَخِزْيِي وَخَجَلِي. قُدَّامَكَ جَمِيعُ مُضَايِقِيَّ»:

يقول: «الكل أمام عينيك». وهو يترجَّى الله كما يترجَّى إنساناً عاطفياً يشفق للتوسُّل الشديد من منظر الآلام أكثر من سمع الأذن.

٢٠ - «الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ. انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ»:

انظر: (إر ٢٣: ٩):

+ «انسحق قلبي في وسطي. ارتخت كل عظامي. صرتُ كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه». وأيضاً: (مز ٣١: ١١):
+ «عند كل أعدائي صرت عاراً وعند جيراني بالكلية ورعباً لمعارفي. الذين رأوني خارجاً هربوا عني». وأيضاً: (مز ٢٢: ٦):
+ «أمَّا أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب». وأيضاً: (مز ٣٩: ٨):
+ «من كل معاصي نجني. لا تجعلني عاراً عند الجاهل». وأيضاً: (مز ٨٩: ٥٠):
+ «اذكر يا رب عار عبيدك. الذي أحتمله في حضني من كثرة الأُمم كلها». وأيضاً: (عب ١١: ٢٦):
+ «حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة».

وهذه الآية (٢٠) تمَّت بحروفها في المسيح وبكل ظروفها وكلماتها!!

٢١ - «وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ»:

هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة وهي دليل قاطع أنه انتظر رقة فلم تكن ومعزِّين فلم يجد! انظر: (مت ٢٧: ٣٤):

+ «أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ...». وأيضاً: (يو ١٩: ٢٩و٣٠):
+ «وكان إناءٌ موضوعاً مملوءاً خلاً. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدَّموها إلى فمه. فلمَّا أخذ يسوع الخل قال قد أُكمل (مشيراً إلى تكميل النبوة في مزمور ٦٩)».

[عدد ٢٢-٢٨]: ينطق باللعنات في غضبه.

٢٢ – «لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ قُدَّامَهُمْ فَخًّا، وَلِلآمِنِينَ شَرَكًا»:
أعطوه علقماً ليأكل وخلاً ليشرب. وهنا هو يدعو لكي تكون مائدتهم للخراب. انظر: (رو ١١: ٩و١٠):
+ «وداود يقول (مز ٦٩) لتصر مائدتهم فخًّا وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كي لا يُبصروا ولتحن ظهورهم في كل حين». وأيضاً: (مز ٣٥: ٨):
+ «لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع».

٢٣ – «لِتُظْلِمْ عُيُونُهُمْ عَنِ الْبَصَرِ، وَقَلْقِلْ مُتُونَهُمْ دَائِماً»:
كما وردت عاليه في رسالة رومية (١١: ٩و١٠).

٢٤ – «صُبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطَكَ، وَلْيُدْرِكْهُمْ حُمُوُّ غَضَبِكَ»:
انظر: (مز ٧٩: ٦):
+ «أَفِضْ رجزك على الأُمم الذين لا يعرفونك وعلى الممالك التي لم تدعُ باسمك». وأيضاً: (إر ١٠: ٢٥):
+ «اسكب غضبك على الأُمم التي لم تعرفك وعلى العشائر التي لم تدعُ باسمك».

٢٥ – «لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَاباً، وَفِي خِيَامِهِمْ لاَ يَكُنْ سَاكِنٌ»:
انظر: (أع ١: ٢٠):
+ «لأنه مكتوب في سفر المزامير [مزمور (٦٩: ٢٥)] لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن. وليأخذ وظيفته آخر»، عن يهوذا الخائن. وأيضاً (عد ٣١: ١٠):
+ «وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار».

هذه صورة للحياة البدوية وللقوم الغزاة.

٢٦ – «لأَنَّ الَّذِي ضَرَبْتَهُ أَنْتَ هُمْ طَرَدُوهُ، وَبِوَجَعِ الَّذِينَ جَرَحْتَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ»:
لقد تمَّ بالنسبة للمسيح الذي آلموه وأهانوه وضربوه وطردوه وهو جاء ليحمل عيوبهم وخطاياهم. انظر: (إش ٥٣: ٤و٨و١٠):
+ «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً».
+ «... ضُرِبَ من أجل ذنب شعبي ... أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم».

٢٧ – «اِجْعَلْ إِثْماً عَلَى إِثْمِهِمْ، وَلاَ يَدْخُلُوا فِي بِرِّكَ»:
ليس هذا لعناً بل هو قضاء عدل بحسب العهد القديم. انظر: (مز ٣٨: ٤):
+ «لأن آثامي قد طمت فوق رأسي. كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل». وأيضاً (إر ١٨: ٢٣):
+ «وأنت يا رب عرفت كل مشورتهم عليَّ للموت. لا تصفح عن إثمهم ولا تمح خطيتهم من أمامك بل ليكونوا متعثّرين أمامك. في وقت غضبك عاملهم».

«لا يدخلوا في برك»: انظر: (مز ٥: ٨):
+ «يا رب اهدني إلى برك بسبب أعدائي. سهِّل قدَّامي طريقك». وأيضاً: (مز ٧١: ٢):
+ «بعدلك (ببرك) نجني وأنقذني. أمل إليَّ أذنك وخلِّصني».

٢٨ – «لِيُمْحَوْا مِنْ سِفْرِ الأَحْيَاءِ، وَمَعَ الصِّدِّيقِينَ لاَ يُكْتَبُوا»:
الأصح: ''من سفر الحياة''. انظر: (خر ٣٢: ٣٢و٣٣):
+ «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلاَّ فامحُني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي». وأيضاً: (إش ٤:٣):
+ «ويكون أن الذي يبقى في صهيون والذي يُترك في أُورشليم يُسمَّى قدوساً. كل مَنْ كُتب للحياة في أورشليم». وأيضاً: (دا ١٢: ١):
+ «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أُمَّة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبُك كل من يوجد مكتوباً في السفر».

على أن كتاب الحياة هنا ليس كتاب الحياة الأبدية الذي افتتح في العهد الجديد بصعود الرب إلى السماء. انظر: (لو ١٠: ٢٠):
+ «ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات». وأيضاً: (في ٤: ٣):
+ «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة». وأيضاً: (رؤ ٣: ٥):
+ «مَنْ يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته». وأيضاً: (رؤ ١٣: ٨):
+ «فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في

سفر حياة الخروف الذي ذُبح». وأيضاً: (رؤ ٢٠: ١٢):

+ «ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم».

[عدد ٢٩-٣٦]: مقابل حظ الأعداء عند الله كما يستحقون، ينظر هو إلى خلاصه ويتنبأ عن عودة أُورشليم وتأسيس شعب حقيقي للرب. هذا التغيير المفاجئ تعوَّدنا عليه.

٢٩ - «أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَكَئِيبٌ. خَلاَصُكَ يَا اَللهُ فَلْيُرَفِّعْنِي»:

قد تكون صلاة - أو تقديم ثقة بأن خلاص الله سيرفّعه كما في حصن عالٍ لا يطاله الأعداء. انظر: (مز ٥٩: ١):

+ «أنقذني من أعدائي يا إلهي. من مقاوميَّ احمني (حرفيًّا: ترفّعني)».

٣٠ - «أُسَبِّحُ اسْمَ اللهِ بِتَسْبِيحٍ، وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ»:

وكأنه نال الخلاص والعتق من أعدائه فانفتح فمه بالتسبيح!

٣١ - «فَيُسْتَطَابُ عِنْدَ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَوْرٍ بَقَرٍ ذِي قُرُونٍ وَأَظْلاَفٍ»:

القرون تثبت أنه ناضج وكامل السن والأظلاف تكشف عن طهارة الذبيحة. انظر: (لا ١١: ٣):

+ «كل ما شقَّ ظلفاً وقسمه ظلفين ويجترُّ من البهائم فإيَّاه تأكلون».

ولكن ذبائح التسبيح هي ذبائح روحية وهي مقبولة أكثر من ذبائح الناموس.

٣٢ - «يَرَى ذلِكَ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ، وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي اللهِ»:

انظر: (مز ٢٢: ٢٦):

+ «يأكل الودعاء ويشبعون. يُسبِّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد».

٣٣ - «لأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ»:

انظر: (مز ٩: ١٨):

+ «لأنه لا يُنسى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر». وأيضاً: (مز ٢٢: ٢٤):

+ «لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه إليه استمعَ». وأيضاً: (إر ٢٠: ١٣):

+ «رنِّموا للرب سبِّحوا الرب لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار».

«**لا يحتقر أسراه**»: في التاريخ بعد أن بدأ السبي ٦٠٥ ق.م وسقطت المدينة، ذلك سنة ٥٨٦ ق.م، كل أفراد الأُمة الممتازين أُخذوا في السبي!

٣٤ - «تُسَبِّحُهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، الْبِحَارُ وَكُلُّ مَا يَدِبُّ فِيهَا»

٣٥ - «لأَنَّ اللهَ يُخَلِّصُ صِهْيَوْنَ وَيَبْنِي مُدُنَ يَهُوذَا، فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا»:

انظر: (إش ٤٤: ٢٣):

+ «ترنَّمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل! اهتفي يا أسافل الأرض أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً الوعر وكل شجرة فيه لأن الرب قد فدى يعقوب وفي إسرائيل تمجَّد!». وأيضاً: (إر ٣٣: ١٠و١١):

+ «هكذا قال الرب: سيُسمع بعد في هذا الموضع الذي تقولون إنه خرب بلا إنسان وبلا حيوان في مدن يهوذا وفي شوارع أُورشليم الخربة بلا إنسان ولا ساكن ولا بهيمة، صوتُ الطرب وصوت الفرح صوت العريس وصوت العروس صوت القائلين احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح لأن إلى الأبد رحمته ...».

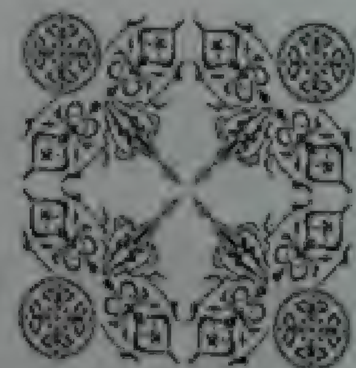
٣٦ - «وَنَسْلُ عَبِيدِهِ يَمْلِكُونَهَا، وَمُحِبُّو اسْمِهِ يَسْكُنُونَ فِيهَا»:

انظر: (إش ٦٥: ٩و٢٣):

+ «أُخرج من يعقوب نسلاً ومن يهوذا وارثاً لجبالي فيرثها مختاريَّ وتسكن عبيدي هناك».

+ «لا يتعبون باطلاً ولا يلدون للرعب لأنهم نسل مباركي الرب وذريتهم معهم». وأيضاً: (مز ٥: ١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك!».



المزمور السبعون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ لِلتَّذْكِيرِ

١- «اللَّهُمَّ إِلَى تَنْجِيَتِي. يَا رَبُّ، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ.
٢- لِيَخْزَ وَيَخْجَلْ طَالِبُو نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إِلَى خَلْفٍ وَيَخْجَلِ الْمُشْتَهُونَ لِي شَرًّا.
٣- لِيَرْجِعْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمُ الْقَائِلُونَ: "هَهْ! هَهْ!".
٤- وَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِيكَ، وَلْيَقُلْ دَائِماً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: "لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ" (صحتها: ليتعظَّم الله)(١).
٥- أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَفَقِيرٌ. اللَّهُمَّ أَسْرِعْ إِلَيَّ. مُعِينِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا رَبُّ، لاَ تَبْطُؤْ».

دراسة:

هذا المزمور صلاة قصيرة وتوسُّل من أجل المعونة السريعة ومن أجل دحر الأعداء الماكرين، وهو تكرار لما جاء في مزمور (٤٠: ١٣-١٧) مع تغييرات طفيفة. فهنا استُخدم لقب "الله" بدل "يهوه" (١و٤) وتمَّ التغيير من "رب" أو "سيد" "لله" في (٥)، ولكنه أبقى على يهوه في (١ب). ولكن مزمور (٤٠) يظهر أنه يقدِّم الأصل، وربما كما ينص العنوان أن هذه الأبيات أُخذت من مزمور (٤٠) من أجل الاستخدام الليتورجي. وكلمة من أجل "للتذكير" جاءت أيضاً في عنوان المزمور (٣٨) كصلاة توسلية ليذكره الله. انظر: (لا ٢٤: ٧):

+ «وتجعل على كل صنف لباناً نقياً فيكون للخبز **تذكاراً** وقوداً للرب». وأيضاً: (عد ١٠: ١٠):

+ «وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم **تذكاراً** أمام إلهكم. أنا الرب إلهكم».

وهكذا فهذا المزمور هو للاستخدام الليتورجي إمَّا بالاتصال مع تقدمة البخور أو في تقدمة التذكار azkârâ.

ونجد في (إش ٦٦: ٣) أن تذكاراً أو تذكيراً للبخور في غضب الله لا يقبل(٢). ورفع البخور

(١) هكذا جاءت في العبرية وفي السبعينية: «ليتعظَّم الله».
(٢) إش ٦٦: ٣: «مَنْ أحرق لباناً (في الأصل العبري: مَنْ صنع تذكاراً باللبان) فهو مبارك وثناً».

للتذكار مرتبط بالصلاة. انظر: (عد ١٦: ٤٦):

+ «ثم قال موسى لهارون خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفِّر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب. قد ابتدأ الوبأ». وأيضاً: (لو ١: ٩و١٠):

+ «حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخِّر. وكان كل جمهور الشعب يصلُّون خارجاً وقت البخور». وأيضاً: (١كو ١١: ٢٥):

+ «كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشَّوا قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم **لذكري**». فهو تذكار أمام الله لعمل المغفرة وقبول الصلح والحياة.

أمَّا "التذكار azkârâ" فهو طقس لاوي للتذكير Memorial فهو اصطلاح فني في الطقس اللاوي يعني:

(أ) جزء من تقدمة القربان مغموساً في زيت ويُحرق مع البخور على المذبح (لا ٢: ١و٢):

+ «وإذا قرَّب أحد قربان تقدمة للرب يكون قربانه من دقيق. ويسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً. ويأتي بها إلى بني هارون الكهنة ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن **تذكارها** على المذبح وقود رائحة سرور للرب».

(ب) البخور الموضوع على خبز الوجوه والذي يُحرق بعد ذلك (لا ٢٤: ٧):

+ «وتجعل على كل صف لباناً نقياً فيكون للخبز **تذكاراً** وقوداً للرب».

وربما كان الاصطلاح يعني أصلاً "تقدمة عطرة" ولكنها شُرحت لتعني تذكيراً أي تقدمة يتقدَّم بها مقدِّمها لله للتذكير. ولهذا فإن هذا المزمور بحسب عنوانه يُتلى أثناء تقديم التذكير azkârâ (١أي ١٦: ٤):

+ «وجعل أمام تابوت الرب من اللاويين خدَّاماً ولأجل **التذكير** والشكر وتسبيح الرب إله إسرائيل».

واستخدام هذا المزمور للتذكير بدأ غالباً في أيام محنة الأُمة واضطهادها فكان يُتلى من أجل الأُمة!

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «**اللَّهُمَّ إِلَى تَنْجِيَتِي. يَا رَبُّ، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ**»:
انظر: (إش ٣٨: ٢٠):
+ «الرب لخلاصي. فنعزف بأوتارنا كل أيام حياتنا في بيت الرب». وأيضاً: (مز ٤٠: ١٣):
+ «ارتضِ يا رب بأن تنجيني. يا رب إلى معونتي أسرع». وأيضاً: (مز ٢٢: ١٩):
+ «أمّا أنت يا رب فلا تبعد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي». وأيضاً: (مز ٣٨: ٢٢):
+ «أسرع إلى معونتي يا رب يا خلاصي».

٢ - «**لِيَخْزَ وَيَخْجَلْ طَالِبُو نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إِلَى خَلْفٍ وَيَخْجَلِ الْمُشْتَهُونَ لِي شَرًّا**»:
تكرار لما جاء في مزمور (٣٥: ٤و٦)، مزمور (٣٨: ٢).

«**طالبو نفسي**»: يطلبون حياتي. انظر مزمور: (٤٠: ١٣و١٤) حيث تجيء كاملة بصورة أوضح:
+ «ارتضِ يا رب بأن تنجّيني. يا رب إلى معونتي أسرع. ليخز وليخجل معاً الذين **يطلبون نفسي** لإهلاكها ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي».

ويُلاحظ أن الأعداد (٣-٥) يوجد ما يوازيها في مزمور (٤٠) الأعداد (١٤-١٧).

٣ - «**لِيَرْجِعْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمُ الْقَائِلُونَ: "هَهْ! هَهْ!"**»:
انظر: (مز ٦: ١٠):
+ «جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدًّا. يعودون ويخزون بغتةً». وأيضاً: (مز ٤٠: ١٥):
+ «ليستوحش (مخذولين) من أجل خزيهم القائلون لي: "هه! هه!"».

«**هه! هه!**»: كلمة تعجُّب خبيثة للتشفّي وتجيء في (مز ٤٠: ٥): «القائلون **لي**: هه! هه!».

٤ - «**وَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِيكَ، وَلْيَقُلْ دَائِماً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: "لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ"**»:
انظر: (مز ٣٥: ٢٧):
+ «ليهتف ويفرح المبتغون حقي وليقولوا دائماً ليتعظّم الرب المسرور بسلامة عبده».

من أجل خزي الأعداء وارتدادهم إلى خلف يفرح كل الذين يطلبون سلامتي لأنهم يرون في ذلك برّ الله واستعلان خلاصه.

«**محبو خلاصك**»: الذين يحبون اسمه. انظر: (مز ٦٩: ٣٦):
+ «ونسل عبيده يملكونها **ومحبُّو اسمه** يسكنون فيها». وأيضاً: (٢تي ٤: ٨):
+ «وأخيراً قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل وليس لي فقط بل لجميع **الذين يحبون ظهوره** أيضاً».

وهي الآية الموازية "للذين يحبون خلاصه أو اسمه" في العهد الجديد!

٥ - «**أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَفَقِيرٌ. اللَّهُمَّ أَسْرِعْ إِلَيَّ. مُعِينِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا رَبُّ، لاَ تَبْطُؤْ**»:
انظر: (مز ٦٩: ٢٩و٣٣):
+ «أمَّا أنا فمسكين وكئيب. خلاصك يا الله فليرفّعني».
+ «لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه». وأيضاً: (مز ٩: ١٨):
+ «لأنه لا ينسى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر». وأيضاً: (مز ٣٥: ١٠):
+ «جميع عظامي تقول يا رب مَنْ مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه». وأيضاً: (مز ٣٧: ١٤):
+ «الأشرار قد سلّوا السيف ومدّوا قوسهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم». وأيضاً: (مز ٨٦: ١):
+ «أمل يا رب أذنك استجب لي. لأني مسكين وبائس أنا». وأيضاً: (مز ١٠٩: ٢٢):
+ «فإني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي».

«**أسرع إليَّ**»: انظر: (مز ١٤١: ١):
+ «يا رب إليك صرخت. أسرع إليَّ. أصغِ إلى صوتي عندما أصرخ إليك».

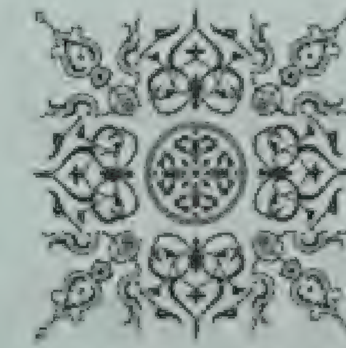
والأصل في هذا التعبير بحسب النسخ العبرية بحسب المعنى في مزمور (٤٠: ١٧) هو: "يا رب اهتم بي".

«**معيني ومنقذي**»: انظر: (مز ٣٣: ٢٠):
+ «أنفسنا انتظرت الرب **معونتنا** وترسنا هو». وأيضاً: (مز ١٨: ٢و٤٨):

+ «الرب صخرتي وحصني **ومنقذي**. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي».
+ «**منجّيّ** من أعدائي. رافعي أيضاً فوق القائمين عليَّ». مثل: "تنجيني" كما في (١).

«**يا رب لا تبطؤ**»: انظر صلاة دانيال: (دا ٩: ١٩):

+ «يا سيد اسمع يا سيد اغفر يا سيد أصغِ واصنع. **لا تؤخّر** من أجل نفسك يا إلهي لأن اسمك دُعي على مدينتك وعلى شعبك». وأيضاً: (إش ٤٦: ١٣):
+ «قد قرَّبتُ برِّي. لا يبعد وخلاصي **لا يتأخّر**. وأجعل في صهيون خلاصاً. لإسرائيل جلالي».



المزمور الحادي والسبعون

١- «بِكَ يَا رَبُّ احْتَمَيْتُ فَلاَ أَخْزَى إِلَى الدَّهْرِ.

٢- بِعَدْلِكَ نَجِّنِي وَأَنْقِذْنِي. أَمِلْ إِلَيَّ أُذُنَكَ وَخَلِّصْنِي.

٣- كُنْ لِي صَخْرَةَ مَلْجَإٍ أَدْخُلُهُ دَائِماً. أَمَرْتَ بِخَلاَصِي لأَنَّكَ صَخْرَتِي وَحِصْنِي.

٤- يَا إِلهِي، نَجِّنِي مِنْ يَدِ الشِّرِّيرِ، مِنْ كَفِّ فَاعِلِ الشَّرِّ وَالظَّالِمِ.

٥- لأَنَّكَ أَنْتَ رَجَائِي يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، مُتَّكَلِي مُنْذُ صِبَايَ.

٦- عَلَيْكَ اسْتَنَدْتُ مِنَ الْبَطْنِ، وَأَنْتَ مُخْرِجِي مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي. بِكَ تَسْبِيحِي دَائِماً.

٧- صِرْتُ كَآيَةٍ لِكَثِيرِينَ أَمَّا أَنْتَ فَمَلْجَإِي الْقَوِيُّ.

٨- يَمْتَلِئُ فَمِي مِنْ تَسْبِيحِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ مِنْ مَجْدِكَ.

٩- لاَ تَرْفُضْنِي فِي زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ. لاَ تَتْرُكْنِي عِنْدَ فَنَاءِ قُوَّتِي.

١٠- لأَنَّ أَعْدَائِي تَقَاوَلُوا عَلَيَّ، وَالَّذِينَ يَرْصُدُونَ نَفْسِي تَآمَرُوا مَعاً.

١١- قَائِلِينَ: "إِنَّ اللهَ قَدْ تَرَكَهُ. الْحَقُوهُ وَأَمْسِكُوهُ لأَنَّهُ لاَ مُنْقِذَ لَهُ".

١٢- يَا اَللهُ، لاَ تَبْعُدْ عَنِّي. يَا إِلهِي، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ.

١٣- لِيَخْزَ وَيَفْنَ مُخَاصِمُو نَفْسِي. لِيَلْبَسِ الْعَارَ وَالْخَجَلَ الْمُلْتَمِسُونَ لِي شَرًّا.

١٤- أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِماً، وَأَزِيدُ عَلَى كُلِّ تَسْبِيحِكَ.

١٥- فَمِي يُحَدِّثُ بِعَدْلِكَ، الْيَوْمَ كُلَّهُ بِخَلاَصِكَ، لأَنِّي لاَ أَعْرِفُ لَهَا أَعْدَاداً.

١٦- آتِي بِجَبَرُوتِ السَّيِّدِ الرَّبِّ. أَذْكُرُ بِرَّكَ وَحْدَكَ.

١٧- اَللَّهُمَّ، قَدْ عَلَّمْتَنِي مُنْذُ صِبَايَ، وَإِلَى الآنَ أُخْبِرُ بِعَجَائِبِكَ.

١٨- وَأَيْضاً إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالشَّيْبِ يَا اَللهُ، لاَ تَتْرُكْنِي حَتَّى أُخْبِرَ بِذِرَاعِكَ الْجِيلَ الْمُقْبِلَ، وَبِقُوَّتِكَ كُلَّ آتٍ.

١٩- وَبِرُّكَ إِلَى الْعَلْيَاءِ يَا اَللهُ، الَّذِي صَنَعْتَ الْعَظَائِمَ. يَا اَللهُ، مَنْ مِثْلُكَ؟

٢٠- أَنْتَ الَّذِي أَرَيْتَنَا ضِيقَاتٍ كَثِيرَةً وَرَدِيئَةً، تَعُودُ فَتُحْيِينَا، وَمِنْ أَعْمَاقِ الأَرْضِ تَعُودُ فَتُصْعِدُنَا.

٢١- تَزِيدُ عَظَمَتِي وَتَرْجِعُ فَتُعَزِّينِي.

٢٢- فَأَنَا أَيْضاً أَحْمَدُكَ بِرَبَابٍ، حَقَّكَ يَا إِلهِي. أُرَنِّمُ لَكَ بِالْعُودِ يَا قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ.
٢٣- تَبْتَهِجُ شَفَتَايَ إِذْ أُرَنِّمُ لَكَ، وَنَفْسِي الَّتِي فَدَيْتَهَا.
٢٤- وَلِسَانِي أَيْضاً الْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُ بِبِرِّكَ. لأَنَّهُ قَدْ خَزِيَ، لأَنَّهُ قَدْ خَجِلَ الْمُلْتَمِسُونَ لِي شَرًّا».

دراسة:

ولو أن هذا المزمور كمزمور (٨٦)، يكاد يكون تجميعاً (موزاييك) من قطع مزامير أخرى، خاصة مزامير ٢٢ و٣١ و٣٥ و٤٠، ولكن له مميزاته الجميلة نوعاً ورقّته الخاصة.

هو ناتج من قلب مؤمن ذاق صلاح الله في حياة تجارب متنوعة ويؤمن أنه يذوق صلاحه حتى النهاية. والانتقال من المفرد في الكلام إلى نحن في عدد (٢٠) يعطي ملامح الأمة، ولكن هذا يعود إلى عمل الليتورجيا التي حوّلته إلى ما يخصّها.

من حيث كاتبه والزمن فكل ما يمكن أن يُقال إنه يظهر أن صاحب المزمور شيخ متقدّم في الأيام (٩و١٨) وأن إسرائيل كانت وقتها في السبي (٢٠). وفي السبعينية رأينا للمزمور عنواناً: [لداود (مزمور لـ) أبناء يوناداب وأوائل الذين أُخذوا أسرى]، وهو يعطينا التعرُّف الأصيل لزمن المزمور حسب التقليد في السبي.

والأفكار في المزمور تسير من فكر لآخر ولا يوجد أثر للتقسيم أو التوقُّف الموسيقي. النصف الأول للمزمور (١- ١٣) صلاة والنصف الثاني (١٤-٢٤) يسوده التسبيح.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٣]: صلاة إيمان في وسط المخاطر. وهذه الأعداد أُخذت مع تغيير بسيط من مزمور (٣١: ١-٣).

١ - **«بِكَ يَا رَبُّ احْتَمَيْتُ فَلاَ أَخْزَى إِلَى الدَّهْرِ»**:
انظر: (مز ٥٧: ١):
+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».
وأيضاً: (مز ٧: ١):

+ «يا رب إلهي عليك توكّلت[1]. خلّصني من كل الذين يطردونني ونجّني». وأيضاً: (مز ١١: ١):
+ «على الرب توكّلت. كيف تقولون لنفسي اهربوا إلى جبالكم كعصفور». وأيضاً: (مز ١٦: ١):
+ «احفظني يا الله لأني عليك توكّلت». وأيضاً: (مز ٢٥: ٢٠):
+ «احفظ نفسي وأنقذني. لا أخزى لأني عليك توكّلت».

٢ - **«بِعَدْلِكَ نَجِّنِي وَأَنْقِذْنِي. أَمِلْ إِلَيَّ أُذُنَكَ وَخَلِّصْنِي»**:
تأتي في الترجمة: "ببرك". انظر: (مز ٣١: ١):
+ «عليك يا رب توكّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك (ببرك) نجّني».

في العبرية تأتي "ببرك" في أول الآية، لأن بر الله اعتبر الأساس في هذا المزمور وتركيبه. انظر الأعداد ٢ و١٥ و١٦ و١٩ و٢٤ وهي الصفة المميزة الأُولى للاهوت وعليها لا يمكن أن يهجر الله خادمه، وأنه يجب أن يكون صادقاً لبره ووعده. انظر: (٢تي ٢: ١٣):
+ «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه».

٣ - **«كُنْ لِي صَخْرَةَ مَلْجَإٍ أَدْخُلُهُ دَائِماً. أَمَرْتَ بِخَلاَصِي لأَنَّكَ صَخْرَتِي وَحِصْنِي»**:
لاحظ أن الله يُدعى "ملجأنا". انظر: (مز ٩٠: ١):
+ «يا رب ملجأً كنت لنا في دور فدور». وهي تعطي معنى صخرة قوية. انظر: (مز ٣١: ٢):
+ «أمل إليّ أُذنك سريعاً أنقذني. كن صخرة حصن بيت ملجإ لتخليصي».

«أمرتَ»: أوصيت. انظر: (مز ٤٤: ٤):
+ «أنت هو ملكي يا الله. **فَأْمُر** بخلاص يعقوب». وأيضاً: (مز ٦٨: ٢٨):
+ «قد أمر إلهك بعزّك. أيِّد يا الله هذا الذي فعلته لنا».

[عدد ٤-٨]: أساس استصراخ صاحب المزمور للخلاص.

٤ - **«يَا إِلهِي، نَجِّنِي مِنْ يَدِ الشِّرِّيرِ، مِنْ كَفِّ فَاعِلِ الشَّرِّ وَالظَّالِمِ»**:
انظر كيف أتألّم. انظر: (حب ١: ٢-٤):
+ «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلّص».

(١) يُلاحَظ أن فعل "يحتمي" وفعل "يتوكّل" هما واحد في اللغة العبرية.

+ «لِمَ تريني إثماً؟ وتبصر جوراً. وقدامي اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها».
+ «لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بتة لأن الشر يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجاً». وأيضاً: (إر ٦: ٧):
+ «كما تنبع العين مياهها هكذا تنبع هي شرها. ظلم وخطف يُسمع فيها. أمامي دائماً مرض وضرب».

وهكذا كان حال سيادة الظلم وغياب العدل واستخدام العنف، والفرد يعبِّر عن المجموعة.

مزمور ٧١: ٥و٦	مزمور ٢٢: ٩و١٠
٥ – «**لأَنَّكَ أَنْتَ رَجَائِي يَا سَيِّدِي الرَّبُّ، مُتَّكَلِي مُنْذُ صِبَايَ.**	٩ – «لأنك أنت جذبتني من البطن. جعلتني مطمئناً على ثديي أُمي.
٦ – «**عَلَيْكَ اسْتَنَدْتُ مِنَ الْبَطْنِ، وَأَنْتَ مُخْرِجِي مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي. بِكَ تَسْبِيحِي دَائِماً**»:	١٠– عليك ألقيت من الرحم. من بطن أُمي أنت إلهي».

تشابه حر أو ربما تقليد بحرية لآيات من مزمور (٢٢).

«**رجائي ... متكلي**»: انظر: (إر ١٤: ٨و٩):
+ «يا رجاء إسرائيل مخلِّصه في زمان الضيق لماذا تكون كغريب في الأرض وكمسافر يميل ليبيت؟»
+ «لماذا تكون كإنسان قد تحيَّر كجبَّار لا يستطيع أن يخلِّص. وأنت في وسطنا يا رب وقد دُعينا باسمك. لا تتركنا». وأيضاً: (إر ١٧: ٧و٨):
+ «مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب **متكله**. فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمدّ أصولها ولا ترى إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار». وأيضاً: (١تي ١: ١):
+ «بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله مخلصِّنا وربنا يسوع المسيح **رجائنا**».

«**عليك استندت من بطن أُمي**»: انظر: (إش ٤٨: ٢):
+ «فإنهم يسمّون من مدينة القدس **ويُسندون** إلى إله إسرائيل. رب الجنود اسمه». وأيضاً:

(مز ٣: ٥):
+ «أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني (سندي)». وأيضاً: (مز ٥١: ١٢):
+ «رد لي بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدني (اسندني)».

«**أنت مخرجي من أحشاء أُمي**»: انظر: (إر ١: ٥):
+ «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك ...».

٧ – «**صِرْتُ كَآيَةٍ لِكَثِيرِينَ أَمَّا أَنْتَ فَمَلْجَإِي الْقَوِيُّ**»:
وصحتها: "صُرت عجبة". كنتُ مثلاً للذي تَقَبَّل الآلام تأديباً من الرب ولكن إيماني لم يتزعزع. انظر: (إش ٥٢: ١٤):
+ «كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم». وأيضاً: (تث ٢٨: ٤٦):
+ «فتكون فيك آية وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد». وأيضاً: (حز ١٢: ٦و١١):
+ «واحمل على كتفك قدَّام عيونهم. في العتمة تخرجها. تغطِّي وجهك فلا ترى الأرض. لأني جعلتك آية لبيت إسرائيل ... قل أنا آية لكم. كما صنعت هكذا يُصنع بهم. إلى الجلاء إلى السبي يذهبون». وأيضاً: (حز ٢٤: ٢٤و٢٧):
+ «ويكون حزقيال لكم آية. مثل كل ما صنع تصنعون. إذا جاء هذا تعلمون أني أنا السيد الرب».
+ «في ذلك اليوم ينفتح فمك للمنفلت وتتكلَّم ولا تكون من بعد أبكم. وتكون لهم آية فيعلمون أني أنا الرب».

«**فملجإي القوي**»: انظر: (إر ١٧: ١٧):
+ «لا تكن لي رعباً. أنت ملجإي في يوم الشر».

٨ – «**يَمْتَلِئُ فَمِي مِنْ تَسْبِيحِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ مِنْ مَجْدِكَ**»:
انظر: (١أي ٢٩: ١١):
+ «لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأن لك كل ما في السماء والأرض. لك يا رب الملك وقد ارتفعت رأساً على الجميع».

[عدد ٩-١٣]: يكرِّر ما قال ويُصلِّي.

٩ - «**لاَ تَرْفُضْنِي فِي زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ. لاَ تَتْرُكْنِي عِنْدَ فَنَاءِ قُوَّتِي**»:

انظر: (مز ٥١: ١١):

+ «لا تطرحني من قدَّام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني».

هذا والأمة كلها رُفضت وأُسرت. انظر: (تث ٢٩: ٢٨):

+ «واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم وألقاهم إلى أرض أخرى كما في هذا اليوم». وأيضاً: (إر ٧: ١٥):
+ «وأطرحكم من أمامي كما طرحت كل إخوتكم كل نسل أفرايم».

١٠ - «**لأَنَّ أَعْدَائِي تَقَاوَلُوا عَلَيَّ، وَالَّذِينَ يَرْصُدُونَ نَفْسِي تَآمَرُوا مَعاً**»:

انظر: (مز ٣: ٢):

+ «كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه». وأيضاً: (مز ٤١: ٥):
+ «أعدائي يتقاولون عليَّ بشرٍّ. متى يموت ويبيد اسمه».

١١ - «**قَائِلِينَ: إِنَّ اللهَ قَدْ تَرَكَهُ. الْحَقُوهُ وَأَمْسِكُوهُ لأَنَّهُ لاَ مُنْقِذَ لَهُ**»:

انظر: (مز ٢٢: ١):

+ «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري». وأيضاً: (مز ٣٨: ٢١و٢٢):
+ «لا تتركني يا رب. يا إلهي لا تبعد عني. أسرع إلى معونتي يا رب يا خلاصي».

«**الحقوه**»: "اتبعوه". ولكن جاءت نفس الكلمة في (مز ٦٩: ٢٦) بمعنى: "يطرد" وفي إرميا بمعنى: "يضطهد":

+ «لأن الذي ضربته أنت هم **طردوه** وبوجع الذين جرحتهم يتحدَّثون». وأيضاً: (إر ١٥: ١٥):
+ «أنت يا رب عرفت. اذكرني وتعهَّدني وانتقم لي من **مضطهدي**. بطول أناتك لا تأخذني». وأيضاً: (إر ١٧: ١٨):
+ «ليخز **طارديَّ** ولا أخز أنا. ليرتعبوا هم ولا أرتعب أنا. اجلب عليهم يوم الشر واسحقهم سحقاً مضاعفاً». وأيضاً: (إر ٢٠: ١١):

+ «ولكن الرب معي كجبَّار قدير. من أجل ذلك يعثر **مضطهديَّ** ولا يقدرون».

١٢ - «**يَا اَللهُ، لاَ تَبْعُدْ عَنِّي. يَا إِلهِي، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ.**

١٣ - **لِيَخْزَ وَيَفْنَ مُخَاصِمُو نَفْسِي. لِيَلْبَسِ الْعَارَ وَالْخَجَلَ الْمُلْتَمِسُونَ لِي شَرّاً**»:

تذكرنا بالمزامير الآتية: (مز ٣٥: ٢٢):

+ «قد رأيت يا رب. لا تسكت يا سيد **لا تبعد عنِّي**». وأيضاً: (مز ٤٠: ١٣و١٤):
+ «ارتضِ يا رب بأن تنجِّيني. يا رب **إلى معونتي أسرع**».
+ «**ليخزَ وليخجل** معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي». وأيضاً: (مز ٢٢: ١١):
+ «**لا تتباعد عني** لأن الضيق قريب. لأنه لا معين». وأيضاً: (مز ٣٨: ٢١و٢٢):
+ «لا تتركني يا رب. يا إلهي لا تبعد عني. **أسرع إلى معونتي** يا رب يا خلاصي». وأيضاً: (مز ٣٥: ٤و٢٦):
+ «**ليخز وليخجل** الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكِّرون بإساءتي».
+ «**ليخز وليخجل** معاً الفرحون بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل المتعظِّمون عليَّ». وأيضاً: (مز ١٠٩: ٢٩):
+ «ليلبس خصمائي خجلاً وليتعطَّفوا بخزيهم كالرداء».

[عدد ١٤-١٦]: تعهدات بالتسبيح والشكر.

١٤ - «**أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِماً، وَأَزِيدُ عَلَى كُلِّ تَسْبِيحِكَ**»:

بهذه النيَّة يريد أن يفتتح مستقبله بعد زوال أعدائه.

١٥ - «**فَمِي يُحَدِّثُ بِعَدْلِكَ، الْيَوْمَ كُلَّهُ بِخَلاَصِكَ، لأَنِّي لاَ أَعْرِفُ لَهَا أَعْدَاداً**»:

حسب الترجمة الصحيحة: «فمي يحدِّث ببرك». وهنا جمع الخلاص مع البر لأن الخلاص هو ناتج البر وعمله الظاهري. انظر: (إش ٤٥: ٢١):

+ «أليس أنا الرب ولا إله غيري. إله **بار ومخلِّص**. ليس سواي».

«**لا أعرف لها أعداداً**»: انظر: (مز ٤٠: ٥):

+ «كثيراً ما جعلتَ أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا». وأيضاً: (مز ١٣٩:

١٧و١٨):

+ «ما أكرم أفكارك يا الله عندي ما أكثر جملتها. أن أحصها فهي أكثر من الرمل. استيقظت وأنا بعد معك».

١٦ – «آتِي بِجَبَرُوتِ السَّيِّدِ الرَّبِّ. أَذْكُرُ بِرَّكَ وَحْدَكَ»:

أي سأبتدئ أُعدِّد. انظر: (مز ١٠٦: ٢):

+ «من يتكلَّم بجبروت الرب. مَنْ يخبر بكل تسابيحه».

[عدد ١٧–٢٠]: المراحم السابقة هي أساس الرجاء سواء لصاحب المزمور أو للأمة.

١٧ – «اَللَّهُمَّ، قَدْ عَلَّمْتَنِي مُنْذُ صِبَايَ، وَإِلَى الآنَ أُخْبِرُ بِعَجَائِبِكَ»:

كان تلميذاً في حياته السابقة لمراحم الرب وأعماله. انظر: (إش ٨: ١٦):

+ «صرَّ الشهادة اختم الشريعة **بتلاميذي**». وأيضاً: (إش ٥٠: ٤):

+ «أعطاني السيد الرب لسان **المتعلِّمين** لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة. يوقظ كل صباح. يوقظ لي أذناً لأسمع **كالمتعلِّمين**». وأيضاً: (إش ٥٤: ١٣):

+ «(وأجعل) ... كل بنيك **تلاميذ** الرب. وسلام بنيك كثيراً».

«**أخبر بعجائبك**»: تعبير عن أعمال الله سواء في الطبيعة أو في معاملاته مع شعبه. انظر: (خر ٣: ٢٠):

+ «فأمد يدي وأضرب مصر بكل **عجائبي** التي أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم». وأيضاً: (مز ٧٨: ٤و١١و٣٢):

+ «لا نُخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخر مخبرين بتسابيح الرب وقوَّته **وعجائبه** التي صنع».

+ «ونسوا أفعاله **وعجائبه** التي أراهم».

+ «في هذا كله أخطأوا بعد ولم يؤمنوا بعجائبه».

التي أظهر فيها قوَّته ومحبته وأثار العجب والاحترام في كل من رأى أعماله. وكلمة عجائبه تشمل معانٍ أوسع من المعجزة، فأن نجمع ونَعدّ ونُعلن أعمال عجائبه، هذا واجب القديسين ومسرَّتهم في الله. انظر أيضاً (مز ٩: ١):

+ «أحمد الرب بكل قلبي. أحدِّث بجميع **عجائبك**». وأيضاً: (مز ٢٦: ٧):

+ «لأسمِّع بصوت الحمد وأُحدِّث بجميع **عجائبك**». وأيضاً: (مز ٤٠: ٥):

+ «كثيراً ما جعلت أنت أيها الرب إلهي **عجائبك** وأفكارك من جهتنا».

١٨ – «وَأَيْضاً إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالشَّيْبِ يَا اَللهُ، لاَ تَتْرُكْنِي حَتَّى أُخْبِرَ بِذِرَاعِكَ الْجِيلَ الْمُقْبِلَ، وَبِقُوَّتِكَ كُلَّ آتٍ»:

انظر: (١صم ١٢: ٢):

+ «والآن هوذا الملك يمشي أمامكم. وأمَّا أنا فقد شخت وشبت وهوذا أبنائي معكم ...». وأيضاً: (إش ٤٦: ٤):

+ «وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل. فقد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجِّي».

«**ذراعك**»: كلمة ضافية المعاني: تشمل الأفكار والقيادة والمعونة والعناية والحفظ والحكم والتأديب والنصرة. انظر: (مز ٧٧: ١٥):

+ «فككت **بذراعك** شعبك بني يعقوب ويوسف. سلاه». وأيضاً: (إش ٥٣: ١):

+ «مَنْ صدَّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب!».

«**الجيل المقبل**»: انظر: (مز ٢٢: ٣٠و٣١):

+ «الذرية تتعبَّد له. يُخبِّر عن الرب **الجيل الآتي**. يأتون ويخبرون ببرِّه شعباً سيولد بأنه قد فعل».

١٩ – «وَبِرُّكَ إِلَى الْعَلْيَاءِ يَا اَللهُ، الَّذِي صَنَعْتَ الْعَظَائِمَ. يَا اَللهُ، مَنْ مِثْلُكَ؟»:

انظر: (مز ٣٦: ٥):

+ «يا رب في **السموات** رحمتك. أمانتك إلى **الغمام**». وأيضاً: (مز ٥٧: ١٠):

+ «لأن رحمتك قد عظمت إلى **السموات** وإلى **الغمام** حقّك». وأيضاً: (أي ١١: ٨):

+ «هو أعلى من **السموات** فماذا عساك أن تفعل؟ أعمق من الهاوية فماذا تدري؟». وأيضاً: (خر ١٥: ١١):

+ «**مَنْ مثلك** بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك معتزًّا في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (مز ٣٥: ١٠):

+ «جميع عظامي تقول يا رب **مَنْ مثلك** المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه». وأيضاً: (مز ٨٦: ٨):

+ «لا مثل لك بين الآلهة يا رب ولا مثل أعمالك». وأيضاً: (مز ٨٩: ٦و٨):

+ «لأنه من في السماء يعادل الرب. مَنْ يُشبه الرب بين أبناء الله (الملائكة)».

+ «يا رب إله الجنود مَنْ مثلك قويٌّ رب وحقك من حولك». وأيضاً: (مي ٧: ١٨و١٩):

+ «من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم».

٢٠ - «أَنْتَ الَّذِي أَرَيْتَنَا ضِيقَاتٍ كَثِيرَةً وَرَدِيئَةً، تَعُودُ فَتُحْيِينَا، وَمِنْ أَعْمَاقِ الأَرْضِ تَعُودُ فَتُصْعِدُنَا»:

"تحيينا" بالجمع، ولكن بعض القراءات تأتي "تحييني" للمتكلِّم المفرد. فالنسخة اليهودية المقروءة Qere تأتي بالمفرد والسبعينية والسريانية تأتي بالمفرد، وفي الترجوم وجيروم تأتي "نحن". والحقيقة أن الجمع هي القراءة المفهومة لأن رجاء صاحب المزمور ليس شخصياً فهو يتكلَّم هنا عن الأمة التي يمثلها هو وينظر إلى عودتها من محنتها وكأنها ماتت وغرقت في أعماق الهاوية، ولكن الله يقدر بل وسيعمل على دعائها للحياة. انظر: (هو ٦: ١-٣):

+ «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا».

+ «يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه. لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب. خروجه يقين كالفجر». وأيضاً: (حز ٣٧: ١٢-١٤):

+ «لذلك تنبأ وقُل لهم: هكذا قال السيد الرب. هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل. فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إيَّاكم من قبوركم يا شعبي. وأجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم في أرضكم فتعلمون أني أنا الرب تكلَّمت وأفعل يقول الرب». وأيضاً: (مز ٨٠: ١٨و١٩):

+ «فلا نرتد عنك. أحينا فندعو باسمك. يا رب إله الجنود أرجعنا. أنر بوجهك فنخلص». وأيضاً: (مز ٨٥: ٦و٦):

+ «ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك. أرنا يا رب رحمتك وأعطنا خلاصك».

«**تعود** ...»: انظر: (مز ٦: ٤):

+ «عد يا رب. نجِّ نفسي. خلِّصني من أجل رحمتك». وأيضاً: (مز ٨٠: ١٤):

+ «يا إله الجنود **ارجعن** اطلع من السماء وانظر وتعهَّد هذه الكرمة». وأيضاً: (مز ٨٥: ٤-٦):

+ «أرجعنا يا إله خلاصنا وأنفِ غضبك عنَّا. هل إلى الدهر تسخط علينا. هل تطيل غضبك إلى دور فدور. ألا **تعود** أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك». وأيضاً: (إش ٦٣: ١٧و١٨، ٦٤: ١):

+ «لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسيت قلوبنا عن مخافتك. **ارجع** من أجل عبيدك أسباط ميراثك. إلى قليل امتلك شعب قدسك. مضايقونا داسوا مقدسك ... ليتك تشق السموات وتنزل!».

«**من أعماق الأرض**»: أي من أرض بلا حياة. شاؤل الهاوية، "أجزاء الأرض السفلى". انظر: (مز ٦٣: ٩):

+ «أمَّا الذين هم للتهلكة يطلبون نفسي فيدخلون في أسافل الأرض». وأيضاً: (أي ٢٦: ٥و٦)

+ «الأخيلة ترتعد من تحت المياه وسكَّانها. الهاوية عريانة قدَّامه والهلاك ليس له غطاء».

[عدد ٢١-٢٤]: إعادة الصلاة ونذور للصلاة والشكر.

٢١ - «تَزِيدُ عَظَمَتِي وَتَرْجِعُ فَتُعَزِّينِي»:

لا تُستخدم كلمة العظمة إلاَّ في وصف الله ما عدا ما جاء في أستير وهنا، كما أنها تُستخدم في وصف أعمال الله وكلمته لسبب أنها خاصة بالله وتترجم أحياناً بالبر. لذلك تُقرأ في بعض النُسخ: "عظمتك" وليس عظمتي. وإن كان يقصد نفسه تكون عظمته من عظمة الأمة المستحياة للمجد. أمَّا العزاء فانظر: (إش ١٢: ١):

+ «وتقول في ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنك إذ غضبت عليَّ ارتد غضبك فتعزيني». وأيضاً: (إش ٤٠: ١و٢):

+ «عزُّوا عزُّوا شعبي يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل ...».

٢٢ - «فَأَنَا أَيْضاً أَحْمَدُكَ بِرَبَابٍ، حَقَّكَ يَا إِلهِي. أُرَنِّمُ لَكَ بِالْعُودِ يَا قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ»:

ردًّا على محبتك من جديد.

«**يا قدوس إسرائيل**»:

هذا لقب لله موجود بكثرة في نبوَّات إشعياء، وفي سفر المزامير مرَّتين في مزمورين غير هذا المزمور، وهما في مزموري (٧٨: ٤١)، (٨٩: ١٨)، وجاءت مرَّتين في كتاب نبوَّات إرميا: (٥٠: ٢٩، ٥١: ٥). ومرَّة واحدة متحورة في نبوَّات حزقيال: (٣٩: ٧)، وانظر: (هو ١١: ٩):

+ «لا أجري حمو غضبي لا أعود أخرب أفرايم لأني الله لا إنسان **القدوس** في وسطك». وأيضاً: (حب ١: ١٢):

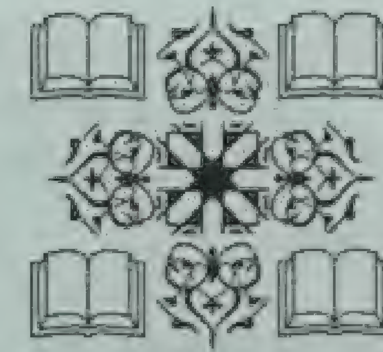
+ «ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي **قدوسي**. لا نموت. يا رب للحكم جعلتها. ويا صخر

للتأديب أسستها».

٢٣ - «تَبْتَهِجُ شَفَتَايَ إِذْ أُرَنِّمُ لَكَ، وَنَفْسِي الَّتِي فَدَيْتَهَا
٢٤ - «وَلِسَانِي أَيْضاً الْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُ بِبِرِّكَ. لأَنَّهُ قَدْ خَزِيَ، لأَنَّهُ قَدْ خَجِلَ الْمُلْتَمِسُونَ لِي شَرًّا»:

انظر: (مز ٣٥: ٢٨):

+ «ولساني يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك».



المزمور الثاني والسبعون

لِسُلَيْمَانَ

١- «اَللَّهُمَّ، أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لاِبْنِ الْمَلِكِ.
٢- يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ.
٣- تَحْمِلُ الْجِبَالُ سَلاَماً لِلشَّعْبِ، وَالآكَامُ بِالْبِرِّ.
٤- يَقْضِي لِمَسَاكِينِ الشَّعْبِ. يُخَلِّصُ بَنِي الْبَائِسِينَ، وَيَسْحَقُ الظَّالِمَ.
٥- يَخْشَوْنَكَ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ، وَقُدَّامَ الْقَمَرِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.
٦- يَنْزِلُ مِثْلَ الْمَطَرِ عَلَى الْجُزَازِ، وَمِثْلَ الْغُيُوثِ الذَّارِفَةِ عَلَى الأَرْضِ.
٧- يُشْرِقُ فِي أَيَّامِهِ الصِّدِّيقُ، وَكَثْرَةُ السَّلاَمِ إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ الْقَمَرُ.
٨- وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ.
٩- أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ.
١٠- مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَا يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً.
١١- وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ.
١٢- لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ.
١٣- يُشْفِقُ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْبَائِسِ، وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ الْفُقَرَاءِ.
١٤- مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ.
١٥- وَيَعِيشُ وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لأَجْلِهِ دَائِماً. الْيَوْمَ كُلَّهُ يُبَارِكُهُ.
١٦- تَكُونُ حُفْنَةُ بُرٍّ فِي الأَرْضِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ. تَتَمَايَلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرَتُهَا وَيُزْهِرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ
مِثْلَ عُشْبِ الأَرْضِ.
١٧- يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ.
١٨- مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ.
١٩- وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ.
تَمَّتْ صَلَوَاتُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى».

دراسة:

سعدنا في المزمور السابق (٧١) بإزاء برّ الله. وفي هذا المزمور نسعد بالبركات التي تفيض من بر الله في شخص ممثّله الملك الأرضي الملك الإلهي!

وعلى مدى المزامير في هذا الكتاب أو السفر سمعنا صراخ المتضايقين والمتروكين والمُذلين، أمّا هنا في هذا المزمور فتنفجر النبوّة بالمظهر الفخم للملك الكامل الذي سيحمي الكل والذي سيعيد لباس المجد للبشرية عوض لباس الحزن واليأس والصراخ.

١ - يبدأ المزمور بصلاة لله الذي سيمنح الملك روحَ برِّه ووصاياه حتى أنه يكمّل رسالته. كالحاكم البار الذي يحمي وينقذ الشعب المظلوم ويعطي بركات السلام (١-٧).

٢ - إلى هنا كان يعطي المزمور العلاقة الوثيقة بين الملك وشعبه الأهمية الأُولى. والآن يصلّي ليسود سلطانه على الدنيا بأسرها إلى أقصى البلاد ثراءً التي تقدم له الجزية كهدية وذلك لسيادة سلطانه (٨-١٤).

٣ - صلوات تقدّم من أجل الملك نفسه لازدهار شعبه ولامتداد اسمه وذكره كصانع الخير والإحسان للأُمم جميعاً. والذين لهم وعد إبراهيم يجدون فيه تكميل الوعد (١٥ - ١٧).

من جهة العنوان أنه "لسليمان" قد جاء في السبعينية على أنه مزمور موضوع لسليمان. ولكن النسخة السريانية تصفه "لداود عندما جعل سليمان ملكاً، ونبوّة بخصوص مجيء المسيَّا ودعوة الأمم!" ولكن هذا يصعب تأييده. والذين قالوا إنه لسليمان، أي أن سليمان ألّفه لشعبه للتوسُّل ليستخدموه في صلوات من أجله، فهذه النظرة ليست مستحيلة من جهة مصدره وأصله وغرضه. وإذا كانت آخر كلمات داود حقًّا هي من أجل ابنه بروح النبوّة قبل موته بقليل، واصفاً البركات التي ستفيض من حكمه كملك بار موهوب بروح الله ومعان بخوف الله، مفتخراً أنه ينتسب لهذا الملك البار من بيته بحسب وعد الله وعهده الأزلي الذي عمله الله معه، فما المانع أن تكون أول كلمات سليمان بعد توليه الحكم هي لتحقيق كلمات أبيه الأخيرة؟

ولكن كثيرين يحتجُّون ضد زمنه أنه من أيام سليمان لأن:

١ - في عدد (٢) يقول إن الشعب مسكين ومضطهد، وفي الأعداد (١٢-١٤) يتكلّم كمن يرجو لشعب قد غرق في الحزن واليأس. ولكن للرد على هذا الاعتراض نقول إن المزمور لا يقول عن الشعب ككل ولكن الفقراء فيه الذين كانوا دائماً معرَّضين للمعاملات

القاسية من الأقوياء والأغنياء.

٢ - عدد (٨) يقولون إنه مقتطع من نبوّة زكريا (٩: ١٠)، وعدد (١٢) من أيوب (٢٩: ١٢) ولكن لا يوجد أي إثبات أن المزمور قد استعار من هذه النبوّات.

٣ - اللغة والسلاسة في المعنى والكلام تشير إلى أنه من زمن متأخر، ولكن يردُّ العالم Delitzsch بالعكس ويؤكّد أن أسلوب المزمور من زمن سليمان.

وعلى كل حال فإن المزمور يقدِّم ذكريات لسليمان وعظمة ملكه، والقول بأنه لملك متأخر جائز ولكن يستحيل تحديد من يكون هذا الملك.

وعلى العموم فإن المزمور يشير لملك حقيقي من اليهود ولكن الغنَى اللفظي والمعنوي واضح أنه أعلى وأوسع من مقدرة ملك أرضي. إنه مزمور مسياني بالدرجة الأُولى، ويصوِّر مملكة الله على الأرض في نموذجها الأعظم والأكمل والأوسع. وهو في طبيعته الحقيقية ليس مجرَّد صلاة ورجاء ولكن نبوَّة!! وقد وضح من تسلسل كل الملوك الذين جاءوا بعد داود ومن فشلهم أن هذا المزمور يشير بمنتهى القوة والوضوح إلى "واحد" عظيم سيأتي هو حقيقة "ملك الملوك". وقد أعطى الترجوم اليهودي لهذا المزمور شرحاً واصفاً فيه أنه للمسيا! ويقول:

[الله أعطِ مشورات أحكامك إلى الملك مسيَّا وبرك للملك ابن داود].

ويقول عن عدد (١٧) بخصوص اسمه: إن اسمه قبل الوجود:

[إن اسمه يُذكر إلى الأبد وقبل أن توجد الشمس كان معدًّا، وجميع الأُمم تتبارك باستحقاقه].

وبحسب التلمود والمدراش يقولون إن "يمتد" التي جاءت في العدد (١٧) وهي بالعبرية Yinnon ومعناها الذي سيدوم، هي أحد أسماء المسيَّا، حتى أن الربيِّين يقولونها سرًّا ويشرحونها أن Yinnon أي المسيَّا سُمِّي كذلك لأنه سيجعل النائمين تحت التراب يقومون من الأموات!

وتبعاً للشرح اليهودي أخذت الكنيسة هذا المزمور أنه يخص المسيح! غير أنه لم يرد في العهد الجديد بسبب أن الشُّرَّاح اعتبروه يتكلَّم عن ملك والمسيح لم يأتِ ملكاً على الأرض كما كان يظن الناس في ذلك الزمان بدليل فكر الرسل الواضح: «أمَّا هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب هل في هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل» (أع ١: ٦). ولكن أخيراً وأخيراً جدًّا أدركوا أنها مملكة وملكوت سماوي روحي وأن «مملكته ليست من هذا العالم».

وقد اختارته الكنيسة بحذق لعيد الظهور الإلهي ''الإبيفانيا'' كنبوَّة عن مجيء كل الأُمم، إذ كانت زيارة ملوك حكماء المشرق من المجوس نبوَّة لعودة البلاد البعيدة والقريبة.

ويُقال إن الملك أدموند[1] ملك إنجلترا الشرقية وهو ملك شهيد (Martyr king of East Anglia) أمضى في خلوته سنة كاملة يتأمَّل في هذا المزمور ويستوعبه لحياته مما أثر كثيراً في حكمه!

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٧]: صلاة لكي يهب الله المَلِك ما يحتاجه لكي يؤدِّي عمله صحيحاً وحينئذ سوف يثمر البر بالسلام الشامل وبعودة الخطاة تزداد مخافة الله، وتحت حكمه السلامي سيزدهر الصديق.

١ - «**اَللّٰهُمَّ، أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لاِبْنِ الْمَلِكِ**»:

الله مصدر السلطات. انظر: (تث ١: ١٦-١٨):

+ «وأمرتُ قضاتكم في ذلك الوقت قائلاً: اسمعوا بين إخوتكم واقضوا بالحق بين الإنسان وأخيه ونزيله. لا تنظروا إلى الوجوه في القضاء. للصغير كالكبير تسمعون. لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله. والأمر الذي يعسر عليكم تقدِّمونه إليَّ لأسمعه. وأمرتكم في ذلك الوقت بكل الأمور التي تعملونها».

فالملك مُمَثِّل لله في خدمته. وليت الله يعطيه مثل هذه المعرفة للوصايا الإلهية التي بها يحكم إسرائيل وليته ينعم عليه بروح العدل حتى يكون حاكماً عادلاً. فالحكم بالعدل هو من صفات عمل الملك. انظر: (إش ١١: ٢-٥):

+ «ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذَّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ... ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه». وأيضاً: (إش ١٦: ٥):

(١) القديس أدموند الشهيد (٨٤١ - ٨٧٠م) مَلَكَ عام ٨٥٥م. على شرق إنجلترا واستُشهد على يد الـــدانمراكيين في ٢٠ نوفمبر عام ٨٧٠م.

+ «فيُثبَّت الكرسي بالرحمة ويجلس عليه بالأمانة في خيمة داود قاضٍ ويطلب الحق ويبادر بالعدل». وأيضاً: (إش ٢٨: ٥و٦):

+ «في ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال وتاج بهاء لبقية شعبه. وروح قضاء للجالس للقضاء وبأساً للذين يردُّون الحرب إلى الباب». وأيضاً: (إش ٣٢: ١):

+ «هوذا بالعدل يملك ملك ورؤساء بالحق يترأسون».

كل هذا يعطيه الله لسليمان، وكان محمل حياة سليمان «اسأل ماذا أُعطيك؟» فكان جواب سليمان: «أعط عبدك حكمة القلب لكي أقضي لشعبك». فكان رد الله: «أعطيتك حكمة وقلباً فهيماً». (١مل ٣: ٥ إلخ)

«**وبرَّك لابن الملك**»:

ليس لورثة الملك ولكن للملك لأنه ابن الملك. أي للملك هو هو في الحالتين.

٢ - «**يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ**»:

هنا الفعل هو في صيغة المستقبل العادي وليس في صيغة الرجاء والتمني كما يظن بعض الشُّرَّاح. فالملك العادل ستكون له هذه المواهب. هذه نعمة الله وليس مجرد تمنيات. وكل مقومات الحكم جاءت في الأعداد (٢و٤و٦) والبركات الناتجة عنها في الأعداد (٣و٥و٧)، وذكر الفقراء والمساكين بعبارة ''مساكينك'' هو لا يخص عامة الشعب ولكن للمظلومين منه فقط. انظر: (إش ٣: ١٤و١٥):

+ «الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. وأنتم قد أكلتم الكرم. سلب البائس في بيوتكم، ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين يقول السيد رب الجنود؟». وأيضاً: (إش ١٠: ٢):

+ «ليصدُّوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حق بائسي شعبي لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام». وأيضاً (عا ٨: ٤):

+ «اسمعوا هذا أيها المتهممون المساكين لكي تُبيدوا بائسي الأرض».

٣ - «**تَحْمِلُ الْجِبَالُ سَلاَماً لِلشَّعْبِ، وَالآكَامُ بِالْبِرِّ**»:

يُلاحظ أن هذا العدد مكمِّل للقول السابق وحدث التقسيم للموسيقى فقط. حيث أن الملك سيدين شعبه بالبر فسيملك السلام على ربوع البلاد جبالها وتلالها. هكذا إشعياء يصف السلام أنه

نتيجة البر. انظر: (إش ٣٢: ١٧):

+ «ويكون صنع العدل (البر) سلاماً. وعمل العدل سكوناً وطمأنينة».

وكان بالفعل السلام في أيام سليمان هو التمييز الواضح لأيامه وحكمه. انظر: (١أي ٢٢: ٩)

+ «هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه يكون سليمان. فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه».

وهكذا بالتالي وبالأولى أيام المسيَّا. انظر: (إش ٢: ٤):

+ «فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أُمة على أُمة سيفاً ولا يتعلّمون الحرب فيما بعد». وأيضاً: (إش ٩: ٦و٧):

+ «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية». وأيضاً: (زك ٩: ١٠):

+ «ويتكلّم بالسلام للأُمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض».

٤ – «يَقْضِي لِمَسَاكِينِ الشَّعْبِ. يُخَلِّصُ بَنِي الْبَائِسِينَ، وَيَسْحَقُ الظَّالِمَ»:

امتداداً للآية (٢) لأن الذين بلا عائل ولا مدافع هم الأَولى بالرعاية والدفاع، لأنهم معرَّضون للظلم. انظر: (إش ١٠: ٢):

+ «ليصدُّوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حقَّ بائسي شعبي لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام».

٥ – «يَخْشَوْنَكَ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ، وَقُدَّامَ الْقَمَرِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ»:

لَمَنْ يُخاطب هنا؟ لله نفسه فهو الذي له الخشية والدوام أمام الشمس والقمر صنعة يديه، ولكن عمل الملوك أن يجعلوا لله خشية دائمة وواسعة تملأ الدنيا والعالم. انظر: (١مل ٨: ٤٠):

+ «لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض». وأيضاً: (مت ٥: ١٦):

+ «فليُضئ نوركم هكذا قدَّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات».

وأعطى هنا الشمس والقمر كدلالة على الدوام. انظر: (إر ٣١: ٣٥):

+ «هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلاً». وأيضاً: (إر ٣٣: ٢٠و٢١):

+ «هكذا قال الرب. إن نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون نهارٌ ولا ليلٌ

في وقتهما. فإن عهدي أيضاً مع داود عبدي يُنقض فلا يكون له ابن مالكاً على كرسيه ...».

٦ – «يَنْزِلُ مِثْلَ الْمَطَرِ عَلَى الْجُزَازِ، وَمِثْلَ الْغُيُوثِ الذَّارِفَةِ عَلَى الأَرْضِ»:

تعبير سرِّي بديع عن الحركة الآتية من السماء غير الملحوظة الهادئة مثل الندى الساقط على الجزَّة الصوف، والغزير كالمطر المتدفّق على الأرض ليحييها. انظر: (٢صم ٢٣: ١–٥):

+ «وحي داود بن يسَّى ووحي الرجل القائم في العُلا ... قال إله إسرائيل إليَّ تكلّم صخرة إسرائيل. إذا تسلّط على الناس بار يتسلّط بخوف الله. وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس، كعشب من الأرض في صباح صحوٍ مضيءٍ غبَّ (بعد) المطر. أليس هكذا بيتي عند الله لأنه وضع لي عهداً أبدياً متقناً في كل شيء ومحفوظاً. أفلا يُنبِتُ كل خلاصي وكل مسرَّتي».

وقد نُسبت هذه الآية لنزول الروح القدس الهادئ الوديع دون جلبة.

٧ – «يُشْرِقُ فِي أَيَّامِهِ الصِّدِّيقُ، وَكَثْرَةُ السَّلاَمِ إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ الْقَمَرُ»:

والأفضل "يُشرق في أيامه البر" بحسب السبعينية وجيروم. انظر: (مز ٩٢: ١٢–١٤):

+ «الصدِّيق كالنخلة يزهو كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون. أيضاً يثمرون في الشيبة. يكونون دساماً وخضراً».

[عدد ٨–١٤]: ليت كل الأمم تخضع لحكمه وتعترف بسيادته بسبب سمو خُلقه.

٨ – «وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ»:

هنا يجمع معنى الأعداد (٩–١١) وهي السيادة الكاملة. وقوله من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض تفيد الأرض عامة ببحارها وأنهارها بلا حدود أو أسماء. فالأرض والعالم كله للرب ولمسيحه، الأمر الذي يتحقّق فقط في ملكوت ابن الله. انظر: (زك ٩: ١٠) عن المسيَّا:

+ «ويتكلَّم بالسلام للأُمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض».

٩ – «أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ»:

أهل البرية تعبير عن قوم لا وطن لهم ولا مسكن ولا حدود، فهم أحرار الأحرار وهم أيضاً يخضعون حيث لا يبقى أحد غير خاضع إلاَّ الذي سيلحس التراب.

١٠ – «مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَا يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً»:

"**ترشيش**" هي بلاد جنوب أسبانيا وهي بلاد غنية. و"**الجزائر**" جزائر البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجة. "**شبا**" جنوب شرق الجزيرة العربية (كانت تسمَّى العربية السعيدة Arabia Felix) غنية بتجارتها. الكل يخضعون للملك البار.

١١ – «وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ»:

هذه تنطبق أيضاً على سليمان، فكل الملوك قدَّموا هدايا وخدموه. وكل الأرض طلبت سليمان لتسمع حكمته، وكل إنسان قدَّم هدية. وكانت فينيقية (لبنان) حليفته ومنها اتصل بالغرب، وكانت تجارتها كثيفة مع الشرق والجنوب. ومن شهرته جاءت ملكة سبإ لتزوره وتسمع حكمته. وما انطبق على سليمان كالذي انطبق على داود نبوَّة على ما سيكون للمسيَّا.

١٢ – «لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ»:

سلطانه لا يأتي من قوة ولكن يأتي من رؤية صافية كرؤية الله الذي يغيث المسكين والفقير والمعيي، ومن قضاء العدل والنـــزاهة. انظر: (إش ١٦: ٥):

+ «فيُثبَّتُ الكرسي بالرحمة ويجلس عليه بالأمانة ... ويطلب الحق ويبادر بالعدل».

فالنصرة الحقيقية تحت حكم الله هي نصرة الأخلاق والحق والسلوك بالبر. انظر: (أي ٢٩: ١٢):

+ «لأني أنقذتُ المسكين المستغيث واليتيم ولا معين له».

١٣ – «يُشْفِقُ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْبَائِسِ، وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ الْفُقَرَاءِ»:

انظر: (مز ٤٠: ١٧):

+ «يا رب ملجأ كنت لنا في دور فدور».

وأيضاً: (مز ١٢: ٣ و٤):

+ «اقضوا للذليل واليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجوا المسكين والفقير، من يد الأشرار أنقذوا».

١٤ – «مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ».

«يكرم دمهم في عينيه»:

انظر: (مز ١١٦: ١٥):

+ «عزيز في عيني الرب موت أتقيائه». وأيضاً: (١صم ٢٦: ٢١):

+ «فقال شاول (للداود) قد أخطأت. ارجع يا ابني داود لأني لا أسيء إليك بعد من أجل أن نفسي كانت كريمة في عينيك اليوم. هوذا قد حمقتُ وضللتُ كثيراً جداً». وأيضاً: (مز ٩: ١٢):

+ «لأنه مطالب بالدماء. ذكرهم. لم ينسَ صراخ المساكين».

[عدد ١٥–١٧]:

صلاة مثلثة لمنفعة الملك (١٥) ولازدهار شعبه (١٦) ولدوام ذكراه (١٧).

١٥ – «وَيَعِيشُ وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لأَجْلِهِ دَائِماً. الْيَوْمَ كُلَّهُ يُبَارِكُهُ»:

"ويعيش" اختصاراً للاصطلاح المعروف: ليحيا الملك Vive le Roi = Vivat Rex والتي تعني في الإنجليزية God save the King. انظر: (١صم ١٠: ٢٤):

+ «فقال صموئيل لجميع الشعب أرأيتم الذي اختاره الرب أنه ليس مثله في جميع الشعب. فهتف كل الشعب وقالوا ليحيى الملك». وأيضاً: (٢صم ١٦: ١٦):

+ «قال حوشاي لأبشالوم ليحيى الملك ليحيى الملك». ضد داود.

«ويُصلِّى لأجله دائماً»: بمعنى تقال صلوات دائمة لأجله، وفي بعض الترجمات الحديثة: تُرفع نحوه الصلوات الدائمة. ولكن الوضع في النسخة العبرية لا يحتمل هذا المعنى.

١٦ – «تَكُونُ حُفْنَةُ بُرٍّ فِي الأَرْضِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ. تَتَمَايَلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرَتُهَا وَيُزْهِرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ عُشْبِ الأَرْضِ»:

للمزمور معنى سرائري خطير. فذكر القمح يشير إلى بركة الله في الأرض على أساس البركة المسيَّانية الحاصلة من الخبز المكسور. وهذا البيت بالذات دخل الليتورجيا في الكنيسة واستخدم في صلاة الديداخي (٩: ٤).

أمَّا كون الشعب يزهر ويزدهر فهو زمن السلم الذي أنجب كثرة الشعب كما في أيام سليمان كذلك في أيام المسيح. انظر: (إش ٤٩: ٢٠–٢٢):

+ «يقول أيضاً في أذنيك بنو ثكلك. ضيِّق عليَّ المكان وسِّعي لي لأسكن. فتقولين في قلبك مَنْ وَلَدَ لي هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفيَّة ومطرودة وهؤلاء مَنْ ربَّاهم؟ هأنذا كنت متروكة وحدي. هؤلاء أين كانوا؟ هكذا قال السيد الرب ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب

أُقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان».

١٧ – «يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ»:

صاحب المزمور يتكلّم بالنبوّة قائلاً إن اسمه أي اسم الملك لا يفنى مثل باقي الأسماء (أي ١٨: ١٩) بل "يمتد". ولكن النسخ القديمة السبعينية والسريانية والترجوم وجيروم تكتب أن اسمه:

"يثبت" yikkon بدلاً مَنْ "يمتد" yinnon.

وهذه الكلمة "يثبت" yikkon موجودة في مزمور (٨٩: ٣٧):

+ «مثل القمر **يُثبَّت** (yikkon) إلى الدهر». وأيضاً: (١مل ٢: ١٢ و٢ و٤٥):
+ «وجلس سليمان على كرسي داود أبيه **وتثبَّت** (tikkon) ملكه جداً».
+ «أنا ذاهب في طريق الأرض كلها».
+ «والملك سليمان يُبارَك وكرسي داود يكون ثابتاً (yikhon) أمام الرب إلى الأبد».

«ويتباركون به. كل أُمم الأرض يطوبونه»:

وهي مرادف لكلمة الوعد لإبراهيم وإسحق. انظر: (تك ٢٢: ١٨، تك ٢٦: ٤):
+ «ويتبارك في نسلك جميع أُمم الأرض».

[عدد ١٨و١٩]: هذه الذكصولوجية لم توجد في المزمور ولكنها علامة نهاية الكتاب الثاني لسفر المزامير وهي أكثر وضوحاً من النهاية التي جاءت في الكتاب الأول (٤١: ١٣): [مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين فآمين]، وجاءت هنا في نهاية الكتاب الثاني [مبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده آمين ثمَّ آمين].

أمَّا التي جاءت في نهاية الكتاب الثالث (٨٩: ٥٢) فهي: [مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين]. أمَّا الذكصولوجية التي جاءت في نهاية الكتاب الرابع (١٠٦: ٤٨) فهي: [مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب: آمين. هللويا].

١٨ – «مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ»:

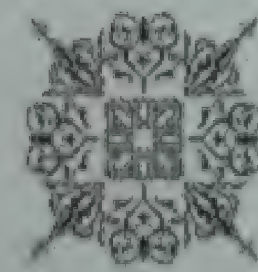
انظر: (مز ٨٦: ١٠):
+ «لأنك عظيم أنت **وصانع عجائب**. أنت الله وحدك». وأيضاً: (مز ١٣٦: ٤):

+ «**الصانع العجائب** العظام وحده لأن إلى الأبد رحمته». وأيضاً: (أي ٩: ١٠):
+ «فاعل عظائم لا تُفحص وعجائب لا تُعدّ».

١٩ – «وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ»:

«آمين ثمَّ آمين»: هو دعاء الاستجابة أو الرد للجماعة المجتمعة مؤكّدين الاشتراك في المديح من جهتهم!

انتهى الكتاب الثاني



الكتاب الثالث

من سفر المزامير

من مزمور ٧٣ إلى مزمور ٨٩

يوجد اثنا عشر مزموراً لآساف منها المزمور (٥٠) يقف بذاته بين مزمور قورح ومزامير داود في الكتاب الثاني، أما باقي مزامير آساف فهي مجموعة في بداية الكتاب الثالث، والأرجح أن هذا حدث عند نقل أجزاء من الكتاب الثاني والثالث إذ أن الأصل في الترتيب كان:

١ - مزامير داود: ٥١ - ٧٢.

٢ - مزامير اللاويين: (أ) لبني قورح ٤٢ - ٤٩.

(ب) لآساف ٥٠ و٧٣ - ٨٣.

فلمّا تم نقل مزامير بني قورح لتكون قبل مزامير داود أُخذ معها المزمور ٥٠ لآساف.

وآساف كان واحداً من ثلاثة موسيقيين محترفين مع هيمان وإيثان (يُسمّى أحياناً يدوثون). وقد اختير آساف من اللاويين ليقود الموسيقى عندما أحضر داود التابوت إلى أورشليم (١أي ١٥: ١٦ - ١٩). وقد عيّنه داود ليترأس الخدمات التي للمديح والشكر في الخيمة حيث كان التابوت موضوعاً (١أي ١٦: ٤ و٥ و٧ و٣٧)، بينما هيمان ويدوثون يخدمان في المسكن في جبعون (١أي ١٦: ٤١). وأولاد آساف تحت وصايته كانوا أربعة من بين رؤساء الأربعة والعشرين فرقة للموسيقيين (٢٥: ١ إلخ)، وقد ذُكروا أنهم كانوا يشاركون في تدشين الهيكل (٢أي ٥: ١٢)، وأخيراً انضمّ آساف مع داود كمؤلّف للتسابيح المقدَّسة، ومع هيمان ويدوثون أخذ لقب "رائي الملك" (٢أي ٢٩: ٣٠)، (١أي ٢٥: ٥)، (٢أي ٣٥: ١٥).

وبنو آساف أي عائلة اللاويين أو الطائفة (النقابة) التي هي ذريتهم ذُكرت فيما بعد في أيام حكم يهوشافاط (٢أي ٢٠: ١٤) وأيام التجديد الذي عمله حزقيا (٢٩: ١٣)، وقد اشتركوا أيضاً في الفصح الذي أقامه يوشيا (٣٥: ١٥)، وأيضاً بين المسبيين الذين رجعوا مع زربابل، وكان مغنون هم بنو آساف وعددهم مائة وثمانية وعشرون (عز ٢: ٤١)، أو بحسب نحميا (٧: ٤٤) مئة وثمانية وأربعون وقد قاموا بالخدمة للتسبيح والشكر عند تأسيس الهيكل (عز ٣: ١٠)، وفي وقت نحميا ذُكروا مرّة أخرى يقومون بنفس الوظيفة (نح ١١: ٢٢).

وواضح أن كل المزامير التي تحمل اسم آساف لم تُكتب بواسطة موسيقيّ داود لأن بعضها يعود زمنه إلى السبي أو ما بعده. وإن العنوان لا يدل على أكثر من أن الذي جمع المزامير واحتفظَ بها من عائلة أو ذرية آساف الذين يحملون اسمه. وإن كانت بعض المزامير قد نُسبت لبني قورح والبعض الآخر لآساف نفسه وليس لبني آساف؛ فذلك للتقليد الذي أعطى لآساف تأسيس مجموعة المزامير

التي تحمل اسمه ولكن قد أُضيفت عليها بعد ذلك.

ومزامير آساف لها صفات مميَّزة مع العلم أنها تعود إلى أزمنة متباعدة. هذه المزامير تتميَّز بروح النبوَّة التي فيها. فمثلاً مزمور (٥٠) الذي هو نموذج لمزامير آساف يمتاز بالحيوية والأصالة ويكرّر الرسالة التي تناولها الأنبياء من صموئيل وصاعداً، ومضمونها أن مجرد الذبائح لا قيمة لها في نظر الله، وهكذا المجموعة تمتاز بالروح النبوية. وبعد أبحاث العالم ستالين Stahelin ومَنْ تبعه مثل الأسقف بروني Perowne يُعتبر أنه من ضمن خواص هذه المزامير تبادل الأسماء الإلهية يهوه وإلوهيم. وقد لوحظ أن استخدام يهوه يأتي عامة في أواخر المزمور. ومن مميزاتها أيضاً:

١ - فهي مثل باقي الأنبياء تقدِّم الله كقاضٍ مثلما في مزمور (٥٠) حيث يصفه أنه آتٍ ليقضي أو يحاكم شعبه، مطالباً بالعبادة الروحية وموبِّخاً عدم الإيمان. والمزموران (٧٥ و٧٦) يحتفلان بقضاء الله على مجدِّف وعلى عدوٍّ للشعب، ربما سنحاريب. ومزمور (٨٢) يقدِّم الله كقاضي القضاة يحاكم القضاة على سوء عملهم. وبالرغم أن الله لم يُذكر بالاسم كقاضٍ في مزامير (٧٣ و٧٨ و٨١) فإن قضاء الله كما يظهر في الحياة والتاريخ هو موضوع هذه المزامير للتشجيع والتحذير. وطبيعي أن تمثيل الله بالقاضي ليس مقصوراً على هذه المزامير، ولكن الملاحظ كثرة استخدامه فيها ليكون صفة مميَّزة لها.

٢ - كما يحدث في الأنبياء فإن الله نفسه يُقدَّم بكثرة كمتكلِّم ليس بطريقة عابرة ولكن بقضاء رسمي كما في مزمور ٥٠ و٧٥ و٨١ و٨٢. ويمكن مقارنة ذلك مع مزمور (٦٠: ٦) في مجموعة داود.

٣ - استخدام التاريخ للتعليم هو مظهر نبوي لأن هذا كان عمل النبوَّة ليس فقط أن تحكي عن المستقبل ولكن أن تشرح الماضي. ففي مزامير آساف أول ما نقابله رجوعه الدائم للتاريخ القديم لإسرائيل. وإن كانت الإشارة إلى تشريع سيناء في مزمور (٥٠) تأتي بصفة عامة، لكن في مزامير (٧٤: ١٢ إلخ)، (٧٧: ١٠ إلخ)، (٨٠: ٨ إلخ)، (٨١: ٥ إلخ)، (٨٣: ٩ إلخ) فتاريخ الأمة السابق يُرجَع إليه للتقوية والتشجيع أو للتحذير. ومزمور (٧٨) مكرَّس كله إلى قصة تاريخ إسرائيل من الخروج حتى بناء الهيكل.

هذه الإشارات غير موجودة في الكتاب الأول للمزامير وقليلة في الكتاب الثاني (٤٤: ١ إلخ)، (٦٦: ٥ إلخ)، مزمور (٦٨) وفي الكتب الأخيرة تتردَّد بكثرة: (٩٥: ٨ إلخ)، (١٠٣: ٧)، (١٠٥

و١٠٦ و١١٤ و١٣٢ و١٣٥ و١٣٦).

٤ – وخاصية أخرى ناتجة من الخاصية السابقة هي الكثرة التي توضّح بها علاقة يهوه بإسرائيل بصورة علاقة الراعي برعيته أو بقطيعه. فهذه المزامير تذكّر بقيادة يهوه لشعبه خلال مسيرة البرية ويصل التأكيد إلى أنه يبحث عن الضال ويجمع المشتّتين ويقودهم عائداً إلى أرضهم. راجع: (مز ٧٤: ١)، (٧٧: ٢٠)، (٧٨: ٥٢ و٧٠ و٧٢)، (٧٩: ١٣)، (٨٠: ١). ويلاحظ أن هذه صورة محبوبة عند ميخا النبي وإرميا وحزقيال.

٥ – ومع الرغبة في النظرة إلى التاريخ الماضي لإسرائيل أحياناً يستخدم الجمع بين يوسف ويعقوب (٧٧: ١٥) ويوسف وإسرائيل (٨٠: ١)، (٨١: ٤ و٥)، (٧٨: ٦٧ و٦٨)، وقارن ذلك مع (عا ٥: ٦ و١٥، ٦: ٦)، (عو ١٨)، (زك ١٠: ٦)، (حز ٣٧: ١٦ و١٩، ٤٧: ١٣)، لما يوضّح أن انقسام الأمة أمر غير مقبول وأن إعادة وحدة إسرائيل ضرورة. وفي مزامير آساف اتفاق مع الأنبياء الذين من زمن عاموس وصاعداً تنبّأوا عن اتحاد الأمة بالكامل.

ومزامير آساف تُعتبر كلها تقريباً تخصّ الأمة للتوسُّل والشكر والتحذير والتعليم. والطابع الشخصي الحر لا يوجد إلاّ في النادر بينها. وفي المزامير التي لها صفة فردية (٧٣)، (٧٧) يتكلّم صاحب المزمور كممثّل عن طبقة معيَّنة والظروف التي جعلته يرتبك هي اجتماعية أو تخص الأمة وليست شخصية.

وبالنسبة لزمن المزامير في هذه المجموعة فبعضها يتبع زمن المملكة المتحدة (٧٥ و٧٦) وبعضها زمن السبي (٧٤ و٧٩ و٨٠) وبعضها ما بعد السبي. ولكن العنصر ذا التأثير الذي يخرج به القارئ للمجموعة ككل أنها عبارة عن صرخة خارجة من السبي تتوسَّل لدى الله أن يفتقد شعبه ويستعيده.

ومزامير الشكر عن ماضي الخلاص مثل مزامير ٧٥ و٧٦ و٨١ تتبع مزامير التوسل كمذكر للأعمال العجيبة التي صنعها الله لشعبه في الماضي والترجّي أنه قادر أن يفعل وهو سيفعل خلاصاً جديداً لهم.

المزمور الثالث والسبعون

مَزْمُورٌ لآسَافَ

١– «إِنَّمَا صَالِحٌ اللهُ لإِسْرَائِيلَ، لأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ.
٢– أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلِقَتْ خَطَوَاتِي.
٣– لأَنِّي غِرْتُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ.
٤– لأَنَّهُ لَيْسَتْ فِي مَوْتِهِمْ شَدَائِدُ، وَجِسْمُهُمْ سَمِينٌ.
٥– لَيْسُوا فِي تَعَبِ النَّاسِ، وَمَعَ الْبَشَرِ لاَ يُصَابُونَ.
٦– لِذلِكَ تَقَلَّدُوا الْكِبْرِيَاءَ. لَبِسُوا كَثَوْبٍ ظُلْمَهُمْ.
٧– جَحَظَتْ عُيُونُهُمْ مِنَ الشَّحْمِ. جَاوَزُوا تَصَوُّرَاتِ الْقَلْبِ.
٨– يَسْتَهْزِئُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِالشَّرِّ ظُلْماً. مِنَ الْعَلاَءِ يَتَكَلَّمُونَ.
٩– جَعَلُوا أَفْوَاهَهُمْ فِي السَّمَاءِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ تَتَمَشَّى فِي الأَرْضِ.
١٠– لِذلِكَ يَرْجِعُ شَعْبُهُ إِلَى هُنَا، وَكَمِيَاهٍ مُرْوِيَةٍ يُمْتَصُّونَ مِنْهُمْ.
١١– وَقَالُوا: «كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ؟ وَهَلْ عِنْدَ الْعَلِيِّ مَعْرِفَةٌ؟»
١٢– هُوَذَا هؤُلاَءِ هُمُ الأَشْرَارُ، وَمُسْتَرِيحِينَ إِلَى الدَّهْرِ يُكْثِرُونَ ثَرْوَةً.
١٣– حَقًّا قَدْ زَكَّيْتُ قَلْبِي بَاطِلاً وَغَسَلْتُ بِالنَّقَاوَةِ يَدَيَّ.
١٤– وَكُنْتُ مُصَاباً الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَتَأَدَّبْتُ كُلَّ صَبَاحٍ.
١٥– لَوْ قُلْتُ أُحَدِّثُ هكَذَا، لَغَدَرْتُ بِجِيلِ بَنِيكَ.
١٦– فَلَمَّا قَصَدْتُ مَعْرِفَةَ هذَا، إِذَا هُوَ تَعَبٌ فِي عَيْنَيَّ.
١٧– حَتَّى دَخَلْتُ مَقَادِسَ اللهِ، وَانْتَبَهْتُ إِلَى آخِرَتِهِمْ.
١٨– حَقًّا فِي مَزَالِقَ جَعَلْتَهُمْ. أَسْقَطْتَهُمْ إِلَى الْبَوَارِ.
١٩– كَيْفَ صَارُوا لِلْخَرَابِ بَغْتَةً! اضْمَحَلُّوا، فَنُوا مِنَ الدَّوَاهِي.
٢٠– كَحُلْمٍ عِنْدَ التَّيَقُّظِ يَا رَبُّ، عِنْدَ التَّيَقُّظِ تَحْتَقِرُ خَيَالَهُمْ.
٢١– لأَنَّهُ تَمَرْمَرَ قَلْبِي، وَانْتَخَسْتُ فِي كُلْيَتَيَّ.
٢٢– وَأَنَا بَلِيدٌ وَلاَ أَعْرِفُ. صِرْتُ كَبَهِيمٍ عِنْدَكَ.
٢٣– وَلكِنِّي دَائِماً مَعَكَ. أَمْسَكْتَ بِيَدِي الْيُمْنَى.

٢٤- بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي، وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي.
٢٥- مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئاً فِي الأَرْضِ.
٢٦- قَدْ فَنِيَ لَحْمِي وَقَلْبِي. صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللهُ إِلَى الدَّهْرِ.
٢٧- لأَنَّهُ هُوَذَا الْبُعَدَاءُ عَنْكَ يَبِيدُونَ. تُهْلِكُ كُلَّ مَنْ يَزْنِي عَنْكَ.
٢٨- أَمَّا أَنَا فَالاقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي. جَعَلْتُ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ مَلْجَإِي، لأُخْبِرَ بِكُلِّ صَنَائِعِكَ».

دراسة:

هذا المزمور هو اعتراف تلامسي مع القارئ عن الإيمان إذا جُرِّب ولكن في النهاية ينتصر! وهو يقع في قسمين متساويين: في الأول يحكي على تجربته التي جُرِّب بها وفي الثاني عن انتصاره على الشكوك.

١ - كان قد فقد الاعتقاد بصلاح الله تجاه البار (١ و٢) عندما تأمل بطمع وحسد في نجاح وازدهار أن الشرير الذي يبدو أنه عنده مناعة ضد المرض والضيقات ويذهب بلا مساءلة في سلوكه بكبرياء وعنف وتجديف، يطغى على كل جماعة الناس لكي يتبعوه في مجال إنكار الله وحكمه في العالم (٣ - ١١). وقد جرَّبه العدو ليظن أن كل جهاده وراء القداسة ألقاه إلى أردأ وجهده قد ذهب هباءً ولم يستفد شيئاً إلاَّ أنه جلب الأتعاب على نفسه (١٢ - ١٤).

٢ - وقد شعر أنه إذا روَّج هذه النظرة في الحياة تكون عملية خيانة تجاه إخوانه بني إسرائيل، ولكن بقدر ما ركَّز في هذه المشكلة كلما رآها قاسية لنفسه (١٥ و١٦). حتى دخل الهيكل فانكشفت الحقيقة أمامه أن كل هذا الانتفاخ الذي يمثِّله العدو ما هو إلاَّ منظر فارغ من الحقيقة ومهيَّأ لصدمة خراب (١٧ - ٢٠)، ورأى أن حسده لم يكن إلاَّ حماقة غير محسوبة العواقب لأنه عندما اختلى بالله وتأمل في عطفه حصل على أعظم خير يمكن للإنسان أن يحصل عليه (٢١ - ٢٦).

إن المشكلة المزدوجة الخاصة بازدهار الشرير والآلام التي يجوزها البار إنما لها وزنها الثقيل في تفكير بني إسرائيل قديماً، الذين أدركوا فقط أن هذا العالم هو على مستوى أعمال الله ومعاملاته مع الناس وأعوزهم البرهان الواضح لسلطان الله في إقامة العدالة، بينما أرادوا أن يروا ما يعوِّض البار وما يعاقب به الشرير. وفي مزمور (٣٧) نرى حثًّا هادئاً نحو الصبر والإقناع وعدم ثبات الغنى مدى الدهر والنصرة الأخيرة للبار.

في هذا المزمور لا يزال الاقتراب من المشكلة من ناحية النجاح والازدهار للأشرار (١٤) فهي

تمثل فكراً عميقاً ودرجة متقدِّمة من الإدراك. وقد صارت الصعوبة حادة والحل صار أكثر وضوحاً لأن صاحب المزمور قاده فكره ليُدرك ليس فقط عدم ثبات ودوام الغنى ومظاهر الحياة الفخمة، ولكن البركة العليا في الانتماء لله في حد ذاته كأعظم خير ممكن أن يناله الإنسان. وفي سفر أيوب نجد أن المشكلة قد برزت من جهة الآلام التي يجوزها البار وقد بُحثت بما فيه الكفاية من كل نواحيها. ولكن خطوة أخرى اتخذها صاحب هذا المزمور في النهاية وهي وصول الإيمان في هذا المزمور إلى أن هذا العالم ما هو إلاَّ فصل واحد في قصة الحياة.

أما كون صاحب المزمور في عدد (٢٤) إلخ، ينظر إلى ما بعد هذه الحياة أم لا فهذا يظل سؤالاً يحتاج إلى بحث: ولازال رأي العلماء منقسماً بخصوص ذلك، ولكن من الواضح كما يرى العالِم Delitzsch أنه لم يرتقِ من فكرة النكسة التي تنتظر الشرير في هذا العالم لكي يجد حلاً لمناقضات الحياة الحاضرة في المجد الفائق الذي ينتظر الإنسان عوض الآلام في الزمان الحاضر، فإن هذه كانت أكثر من أفقه.

ولكن بقدر عتامة الحياة المستقبلية عنده فما أعظم انتصار الإيمان الذي يسلِّم كل الأمور لله، ما أعظم المحبة التي تحسب أن كل ما في العالم هو لا شيء بالمقارنة مع الله في ذاته.

ومن الصعب أن يُحدَّد زمن هذا المزمور بتأكيد فهو لا يتبع السبي، لأن الهيكل قائم (١٧) والمشكلة طُرِقَت قبل السبي. ولكن يمكن أن نلاحظ أن في هذا المزمور كما في مزموري ٣٧ و٤٩ توجد أفكار ولغة "الحكمة" والفلسفة الدينية لإسرائيل واضحة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ١٤]: الإيمان يُمتحن في ضوء ازدهار الشرير.

(١ و٢): صاحب المزمور يشرح التجربة التي دخل فيها مبتدئاً بالنهاية.

١ - «إِنَّمَا (حقًّا) صَالِحٌ اللهُ لإِسْرَائِيلَ (خاصة) لأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ»

كلمة حقًّا هنا في الترجمة الصحيحة التي تقابل (ak) بالعبرية هامة جداً بمعنى أن الله وحده صالح، وتترجم أكيداً Surely أو بمعنى "وبعد كل شيء يبقى الله ...".

«لأنقياء القلب»:

الترجمة الصحيحة "كما هو بالنسبة لأنقياء القلب". وإسرائيل توصف بذلك بأنها إسرائيل الحقيقية لله. والله يبدو هكذا بالرغم من كل المظاهر المخالفة والعكسية (وكأن صاحب المزمور يكلّم نفسه) فإن الله يكشف صلاحه. انظر: (خر ٣٣: ١٩): «فقال: أجيز كل جودتي قدامك. وأنادي باسم الرب قدامك. وأتراءف على مَنْ أتراءف وأرحم مَنْ أرحم».

على أن نقاوة القلب هي الشرط للدخول في حضرة الله. انظر: (مز ٢٤: ٤ و٥):

+ «الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً. يحمل بركة من عند الرب وبرًّا من إله خلاصه». وأيضاً: (مت ٥: ٨):
+ «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

٢ - «أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلِقَتْ خَطَوَاتِي».

ليكاد أن يكون صاحب المزمور قد فقد الإيمان بصلاح الله. لقد انزلق عن الطريق الصحيح. انظر: (مز ٤٤: ١٨):

+ «لم يرتد قلبنا إلى وراء ولا مالت خطوتنا عن طريقك».

لقد فقد قدمه في أرض زلقة في رحلة حياته. انظر: (مز ١٧: ٥):

+ «تمسَّكت خطواتي بآثارك فما زلّت قدماي».

(٣ - ٩): السبب في محنة الإيمان هذه هو الازدهار الذي لا يعرف رجعة ولا كسرة في طريق الذي بلا إله. وهذا صراخ أيوب (٢١: ٧ - ٩):

+ «لماذا تحيا الأشرار ويشيخون، نَعَمْ ويتجبرون قوة؟
نسلهم قائم أمامهم معهم وذريتهم في أعينهم.
بيوتهم آمنة من الخوف وليس عليهم عصا الله».

٣ - «لأَنِّي غِرْتُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ».

انظر: (مز ٣٧: ١ و٢):

+ «لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم. فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون ومثل العشب

الأخضر يذبلون».

وبهذا يظل كتاب الأمثال يزيد ويعيد لعلّنا نفهم: انظر: (أم ٣: ٣١ و٣٢):

+ «لا تحسد الظالم ولا تختر شيئاً من طرقه. لأن الملتوي رجس عند الرب. أما سرُّه فعند المستقيمين». وأيضاً: (أم ٢٣: ١٧ و١٨):
+ «لا يَحسدنَّ قلبك الخاطئين بل كن في مخافة الرب اليوم كله. لأنه لابد من ثواب ورجاؤك لا يخيب». وأيضاً: (أم ٢٤: ١ و٢ و١٩ و٢٠):
+ «لا تحسد أهل الشر ولا تشته أن تكون معهم. لأن قلبهم يلهج بالاغتصاب ...».
+ «لا تغر من الأشرار ولا تحسد الأثمة. لأنه لا يكون ثواب للأشرار. سراج الأثمة ينطفئ».

٤ - «لأَنَّهُ لَيْسَتْ فِي مَوْتِهِمْ شَدَائِدُ، وَجِسْمُهُمْ سَمِينٌ».

انظر: (أي ٢١: ١٣ - ١٥ و٢٣):

+ «يقضون أيامهم بالخير. في لحظة يهبطون إلى الهاوية. فيقولون لله ابعد عنّا. وبمعرفة طرقك لا نُسرُّ. مَنْ هو القدير حتى نعبده؟ وماذا ننتفع إن التمسناه؟».
+ «هذا يموت في عين كماله. كله مطمئن وساكن».

٥ - «لَيْسُوا فِي تَعَبِ النَّاسِ، وَمَعَ الْبَشَرِ لاَ يُصَابُونَ».
٦ - «لِذلِكَ تَقَلَّدُوا الْكِبْرِيَاءَ. لَبِسُوا كَثَوْبٍ ظُلْمَهُمْ»

ولو أن الإنسان مولود للمشقة كما يقول أيوب (٥: ٧)، ولكن هؤلاء الأشرار يفلتون من همّ البشرية وبالتالي يركبهم الكبرياء والحيوانية ولا يهتزون.

«لبسوا كثوب ظلمهم»:

انظر: (مز ١٠٩: ١٨):

+ «ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه في حشاه وكزيت في عظامه».

٧ - «جَحَظَتْ عُيُونُهُمْ مِنَ الشَّحْمِ. جَاوَزُوا تَصَوُّرَاتِ الْقَلْبِ».

هذه هي القراءة الماسورية ولكن الترجمة السريانية ومعها السبعينية تقرأ غير هذا فتقول: «إن قلبهم يطفح شرًّا وتصورات فكرهم تفيض». وهذا العدد تكميل لعدد (٦). انظر: (إر ٥: ٢٨):

+ «سمنوا لمعوا. أيضاً تجاوزوا في أمور الشر».

٨ - «**يَسْتَهْزِئُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِالشَّرِّ ظُلْماً. مِنَ الْعَلاَءِ يَتَكَلَّمُونَ**»

يتكلّمون وكأنهم آلهة وكلماتهم حكم. انظر: (إش ١٤: ١٣):

+ «وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيِّ فوق كواكب الله» وكلامهم ضد الله.

٩ - «**جَعَلُوا أَفْوَاهَهُمْ فِي السَّمَاءِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ تَتَمَشَّى فِي الأَرْضِ**».

أخذ من العدد السابق (من العلاء) وصاغ هذا العدد. لهم ادعاء بالمعرفة كالله ويعتقدون أن كل ما في الأرض تحت سلطانهم.

(**١٠ و١١**): الناس ضلُّوا بنموذجهم الرديء.

١٠ - «**لِذلِكَ يَرْجِعُ شَعْبُهُ إِلَى هُنَا، وَكَمِيَاهٍ مُرْوِيَةٍ يُمْتَصُّونَ مِنْهُمْ**».

انظر: (مز ٤٩: ١٣):

+ «هذا طريقهم اعتمادهم وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم».

صاحب المزمور يتكلّم بالأسى من أجل شعبه بسبب ضلالة الكثيرين بنموذجهم الرديء. والبيت صعب التفسير.

١١ - «**وَقَالُوا: «كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ؟ وَهَلْ عِنْدَ الْعَلِيِّ مَعْرِفَةٌ؟**»

هناك مجموعة مضلّلة من الشعب استمعوا لهذا الشرير الضال وردَّدوا كلامه. انظر: (مز ١٠: ٤ و١١ و١٣):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».
+ «قال في قلبه إن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد».
+ «لماذا أهان الشرير الله؟ لماذا قال في قلبه لا تطالب؟».

يُلاحَظ أن صاحب المزمور قد ذكر كل أسماء الله (إيل) والله العلي (عليون) لكي يوضِّح بُعد الشرير عن معرفة الله كليًّا.

(**١٢ - ١٤**): تجربة صاحب المزمور أمام هذا المنظر. وبعض الشرَّاح يعتبرون هذه الأعداد استمراراً للكلام في عدد (١١) باعتبارها أفكار أتباع ذلك الشرير. والمتكلّم في عدد (١٣) هو صاحب المزمور.

١٢ - «**هُوَذَا هؤُلاَءِ هُمُ الأَشْرَارُ، وَمُسْتَرِيحِينَ إِلَى الدَّهْرِ يُكْثِرُونَ ثَرْوَةً**».

مستريحين هي كلمة أيوب (٣: ٢٦):

+ «لم أطمئن ولم أسكن ولم أسترح وقد جاء الرجز». وأيضاً (أي ١٢: ٦):
+ «خيام المخربين مستريحة والذين يغيظون الله مطمئنون ...».

١٣ - «**حَقًّا قَدْ زَكَّيْتُ قَلْبِي بَاطِلاً وَغَسَلْتُ بِالنَّقَاوَةِ يَدَيَّ**».

حقًّا (ak بالعبرية) نفس البادئة التي في العدد (١). إذا كان الشرير هكذا يزدهر وينجح وليس في موته تعب ولا شقاء مع بني الشقاء أكون أنا قد زكّيتُ نفسي باطلاً لأنه بعد اتباع أصول القداسة والبر وجدتُ أن هذا مضيعة. فالشرير أنفع لنفسه في الحياة لكن صاحب المزمور يتكلّم عن نفسه أنه بلا خطية مثل أيوب. انظر: (أم ٢٠: ٩):

+ «مَنْ يقول إني زكَّيت قلبي تطهَّرت من خطيتي؟».

ولكن بعد كل ذلك عنده ضمير صالح. والعدد القادم يوضِّح ذلك.

١٤ - «**وَكُنْتُ مُصَاباً الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَتَأَدَّبْتُ كُلَّ صَبَاحٍ**».

وهكذا فإن جزاء تقواه كان تأديب كل صباح، وباستمرار اليوم كله يتوجّع مصاباً من تأديب الله وتجديد نفسه وحياته. انظر: (مز ٣٩: ١٠ و١١):

+ «ارفع عني ضربك. من مهاجمة يدك أنا قد فنيت».
+ «بتأديبات إن أدَّبت الإنسان من أجل إثمه أفنيت مثل العث مشتهاه. إنما كل إنسان نفخة». وأيضاً: (أي ٧: ١٨ و١٩):
+ «وتتعهده كل صباح وكل لحظة تمتحنه. حتى متى لا تلتفت عني ولا ترخيني ريثما أبلع ريقي».

[١٥ - ٢٨]: نصرة الإيمان باقتناع أن هناك ديونة عادلة والإحساس ببركة الوجود مع الله.

(١٥ – ١٧): عوض أن يناقش شكوكه صارعها حتى وصل إلى الهيكل فوجد الحل واستُعلن له.

١٥ – «لَوْ قُلْتُ أُحَدِّثُ هكَذَا، لَغَدَرْتُ بِجِيلِ بَنِيكَ».

هو لو تحدَّث بشكوكه وكشف للآخرين اعترافه بالنسبة للشرير وحياته وطرقه لكان غير أمين لشعب الله إذ يعثرهم، إذ لا يستطيع أن يرد عنهم شكوكهم.

١٦ – «فَلَمَّا قَصَدْتُ مَعْرِفَةَ هذَا، إِذَا هُوَ تَعَبٌ فِي عَيْنَيَّ».

١٧ – «حَتَّى دَخَلْتُ مَقَادِسَ اللهِ، وَانْتَبَهْتُ إِلَى آخِرَتِهِمْ».

وإذ صار محتاراً أمام شكوكه ولا يعرف لها حلاً ولا استطاع أن يصالح هذا الأمر مع استعلان حقيقة الله وصفاته ووعوده، وإذا منظر العالم وعدم نظامه وجده شيئاً غير محتمل. حتى هداه الله إلى الذهاب إلى هيكل الله حيث وجود الله وحيث يكشف له عن قوَّته ومجده. انظر: (مز ٦٣: ٢):

+ «لكي أبصر قوَّتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك».

هناك تحقَّق زوال كل ملكية وقتية للشرير وكونها لا شيء في عيني الله.

(١٨ – ٢٠): مصير الشرير الرهيب هو الحل السلبي للمشكلة!

١٨ – «حَقًّا فِي مَزَالِقَ جَعَلْتَهُمْ. أَسْقَطْتَهُمْ إِلَى الْبَوَارِ».

وبعد هذا كله هم في خطر السقوط والضياع. انظر: (مز ٣٥: ٦):

+ «ليكن طريقهم ظلاماً وزلقاً وملاك الرب طاردهم!» وأيضاً: (إر ٢٣: ١٢):

+ «لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس فيُطردون ويسقطون فيها لأني أجلب عليهم شرًّا سَنَة عقابهم يقول الرب».

١٩ – «كَيْفَ صَارُوا لِلْخَرَابِ بَغْتَةً! اضْمَحَلُّوا، فَنُوا مِنَ الدَّوَاهِي».

الدواهي: المرهبات terrors هذه الكلمة لم تأتِ في المزامير كلها إلاَّ هنا. وهي كلمة عزيزة وخطيرة. انظر: (أي ١٨: ١١):

+ «ترهبه أهوال (دواهي) من حوله وتذعره عند رجليه».

٢٠ – «كَحُلْمٍ عِنْدَ التَّيَقُّظِ يَا رَبُّ، عِنْدَ التَّيَقُّظِ تَحْتَقِرُ خَيَالَهُمْ».

انظر: (أي ٢٠: ٨ و٩):

+ «كالحلم يطير فلا يوجد ويُطرد كطيف الليل. عين أبصرته لا تعود تراه ومكانه لن يراه بعد».

حيث تصير كل انتفاخاتهم إلى فراغ وخيال والله يقيِّمها بقيمتها الحقيقية.

(٢١ و٢٢): اعتراف صاحب المزمور بخطيته.

٢١ – «لأَنَّهُ تَمَرْمَرَ قَلْبِي، وَانْتَخَسْتُ فِي كُلْيَتَيَّ».

٢٢ – «وَأَنَا بَلِيدٌ وَلاَ أَعْرِفُ. صِرْتُ كَبَهِيمٍ عِنْدَكَ».

وكأنه يقول أنا فشلت أن أدرك الحق حتى انفتحت عيناي في الهيكل. فهو هنا يعترف بجنون عدم الصبر، فقد حطَّ من قدر نفسه في الفهم والتعرُّف على الحقيقة إلى مستوى البهيمة. انظر: (مز ٤٩: ١٠):

+ «الحكماء يموتون. كذلك الجاهل والبليد يهلكون ويتركان ثروتهما لآخرين».

لأن الذي يفرِّق الإنسان عن البهيمة هو قدرته في الاتصال بالله والاعتماد عليه. والكُلْيَة مركز العاطفة.

(٢٣ – ٢٦): الحل الإيجابي لربكة صاحب المزمور أن الحق الوحيد ومصدر السعادة الدائمة أن يكون الإنسان في شركة مع الله.

٢٣ – «وَلكِنِّي دَائِماً مَعَكَ. أَمْسَكْتَ بِيَدِي الْيُمْنَى».

يقارن نفسه في وضعه الصحيح مع جهالته التي جعلته على مستوى البهيمة، كذلك يقارن نفسه بموقف الشرير.

«أمسكت بيدي اليمنى»:

انظر: (مز ٦٣: ٨):

+ «التصقت نفسي بك. يمينك تعضدني».

٢٤ – «بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي، وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي».

مشورة الله من صفات حكمة الله. انظر: (أم ٨: ١٤):

+ «لي المشورة والرأي. أنا الفهم. لي القدرة».

هذه يرفضها الشرير. انظر: (أم ١: ٢٥ و٣٠):

+ «بل رفضتم كل مشورتي ولم ترضوا توبيخي».
+ «لم يرضوا مشورتي. رذلوا كل توبيخي».

«وبَعْدُ إلى مجد تأخذني»:

هذا العدد قد جرت فيه مناقشات: هل صاحب المزمور يقصد معنى هذا الكلام الذي يحمل توًا المعنى المسيحي؟ في أعز أضواء الإنجيل؟ هل هو يشرح إيمانه بقيادة الله خلال الحياة ليتبعها استقبال في المجد في حضرة الله بعد الموت. أو أن قيادة الله له توصِّله لمجرد الكرامة وليس الخزي الذي سيبلغه الشرير؟ ولكن العالِم Delitzsch يرى أنها تحمل المعنى العميق الكبير والرجاء العظيم، ويرى أنه هنا كما في المزمور (٤٩: ١٥): «إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني!» يوجد فيهما توعية من حياة أخنوخ وخروجه. ولكن يعترف أنه ليس في العهد القديم وعد إلهي يسندها بالمنظر السمائي المنتصر الذي يسند الكنيسة المجاهدة الآن على الأرض، فلو كان صاحب المزمور له مثل هذا الرجاء المحدد لكنا ننتظر أنه يعطي وضوحاً أكثر له كحل لارتباكه! ولكن على أي حال فإن رجاءً مثل هذا يرتفع كثيراً فوق مستوى العهد القديم من جهة مستقبل الحياة. ولا يوجد في العهد القديم مثل آخر شبيه لاستخدام كلمة "المجد" بالمعنى السماوي أو المجد الأبدي.

وفي مواضع أخرى نرى كلمة المجد (كابود) تأتي بمجرَّد معنى للكرامة: مزمور (٦٢: ٧)، (٨٤: ١١)، (١١٢: ٩)، (١٤٩: ٥). ولكن على أي حال فإن صاحب المزمور يرى في هذه الكلمة أن هناك عوضاً للبار. انظر: (مز ٧١: ٢٠ و٢١):

+ «أنت الذي أريتنا ضيقات كثيرة ورديئة تعود فتحيينا ومن أعماق الأرض تعود فتصعدنا، تزيد عظمتي وترجع فتعزيني». وأيضاً: (مز ٦٢: ٧):
+ «على الله خلاصي ومجدي صخرة قوتي محتماي في الله». وأيضاً: (مز ٨٤: ١١):
+ «لأن الرب الله شمس ومِجَنٌّ. الرب يعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال». وأيضاً: (مز ١١٢: ٩):
+ «فرَّق أعطى المساكين برّه قائم إلى الأبد. قرنه ينتصب بالمجد». وأيضاً: (مز ١٤٩: ٥):
+ «ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنّموا على مضاجعهم».

ومن رؤية صاحب المزمور أن هذه الحياة الحاضرة هي لمعاملات الله مع البشر وأن التحقيق من صفات الله وحكمه يُنظر إليه فقط من داخل اختبارات الشخص.

ويُلاحظ أن النسخة السبعينية ومعها الفولجاتا لا ترى في هذه الآية تحديد حياة المستقبل وتجعلها «بمشورتك قُدتني وبالمجد قبلتني». فإذا كانت هذه الترجمة صحيحة فالمعنى أعظم وأفخم مما لو كان هو ينظر إلى المجد في مستقبل الحياة، لأنه يرتفع منتصراً فوق العالم في الثقة الداخلية بحقيقة شركته مع الله، والاعتقاد الكلِّي بأن هذا هو أعلى الصلاح وأقصى السعادة الحقة التي يستطيعها الإنسان. فمثلاً هذه المعرفة هي الحياة الأبدية. وإمكانية حدوثها في حد ذاتها تتضمَّن ثقة بأن الشركة التي بدأناها مع الله لا تنقطع فجأة بالموت ولكن يتحتَّم أن تستمر إلى كمال أعظم.

٢٥ - **«مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئاً فِي الأَرْضِ».**

هي حقيقة واحدة لأنه إن كان هو مع الله فلا شيء على الأرض أو في السماء بذي قيمة أو يشتهيه، وكأنه يقول أنت صلاحي وخيري ومصدر سعادتي في كل الدنيا. انظر: (مز ١٦: ٢):

+ «قلت للرب أنت سيدي، خيري لا شيء غيرك!».

٢٦ - **«قَدْ فَنِيَ لَحْمِي وَقَلْبِي. صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللهُ إِلَى الدَّهْرِ».**

الله صخرة قلبي بمعنى قوة قلبي ولو كان لحمي وقوّتي قد فنيت، فالله هو ملجاي الواثق الأمين في كل المخاطر. انظر: (مز ٦٢: ٢ و٦ و٧):

+ «إنما هو صخرتي وخلاصي ملجاي. لا أتزعزع كثيراً».
+ «إنما هو صخرتي وخلاصي ملجاي فلا أتزعزع».
+ «على الله خلاصي ومجدي صخرة قوَّتي محتماي في الله».

الله هو الملكية التي لا تؤخذ منه. انظر: (مز ١٦: ٥):

+ «الرب نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابض قرعتي». وأيضاً: (مز ١٤٢: ٥):
+ «صرخت إليك يا رب. قلت أنت ملجاي نصيبـــي في أرض الأحياء».

والآن وقد وصل إلى صحة عقله فلن ينظر إلى ملجإ آخر. انظر: (إش ٤٤: ٨):

+ «لا ترتعبوا ولا ترتاعوا. أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك. فأنتم شهودي. هل يوجد إله غيري. ولا صخرة. لا أعلم بها؟».

وطبعاً لن يحسد الذين نصيبهم في هذه الدنيا كثير أو قليل. انظر: (مز ١٧: ١٣ و١٤):

+ «نج نفسي ... من الناس بيدك يا رب من أهل الدنيا. نصيبهم في حياتهم. بذخائرك تملأ

بطونهم. يشبعون أولاداً ويتركون فضالتهم لأطفالهم».

(٢٧ و٢٨): آخر مقارنة بين الحياة والموت!

٢٧ - **«لأَنَّهُ هُوَذَا الْبُعَدَاءُ عَنْكَ يَبِيدُونَ. تُهْلِكُ كُلَّ مَنْ يَزْنِي عَنْكَ».**

بمعنى الذين يبتعدون عنك. حيث أن الله هو ينبوع الحياة. انظر: (مز ٣٦: ٩):
+ «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً».

فهو الذي يقود إما إلى الهلاك أو للحياة وصورة الالتصاق بالله شبَّهها العهد القديم بالزيجة كعهد مع الله. فالزواج في العُرف القديم روحيًّا هو الالتصاق بالله من كل القلب والفكر والمشيئة. انظر: (هو ٢: ٢):

+ «حاكموا أُمكم حاكموا لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها!».

لذلك فكل ردَّة عن الله تحسب عدم أمانة لعهد الزيجة مع الله.

٢٨ - **«أَمَّا أَنَا فَالاِقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي. جَعَلْتُ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ مَلْجَإِي، لأُخْبِرَ بِكُلِّ صَنَائِعِكَ».**

يقارن نفسه بالبعداء عن الله. وقد ثاب إلى رشده. ويعتقد العالم كيرك باترك أن الأصل في العبراني كان كما هو مترجم في السبعينية: «لكي أخبر بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون». ولكنها تجيء الآن: "أخبر بكل صنائعك".

المزمور الرابع والسبعون

قَصِيدَةٌ لآسَافَ

١- «لِمَاذَا رَفَضْتَنَا يَا اَللهُ إِلَى الأَبَدِ؟ لِمَاذَا يُدَخِّنُ غَضَبُكَ عَلَى غَنَمِ مَرْعَاكَ؟
٢- اذْكُرْ جَمَاعَتَكَ الَّتِي اقْتَنَيْتَهَا مُنْذُ الْقِدَمِ، وَفَدَيْتَهَا سِبْطَ مِيرَاثِكَ، جَبَلَ صِهْيَوْنَ هذَا الَّذِي سَكَنْتَ فِيهِ.
٣- ارْفَعْ خَطَوَاتِكَ إِلَى الْخِرَبِ الأَبَدِيَّةِ. الْكُلَّ قَدْ حَطَّمَ الْعَدُوُّ فِي الْمَقْدِسِ.
٤- قَدْ زَمْجَرَ مُقَاوِمُوكَ فِي وَسْطِ مَعْهَدِكَ، جَعَلُوا آيَاتِهِمْ آيَاتٍ.
٥- يَبَانُ كَأَنَّهُ رَافِعُ فُؤُوسٍ عَلَى الأَشْجَارِ الْمُشْتَبِكَةِ.
٦- وَالآنَ مَنْقُوشَاتِهِ مَعاً بِالْفُؤُوسِ وَالْمَعَاوِلِ يَكْسِرُونَ.
٧- أَطْلَقُوا النَّارَ فِي مَقْدِسِكَ دَنَّسُوا لِلأَرْضِ مَسْكَنَ اسْمِكَ.
٨- قَالُوا فِي قُلُوبِهِمْ: «لِنُفْنِيَنَّهُمْ مَعاً!». أَحْرَقُوا كُلَّ مَعَاهِدِ اللهِ فِي الأَرْضِ.
٩- آيَاتِنَا لاَ نَرَى، لاَ نَبِيَّ بَعْدُ، وَلاَ بَيْنَنَا مَنْ يَعْرِفُ حَتَّى مَتَى.
١٠- حَتَّى مَتَى يَا اَللهُ يُعَيِّرُ الْمُقَاوِمُ؟ وَيُهِينُ الْعَدُوُّ اسْمَكَ إِلَى الْغَايَةِ؟
١١- لِمَاذَا تَرُدُّ يَدَكَ وَيَمِينَكَ؟ أَخْرِجْهَا مِنْ وَسْطِ حِضْنِكَ. أَفْنِ.
١٢- وَاللهُ مَلِكِي مُنْذُ الْقِدَمِ، فَاعِلُ الْخَلاَصِ فِي وَسْطِ الأَرْضِ.
١٣- أَنْتَ شَقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُوَّتِكَ. كَسَرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينِ عَلَى الْمِيَاهِ.
١٤- أَنْتَ رَضَضْتَ رُؤُوسَ لَوِيَاثَانَ. جَعَلْتَهُ طَعَاماً لِلشَّعْبِ، لأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ.
١٥- أَنْتَ فَجَّرْتَ عَيْناً وَسَيْلاً. أَنْتَ يَبَّسْتَ أَنْهَاراً دَائِمَةَ الْجَرَيَانِ.
١٦- لَكَ النَّهَارُ، وَلَكَ أَيْضاً اللَّيْلُ. أَنْتَ هَيَّأْتَ النُّورَ وَالشَّمْسَ.
١٧- أَنْتَ نَصَبْتَ كُلَّ تُخُومِ الأَرْضِ. الصَّيْفَ وَالشِّتَاءَ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا.
١٨- اذْكُرْ هذَا: أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ عَيَّرَ الرَّبَّ، وَشَعْباً جَاهِلاً قَدْ أَهَانَ اسْمَكَ.
١٩- لاَ تُسَلِّمْ لِلْوَحْشِ نَفْسَ يَمَامَتِكَ. قَطِيعَ بَائِسِيكَ لاَ تَنْسَ إِلَى الأَبَدِ.
٢٠- انْظُرْ إِلَى الْعَهْدِ، لأَنَّ مُظْلِمَاتِ الأَرْضِ امْتَلأَتْ مِنْ مَسَاكِنِ الظُّلْمِ.
٢١- لاَ يَرْجِعَنَّ الْمُنْسَحِقُ خَازِياً. الْفَقِيرُ وَالْبَائِسُ لِيُسَبِّحَا اسْمَكَ.
٢٢- قُمْ يَا اَللهُ. أَقِمْ دَعْوَاكَ. اذْكُرْ تَعْيِيرَ الْجَاهِلِ إِيَّاكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ.
٢٣- لاَ تَنْسَ صَوْتَ أَضْدَادِكَ، ضَجِيجُ مُقَاوِمِيكَ الصَّاعِدُ دَائِماً».

دراسة:

هذا المزمور ذو صلة كبيرة بمزمور (٧٩) في الفكر واللغة، وإليك المقارنة المتقاربة.

مزمور (٧٤)	مزمور (٧٩)	وجه التشابه
(١ و٩ و١٠)	(٥)	إلى متى = إلى الأبد؟
(٣ و٧)	(١)	تدنيس الهيكل
(١)	(٥)	غضب الله
(١)	(١٣)	غنم مرعاك
(٢)	(١)	ميراثك
(١٠ و١٨ و٢٢ و٢٣)	(٤ و١٢)	تعييرات الأعداء
(٧ و١٠ و١٨ و٢١)	(٦ و٩)	اسم الله

وكلاهما يعطي نفس الوضع التاريخي، فإذا لم يكونا من نفس القلم فهما على الأقل ينتسبان لنفس الزمن **ويلزم أن يُنظرا معاً:**

فالظروف التي كُتب فيها كل منهما تقف معاً بوضوح، فالأراضي المقدَّسة قد اقتُحمت بالوثنيين كأعداء، والهيكل تنجَّس وأُحرق إلى الأرض، وأورشليم خراب. وعدد كبير من الإسرائيليين ذُبحوا وجثثهم بقيت بغير دفن، وإسرائيل موضع تعيير من الشعوب حواليها، وكل مظاهر العبادة الخارجية توقَّفت ويهوه يبدو عليه أنه طَرَحَ عنه شعبه، ومستقبله ونصيبه قد صار بلا شفاء ولا أحد يستطيع أن يتنبَّأ بنهاية السحق.

وقد ظنَّ الباحثون أن هناك زمنين فقط ينطبق عليهما هذا الوصف:

١ - تحطيم وخراب أورشليم بواسطة الكلدانيين سنة ٥٨٦ ق.م.

٢ - اضطهاد اليهود بواسطة أنطيوخس إبيفانس سنة ١٧٠-١٦٥ ق.م.

وتقريباً كل الشرَّاح الذين قبلوا بوجود مزامير من أيام المكابيين داخل سفر المزامير، كلهم وافقوا على نسبة هذين المزمورين للحل الثاني. وعلينا أن نبحث هذا الحل سويًّا في البداية:

أنطيوخس الرابع المسمَّى إبيفانس صار ملكاً على سوريا في سنة ١٧٥ ق.م. وبعد رحلته إلى مصر سنة ١٧٠ ق.م غزا أورشليم واقتحم الهيكل وأخلاه من كنوزه وذبح آلافاً من الشعب. [كل

بيت يعقوب غطاه الخزي (١مك ١: ٢٠ - ٢٨)]. وبعدها بسنتين بعد هجومه الرابع على مصر أرسل أنطيوخس قوة تحت إمرة الجنرال أبولونيوس ليحتل أورشليم فقبض على المدينة بالخيانة واكتسحها وحرقها، وذبح آلاف اليهود وباع النساء والأولاد كعبيد، وحصَّن مدينة داود ووضع فيها كتيبة من السوريين (١مك ١: ٢٩ إلخ). وأخيراً فكَّر أنطيوخس أن يفني الديانة اليهودية، فأصدر منشوراً يمنع ممارسة اليهود للديانة تحت تهديد الموت وأعطى الأوامر أن يشترك اليهود في العبادة الوثنية. فالهيكل نجَّسوه ووُضع الصنم على المذبح وقُدِّمت له الذبائح، لزيوس الأوليمبي، وأي نسخ وُجدت من التوراة كانت تُمزَّق وتُحرق أو تُمسح ومالكوها يُقدَّمون للحكم. فكثير من اليهود ارتدوا وكثيرون فضَّلوا الموت عن أن يتنكَّروا لدينهم. وقامت المقاومة بواسطة متثيا وتكلَّلت بالنجاح تحت قيادة بطولية على يد ابنه يهوذا واستعاد اليهود حريتهم سنة ١٦٥ ق.م. وطُهِّر الهيكل ودخل في حرية العبادة سنة ١٦٥ ق.م وأُعيد تدشينه بأفراح غامرة (١مك ٤: ٣٦ إلخ).

ومن نواحي كثيرة فهذان المزموران يقدِّمان شهادات ليعطيا معاً صورة لهذه الأحداث في هذا الزمن. وفي التوازي يعطي سفرا المكابيين الأول والثاني أيضاً نفس الشواهد، وخاصة الشكوى التي وُضعت في فم متثيا (١مك ٢ك ٦ إلخ) ويهوذا (٢مك ٨: ٢ إلخ) ويتشابهان في كثير من النقاط.

ومن الحجج المقدَّمة من بعض الشراح على أن المزمورين من زمن المكابيين:

١ - أن غياب الأنبياء المذكور في (٧٤: ٩) كان علامة بارزة لأيام المكابيين (١مك ٤: ٤٦، ٩: ٢٧، ١٤: ٤١)، بينما كل من إرميا وحزقيال عاصرا تخريب أورشليم إلى مدى سنين كثيرة وأن إرميا تنبأ باستمرار الأسر.

٢ - وجود السيناجوج (أي المجمع) (٧٤: ٨) يشير إلى زمن متأخر من تاريخ اليهود.

٣ - لغة المزمورين تدل على أن إسرائيل كانت تشكو من اضطهاد ديني (٧٤: ١٠ و١٨ و٢٢).

٤ - إن وضع علامات الوثنيين في الهيكل وغياب كل الدلائل الإسرائيلية (٧٤: ٤ و٩) هذا يشير إلى دخول إشارات الأصنام ومحاولة تحطيم كل آثار اليهودية.

على هذه الأرضية جُعل للمزمورين يقع زمنياً بين ١٧٠ - ١٦٥ ق.م، أو بصورة أكثر تحديداً بين تدنيس الهيكل ١٦٨ ق.م. وإعادة تدشينه ١٦٥ ق.م.

الاعتراض:

من أول وهلة تظهر الحجج مقنعة، ولكنه قد أُشير في مقدِّمة شرح مزمور (٤٤) أن تاريخ نمو

سفر المزامير يجعل دخول مزامير من زمن المكابيين في مجموعة المزامير الإلوهية أمراً مستحيلاً، وفي ضوء عدم الاحتمال هذا يلزم أن نفحص من جديد الحجج التي ترجح أنه من المكابيين:

١ - ولو أن إرميا وحزقيال عاشا سنيناً كثيرة بعد تخريب أورشليم، نجد الشكوى في (مز ٧٤: ٩) معقولة. ومع أن كلمة «إلى متى» تبدو غريبة بعد تنبؤات إرميا عن مدة استمرار السبي، إلا أنه يمكن أن يوجد هذا السؤال حتى وبعد العودة الأُولى (زك ١: ١٢).

٢ - سوف يظهر من التعليقات على (مز ٧٤: ٨) أن السبعينية - وهي الترجمة الأقدم التي تشرح هذا النص - لا تجد فيه أية إشارة لوجود السيناجوج (أي المجمع) ولكن تترجمه عن الأعياد الرسمية وإيقافها وقد ناحت مراثي إرميا على ذلك كإحدى مصائب السبي.

٣ - كل حرب قامت ضد إسرائيل كانت حرباً دينية إلى حدٍّ ما، واللغة المستعملة في المزمور ليست أكثر مما يستخدم للتعبير عن إضعاف وإذلال شعب إسرائيل في أية مناسبة أعطت للوثنيين فرصة ليحتقروا إله إسرائيل.

٤ - إشارات العدو قد تعني الإشارات الحربية التي للكلدان وغياب آيات إسرائيل هو بسبب إيقاف الأعياد اليهودية وكل مظاهر العبادة الأخرى.

لذلك، فإن الحجج التي أُعطيت لأن يكون المزموران (٧٤، ٧٩) من أيام المكابيين تسقط بالتحليل؛ بل وأكثر من ذلك هناك إشارات تتناسب مع التاريخ المبكّر أكثر من التاريخ المتأخر. وأما الملامح التي توضح أنها للمكابيين فنجدها غائبة كليًّا.

إذن

١ - وصف حريق وتخريب الهيكل وضياع كل معالم أورشليم إنما يرجع لتخريب المدينة بواسطة الكلدان (٢مل ٢٥: ٩ و١٠). بينما أثناء الاضطرابات السورية (أنطيوخس) أبواب الهيكل فقط هي التي أُحرقت وبعض المباني خُرِّبت (١مك ٤: ٣٨) ولو أن المدينة قد عانت ولكن لا يبدو أنها خُرِّبت!

٢ - إن استمرار هجران المدينة وإذلال إسرائيل إنما يشير إلى الحوادث الأسبق (سبي بابل)، لأن المدة بين هجوم أنطيوخس إلى إعادة تدشين الهيكل كانت ثلاث سنوات فقط، حتى ولو قيست المدة من أول غزو أنطيوخس فهي لا تزيد على خمس سنوات وهي مدة قصيرة لا

يصح أن يُقال لها «إلى متى» لتوفّي حق ما جاء في مزمور (٧٤).

٣ - استهزاء الشعوب المحيطة يُعتبر دليلاً للزمن الذي يتناسب مع تخريب أورشليم (مز ١٣٧، حز ٢٥).

وقد جُعل هذا المزمور ذا صلة كبيرة مع مزامير ٤٤ و٦٠ و٨٠ و٨٥ التي تخص المصائب التي أصابت الجماعة الراجعة في الجزء الأول من القرن الخامس قبل الميلاد التي ذكرها نحميا (١: ٣)، ولكن نحميا اهتم بالمدينة فقط و لم يذكر الهيكل.

أما بالنسبة لأقسام مزمور (٧٤) فإنه ينقسم إلى ثلاث وقفات:

١ - المزمور يحاجج الله لتركه شعبه ويتوسَّل إليه أن يعود لمعونته معززاً رجاءه بما أحدث العدو في الهيكل ويأس إسرائيل (١-٩).

٢ - يجدِّد حججه بطلب من الله أن يتذكر أن كرامته تُهان، ويُعدِّد مجد الله وإسرائيل وأعمال الله في الطبيعة (١٠ - ١٧).

٣ - يكرِّر حججه ويتوسَّل إلى الله أن لا يترك شعبه تحت رحمة أعدائه وأن الإساءات التي قيلت في الله لم تعد تُحتمل (١٨ - ٢٣).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]:

توسُّل لدى الله الذي يبدو أنه ترك شعبه ونسيه والمدينة التي اختارها.

١ - «لِمَاذَا رَفَضْتَنَا يَا اَللهُ إِلَى الأَبَدِ؟ لِمَاذَا يُدَخِّنُ غَضَبُكَ عَلَى غَنَمِ مَرْعَاكَ؟».

تَرْكُ الله لشعبه لمَّا زادت مدته ظهر كأنه هجران دائم، وهذا الفكر يعود ويتكرَّر في (٣ و١٠ و١٩) من نفس المزمور. انظر أيضاً: (مز ٧٩: ٥):

+ «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب، وتتقد كالنار غيرتك؟».

وهي من زمن = (مراثي ٥: ٢٠ - ٢٢):

+ «لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طول الأيام؟ أُرددنا يا رب إليك فنرتد. جدِّد أيامنا كالقديم. هل كل الرفض رفضتنا؟ هل غضبت علينا جدًّا؟». وأيضاً: (مرا ٣: ٣١ و٣٢):
+ «لأن السيد لا يرفض إلى الأبد. فإنه لو أحزن يرحم حسب كثرة مراحمه».

«**يدخن غضبك**»: تعبير عن اشتعال الغضب وكأنه نار ذات دخان. انظر: (مز ١٨: ٨):
+ «صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت. جمرٌ اشتعلت منه». وأيضاً: (مز ٨٠: ٤):
+ «يا رب إله الجنود إلى متى تدخِّن على صلاة شعبك».

«**غنم مرعاك**»: الجملة الأصلية تتردَّد في (مز ٧٩: ١٣):
+ «أما نحن شعبك وغنم رعايتك نحمدك إلى الدهر ...». وأيضاً: (إر ٢٣: ١):
+ «ويل للرعاة الذين يهلكون ويبدّدون غنم رعيتي يقول الرب». وأيضاً: (حز ٣٤: ٣١):
+ «وأنتم يا غنمي غنم مرعاي أناس أنتم. أنا إلهكم يقول السيد الرب».

وهذا اللقب يجعل إسرائيل لها الحق أن تطالب بمحبة الله وعنايته بحق هذه العلاقة، وهي علاقة استحدثها الله بنفسه، فالله معروف أنه راعي إسرائيل. انظر: (مز ٨٠: ١):
+ «يا راعي إسرائيل اصغَ يا قائد يوسف كالضأن يا جالساً على الكروبيم أشرق». وأيضاً: (مز ٧٧: ٢٠):
+ «هديت شعبك كالغنم بيد موسى وهرون». وأيضاً: (مز ٧٨: ٥٢):
+ «وساق مثل الغنم شعبه وقادهم مثل قطيع في البرية». وأيضاً: (إش ٤٠: ١١):
+ «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات». وأيضاً: (إر ٣١: ١٠):
+ «... مبدِّد إسرائيل يجمعه ويحرسه كراعٍ قطيعه». وأيضاً: (حز ٣٤: ١١ و١٢):
+ «هكذا قال السيد الرب. هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها. كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتَّتة هكذا أفتقد غنمي وأخلِّصها من جميع الأماكن التي تشتَّتت إليها في يوم الغيم والضباب».

٢ - «**اذْكُرْ جَمَاعَتَكَ الَّتِي اقْتَنَيْتَهَا مُنْذُ الْقِدَمِ، وَفَدَيْتَهَا سِبْطَ مِيرَاثِكَ، جَبَلَ صِهْيَوْنَ هذَا الَّذِي سَكَنْتَ فِيهِ**».

تكرَّر كلمة "اذكر" في الأعداد ١٨ و٢٢. انظر: (مرا ٥: ١):

+ «اذكر يا رب ماذا صار لنا؟ أشرق وانظر إلى عارنا». وأيضاً: (إش ٦٢: ٦ و٧):
+ «على أسوارك يا أورشليم أقمت حرَّاساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. يا ذاكري الرب لا تسكتوا. ولا تدعوه يسكت حتى يثبِّت ويجعل أورشليم تسبيحة في الأرض».

«**اقتنيتها ... وفديتها**»: اشتريتها، تذكرة من أنشودة موسى. انظر: (خر ١٥: ١٣ و١٦):
+ «ترشد برأفتك الشعب الذي **فديته**. تهديه بقوَّتك إلى مسكن قدسك».
+ «حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي **اقتنيته**».

«**سبط ميراثك**»: أي قبيلة. انظر: (عا ٣: ١):
+ «اسمعوا هذا القول الذي تكلَّم به الرب عليكم يا بني إسرائيل على كل القبيلة التي أصعدها من أرض مصر ...».

٣ - «**ارْفَعْ خَطَوَاتِكَ إِلَى الْخِرَبِ الأَبَدِيَّةِ. الْكُلَّ قَدْ حَطَّمَ الْعَدُوُّ فِي الْمَقْدِسِ**».

تقدَّم في قوَّتك وجلالك لتفتقد وتنجِّي.

«**الخرب الأبدية**»: الخراب الدائم والمستمر، وُجدت في (إر ٢٥: ٨ و٩):
+ «من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامي. هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال يقول الرب وإلى نبوخذراصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى كل هذه الشعوب حواليها فأحرمهم وأجعلهم دهشاً وصفيراً وخرباً أبدية». وأيضاً: (إش ٥٨: ١٢):
+ «ومنك تُبنى الخرب القديمة ...». وأيضاً: (إش ٦١: ٤):
+ «ويبنون الخرب القديمة يقيمون الموحشات الأول ويجدِّدون المدن الخربة موحشات دور فدور».

[٤ - ٩]:

صورة قلمية لتدنيس الهيكل بواسطة الأعداء الوثنيين.

٤ - «**قَدْ زَمْجَرَ مُقَاوِمُوكَ فِي وَسَطِ مَعْهَدِكَ، جَعَلُوا آيَاتِهِمْ آيَاتٍ**».

كلمة "معهدك" بالعبرية moêd وتعني "خيمة الاجتماع" وهنا يقصد الهيكل، حيث امتلأت رواقاته بالوثنيين عوض عبادة التقوى، يصرخون بكلمات النصر عوض تسبيحات إسرائيل. انظر:

(مرا ٢: ٦ - ١١):

+ «ونزع كما من جنّة مظلّته. أهلك مجتمعه. أنسى الرب في صهيون الموسم والسبت ورذل بسخط غضبه الملك والكاهن. كره السيد مذبحه. رذل مقدسه. حصر في يد العدو أسوار قصورها. أطلقوا الصوت في بيت الرب كما في يوم الموسم. قصد الرب أن يهلك سور بنت صهيون. مدَّ المطمار. لم يردد يده عن الإهلاك وجعل المترسة والسور ينوحان. قد حزنا معاً. تاخت في الأرض أبوابها، أهلك وحطَّم عوارضها، ملكها ورؤساؤها بين الأمم. لا شريعة. أنبياؤها أيضاً لا يجدون رؤيا من قبل الرب. شيوخ بنت صهيون يجلسون على الأرض ساكتين، يرفعون التراب على رؤوسهم، يتنطّقون بالمسوح تحني عذارى أورشليم رؤوسهن إلى الأرض. كلّت من الدموع عيناي. غلت أحشائي. انسكبت على الأرض كبدي على سحق بنت شعبي لأجل غشيان الأطفال والرضع في ساحات القرية».

«**جعلوا آياتهم آيات**»: الشارات الحربية أقاموها على الهيكل فكانت علامة الرجسة وكمال نصرة العدو.

(**٥ و٦**): كل هذه التخريبات كانت تُجرى أمام عين صاحب المزمور.

٥ - «**يَبَانُ كَأَنَّهُ رَافِعُ فُؤُوسٍ عَلَى الأَشْجَارِ الْمُشْتَبِكَةِ**».

٦ - «**وَالآنَ مَنْقُوشَاتِهِ مَعاً بِالْفُؤُوسِ وَالْمَعَاوِلِ يَكْسِرُونَ**».

يصفهم بقطّاع الأشجار والأخشاب في الغابات. انظر: (إر ٤٦: ٢٢ و٢٣):

+ «صوتها يمشي كحية لأنهم يسيرون بجيش وقد جاءوا إليها بالفؤوس (البلط) كمحتطبي حطب. يقطعون وعرها (شجر الأثل) يقول الرب وإن يكن لا يُحصى لأنهم قد كثروا أكثر من الجراد ...».

والمعنى يكون أن الصور التي على الهيكل من نخيل وزهور منقوشة نزلوا عليها بالمعاول كما على أشجار حقيقية. انظر: (١مل ٦: ٢٩):

+ «وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشاً بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج».

٧ - «**أَطْلَقُوا النَّارَ فِي مَقْدِسِكَ دَنَّسُوا لِلأَرْضِ مَسْكَنَ اسْمِكَ**».

الكلام يوضّح تحطيماً كاملاً للهيكل بواسطة إشعال النار. هذا تم بواسطة نبوخذنصر. انظر: (٢مل ٢٥: ٨ - ١٠):

+ «وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذنصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم. وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار. وجميع أسوار أورشليم مستديراً هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط».

في حين أن مبعوثي أنطيوخس جعلوا جميع المباني قائمة ولم يحرق وقتها إلا أبواب الهيكل فقط (١مك ٤: ٣٨).

ولاحظ هنا ما جاء في حزقيال من الضغط على كلمة التدنيس للهيكل. (حز ٧: ٢٠-٢٢ و٢٤):

+ «لأجل ذلك جعلتها لهم نجاسة. أُسلمها إلى أيدي الغرباء للنهب وإلى أشرار الأرض سلباً فينجسونها. وأحوِّل وجهي عنهم فينجّسون سرِّي ويدخله المعتنفون وينجسونه ... فآتي بأشرّ الأمم فيرثون بيوتهم وأبيد كبرياء الأشداء فتتنجّس مقادسهم». وأيضاً: (مرا ٢: ٢):

+ «ابتلع السيد ولم يشفق كل مساكن يعقوب. نقض بسخطه حصون بنت يهوذا. أوصلها إلى الأرض نجّس المملكة ورؤساءها».

«**مسكن اسمك**»: انظر: (تث ١٢: ١١):

+ «فالمكان الذي يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم به من محرقاتكم». وأيضاً: (تث ١٦: ٢ و٦ و١١):

+ «فتذبح الفصح للرب إلهك غنماً وبقراً في المكان الذي يختاره الرب ليحل اسمه فيه ... بل في المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه. هناك تذبح الفصح مساءً نحو غروب الشمس ... وتفرح أمام الرب إلهك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي الذي في أبوابك والغريب واليتيم والأرملة الذين في وسطك في المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه». وأيضاً: (إر ٧: ١٢):

+ «لكن اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولاً وانظروا ما صنعت به».

٨ - «قَالُوا فِي قُلُوبِهِمْ: "لِنُفْنِيَنَّهُمْ مَعاً!". أَحْرَقُوا كُلَّ مَعَاهِدِ اللهِ فِي الأَرْضِ».

«**لنفنينهم**»: انظر: (مز ٨٣: ٤):

+ «قالوا هلم نبدهم من بين الشعوب ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد».

«**معاهد**»: مكان اجتماعات الشعب (كخيمة الاجتماع).

شرح هذه الكلمة هام لأن منه نتعرَّف على تاريخ المزمور. لأن "المعاهد" لو كانت تفيد السيناجوج يكون المزمور من زمن متأخر لأن المجامع لم تُعرف إلاَّ بعد السبي لأنها تكوَّنت أصلاً في السبي، ولكن المعنى بالجمع يفيد مواعيد الاجتماعات، ولو كانت تفيد السيناجوج كان ولابد أن يتعرَّف عليها السبعون الذين ترجموا الترجمة السبعينية، ولكن السبعينية لم تتعرَّف عليها ولكن ترجمتها "أعياد الرب" وهكذا النسخة السريانية: إما الأعياد أو أماكن تجمعات الشعب. بالإضافة إلى أن في سفر المراثي نقرأ عن توقُّف الأعياد. انظر: (مرا ١: ٤ و٥):

+ «طرق صهيون نائحة لعدم الآتين إلى العيد. كل أبوابها خربة. كهنتها يتنهَّدون. عذاراها مذلَّلة ... ذهب أولادها إلى السبي قدَّام العدو». وأيضاً: (مرا ٢: ٦):

+ «أنسى الرب في صهيون الموسم والسبت ورذل بسخط غضبه الملك والكاهن». وأيضاً: (هو ٢: ١١):

+ «وأُبطل كل أفراحها أعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها».

وفي النسخة السبعينية ورد بدلاً من هذه الكلمة "المعاهد" بالعبرية ما يقابلها للتنبُّؤ بتوقُّف الأعياد الدينية في السبي، وهذه القراءة متوافقة مع سياق الكلام. وتوقف الأعياد يُحسب من ضمن انتهاء "الآيات" التي تكلَّم عنها في العدد (٩) والتي كانت رموزاً لحضور الرب.

٩ - «آيَاتِنَا لاَ نَرَى، لاَ نَبِيَّ بَعْدُ، وَلاَ بَيْنَنَا مَنْ يَعْرِفُ حَتَّى مَتَى».

«**آياتنا**»: علامات وإشارات الحياة الدينية مثل السبت والأعياد التي أمر الرب بعدم نسيانها. والسبت ذُكر في التوراة أنه علامة أو آية. انظر: (خر ٣١: ١٣ و١٧):

+ «وأنت تكلَّم بني إسرائيل قائلاً سبوتي تحفظونها. لأنه علامة (في العبري: "آية") بيني وبينكم في أجيالكم».

+ «وهو بيني وبين بني إسرائيل علامة (آية) إلى الأبد». وأيضاً: (حز ٢٠: ١٢ و٢٠):

+ «وأعطيتهم أيضاً سبوتي لتكون علامة (آية) بيني وبينهم ليعلموا أني أنا الرب مقدِّسهم».

+ «وقدِّسوا سبوتي فتكون علامة (آية) بيني وبينكم لتعلموا أني أنا الرب إلهكم».

وعدم وجود نبي كان يشكو منها الشعب بعد الرجوع من السبي وفي أيام المكابيين أيضاً.

[١٠ و١١]:

مرَّة أخرى يحاجج صاحب المزمور الله بسبب عدم تدخله فعلاً.

١٠ - «حَتَّى مَتَى يَا اَللهُ يُعَيِّرُ الْمُقَاوِمُ؟ وَيُهِينُ الْعَدُوُّ اسْمَكَ إِلَى الْغَايَةِ؟».

يستعير آخر كلمة من العدد السابق «حتى متى» ويبدأ بها القسم الثاني من المزمور بتوسُّل مشابه للذي قاله في الأعداد (١-٣) متوسلاً لله أن يشفق على حالة شعبه ويعمل حساب كرامة اسمه.

«**يهين العدو اسمه**»: يجدِّف عملاً وقولاً مثل الأشوريين. انظر: (إش ١٠: ١١):

+ «أفليس كما صنعت بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها!». وأيضاً: (إش ٣٧: ٢٣):

+ «مَنْ عيَّرتَ وجدَّفتَ؟ وعلى مَنْ علَّيتَ صوتاً وقد رفعتَ إلى العلاءِ عينيك؟ على قدوس إسرائيل؟».

١١ - «لِمَاذَا تَرُدُّ يَدَكَ وَيَمِينَكَ؟ أَخْرِجْهَا مِنْ وَسَطِ حِضْنِكَ. أَفْنِ».

هذه اليد اليمنى هي التي أفنت وألعت قوَّة المصريين، والآن ثناها الله وطواها. انظر: (مرا ٢: ٣):

+ «ردّ إلى الوراء يمينه أمام العدو واشتعل في يعقوب مثل نار ملتهبة تأكل ما حواليها».

[١٢-١٧]:

إلاَّ أن أعمال الفداء والخليقة التي أكملها الله فيما سبق تشهد بامتداد قوة يمينه لإنقاذ شعبه. وهذا يناقض الواقع المنظور. انظر: (مز ٧٧: ١٠):

+ «فقلت: هذا ما يُعلِّني: تغيُّر يمين العليّ».

١٢ - «وَاللهُ مَلِكِي مُنْذُ الْقِدَمِ، فَاعِلُ الْخَلاَصِ فِي وَسَطِ الأَرْضِ».

ومع كل ذلك فإن الله هو ملكي ملك إسرائيل! فصاحب المزمور يتكلَّم باسم إسرائيل. انظر: (خر ١٥: ١٨):

+ «الرب يملك إلى الدهر والأبد». وأيضاً: (مز ٤٤: ٤):

+ «أنت هو ملكي يا الله. فأْمُرْ بخلاص يعقوب». وأيضاً: (حب ١: ١٢):

+ «ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي. لا نموت. يا رب للحُكم جعلتها ويا صخر للتأديب أسستها».

«**في وسط الأرض**»: القصد أمام كل الشعوب، ويشهد الكل لسلطانه. انظر: (مز ٧٧: ١٤):
+ «أنت الإله الصانع العجائب. عرَّفت بين الشعوب قوَّتك».

١٣ - «**أَنْتَ شَقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُوَّتِكَ. كَسَرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينِ عَلَى الْمِيَاهِ**».

يلاحظ أن كل مزامير آساف تلجأ لعملية الخروج وتصفها في كل مراحلها.

«**رؤوس التنانين**»: حيوانات خرافية مفزعة كانت ترعب الشعوب قديماً، وقد تكون رموزاً لمصر. انظر: (إش ٢٧: ١):
+ «في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة. لوياثان الحيَّة المتحوية ويقتل التنين الذي في البحر».

وكلمة في البحر تشير إلى موت فرعون وجنوده.

١٤ - «**أَنْتَ رَضَضْتَ رُؤُوسَ لِوِيَاثَانَ. جَعَلْتَهُ طَعَاماً لِلشَّعْبِ، لأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ**».

كل هذا تعبير خفي عن موت فرعون وجنوده في البحر الأحمر وسقوط جثثهم مأكلاً للوحوش. انظر: (حز ٢٩: ٢ - ٥):
+ «يا ابن آدم اجعل وجهك نحو فرعون ملك مصر وتنبَّأ عليه وعلى مصر كلها. تكلَّم وقل. هكذا قال السيد الرب. هأنذا عليك يا فرعون ملك مصر التمساح الكبير الرابض في وسط أنهاره الذي قال نهري لي وأنا عملته لنفسي. فأجعل خزائم في فكيك وألزق سمك أنهارك بحرشفك وأطلعك من وسط أنهارك وكل سمك أنهارك ملزق بحرشفك. وأتركك في البرية أنت وجميع سمك أنهارك. على وجه الحقل تسقط فلا تُجمع ولا تُلم. بَذَلْتُكَ طعاماً لوحوش البر ولطيور السماء».

١٥ - «**أَنْتَ فَجَّرْتَ عَيْناً وَسَيْلاً. أَنْتَ يَبَّسْتَ أَنْهَاراً دَائِمَةَ الْجَرَيَانِ**».

واضح أن إخراج الماء من الصخرة كان بقوة الله الفائقة حتى أن الماء قد خرج منها كالسيل. وهكذا جفف جزءاً من نهر الأردن الذي عبره كل الشعب. وهنا المقابلة بديعة إذ فجَّر الصخر إلى

ماء ويبَّس الماء إلى صخر لصالح شعبه.

١٦ - «**لَكَ النَّهَارُ، وَلَكَ أَيْضاً اللَّيْلُ. أَنْتَ هَيَّأْتَ النُّورَ وَالشَّمْسَ**».

انظر: (مز ١٠٤: ١٩ و٢٠):
+ «صنع القمر للمواقيت الشمس تعرف مغربها. تجعل ظلمة فيصير ليل ...».

١٧ - «**أَنْتَ نَصَبْتَ كُلَّ تُخُومِ الأَرْضِ. الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا**».

انظر: (تث ٣٢: ٨):
+ «حين قسَّم العلي للأمم حين فرَّق بني آدم نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل».
وأيضاً: (أع ١٧: ٢٦):
+ «وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعيَّنة وبحدود مسكنهم».

[١٨ - ٢٣]:
بعد أن تأمل في قوة الله يعود إلى التوسُّل إليه من أجل الشعب.

١٨ - «**اُذْكُرْ هذَا: أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ عَيَّرَ الرَّبَّ، وَشَعْباً جَاهِلاً قَدْ أَهَانَ اسْمَكَ**».

انظر: (تث ٣٢: ٢١):
+ «هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أُغيرُهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم».

١٩ - «**لاَ تُسَلِّمْ لِلْوَحْشِ نَفْسَ يَمَامَتِكَ. قَطِيعَ بَائِسِيكَ لاَ تَنْسَ إِلَى الأَبَدِ**».

اليمامة إشارة إلى الشعب الذي بلا دفاع.

٢٠ - «**انْظُرْ إِلَى الْعَهْدِ، لأَنَّ مُظْلِمَاتِ الأَرْضِ امْتَلأَتْ مِنْ مَسَاكِنِ الظُّلْمِ**».

العهد الذي صنعه مع الآباء الأول، ومع الأمة في الخروج، ومع داود أيضاً. انظر: (مز ٨٩: ٣):
+ «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفتُ لداود عبدي». وفي الخروج. انظر: (خر ٢٤: ٨):

+ «وأخذ موسى الدم ورشّ على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال». وأيضاً: (تك ٩: ٨):

+ «وكلّم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً: وها أنا أقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم». وأيضاً: (تك ١٧: ٢ - ٤):

+ «فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثّرك كثيراً جدًّا. فسقط أبرام على وجهه. وتكلّم الله معه قائلاً: أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم».

«**مظلمات الأرض**»: أرض الظلام وظلال الموت، أرض الشعوب الوثنية التي لم يُشرق عليها نور الله حيث قسوة الإنسان على الإنسان حيث الظلم والعنف والقسوة. انظر: (مز ٧٣: ٦):

+ «لذلك تقلّدوا الكبرياء. لبسوا كثوب ظلمهم».

٢١ - **«لاَ يَرْجِعَنَّ الْمُنْسَحِقُ خَازِياً. الْفَقِيرُ وَالْبَائِسُ لِيُسَبِّحَا اسْمَكَ».**

انظر: (مز ٩: ٩):

+ «ويكون الرب ملجأً للمنسحق. ملجأً في أزمنة الضيق». وأيضاً: (مز ١٠: ١٨):

+ «لحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسان من الأرض».

٢٢ - **«قُمْ يَا اَللهُ. أَقِمْ دَعْوَاكَ. اذْكُرْ تَعْيِيرَ الْجَاهِلِ إِيَّاكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ».**

إن قضية الشعب والفقير والبائس هي قضية الله. فصاحب المزمور يدعو الله أن يقيم دعواه حساب شعبه المظلوم.

٢٣ - **«لاَ تَنْسَ صَوْتَ أَضْدَادِكَ، ضَجِيجَ مُقَاوِمِيكَ الصَّاعِدَ دَائِماً».**

أصوات المقاومين لله يَتَحَدُّون الله. انظر: (إش ٣٧: ٢٩):

+ «لأن هيجانك عليَّ وعجرفتك قد صعدا إلى أذنيَّ أضع خزامتي في أنفك وشكيمتي في شفتيك وأردك في الطريق الذي جئت فيه».

المزمور الخامس والسبعون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى "لاَ تُهْلِكْ". مَزْمُورٌ لآسَافَ. تَسْبِيحَةٌ

١ - «نَحْمَدُكَ، يَا اَللهُ نَحْمَدُكَ، وَاسْمُكَ قَرِيبٌ. يُحَدِّثُونَ بِعَجَائِبِكَ.
٢ - "لأَنِّي أُعَيِّنُ مِيعَاداً. أَنَا بِالْمُسْتَقِيمَاتِ أَقْضِي.
٣ - ذَابَتِ الأَرْضُ وَكُلُّ سُكَّانِهَا. أَنَا وَزَنْتُ أَعْمِدَتَهَا. سِلاَهْ.
٤ - قُلْتُ لِلْمُفْتَخِرِينَ: لاَ تَفْتَخِرُوا. وَلِلأَشْرَارِ: لاَ تَرْفَعُوا قَرْناً.
٥ - لاَ تَرْفَعُوا إِلَى الْعُلَى قَرْنَكُمْ. لاَ تَتَكَلَّمُوا بِعُنُقٍ مُتَصَلِّبٍ".
٦ - لأَنَّهُ لاَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَلاَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَلاَ مِنْ بَرِّيَّةِ الْجِبَالِ.
٧ - وَلكِنَّ اللهَ هُوَ الْقَاضِي. هذَا يَضَعُهُ وَهذَا يَرْفَعُهُ.
٨ - لأَنَّ فِي يَدِ الرَّبِّ كَأْساً وَخَمْرُهَا مُخْتَمِرَةٌ. مَلآنَةٌ شَرَاباً مَمْزُوجاً. وَهُوَ يَسْكُبُ مِنْهَا. لكِنْ عَكَرُهَا يَمَصُّهُ، يَشْرَبُهُ كُلُّ أَشْرَارِ الأَرْضِ.
٩ - أَمَّا أَنَا فَأُخْبِرُ إِلَى الدَّهْرِ. أُرَنِّمُ لإِلهِ يَعْقُوبَ.
١٠ - وَكُلَّ قُرُونِ الأَشْرَارِ أَعْضِبُ. قُرُونُ الصِّدِّيقِ تَنْتَصِبُ».

دراسة:

توجد عند إشعياء نبوّة عن قدوم محاكمة سوف تبدّد قوة أشور وتدع إسرائيل حرّة. وإشعياء يقارن بين أفراح الخلاص التي سيُحتفل بها وبين أفراح عيد الفصح. انظر: (إش ٣٠: ٢٩):

+ «تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب. إلى صخر إسرائيل».

هذا المزمور (٧٥) والمزمور التالي (٧٦) يعتبران من أمثال تلك "الأغنية" التي يتكلّم عنها إشعياء ويقابلهما مزمور (٤٦) إلى مزمور (٤٨) في مجموعة قورح. وهذان المزموران (٧٥ و٧٦) متصلان في الفكر واللغة ومن الطبيعي أن يُنسبا إن لم يكن لكاتب واحد فعلى الأقل لنفس الزمن.

فهما يتكلّمان عن محاكمة عظمى قد دان بها الله ادعاءات الكبرياء لأحد الأعداء المتكبرين، وقد أفناه بطريقة غير طبيعية، وأنهى على كل قواته التي هددت صهيون مدينة اختياره. حينئذ ظهر وجوده وقوّته بين شعبه. فتخريب سنحاريب وجيشه كان هو فعل المحاكمة هذا والتدخل الإلهي من أجل صهيون. فسنحاريب مثل فرعون تحدّى يهوه لتجربة قوّته. وفي نبوات إشعياء عن أشور تتردّد

فكرة أن هذه كانت محنة شبه الخروج من مصر وتليها مباشرة في الأهمية. وهذان المزموران مملوءان بالمتوازيات غير المباشرة مع نبوات إشعياء التي لنفس الزمن، وكلها تنم عن مشاعر شديدة المرارة، تكشف عن أن الشاعر نفسه قد جاز المحنة بنفسه بكل فظاعتها وعجيبة الخلاص منها.

والزيادة التي جاءت في النسخة السبعينية على عنوان المزمور (٧٦): "تسبحة من جهة الأشوريين" سواء كانت ناتجة عن تقليد أو عن تخمين فهي توضح أن المزمور الذي نحن بصدده اعتُمد منذ زمن مبكر أن له صلة بالخلاص من سنحاريب.

وموضوع هذين المزمورين ذو قيمة كبرى من بعد التوسل الشديد والسريع الموجود في مزمور (٧٤) وهما يعطيان إجابة لذلك التوسل. وكأن الذي جمع هذه المزامير يقول: "اذكر" كيف أنه في إحدى هذه الضيقات أثبت الله قوَّته ليعين شعبه. والمزمور (٧٥) له طابع الدراما ويتكلم بلهجة ذي سلطان:

١ - فالشعب يخاطب الله بالشكر لظهوره الأخير بقوته من أجلهم (١). والله يتكلم مجاوباً مؤكِّداً أنه الآن وأبداً في اللحظة المناسبة هو سيمارس قضاء دينونته بالرغم من كل الارتباكات التي تبدو وكل الإخفاقات، فهو سيقيم العدل والنظام الذي ثبَّته وأسَّسه في كل العالم (٢ و٣).

٢ - وبالاعتماد على هذا المنطوق الإلهي يخاطب صاحب المزمور الأعداء المتكبِّرين محذِّراً من هذا الانتفاخ والتعظم، لأن إسرائيل لا تنظر إلى معونة بشرية أو تحالف بشري ولكن الله هو القاضي وصاحب السلطان على مقدّرات البشرية الذي يحتفظ في يديه بكأس حكمه وغضبه على الذين يقاومون إرادته (٤ - ٨).

٣ - وبينما الأشرار هكذا يُعاقبون فإسرائيل التي يتكلم بلسانها صاحب المزمور ستقدم تسبيحاً لا ينقطع لله، واثقة أن قوة الشرير ستنكسر تماماً، أما البار فسيكلَّل بالكرامة (٩ و١٠).

قارن مع تسبحة حنة (١صم ٢: ١ - ١٠).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - **«نَحْمَدُكَ، يَا اَللهُ نَحْمَدُكَ، وَاسْمُكَ قَرِيبٌ. يُحَدِّثُونَ بِعَجَائِبِكَ».**

مقصد المزمور هو شكر الله بسبب تدخُّل الله القريب بإظهار قوَّته بين شعبه.

«اسمك قريب»:

أي عجيبة أعمالك قرَّبت اسمك إلى قلوبنا، وعجائبك ليس لها مثيل. وكل عجائب الله هي في الحقيقة إظهار لقربه وقوَّته. والقول يكمن وضعه كالآتي:

نحن نعطيك الشكر يا الله - نعطيك الشكر لأن اسمك قريب. الجميع يذكرون أعمالك العجيبة. على أن اسم الله هو التعبير اللاهوتي عن شخصه كما هو مستعلن للناس، والمقابل لهذا في نبوَّة إشعياء. انظر: (إش ٣٠: ٢٧ و٢٨):

+ «هوذا اسم الرب يأتي من بعيد، غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة. ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة. لغربلة الأمم بغربال السوء ...».

وهذا التنبؤ هو لمجيء الحكم على الأشوريين. وهذه النبوة يلزم دراستها مع هذا المزمور.

واسم الله يأتي من بعيد مع أنه قريب! عندما يُظهر حضرته. انظر: (مز ٣٤: ١٨):

+ «قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلِّص المنسحقي الروح».

وأيضاً: (مز ١٤٥: ١٨):

+ «الرب قريب لكل الذين يدعونه الذين يدعونه بالحق».

[٢ و٣]:

الله يتكلَّم كما في مزمور (٤٦: ١٠)، وكلماته هي الإجابة لأفكار الناس أنه رفع قضاءه عن الأرض. لا، ليس كذلك، ولكنه ينتظر فقط اللحظة التي يضرب فيها هكذا:

٢ - **«لأَنِّي أُعَيِّنُ مِيعَاداً. أَنَا بِالْمُسْتَقِيمَاتِ أَقْضِي».**

حينما تأتي اللحظة أحكم بالعدل. أما ما هي اللحظة فهي التي سبق وأن دبَّرها في المشورة الأزلية

المعروفة لله. فتدخَّل يهوه في اللحظة التي نضج فيها للحصاد جيش أشور حسب فكر إشعياء المحبوب. انظر: (إش ١٠: ٣٢ و٣٣):

+ «اليوم يقف في نوب. يهزّ يده على جبل بنت صهيون أكمة أورشليم، هوذا السيد رب الجنود يقضب الأغصان برعب والمرتفعو القامة يُقطعون. والمتشامخون ينخفضون». وأيضاً: (إش ١٨: ٤ و٥):

+ «لأنه هكذا قال لي الرب إني أهدأ وأنظر في مسكني كالحرِّ الصافي على البقل كغيم الندى في حر الحصاد. فإنه قبل الحصاد عند تمام الزهر وعندما يصير الزهر حصرماً نضيجاً يقطع القضبان بالمناجل وينزع الأفنان ويطرحها».

وفي المزمور "أنا" الثانية للتأكيد: أنا مهما عمل الإنسان، أنا مهما فكَّر الإنسان.

٣ - «**ذَابَتِ الأَرْضُ وَكُلُّ سُكَّانِهَا. أَنَا وَزَنْتُ أَعْمِدَتَهَا. سِلاَهْ**».

الشطرة الثانية هي السابقة على الأولى، حتى لو ذابت الأرض أنا سبقت ووزنت أعمدتها، فلو صارت كل الأرض محناً وكرباً وحوادث؛ أنا وضعت لها القانون الأخلاقي الذي يضبطها. فالعالم المادي يشبه مبنًى بأساسه وأعمدته. انظر: (١صم ٢: ٨):

+ «يقيم المسكين من التراب. يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويُملّكهم كرسي المجد. لأن للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة!».

هكذا عالم الأخلاق له نفس المواصفات. انظر: (مز ١١: ٣):

+ «إذا انقلبت الأعمدة فالصديق ماذا يفعل». وأيضاً: (أي ٩: ٦):

+ «المزعزع الأرض من مقرّها فتتزلزل أعمدتها».

[٤ - ٨]:

تحذير لكل المتكبرين على أساس قول الله (٢و٣). ولكن هل المتكلّم لا يزال هو الله كما في (٢ و٣)؟ أم أنه صاحب المزمور؟ سلاه تعطي إشارة أن كلام الله قد انتهى وليس هناك توقف بين (٥) (٦). فالله ليس هو المتكلّم بعد.

٤ - «**قُلْتُ لِلْمُفْتَخِرِينَ: لاَ تَفْتَخِرُوا. وَلِلأَشْرَارِ: لاَ تَرْفَعُوا قَرْناً**».

انظر: (مز ٧٣: ٣):

+ «لأني غرت من المتكبِّرين إذ رأيت سلامة الأشرار».

وكان ربشاقي وزملاؤه الأشوريون هم المقصودون. انظر: (إش ٣٧: ٢٣):

+ «مَنْ عيَّرت وعلى مَنْ جدَّفت وعلى مَنْ علَّيت صوتاً؟». وأيضاً انظر: (إش ١٠: ٧):

+ «أما هو فلا يفتكر هكذا ولا يحسب قلبه هكذا بل في قلبه أن يبيد ويقرض أمماً ليست بقليلة». وأيضاً: (نا ١: ١١):

+ «منكِ خرج المفتكر على الرب شرًّا المشير بالهلاك».

٥ - «**لاَ تَرْفَعُوا إِلَى الْعُلَى قَرْنَكُمْ. لاَ تَتَكَلَّمُوا بِعُنُقٍ مُتَصَلِّبٍ**».

انظر: (١صم ٢: ٣):

+ «لا تكثروا الكلام العالي المستعلي ولتبرح وقاحة من أفواهكم. لأن الرب إله عليم. وبه توزن الأعمال».

«**عنق متصلّب**»:

عنق متعالٍ. انظر: (أي ١٥: ٢٥ و٢٦):

+ «لأنه مدَّ على الله يده وعلى القدير تجبَّر. عادياً عليه متصلِّب العنق بأوقاف مَجَانِّه معبّأة».

ووُجِدَت في السبعينية مختلفة عن هذا: «لا تتكلّم بكلام غير صالح ضد الله».

(٦ - ٨):

السبب في التحذير السابق أن إسرائيل تنظر إلى الله وحده من أجل المعونة. فهو المتحكّم في كل شئون البشر.

٦ - «**لأَنَّهُ لاَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَلاَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَلاَ مِنْ بَرِّيَّةِ الْجِبَالِ**».

وتُكمّل في الترجوم اليهودي "تأتي معونتنا". والمعنى أن إسرائيل لا تنظر إلى أي اتجاه بشري أرضي ولكن إلى الله وحده. ولم يُذكر الشمال لأنه رمز الأشوريين.

٧ - «**وَلكِنَّ اللهَ هُوَ الْقَاضِي. هذَا يَضَعُهُ وَهذَا يَرْفَعُهُ**».

انظر: (إش ٣٣: ٢٢):

+ «فإن الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب ملكنا وهو يخلّصنا».

«يرفعه»:

انظر: (١صم ٢: ٦ و٧):

+ «الرب يُميت ويُحيي. يُهبط إلى الهاوية ويُصعد. الرب يُفقر ويُغني. يضع ويرفع». وأيضاً: (مز ١٤٧: ٦):
+ «الرب يرفع الودعاء ويضع الأشرار إلى الأرض».

٨ - «لأَنَّ فِي يَدِ الرَّبِّ كَأْساً وَخَمْرُهَا مُخْتَمِرَةٌ. مَلآنَةٌ شَرَاباً مَمْزُوجاً. وَهُوَ يَسْكُبُ مِنْهَا. لكِنْ عَكَرُهَا يَمَصُّهُ، يَشْرَبُهُ كُلُّ أَشْرَارِ الأَرْضِ»

يصف هنا قضاء الله من حيث توزيع الحصص بشبه كأس في يده مملوءة خمراً، جزءها العكر المرفوض هو من نصيب الأشرار حيث عَكَرُها هو غضب الله، فهو يسكب منها غضباً وعقاباً.

انظر: (إر ٢٥: ١٥ و١٦ و١٨ و٢٧):

+ «لأنه هكذا قال لي الرب إله إسرائيل. خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسقِ جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم إياها».
+ «فيشربوا ويترنَّحوا ويتجنَّنوا من أجل السيف الذي أرسله أنا بينهم».
+ «أورشليم ومدن يهوذا وملوكها ورؤساءَها لجعلها خراباً ودهشاً وصفيراً ولعنة كهذا اليوم».
+ «وتقول لهم: هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. اشربوا واسكروا وتقيَّأوا واسقطوا ولا تقوموا من أجل السيف الذي أرسله أنا بينكم». وأيضاً: (إر ٥١: ٧):
+ «بابل كأس ذهب بيد الرب تُسكر كل الأرض. من خمرها شربت الشعوب من أجل ذلك جُنَّت الشعوب». وأيضاً: (إش ٥١: ١٧ و٢٢):
+ «انهضي انهضي قومي يا أورشليم التي شربت من يد الرب كأس غضبه ثُفْلَ كأس الترنُّح شربت مصصت».
+ «... هأنذا قد أخذت من يدك كأس الترنُّح ثفل كأس غضبي. لا تعودين تشربينها في ما بعد». وأيضاً: (أي ٢١: ٢٠):
+ «لتنظر عيناه هلاكه ومن حُمَة القدير يشرب». وأيضاً: (مز ١١: ٦):
+ «يمطر على الأشرار فخاخاً ناراً وكبريتاً وريح السموم نصيبَ كأسهم». وأيضاً: (مز ٦٠: ٣):
+ «أريت شعبك عُسراً. سقيتنا خمر الترنُّح».

[٩ و١٠]: نذر بالمديح وثقة بالنصر.

٩ - «أَمَّا أَنَا فَأُخْبِرُ إِلَى الدَّهْرِ. أُرَنِّمُ لإِلهِ يَعْقُوبَ».

انظر: (مز ٩: ١٤):

+ «لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجاً بخلاصك». وأيضاً: (إش ٢٩: ١٩):
+ «ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل».

١٠ - «وَكُلُّ قُرُونِ الأَشْرَارِ أَعْضِبُ. قُرُونُ الصِّدِّيقِ تَنْتَصِبُ».

أعضب = أقطع. وصاحب المزمور يتكلَّم بفم إسرائيل واثقاً أن الله وقوَّته هي العاملة فيه وفي الأمة، بمعنى إخضاع الأشرار وإذلالهم. انظر: (مي ٤: ١٣):

+ «قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأُحرِّم غنيمتهم للرب وثروتهم لسيد كل الأرض».

ولكن المتكلِّم قد يكون هو الرب مستجيباً لتسبيح صاحب المزمور بوعد جديد. انظر: (مز ٤٦: ١٠):

+ «كفوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأمم أتعالى في الأرض». وأيضاً: (زك ١: ١٨-٢١):
+ «فرفعت عيني ونظرت وإذا بأربعة قرون. فقلت للملاك الذي كلَّمني. ما هذه؟ قال لي هذه هي القرون التي بدَّدت يهوذا وإسرائيل وأورشليم. فأراني الرب أربعة صنَّاع. فقلت: جاء هؤلاء ماذا يفعلون؟ فتكلَّم قائلاً هذه هي القرون التي بدَّدت يهوذا حتى لم يرفع إنسان رأسه. وقد جاء هؤلاء ليرعبوهم وليطردوا قرون الأمم الرافعين قرناً على أرض يهوذا لتبديدها».

«قرون الصديق تنتصب»:

انظر: (١صم ٢: ١٠):

+ «مخاصمو الرب ينكسرون. من السماء يرعد عليهم. الرب يدين أقاصي الأرض ويعطي عزاً لملكه ويرفع قرن مسيحه».

حيث الصدِّيق هنا هو إسرائيل، ذلك بالنسبة للشرير أشور. انظر: (حب ١: ١٣):

+ «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور فلِمَ تنظر إلى الناهبين وتصمت حين يبلع الشرير (العدو) من هو أبرُّ منه (إسرائيل)».

المزمور السادس والسبعون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «ذَوَاتِ الأَوْتَارِ» مَزْمُورٌ لآسَافَ. تَسْبِيحَةٌ

١ – «اَللهُ مَعْرُوفٌ فِي يَهُوذَا. اسْمُهُ عَظِيمٌ فِي إِسْرَائِيلَ.
٢ – كَانَتْ فِي سَالِيمَ مِظَلَّتُهُ، وَمَسْكَنُهُ فِي صِهْيَوْنَ.
٣ – هُنَاكَ سَحَقَ الْقِسِيَّ الْبَارِقَةَ. الْمِجَنَّ وَالسَّيْفَ وَالْقِتَالَ. سِلاَهْ.
٤ – أَبْهَى أَنْتَ، أَمْجَدُ مِنْ جِبَالِ السَّلَبِ.
٥ – سُلِبَ أَشِدَّاءُ الْقَلْبِ. نَامُوا سِنَتَهُمْ. كُلُّ رِجَالِ الْبَأْسِ لَمْ يَجِدُوا أَيْدِيَهُمْ.
٦ – مِنِ انْتِهَارِكَ يَا إِلهَ يَعْقُوبَ يُسَبَّخُ فَارِسٌ وَخَيْلٌ.
٧ – أَنْتَ مَهُوبٌ أَنْتَ. فَمَنْ يَقِفُ قُدَّامَكَ حَالَ غَضَبِكَ؟
٨ – مِنَ السَّمَاءِ أَسْمَعْتَ حُكْماً. الأَرْضُ فَزِعَتْ وَسَكَتَتْ.
٩ – عِنْدَ قِيَامِ اللهِ لِلْقَضَاءِ، لِتَخْلِيصِ كُلِّ وُدَعَاءِ الأَرْضِ. سِلاَهْ.
١٠ – لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ يَحْمَدُكَ. بَقِيَّةُ الْغَضَبِ تَتَمَنْطَقُ بِهَا. (أما في السبعينية: فكر الإنسان يحمدك. وبقية فكر الإنسان يعيِّد لك).
١١ – اُنْذُرُوا وَأَوْفُوا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ يَا جَمِيعَ الَّذِينَ حَوْلَهُ. لِيُقَدِّمُوا هَدِيَّةً لِلْمَهُوبِ.
١٢ – يَقْطِفُ رُوحَ الرُّؤَسَاءِ. هُوَ مَهُوبٌ لِمُلُوكِ الأَرْضِ».

دراسة:

إن الظرف الذي تم تأليف هذا المزمور فيه سبق وأن نوقش في دراسة مزمور (٧٥). وتركيبه مميز واضح ويلزم مقارنته بمزمور (٤٦).

يتكوَّن من أربعة وقفات كل منها ثلاث آيات. في نهاية الوقفة الأولى والثالثة توجد (سلاه):

١ - الله قد أظهر نفسه مرة في صهيون بتبديد قوة العدو الذي غار عليها (١ - ٣).
٢ - يعود الله منتصراً من هذا المنظر حيث حطام العدو، حيث البطل والمحارب والعربة وخيلها.
٣ - لا أحد يمكن أن يقاومه عندما يلبس قوَّته ويجلس قاضياً ومخلِّصاً (٧ - ٩).
٤ - مقاومة الإنسان تزيد من مجده فليت إسرائيل تعطيه الشكر الواجب، أما الأمم المجاورة فعليها أن تدفع الخضوع له، الذي يُخضع الملوك والأمراء لمشيئته (١٠ - ١٢).

وكما في مزمور (٨٠) تضيف السبعينية على العنوان: "بالنسبة للأشوريين".

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]:

الرب أظهر قوته مرة أخرى في صهيون بتبديد قوة الأعداء.

١ - **«اَللهُ مَعْرُوفٌ فِي يَهُوذَا. اسْمُهُ عَظِيمٌ فِي إِسْرَائِيلَ»**.

هكذا أيضاً عُرف الله في ديارها كملجأ أكيد. انظر: (مز ٤٨: ٣):

+ «الله في قصورها يُعرف ملجأً». وأيضاً: (مز ٩: ١٦):
+ «معروف هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يَعْلَق بعمل يديه». وأيضاً: (إش ٣٣: ١٣ و١٤):
+ «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ واعرفوا أيها القريبون بطشي. ارتعب في صهيون الخطاة. أخذت الرعدة المنافقين. مَنْ مِنَّا يسكن في نار آكلة».

«اسمه عظيم»:

انظر: (مز ٧٥: ١):

+ «نحمدك يا الله نحمدك واسمك قريب. يحدثون بعجائبك». وأيضاً: (مز ٤٧: ٢):
+ «لأن الرب عليٌّ. مخوفٌ ملك كبير على كل الأرض». وأيضاً: (مز ٤٨: ١ و١٠):
+ «عظيم هو الرب وحميد جدًّا في مدينة إلهنا جبل قدسه».
+ «نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقاصي الأرض. يمينك ملآنة برًّا». وأيضاً: (مز ٧٧: ١٣):
+ «اللهم في القدس طريقك. أيُّ إله عظيم مثل الله».

٢ - **«كَائِنٌ فِي سَالِيمَ مِظَلَّتُهُ، وَمَسْكَنُهُ فِي صِهْيَوْنَ»**.

«ساليم»:

الاسم القديم لأورشليم، أو إنها اختصار للشعر والوزن، والمعنى "في سلام" وصهيون مثلها في مأمن من التخريب. انظر: (إش ٣٣: ٢٠):

+ «انظر صهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً خيمة لا تنتقل ...».

٣ - «**هُنَاكَ سَحَقَ الْقِسِيَّ الْبَارِقَةَ. الْمِجَنَّ وَالسَّيْفَ وَالْقِتَالَ. سِلاَهْ**».

تعبيرات لتكسير جيش سنحاريب الذي حدثت موقعته بالقرب من أورشليم. وعادة تُعتبر أورشليم قاعدة أعمال الرب. انظر: (مز ٤٦: ٤و٥):

+ «نهر سواقيه تُفرِّح مدينة الله مقدس مساكن العلي. الله في وسطها فلن تتزعزع ...».

«**سحق القسيّ**»:

انظر: (مز ٤٦: ٨ و٩):

+ «هلموا انظروا أعمال الله. كيف جعل خرباً في الأرض. مُسكِّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار». وأيضاً: (هو ٢: ١٨):
+ «وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض وأجعلهم يضطجعون آمنين». وأيضاً: (إش ٩: ٤):
+ «لأن نير ثقله وعصا كتفه وقضيب مسخره كسَّرتَهُن كما في يوم مديان». وأيضاً: (إر ٤٩: ٣٥):
+ «هكذا قال رب الجنود. هأنذا أَحْطِمُ قوس عيلام أول قُوَّتِهِم».

علماً بأن القسي توصف أنها "بارقة" بسبب سرعة قذفها وهي تطير.

[٤ - ٦]:

إظهار مجد الله في قلقلة العدو.

٤ - «**أَبْهَى أَنْتَ، أَمْجَدُ مِنْ جِبَالِ السَّلَبِ**».

وقد تأتي ترجمتها «أبهى أنت أمجد في جبال السلب».

أي جبال الغنائم من كِسرة العدو. كما أتى بها إشعياء (إش ١٤: ٢٥):

+ «أن أُحطِّم أشور في أرضي وأدوسه على جبالي فيزول عنهم نيره ويزول عن كتفهم حمله».

«**أمجد majestic**»:

هذه الكلمة كما أوردها إشعياء في (١٠: ٣٤) تُرجمت "قدير". والمعنى يفيد أن الأشوريين سيسقطون بإله قدير (مجيد). انظر: (إش ٣٣: ٢١):

+ «بل هناك الرب **العزيز** لنا مكان أنهار».

حيث كلمة «أمجد» جاءت "عزيز". والكلمة جاءت في (خر ١٥: ١١):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك **معتزًّا** في القداسة ...».

٥ - «**سُلِبَ أَشِدَّاءُ الْقَلْبِ. نَامُوا سِنَتَهُمْ. كُلُّ رِجَالِ الْبَأْسِ لَمْ يَجِدُوا أَيْدِيَهُمْ**».

«**أشداء القلب**»:

وصفها إشعياء في (١٠: ١٢ و١٣):

+ «فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم أني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه. لأنه قال بقدرة يدي صنعتُ وبحكمتي. لأني فهيم ...».

«**سُلِبَ أشداء القلب**»:

انظر: (إش ١٧: ١٤):

+ «في وقت المساء إذا رعب. قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيب ناهبينا وحظ سالبينا». وأيضاً: (إش ٣٣: ١):
+ «ويل لك أيها المُخرِب وأنت لم تُخرَبْ وأيها الناهب ولم ينهبوك. حيث تنتهي من التخريب تُخرب وحين تفرغ من النهب ينهبونك».

«**ناموا سِنَتَهُم**»(١) :

ناموا نومهم الأخير الذي بدأ كنعاس وانتهى إلى موت وفناء. انظر: (إر ٥١: ٣٩ و٥٧):

+ «عند حرارتهم أعِدُّ لهم شراباً وأسكرهم لكي يفرحوا ويناموا نوماً أبدياً ولا يستيقظوا يقول الرب».
+ «وأُسكِر رؤساءها وحكماءها وولاتها وحكامها وأبطالها فينامون نوماً أبدياً ولا يستيقظون ...».

«**ولم يجدوا أيديهم**»:

رفضت تتحرَّك، شُلَّت بالرغم من قوتهم. وعظمة قلوبهم ماتت ويبست! ويورد إشعياء كلامهم المتكبِّر ويعيرهم عليه. انظر: (إش ١٠: ١٠ و١٣ و١٤ و١٦):

+ «كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هي أكثر من التي لأورشليم وللسامرة».
+ «لأنه قال بقدرة يدي صنعتُ وبحكمتي. لأني فهيم ... فأصابت يدي ثروة الشعوب ...».

(١) كلمة «سِنَة» من الفعل (وَسِنَ) أي نعس ونام. وهي تعني نعاس النوم.

+ «لذلك يُرسل الرب السيد سيد الجنود على سِمانِهِ (أفخر جنوده) هزالاً ويوقد تحت مجده وقيداً كوقيد النار».

٦ - «مِنِ انْتِهَارِكَ يَا إِلهَ يَعْقُوبَ يُسَبَّخُ فَارِسٌ وَخَيْلٌ».

انظر: (مز ٩: ٥):
+ «انتهرتَ الأمم. أهلكتَ الشرير. محوتَ اسمهم إلى الدهر والأبد». وأيضاً: (مز ١٨: ١٥):
+ «فظهرت أعماق المياه وانكشفت أُسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك». وأيضاً: (إش ١٧: ١٣):
+ «قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً وتُطرد كعصافة الجبال أمام الريح».

والخيل تجر العربات، فالخيل سقطت مغشيًّا عليها والعربة وقفت وقفة الموت. انظر: (إش ٤٣: ١٧):
+ «المُخرِج المركبة والفرس الجيش والعزّ. يضطجعون معاً لا يقومون. قد خمدوا. كفتيلة انطفأوا».

[٧ - ٩]:

كان قضاء الله أمراً لا مفر منه.

٧ - «أَنْتَ مَهُوبٌ أَنْتَ. فَمَنْ يَقِفُ قُدَّامَكَ حَالَ غَضَبِكَ؟».

انظر: (مز ١٣٠: ٣):
+ «إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمَنْ يقف؟».

٨ - «مِنَ السَّمَاءِ أَسْمَعْتَ حُكْماً. الأَرْضُ فَزِعَتْ وَسَكَتَتْ».

الله أصدر حكمه ضد أشور وملكها سنحاريب حينما أراد الله أن ينجّي شعبه. انظر: (مز ٤٦: ٦ و٧):
+ «أعطى صوته ذابت الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب». وأيضاً: (إش ٣٠: ٣٠):
+ «ويُسمِع الرب جلال صوته ويُري نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة بَرَد».

٩ - «عِنْدَ قِيَامِ اللهِ لِلْقَضَاءِ، لِتَخْلِيصِ كُلِّ وُدَعَاءِ الأَرْضِ. سِلاَهْ».

انظر: (١صم ٢: ١٠):
+ «مخاصمو الرب ينكسرون. من السماء يرعد عليهم. الرب يدين أقاصي الأرض ويعطي عزًّا لملكه ويرفع قرن مسيحه».

[١٠ - ١٢]:

دروس المحاكمة.

١٠ - «لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ يَحْمَدُكَ. بَقِيَّةُ الْغَضَبِ تَتَمَنْطَقُ بِهَا».

كل ثورة ضد الله تعود وتصير صاغرة فتكون سبباً في تسبيحه وحمده. وإن كان هناك غضبٌ باقٍ فسيُردع. انظر: (خر ٩: ١٦):
+ «ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أُريك قوتي ولكي يُخبَر باسمي في كل الأرض».

١١ - «اُنْذُرُوا وَأَوْفُوا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ يَا جَمِيعَ الَّذِينَ حَوْلَهُ. لِيُقَدِّمُوا هَدِيَّةً لِلْمَهُوبِ».

ليت إسرائيل توفي نذورها التي نذرت وقت الضيقة. انظر: (مز ٦٦: ١٣):
+ «أدخل إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذوري».

إسرائيل تقدّم النذور، الأمم تقدّم الهدية والجزية. انظر: (مز ٦٨: ٢٩):
+ «من هيكلك فوق أورشليم لك تقدّم ملوك هدايا». وأيضاً: (إش ١٨: ٧):
+ «في ذلك اليوم تُقدَّم هدية لرب الجنود من شعب طويل وأجرد ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً من أُمة ذات قوة وشدَّة».

١٢ - «يَقْطِفُ رُوحَ الرُّؤَسَاءِ. هُوَ مَهُوبٌ لِمُلُوكِ الأَرْضِ».

انظر: (إش ١٨: ٥ و٦):
+ «فإنه قبل الحصاد عند تمام الزهر وعندما يصير الزهر حصرماً نضيجاً يقطع القضبان بالمناجل وينزع الأفنان ويطرحها. تُترك معاً لجوارح الجبال ولوحوش الأرض فتصيّف عليها الجوارح وتشتّي عليها جميع وحوش الأرض».

يصف كيف أن يهوه يحطم خطط أشور بعد أن بلغت تمام نضجها. انظر: (رؤ ١٤: ١٨ و١٩):

+ «... وصرخ صراخاً عظيماً إلى الذي معه المنجل الحاد قائلاً: أرسل منجلك الحاد واقطف عناقيد كرم الأرض لأن عنبها قد نضج. فألقى الملاك منجله إلى الأرض وقطف كرم الأرض فألقاه إلى معصرة غضب الله العظيمة».

«يقطف روح الرؤساء»:

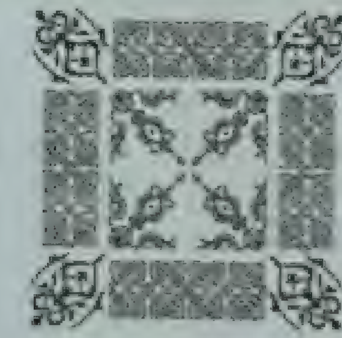
تعني كبرياءهم وهيجانهم. انظر: (إش ٣٣: ١١):

+ «تحبلون بحشيش تلدون قشيشاً. نَفَسُكُمْ نار تأكلكم».

«هو مهوب لملوك الأرض»:

انظر: (مز ٤٨: ٤ و٥):

+ «لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً. لما رأوا بهتوا ارتاعوا فرّوا».



المزمور السابع والسبعون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «يَدُوثُونَ». لآسَافَ. مَزْمُورٌ

١- «صَوْتِي إِلَى اللهِ فَأَصْرُخُ. صَوْتِي إِلَى اللهِ فَأَصْغَى إِلَيَّ.

٢- فِي يَوْمِ ضِيقِي الْتَمَسْتُ الرَّبَّ. يَدِي فِي اللَّيْلِ انْبَسَطَتْ وَلَمْ تَخْدَرْ. أَبَتْ نَفْسِي التَّعْزِيَةَ.

٣- أَذْكُرُ اللهَ فَأَئِنُّ. أُنَاجِي نَفْسِي فَيُغْشَى عَلَى رُوحِي. سِلاَهْ.

٤- أَمْسَكْتَ أَجْفَانَ عَيْنَيَّ. انْزَعَجْتُ فَلَمْ أَتَكَلَّمْ.

٥- تَفَكَّرْتُ فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ، السِّنِينَ الدَّهْرِيَّةِ.

٦- أَذْكُرُ تَرَنُّمِي فِي اللَّيْلِ. مَعَ قَلْبِي أُنَاجِي، وَرُوحِي تَبْحَثُ:

٧- "هَلْ إِلَى الدُّهُورِ يَرْفُضُ الرَّبُّ، وَلاَ يَعُودُ لِلرِّضَا بَعْدُ؟

٨- هَلِ انْتَهَتْ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ؟ انْقَطَعَتْ كَلِمَتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ؟

٩- هَلْ نَسِيَ اللهُ رَأْفَةً، أَوْ قَفَصَ بِرِجْزِهِ مَرَاحِمَهُ؟". سِلاَهْ.

١٠- فَقُلْتُ: "هذَا مَا يُعِلُّنِي: تَغَيُّرُ يَمِينِ الْعَلِيِّ".

١١- أَذْكُرُ أَعْمَالَ الرَّبِّ. إِذْ أَتَذَكَّرُ عَجَائِبَكَ مُنْذُ الْقِدَمِ،

١٢- وَأَلْهَجُ بِجَمِيعِ أَفْعَالِكَ، وَبِصَنَائِعِكَ أُنَاجِي.

١٣- اَللّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ. أَيُّ إِلهٍ عَظِيمٌ مِثْلُ اللهِ؟

١٤- أَنْتَ الإِلهُ الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ. عَرَّفْتَ بَيْنَ الشُّعُوبِ قُوَّتَكَ.

١٥- فَكَكْتَ بِذِرَاعِكَ شَعْبَكَ، بَنِي يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ. سِلاَهْ.

١٦- أَبْصَرَتْكَ الْمِيَاهُ يَا اَللهُ، أَبْصَرَتْكَ الْمِيَاهُ فَفَزِعَتْ، ارْتَعَدَتْ أَيْضاً اللُّجَجُ.

١٧- سَكَبَتِ الْغُيُومُ مِيَاهاً، أَعْطَتِ السُّحُبُ صَوْتاً. أَيْضاً سِهَامُكَ طَارَتْ.

١٨- صَوْتُ رَعْدِكَ فِي الزَّوْبَعَةِ. الْبُرُوقُ أَضَاءَتِ الْمَسْكُونَةَ. ارْتَعَدَتْ وَرَجَفَتِ الأَرْضُ.

١٩- فِي الْبَحْرِ طَرِيقُكَ، وَسُبُلُكَ فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، وَآثَارُكَ لَمْ تُعْرَفْ.

٢٠- هَدَيْتَ شَعْبَكَ كَالْغَنَمِ بِيَدِ مُوسَى وَهَارُونَ».

دراسة:

هذا المزمور يتنفس بنفس روح حبقوق النبي ويستخدم لغة مشابهة لصلاة حبقوق. فكما كان حبقوق يلاحظ تقدم الكلدانيين ورأى أنهم قد أصدروا حكم الإعدام لينفذوه على يهوذا، فدخل إيمانه في التجربة حتى الغاية – هل مثل هذه النصرة الظاهرة التي للكبرياء والعنف تتناسب مع قضاء

الله؟ فصارت إجابة سؤاله بتأكيد أن كبرياء العدو وظلمه حتماً تأتي إلى خرابه بينما البار يدوم. ولكن التأكيد كان معه إعلان أن تحقيق هذا ربما يتأخر كثيراً.

وعندما صلّى حبقوق أن يتعجَّل الله عمله لئلا يكون التأخير ثقلاً على إيمان شعبه الذي ينتظر، ففي استجابة سؤاله جاء على ذهنه منظر الله آت للقضاء على أعدائه ليفدي شعبه. ومجيء الله وصفه بلغة الخلاص الكبير وافتقاد الله في الماضي ليعطيَ نفس الفكرة الأساسية الموجودة في هذا المزمور. إن ماضي إسرائيل هو نفسه أساس الترجّي من أجل مستقبل إسرائيل.

وحينما كُتب المزمور كانت قد وقعت الضربة ودخلت إسرائيل في الأسر، ولم يكن حزن صاحب المزمور حزناً خاصاً أو خصوصيًّا طغى على روحه، بل كان بسبب رفض الله لإسرائيل، ولكن في ضوء تاريخ إسرائيل الماضي تعلَّم أن يؤمن أن هذا الرفض لا يمكن أن يكون دائماً. وعند تذكره الماضي العجيب وجد أساس الرجاء للمستقبل. فالله الذي قاد شعبه من أسر مصر قادر أن يُرجعهم من أسرهم في بابل.

تركيب المزمور منسجم وفيه قسمان أساسيان في كل منهما وقفتان تنتهيان بـ ''سلاه''. وكل من الوقفة الثانية والثالثة تتكون من ثلاثة أبيات تليها ثلاثة أبيات، وفي الوقفة الرابعة يتغيَّر رتم المزمور ولكن عدد الآيات واحد. والآية الأخيرة ختام:

١ - المقدّمة: يحكي صاحب المزمور كيف أنه في أيام الحزن والضيق يجاهد ولكن عبثاً أن يجد راحته في الصلاة (١ - ٣).

٢ - في أثناء الليل يفكِّر في التاريخ الماضي لإسرائيل (٤ - ٦)، ويسأل نفسه أيمكن أن الله يرفض شعبه بلا رجعة؟ (٧ - ٩).

٣ - الإجابة على هذا السؤال يلزم أن تُفحص في ضوء استعلانات الله نفسه في التاريخ (١٠ - ١٢) خاصة من جهة الفداء الذي عمله لإسرائيل لإخراج شعبه من مصر (١٣ - ١٥).

٤ - ولكن في هيبة وعظمة استعلان الله لذاته، وقف صاحب المزمور يفكِّر (١٦ - ١٩).

وفي الخاتمة أشار لقيادة الله لشعبه في البرية (٢٠).

وقد لاحظ بعض الشُّرّاح كيفية المفاجأة القاطعة في ختام المزمور ولكنهم اقترحوا أنها إما بسبب أن المزمور ناقص أو أنه اقتطع منه. ولكن بالفحص وُجدَ أن القطع المفاجئ هو جزء من مهارة المؤلِّف، فهو ينتهي بفكر يظل عالقاً في فكر القارئ من أجل تعزيته من جهة رعاية الله في قيادته

لشعبه. فأي إضافة بعد هذا الترتيب تخل بأثر المزمور. والقارئ تُرك ليصور لنفسه أن قيادة وعناية الله سوف تمتد وتتكمل في وقتها، وكما فدى إسرائيل من عبودية مصر فهو قادر أن يفديهم من أسر بابل.

والتوازي بين الخروج من بابل والخروج من مصر هو دائماً في فكر الأنبياء.

وتشابه هذا المزمور مع صلاة حبقوق يمكن الرجوع إليه لأنه إما أن حبقوق أخذ من هذا المزمور أو أن هذا المزمور هو الذي أخذ من حبقوق. فمن حيث التراكيب والجمل والكلمات صعب أن نرد على هذا السؤال، علماً بأن التقدير الأول هو أن حبقوق هو الأصل. وفي تقديري أنه إذا كانت صلاة حبقوق هي جزء أساسي من نبوَّته وليست مضافة، وأنه إذا كان المزمور هو من زمن السبي، فيتحتَّم أن يكون المزمور هو الذي أخذ عن حبقوق.

وبجوار حبقوق قارن: (خر ١٥)، (مز ١٤٢: ١ - ٣)، (مز ١٤٣: ٤ - ٦).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]:

صاحب المزمور يروي كيف أنه في ضغط الكارثة لم يجد راحته في الصلاة.

١ - «صَوْتِي إِلَى اللهِ فَأَصْرُخُ. صَوْتِي إِلَى اللهِ فَأَصْغَى إِلَيَّ».

٢ - «فِي يَوْمِ ضِيقِي الْتَمَسْتُ الرَّبَّ. يَدِي فِي اللَّيْلِ انْبَسَطَتْ وَلَمْ تَخْدُرْ. أَبَتْ نَفْسِي التَّعْزِيَةَ».

٣ - «أَذْكُرُ اللهَ فَأَئِنُّ. أُنَاجِي نَفْسِي فَيُغْشَى عَلَى رُوحِي. سِلاَهْ».

من تتبُّع أزمنة الأفعال نستطيع أن نقرِّر أن صاحب المزمور إنما يقص خبرة حدثت له. ففي العدد الأول يقص أنه في وقت الحزن قرَّر أن يصلِّي. وفي العدد (٣) يصف إخفاقه في أن يجد راحة وتعزية.

طلب الله نهاراً وليلاً ويداه مرفوعتان، ولا تخدران بمعنى ممدودة باستمرار في موقف الصلاة، ولكن برجوعنا إلى الترجوم وجدنا كلمة اليد متحورة من كلمة العين والدموع المنسكبة كما

جاءت في (مرا ٢: ١٨ و١٩):

+ «صرخ قلبهم إلى السيد. يا سور بنت صهيون اسكبي الدمع كنهر نهاراً وليلاً. لا تعطي ذاتك راحة. لا تكف حدقة عينك. قومي اهتفي في الليل في أول الهزع. أسكبي كمياه قلبك قبالة وجه السيد. ارفعي إليه يديكِ لأجل نفس أطفالكِ المغشى عليهم من الجوع في رأس كل شارع». وأيضاً: (مرا ٣: ٤٩ و٥٠):
+ «عيني تسكب ولا تكف بلا انقطاع. حتى يشرف وينظر الرب من السماء».

«أبت نفسي التعزية»:

مثل يعقوب عندما ناح من أجل يوسف (تك ٣٧: ٣٥):

+ «فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه. فأبى أن يتعزَّى وقال إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية. وبكى عليه أبوه».

وكما ناحت راحيل على أبنائها. انظر: (إر ٣١: ١٥ - ١٧):

+ «هكذا قال الرب. صوت سمع في الرامة نوح بكاء مرّ. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزَّى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين. هكذا قال الرب: امنعي صوتكِ عن البكاء وعينيكِ عن الدموع لأنه يوجد جزاء لعملك يقول الرب. فيرجعون من أرض العدو. ويوجد رجاء لآخرتك يقول الرب. فيرجع الأبناء إلى تخمهم!».

«أذكر الله فأئن»:

ترجم فأضطرب، فأجزع. انظر: (مز ٤٢: ٥):

+ «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ. ارتجي الله لأني بعد أحمده: لأجل خلاص وجهه».

وأيضاً: (مز ٥٥: ١٧):

+ «مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح (أئن) فيسمع صوتي».

«فيغشى على روحي»:

انظر: (مز ١٤٢: ٣):

+ «عندما أعيت روحي فيَّ. وأنت عرفت مسلكي. في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخًّا».

وأيضاً: (مز ١٤٣: ٤):

+ «أعيت فيَّ روحي. تحيَّر في داخلي قلبي».

[٤ - ٩]:

في أسهار الليل أخذ يتأمل فيما مضى من التاريخ وسأل نفسه بأسئلة ملحَّة أهذا كان ممكناً أن الله يرفض شعبه كليَّة؟ ويغيِّر طبيعته كإله مُنعم ورحوم؟

٤ - **«أَمْسَكْتَ أَجْفَانَ عَيْنَيَّ. انْزَعَجْتُ فَلَمْ أَتَكَلَّمْ»**.

في ملء حزنه وبكائه طار من عينه النوم وسكنت روحه. ولكن الله هو الذي قد منع النوم عن أجفانه، فكان مضطرباً ومنزعجاً. انظر: (تك ٤١: ٨):

+ «وكان في الصباح أن نفسه انزعجت. فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقصَّ عليهم فرعون حلمه». وأيضاً: (دا ٢: ٣):
+ «فقال لهم الملك: قد حلمت حلماً وانزعجت روحي لمعرفة الحلم».

فصارت حالة إسرائيل ورفضهم لغزاً بالنسبة لسجل الله ومراحمه من نحو شعبه في الأيام القديمة.

٥ - **«تَفَكَّرْتُ فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ، السِّنِينَ الدَّهْرِيَّةِ»**.

ليس مجرد فكر أو تأمل بل إحساس جارف ورؤيا واضحة صافية لما وضعها أمام رؤية الحاضر والبؤس الذي يعانيه الشعب لم يحتمل نفسه.

٦ - **«أَذْكُرُ تَرَنُّمِي فِي اللَّيْلِ. مَعَ قَلْبِي أُنَاجِي، وَرُوحِي تَبْحَثُ»**.

الترنم هنا يفيد وجود آلة موسيقية يترنَّم على نغمها ليعطي لروحه قدرة على الانطلاق والبحث في أجواء الله الصافية لعلَّه ينال صوتاً من الله. وفي الوقت نفسه قلبه يستصرخ الله وروحه تفحص أمور الله وظروف حكمه.

٧ - **«هَلْ إِلَى الدُّهُورِ يَرْفُضُ الرَّبُّ، وَلاَ يَعُودُ لِلرِّضَا بَعْدُ؟»**.

يزن أعمال الدهور السالفة على أعمال الدهور الآتية: فهل قد انتهى دهر عمل الله؟ ودخلت إسرائيل في رفض إلى الدهر؟ انظر: (مز ٧٤: ١):

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك؟». وأيضاً: (مز ٨٥: ٥):
+ «هل إلى الدهر تسخط علينا؟ هل تطيل غضبك إلى دور فدور؟».

«لا يعود للرضا بعد»:

انظر: (مز ٤٤: ٣):

+ «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلَّصتهم لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم». وأيضاً: (مز ٨٥: ١):
+ «رضيت يا رب على أرضك. أرجعت سبي يعقوب». وأيضاً: (مز ١٠٦: ٤):
+ «اذكرني يا رب برضا شعبك. تعهَّدني بخلاصك».

٨ - **«هَلْ انْتَهَتْ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ؟ انْقَطَعَتْ كَلِمَتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ؟»**.

هل انقطعت إحسانات الله إلى الأبد. انظر: (مز ٨٥: ٥):

+ «هل إلى الدهر تسخط علينا. هل تطيل غضبك إلى دور فدور». وأيضاً: (مز ١٠٥: ٨):
+ «ذكر إلى الدهر عهده كلاماً أوصى به إلى ألف دور».

٩ - **«هَلْ نَسِيَ اللهُ رَأْفَةً أَوْ قَفَصَ بِرِجْزِهِ مَرَاحِمَهُ؟. سِلاَهْ»**.

هل نسي بإرادته وفارق صفاته التي أعلن عنها كجوهر طبيعته؟ انظر: (خر ٣٤: ٦):

+ «فاجتاز الرب قدَّامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء». وأيضاً: (حب ٣: ٢):
+ «... في الغضب اذكر رحمة!!».

[١٠ - ٢٠]:

إن تاريخ الماضي هو الإجابة المقنعة لسؤاله وأفضل ما يرد روحه المنحنية فيه. انظر: (إش ٦٣: ٧):

+ «إحسانات الرب أذكر تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه وحسب كثرة إحساناته»!

(١٠ - ١٥):

يذكر صاحب المزمور بتصميم كيف أخرج الله شعب إسرائيل من مصر.

١٠ - **«فَقُلْتُ: هذَا مَا يُعِلُّنِي: تَغَيُّرُ يَمِينِ الْعَلِيِّ»**.

انظر: (إش ٥٠: ٢):

+ «لماذا جئت وليس إنسان؟ ناديت وليس مجيب. هل قصرت يدي عن الفداء؟ وهل ليست فيَّ قدرة للإنقاذ؟». وأيضاً: (مل ٣: ٦):
+ «لأني أنا الرب لا أتغيَّر فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا».

١١ - **«أَذْكُرُ أَعْمَالَ الرَّبِّ. إِذْ أَتَذَكَّرُ عَجَائِبَكَ مُنْذُ الْقِدَمِ»**.

انظر: (إش ٦٣: ٧):

+ «إحسانات الرب أذكر تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه ...».

١٢ - **«وَأَلْهَجُ بِجَمِيعِ أَفْعَالِكَ، وَبِصَنَائِعِكَ أُنَاجِي»**.

انظر: (حب ٣: ٢):

+ «يا رب قد سمعتُ خَبَرَكَ فجزعت. يا رب عَمَلَكَ في وسط السنين أحيه. في وسط السنين عرِّف. في الغضب اذكر الرحمة».

١٣ - **«اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ. أَيُّ إِلهٍ عَظِيمٌ مِثْلُ اللهِ؟»**.

كل أفكار الله وتدابيره في كل العالم إنما تدور في محيط قداسته خلوًّا من النظر إلى الخطايا أو الضعفات طبقاً لطبيعته القدوسة. انظر: (خر ١٥: ١١):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب؟ مَنْ مثلك معتزًّا في القداسة مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (حب ١: ١٢):
+ «ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي. لا نموت. يا رب للحكم جعلتها ويا صخر للتأديب أسستها».

١٤ - **«أَنْتَ الإِلهُ الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ. عَرَّفْتَ بَيْنَ الشُّعُوبِ قُوَّتَكَ»**.

"الإله" جاء هنا "إيل". انظر: (مز ٥: ٤):

+ «لأنك أنت لست إلهاً (إيل) يُسر بالشر. لا يساكنك الشرير». وأيضاً: (إش ٢٥: ١):
+ «يا رب أنت إلهي أعظمك. أحمد اسمك لأنك **صنعت عجباً**. مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق».

«عرَّفت بين الشعوب قوَّتك»:

انظر: (خر ١٥: ١٣ - ١٥):

+ «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوّتك إلى مسكن قدسك. يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة سكان فلسطين. حينئذ يندهش أمراء أدوم. أقوياء موآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان». وأيضاً: (خر ٩: ١٦):
+ «ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوّتي ولكي يخبر باسمي في كل الأرض».

١٥ - «فَكَكْتَ بِذِرَاعِكَ شَعْبَكَ، بَنِي يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ. سِلاَهْ».

انظر: (مز ٧٤: ٢):

+ «اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك. جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه». وأيضاً: (خر ١٥: ١٦ و١٢):
+ «تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر. حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته».
+ «تمد يدك فتبتلعهم الأرض». وأيضاً: (خر ٦: ٦ و٧):
+ «لذلك قُل لبني إسرائيل أنا الرب. وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين. وأنقذكم من عبوديتهم وأخلّصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة. وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً. فتعلمون أني أنا الرب ...».

هنا يذكر مع الشعب بأجمعه يوسف بصفة خاصة، لأنه بخلاصه الذي عمله بالنسبة لإخوته صار كأب آخر للشعب، ولأنه أب أفرايم ومنسّى وهم آباء أقوى أسباط المملكة الشمالية. انظر: (مز ٧٨: ٦٧ و٦٨):

+ «ورفض خيمة يوسف ولم يختر سبط أفرايم. بل اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبَّه». وأيضاً: (مز ٨٠: ١):
+ «يا راعيَ إسرائيل اصغ يا قائد يوسف كالضأن يا جالساً على الكروبيم أشرق». وأيضاً: (مز ٨١: ٥):
+ «جعله شهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر». وأيضاً: (عا ٥: ٦ و١٥):
+ «اطلبوا الرب فتحيوا لئلا يقتحم بيت يوسف كنار تحرق ولا يكون مَنْ يطفئها من بيت إيل».

+ «ابغضوا الشر وأحبوا الخير وثبّتوا الحق في الباب لعلّ الرب إله الجنود يتراءف على بقية يوسف».

على أن ذكر يوسف يُقصد به مملكة الشمال (إسرائيل)، وفي (عوبديا ١٨) يقول: إن بيت يهوذا وبيت يوسف يقفان يمثلان الأمة. انظر: (زك ١٠: ٦):

+ «وأُقوي بيت يهوذا وأخلّص بيت يوسف وأرجعهم لأني قد رحمتهم ويكونون كأني لم أرفضهم ...». وأيضاً: (حز ٣٧: ١٦ - ١٩):
+ «وأنت يا ابن آدم خذ لنفسك عصاً واحدةً واكتب عليها ليهوذا ولبني إسرائيل رفقائه. وخذ عصاً أخرى واكتب عليها ليوسف عصا أفرايم وكل بيت إسرائيل رفقائه واقرنهما الواحدة بالأخرى كعصاً واحدة فتصير واحدةً في يدك. فإذا كلّمك أبناء شعبك قائلين أما تُخبرنا ما لكَ وهذا؟ فقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ عصا يوسف التي في يد أفرايم وأسباط إسرائيل رفقاءه وأضم إليها عصا يهوذا وأجعلهم عصاً واحدةً فيصيرون واحدةً في يَدي (مملكة الشمال ومملكة الجنوب)». وأيضاً: (حز ٤٧: ١٣):
+ «هكذا قال السيد الرب. هذا هو التخم الذي به تمتلكون الأرض بحسب أسباط إسرائيل الاثني عشر. يوسف قسمان».

(١٦ - ١٩):

إظهار سلطان الله على الطبيعة في أثناء عملية الفداء.

١٦ - «أَبْصَرَتْكَ الْمِيَاهُ يَا اَللهُ، أَبْصَرَتْكَ الْمِيَاهُ فَفَزِعَتْ، ارْتَعَدَتْ أَيْضاً اللُّجَجُ».

يصوِّر المزمور المياه وقاع البحر بأشخاص لما رأوا الخالق ارتعبوا وأعطوا مكاناً. انظر: (حب ٣: ١٠):

+ «أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلى العلاء». وأيضاً: (مز ١١٤: ٣):
+ «البحر رآه فهرب. الأردن رجع إلى خلف». وأيضاً: (خر ١٥: ٥ و٨):
+ «تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الأعماق كحجر».
+ «وبريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المجاري كرابية. تجمّدت اللجج في قلب البحر».

ويصفها الشعر العبري هكذا أنها كانت خائفة وتزعزعت الأعماق!

١٧ - «سَكَبَتِ الْغُيُومُ مِيَاهاً، أَعْطَتِ السُّحُبُ صَوْتاً. أَيْضاً سِهَامُكَ طَارَتْ».

الرب جاء في العاصفة وفي الزلزلة، هكذا ينشئ الشعر ويرسم الأفكار. انظر: (خر ١٤: ٢٤ و٢٥):

+ «وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بَكَر مركباتهم حتى ساقوها بثقله. فقال المصريون نهرب من إسرائيل. لأن الرب يقاتل المصريين عنهم!». وأيضاً: (مز ١٨: ٧ - ٩):
+ «فارتجت الأرض وارتعشت أُسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب. صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه!». وأيضاً: (مز ٩٧: ٣ - ٥):
+ «قدّامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله. أضاءت بروقه المسكونة. رأت الأرض وارتعدت. ذابت الجبال مثل الشمع». وأيضاً: (حب ٣: ١٠ و١١):
+ «أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلى العلاء».
+ «الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك. بغضب خطرت في الأرض ...».

حيث أعطت السحب صوتها بمعنى الرعد ومن بعده البرق الذي في الحقيقة يظهر أولاً ويُعبَّر عنه بالسهام المتقدة الطائرة.

١٨ - «صَوْتُ رَعْدِكَ فِي الزَّوْبَعَةِ. الْبُرُوقُ أَضَاءَتِ الْمَسْكُونَةَ. ارْتَعَدَتْ وَرَجَفَتِ الأَرْضُ».

«صوت رعدك في الزوبعة»:

كان الشعراء اليهود يعتقدون أن صوت الرعد ما هو إلاّ أن الرب يجري عجلاته. انظر: (حب ٣: ٨):

+ «هل على الأنهار حمي يا رب؟ هل على الأنهار غضبك أو على البحر سخطك حتى أنك ركبت خيلك؟ مركباتك مركبات الخلاص».

١٩ - «فِي الْبَحْرِ طَرِيقُكَ، وَسُبُلُكَ فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، وَآثَارُكَ لَمْ تُعْرَفْ».

انظر: (حب ٣: ١٥):

+ «سلكت البحر بخيلك كُوَمَ المياه الكثيرة».

«آثارك لم تُعرف»:

بعد أن رجع البحر إلى ما كان عليه ولم تعد الأمواج تحمل آثاراً لعمل الله في البحر. انظر: (أي ٢٣: ٨ و٩):

+ «هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به. شمالاً حيث عمله فلا أنظره. يتعطّف الجنوب فلا أراه».

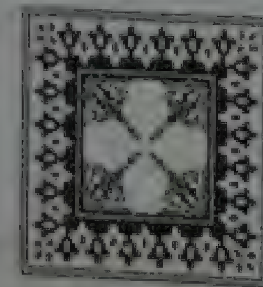
٢٠ - «هَدَيْتَ شَعْبَكَ كَالْغَنَمِ بِيَدِ مُوسَى وَهَارُونَ».

كانت حركات الطبيعة من فوق ومن تحت هي المبشّر بالخلاص الذي يتم. انظر: (لو ٢١: ٢٨):

+ «ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب».

وهكذا في ختام المزمور يعطي ختام معركة إخراج شعب إسرائيل من مصر وقيادة الله لهم في البرية على يد موسى وهارون. انظر: (خر ١٥: ١٣):

+ «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك». وأيضاً: (مز ٧٨: ٥٢):
+ «وساق مثل الغنم شعبه وساقهم مثل قطيع في البرية». وأيضاً: (مز ٧٤: ٢):
+ «اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك». وأيضاً: (عد ٣٣: ١):
+ «هذه رحلات بني إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر بجنودهم عن يد موسى وهارون». وأيضاً: (مي ٦: ٤):
+ «إني أصعدتك من أرض مصر وفككتك من بيت العبودية وأرسلت أمامك موسى وهارون ومريم». وأيضاً: (إش ٦٣: ١١ و١٢):
+ «ثم ذَكَرَ الأيام القديمة موسى وشعبه. أين الذين أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه؟ الذي سيَّر ليمين موسى ذراع مجده ...».



المزمور الثامن والسبعون

قصيدة لآساف

١- «اصغ يا شعبي إلى شريعتي. أميلوا آذانكم إلى كلام فمي.
٢- أفتح بمثل فمي. أذيع ألغازاً منذ القدم.
٣- التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا.
٤- لا نخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخر، مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنع.
٥- أقام شهادة في يعقوب، ووضع شريعة في إسرائيل، التي أوصى آباءنا أن يعرّفوا بها أبناءهم،
٦- لكي يعلم الجيل الآخر. بنون يولدون فيقومون ويخبرون أبناءهم،
٧- فيجعلون على الله اعتمادهم، ولا ينسون أعمال الله، بل يحفظون وصاياه.
٨- ولا يكونون مثل آبائهم، جيلاً زائغاً ومارداً، جيلاً لم يثبّت قلبه ولم تكن روحه أمينة لله.
٩- بنو أفرايم النازعون في القوس، الرامون انقلبوا في يوم الحرب.
١٠- لم يحفظوا عهد الله، وأبوا السلوك في شريعته.
١١- ونسوا أفعاله وعجائبه التي أراهم.
١٢- قدام آبائهم صنع أعجوبة في أرض مصر، بلاد صوعن.
١٣- شق البحر فعبّرهم ونصب المياه كند.
١٤- وهداهم بالسحاب نهاراً، والليل كله بنور نار.
١٥- شق صخوراً في البرية وسقاهم كأنه من لجج عظيمة.
١٦- أخرج مجاري من صخرة، وأجرى مياهاً كالأنهار.
١٧- ثم عادوا أيضاً ليخطئوا إليه، لعصيان العلي في الأرض الناشفة.
١٨- وجربوا الله في قلوبهم، بسؤالهم طعاماً لشهوتهم.
١٩- فوقعوا في الله. قالوا: هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية؟
٢٠- هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية. هل يقدر أيضاً أن يعطي خبزاً، أو يهيئ لحماً لشعبه؟
٢١- لذلك سمع الرب فغضب، واشتعلت نار في يعقوب، وسخط أيضاً صعد على إسرائيل،
٢٢- لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلوا على خلاصه.
٢٣- فأمر السحاب من فوق، وفتح مصاريع السموات.
٢٤- وأمطر عليهم مناً للأكل، وبرّ السماء أعطاهم.

٢٥- أكل الإنسان خبز الملائكة. أرسل عليهم زاداً للشبع
٢٦- أهاج شرقية في السماء وساق بقوته جنوبية.
٢٧- وأمطر عليهم لحماً مثل التراب، وكرمل البحر طيوراً ذوات أجنحة.
٢٨- وأسقطها في وسط محلتهم حوالي مساكنهم.
٢٩- فأكلوا وشبعوا جداً، وأتاهم بشهوتهم.
٣٠- لم يزوغوا عن شهوتهم. طعامهم بعد في أفواههم.
٣١- فصعد عليهم غضب الله، وقتل من أسمنهم، وصرع مختاري إسرائيل.
٣٢- في هذا كله أخطأوا بعد، ولم يؤمنوا بعجائبه.
٣٣- فأفنى أيامهم بالباطل وسنيهم بالرعب.
٣٤- إذ قتلهم طلبوه، ورجعوا وبكروا إلى الله،
٣٥- وذكروا أن الله صخرتهم، والله العلي وليهم.
٣٦- فخادعوه بأفواههم، وكذبوا عليه بألسنتهم.
٣٧- أما قلوبهم فلم تثبت معه، ولم يكونوا أمناء في عهده.
٣٨- أما هو فرؤوف، يغفر الإثم ولا يهلك. وكثيراً ما رد غضبه، ولم يشعل كل سخطه.
٣٩- ذكر أنهم بشر. ريح تذهب ولا تعود.
٤٠- كم عصوه في البرية وأحزنوه في القفر!
٤١- رجعوا وجربوا الله وعنّوا قدوس إسرائيل.
٤٢- لم يذكروا يده يوم فداهم من العدو،
٤٣- حيث جعل في مصر آياته، وعجائبه في بلاد صوعن.
٤٤- إذ حوّل خلجانهم إلى دم، ومجاريهم لكي لا يشربوا.
٤٥- أرسل عليهم بعوضاً فأكلهم، وضفادع فأفسدتهم.
٤٦- أسلم للجردم غلتهم، وتعبهم للجراد.
٤٧- أهلك بالبرد كرومهم، وجميزهم بالصقيع.
٤٨- ودفع إلى البرد بهائمهم، ومواشيهم للبروق.
٤٩- أرسل عليهم حمو غضبه، سخطاً ورجزاً وضيقاً، جيش ملائكة أشرار.
٥٠- مهّد سبيلاً لغضبه. لم يمنع من الموت أنفسهم، بل دفع حياتهم للوبإ.
٥١- وضرب كل بكر في مصر. أوائل القدرة في خيام حام.

٥٢- وَسَاقَ مِثْلَ الْغَنَمِ شَعْبَهُ. وَقَادَهُمْ مِثْلَ قَطِيعٍ فِي الْبَرِّيَّةِ.
٥٣- وَهَدَاهُمْ آمِنِينَ فَلَمْ يَجْزَعُوا. أَمَّا أَعْدَاؤُهُمْ فَغَمَرَهُمُ الْبَحْرُ.
٥٤- وَأَدْخَلَهُمْ فِي تُخُومِ قُدْسِهِ، هذَا الْجَبَلِ الَّذِي اقْتَنَتْهُ يَمِينُهُ.
٥٥- وَطَرَدَ الأُمَمَ مِنْ قُدَّامِهِمْ وَقَسَمَهُمْ بِالْحَبْلِ مِيرَاثًا، وَأَسْكَنَ فِي خِيَامِهِمْ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ.
٥٦- فَجَرَّبُوا وَعَصَوُا اللهَ الْعَلِيَّ، وَشَهَادَاتِه لَمْ يَحْفَظُوا،
٥٧- بَلِ ارْتَدُّوا وَغَدَرُوا مِثْلَ آبَائِهِمْ. انْحَرَفُوا كَقَوْسٍ مُخْطِئَةٍ.
٥٨- أَغَاظُوهُ بِمُرْتَفَعَاتِهِمْ، وَأَغَارُوهُ بِتَمَاثِيلِهِمْ.
٥٩- سَمِعَ اللهُ فَغَضِبَ، وَرَذَلَ إِسْرَائِيلَ جِدًّا.
٦٠- وَرَفَضَ مَسْكَنَ شِيلُو، الْخَيْمَةَ الَّتِي نَصَبَهَا بَيْنَ النَّاسِ.
٦١- وَسَلَّمَ لِلسَّبْيِ عِزَّهُ، وَجَلاَلَهُ لِيَدِ الْعَدُوِّ.
٦٢- وَدَفَعَ إِلَى السَّيْفِ شَعْبَهُ، وَغَضِبَ عَلَى مِيرَاثِه.
٦٣- مُخْتَارُوهُ أَكَلَتْهُمُ النَّارُ، وَعَذَارَاهُ لَمْ يُحْمَدْنَ.
٦٤- كَهَنَتُهُ سَقَطُوا بِالسَّيْفِ، وَأَرَامِلُهُ لَمْ يَبْكِينَ
٦٥- فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ.
٦٦- فَضَرَبَ أَعْدَاءَهُ إِلَى الْوَرَاءِ. جَعَلَهُمْ عَاراً أَبَدِيًّا.
٦٧- وَرَفَضَ خَيْمَةَ يُوسُفَ، وَلَمْ يَخْتَرْ سِبْطَ أَفْرَايِمَ.
٦٨- بَلِ اخْتَارَ سِبْطَ يَهُوذَا، جَبَلَ صِهْيَوْنَ الَّذِي أَحَبَّهُ.
٦٩- وَبَنَى مِثْلَ مُرْتَفِعَاتٍ مَقْدِسَهُ، كَالأَرْضِ الَّتِي أَسَّسَهَا إِلَى الأَبَدِ.
٧٠- وَاخْتَارَ دَاوُدَ عَبْدَهُ، وَأَخَذَهُ مِنْ حَظَائِرِ الْغَنَمِ،
٧١- مِنْ خَلْفِ الْمُرْضِعَاتِ أَتَى بِهِ، لِيَرْعَى يَعْقُوبَ شَعْبَهُ، وَإِسْرَائِيلَ مِيرَاثَهُ.
٧٢- فَرَعَاهُمْ حَسَبَ كَمَالِ قَلْبِهِ، وَبِمَهَارَةِ يَدَيْهِ هَدَاهُمْ».

دراسة:

في المزمور (٧٧) ذكر الشاعر صاحب المزمور أعمال الله العجيبة قديماً لتشجيع إيمان نفسه في ساعة الحزن والضيق. أما في هذا المزمور فهو يدعو السامعين ليأخذوا درساً وتحذيراً لأنفسهم من التاريخ الماضي للأمة.

ومراراً كثيرة نراه يكشف أن إسرائيل نسي أعمال يهوه التي عملها لأجلهم، وبهذا الجحود

وقصر ذاكرتهم في الإيمان ثاروا ضد أحكامه! وجرَّبوه بعدم إيمانهم بصلاحه. وصاحب المزمور يرفع هذه الصورة لمواطنيه برجاء أن يتعلَّموا كيف يمتنعوا عن تكرار هذه الخطايا التي لآبائهم.

ولو أن المزمور يذكر سلوك كل الأمة إلا أنه يذكر أفرايم (بحسب عدد ٩) بمفرده كمرتد عن الله ومُدان. ويكمل صاحب المزمور باختيار صهيون كقاعدة الهيكل وداود كملك لإسرائيل، وبطريقة تفيد أن الكاتب عنده بعض الأسباب ليقف عند موضع أورشليم ومملكة داود كأخص المواضيع لإحسانات يهوه. ولكن تعنيف أفرايم ليس هو موضوع المزمور، وغرضه إيجابي لكي يجري تحذيراً من نحو الحاضر والمستقبل من اعتبارات الماضي إلى تقديرات المستقبل.

ونجد أنه من الصعب تحديد زمن المزمور بأي تأكيد، وإن كان التاريخ الذي يسرده المزمور قد انحدر إلى زمن داود وتوقَّف عن ما بعده فهذا لا يحقق أن المزمور قد كُتب آنئذ!

ويمتد إلى وجود الهيكل (٦٩) وبحسب الظاهر إلى افتراق المملكتين. وقد قيل إن الفائدة التربوية المستمدة من التاريخ الماضي هي بحد ذاتها تُحسب أنها تقطع بأن زمن التاريخ ليس قبل السبي – وإنه يصير من الجهل أن نفصل هذا المزمور عن المزامير ١٠٥ – ١٠٧، ولكن يرد على ذلك بأن الفائدة التعليمية للتاريخ القديم إنما توجد أيضاً في الأنبياء السابقين، وإنه ولو أن المزمورين ١٠٥، ١٠٦ يتبعان نفس الأسلوب في الاستفادة من التاريخ القديم؛ فليس من الضرورة أن كل هذه المزامير تعود إلى زمن واحد! فهناك بعض المفارقات الهامة. فالمزامير ١٠٥ – ١٠٧ تحوي دلالات لزمن السبي ولكن هذا لا ينطبق على هذا المزمور الذي نحن بصدده. والعدد (٦٩) يتكلم عن الهيكل بلغة تجعل من الصعب أن نتصور أنه كان قد انهدم.

كذلك نجد أن صاحب المزمور يشير إلى ضربات بحسب ما تسجل في الأجزاء التي تستعمل اسم يهوه في سفر الخروج (J)، وبحسب قراءة محتملة جداً للعدد (٤٨) أنه احتوى كل الضربات الواردة في التسجيل (J) فهو لم يذكر ضربة الظلام التي نجد وصفها فقط في الأجزاء الإلوهية أي التي تستعمل اسم الإلوهيم (E)، ولا ضربتي الذبان والدمامل المذكورتين فقط في التسجيل الكهنوتي (P). وطبعاً لم يكن من الضروري أن يذكر صاحب المزمور كل الضربات إلا أنه من الواضح أنه يتتبع الضربات المذكورة في التسجيل (J) الذي كان وحده متداولاً في الأزمنة المبكرة. فإذا كان الأمر كذلك فإن المزمور يلزم أن يكون قد كُتب في تاريخ مبكر نوعاً ما.

ومن جهة أخرى فإن استخدام لقب «قدوس إسرائيل» في عدد (٤١): «رجعوا وجرَّبوا الله

وعنّوا قدوس إسرائيل»، يدل على أن المزمور ليس أقدم من زمن إشعياء الذي استحدث هذا اللقب ليشرح حقيقة استعلان حدث له في رؤيا استدعائه.

لذلك ربما يكون عائداً إلى هذه المدة وربما يكون قد كُتب في زمن عداوة المملكة الشمالية لمملكة يهوذا (إش ٧ و٨) أو ربما الأكثر احتمالاً في زمن سقوط المملكة الشمالية كتحذير ليهوذا أن تحذر (مع أن صهيون مدينة اختيار الله وبيت داود اختير ليحكم الشعب) من أن يحل عليها هي أيضاً مثل ما حل بشيلوه وأفرايم وأن تُرفض. وفي هذا الوقت بالذات كانت فكرة اختيار الله لأورشليم يمكن أن تُقدَّم كأساس للرجاء والثقة.

والمزمور يقع بالأساس في وقفات كل منها ٨ أو ١٦ آية، على أن الآيات ١٧ و١٨، ٤٠ و٤١ و٥٦ و٥٧ تكوِّن قراراً أساسياً فيه تكون الفكرة السائدة في المزمور خيانة إسرائيل وتجربة الله، إنما تكرَّر ويتوسع فيها!

وصاحب المزمور لم يتبع الترتيب التاريخي للحوادث ولكن يصف أولاً عناية يهوه لإسرائيل وعدم استجابة إسرائيل وجحودها من نحو يهوه في البرية (١٢ - ٣٩)، وبعدها يذكر المعجزات الخاصة بالخروج واستقرار الأمة في كنعان (٤٠ إلخ).

١ - غرض المزمور هو أن يعطي تحذيراً وتعليماً للجيل الحاضر من التاريخ السابق لإسرائيل، وذلك لتنتفع إسرائيل من موسى الماضي وتقوِّم مسارها بحسب أوامر الله لكي لا تكرر الجحود وعدم الإيمان الذي كان في الماضي (١ - ٨).

٢ - تاريخ إسرائيل كان تسجيلاً غريباً لتكرار النسيان وعدم الأمانة لله الذي أحضرهم من مصر وهيَّأ احتياجاتهم في البرية بعناية فائقة (٩ - ١٦).

٣ - بالرغم من عناية الله نجدهم يثورون عليه ويجربونه بالشك في قدراته وصلاحه حتى أنه بينما هو يهيئ حاجاتهم كان مجبراً أن يعاقبهم على خطيتهم (١٧ - ٣١).

٤ - تأديبات البرية أنتجت فقط إصلاحاً وقتياً ظاهرياً، وكان بسبب احتمال الله أنهم لم يفنوا (٣٢ - ٣٩).

٥ - لم يكن ذلك ضلالاً أو انحرافاً وقتيًّا ولكنه كان حالة متكررة من أكثر التذمرات في نسيان كامل لكل ما هم مديونين به ليهوه لفدائهم من عبودية مصر. والمزمور يحكي العجائب

التي أكملت خلاصهم لكي يسلط الأضواء على ضلال إسرائيل ومروقها وجحودها إزاء يهوه الذي حطَّم أعداءهم وأحضرهم آمنين إلى الأرض التي أعدَّها لهم (٤٠ - ٥٥).

٦ - ولكن هناك أيضاً جربوا الله وثاروا ضده حتى ترك مكان سكناه في شيلوه وأهملهم لأعدائهم (٥٦ - ٦٤).

٧ - ولكن مرة أخرى عاد فرحمهم وعندما خلَّصهم من أعدائهم اختار يهوذا بدل أفرايم وصهيون بدل شيلوه، وعيَّن داود ليرعى شعبه (٦٥ - ٧٢).

ويلزم أن يُقارَن هذا المزمور مع المزامير ١٠٥ و١٠٦ وسفر التثنية (٣٢).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٨]:

يدعو صاحب المزمور بدعوة مهيبة بني وطنه أن يصغوا لتعليمه، وقد شرع في تقديم الدروس المستفادة من تاريخ إسرائيل الماضي طاعةً لأمر الله بأنه يجب تسليم التقليد بالنسبة لأعماله العظيمة لتشجيع وتحذير كل جيل قادم.

١ - «**اِصْغَ يَا شَعْبِي إِلَى شَرِيعَتِي. أَمِيلُوا آذَانَكُمْ إِلَى كَلاَمِ فَمِي**».

٢ - «**أَفْتَحُ بِمَثَلٍ فَمِي. أُذِيعُ أَلْغَازاً مُنْذُ الْقِدَمِ**».

في افتتاحية المزمور (٤٩) نجد أن دعوته هي لكل الشعوب: «اسمعوا هذا يا جميع الشعوب. أصغوا يا جميع سكان الدنيا»، لأنه يقدِّم تعاليم الحكماء بالمعنى الأوسع: «فمي يتكلم بالحكم» (٤٩: ٣). ولكننا نجد في هذا المزمور أنه يخاطب شعب إسرائيل ولكن بروح النبوَّة لأن وظيفة الأنبياء كانت هي شرح الماضي ليكون عظة وعبرة للحاضر والمستقبل.

«**إلى شريعتي**»:

انظر: (أم ١: ٨):

+ «اسمع يا ابني تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك».

أما بالنسبة إلى الأقوال المخفية والأمثال والألغاز. فانظر: (مز ٤٩: ٤):

+ «أميل أذني إلى مَثَل وأوضح بعود لغزي».

حيث الأمثال والألغاز تحتاج إلى عمق التفكير والرجعة إلى العود والضرب عليه لكي تسمو الروح وتنفتح بصيرتها وتُدرك ما لا يُدرك بالعقل الصاحي.

وصاحب المزمور ليس عنده مجرد حقائق ليُدلي بها ولكن سرد تاريخ مملوء مجداً للذين يستطيعون الدخول في خفايا المعنى. فهو "مَثَل" ليس لإسرائيل فقط بل ولكل إنسان في الكنيسة المسيحية أيضاً. إنه نبوي، والنبوي يفوق زمانه ويغطي كل الأزمنة والأجيال لا فرق؛ أما **الألغاز** وهي المقولات العويصة ذات المعنى المخفي، التي يسميها الإنجليز Darksayings و Enigma، فهي المتَّخذة من التاريخ القديم من الخروج عندما كان يولد شعب إسرائيل كأمة وما بعدها. انظر: (مز ٧٧: ٥و٦):

+ «تفكرت في أيام القدم السنين الدهرية. أذكر ترنمي في الليل. مع قلبي أناجي وروحي تبحث».

وقد استعار هذه الآية القديس متى بتحرُّر قائلاً:

+ «هذا كله كلَّم به يسوع الجموع بأمثال. وبدون مثل لم يكن يكلِّمهم. لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: "سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم" (مز ٧٧: ٥ و٦).» (مت ١٣: ٣٤ و٣٥)

حيث هنا النبي هو آساف!!

فكما أن النبي آساف استخدم حقائق تاريخ إسرائيل القديم ليوصل التعاليم التي يراها لازمة للتعليم، هكذا استخدم المسيح كل مظاهر الطبيعة والحياة وخبرة حياته.

٣ - «**الَّتِي سَمِعْنَاهَا وَعَرَفْنَاهَا وَآبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا**».

٤ - «**لاَ نُخْفِي عَنْ بَنِيهِمْ إِلَى الْجِيلِ الآخِرِ، مُخْبِرِينَ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ وَقُوَّتِهِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي صَنَعَ**».

انظر: (مز ٤٤: ١):

+ «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم». وأيضاً: (قض ٦: ١٣):

+ «فقال له جدعون (للملاك) أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر. والآن قد رفضنا

الرب وجعلنا في كف مديان».

و"تسابيح يهوه" هي أعماله التي تستحق كل تسبيح. انظر: (مز ٢٢: ٣ و٣٠):

+ «وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل».

+ «الذرية تتعبَّد له، يُخبَّر عن الرب الجيل الآتي».

«**وعجائبه التي صنع**»:

انظر: (مز ٧١: ١٧):

+ «اللهم قد علَّمتني منذ صباي وإلى الآن أُخبر بعجائبك». وأيضاً: (مز ١٤٥: ٤ و٥):

+ «دور إلى دور يسبح أعمالك وبجبروتك يخبرون».

+ «بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج».

٥ - «**أَقَامَ شَهَادَةً فِي يَعْقُوبَ، وَوَضَعَ شَرِيعَةً فِي إِسْرَائِيلَ، الَّتِي أَوْصَى آبَاءَنَا أَنْ يُعَرِّفُوا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ**».

٦ - «**لِكَيْ يَعْلَمَ الْجِيلُ الآخِرُ. بَنُونَ يُولَدُونَ فَيَقُومُونَ وَيُخْبِرُونَ أَبْنَاءَهُمْ**».

لا يقصد شرائع موسى عامة، ولكن حقائق إسرائيل الكبرى في التاريخ التي تذكارها يمكن أن يُسلَّم من جيل إلى جيل. انظر: (خر ١٠: ٢):

+ «ولكي تُخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم. فتعلمون أني أنا الرب». وأيضاً: (خر ١٢: ٢٦ - ٢٨):

+ «ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم. إنكم تقولون هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني إسرائيل لما ضرب المصريين وخلَّص بيوتنا. فخر الشعب وسجدوا. ومضى بنو إسرائيل وفعلوا كما أمر موسى وهارون. هكذا فعلوا». وأيضاً: (خر ١٣: ٨ و١٤):

+ «وتُخبر ابنك في ذلك اليوم قائلاً من أجل ما صنع الرب إليَّ حين أخرجني من مصر».

+ «ويكون متى سألك ابنك غداً قائلاً: ما هذا تقول له: بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية». وأيضاً: (تث ٤: ٩):

+ «إنما احترز واحفظ نفسك جداً لئلا تنسى الأمور التي أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك وعلِّمها لأولادك وأولاد أولادك». وأيضاً: (تث ٦: ٢٠ - ٢٣):

+ «إذا سألك ابنك غداً قائلاً: ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي أوصاكم بها الرب

إلهنا؟ تقول لابنك: كنَّا عبيداً لفرعون في مصر فأخرجنا من مصر بيد شديدة. وصنع الرب آيات وعجائب عظيمة ورديئة بمصر بفرعون وجميع بيته أمام أعيننا. وأخرجنا من هناك لكي يأتي بنا ويعطينا الأرض التي حلف لآبائنا».

وفي العهد الجديد التقليد يُسمَّى "الوديعة". انظر: (٢تي ٢: ٢):

+ «وما سمعته منِّي بشهود كثيرين **أودعه** أناساً أمناء يكونون أكفاءً أن يعلِّموا آخرين أيضاً».

٧ - «**فَيَجْعَلُونَ عَلَى اللهِ اعْتِمَادَهُمْ، وَلاَ يَنْسَوْنَ أَعْمَالَ اللهِ، بَلْ يَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ**».

«**اعتمادهم**»:

وصحتها رجاءهم أو ثقتهم مثل (أم ٣: ٢٦):

+ «لأن الرب يكون معتمدك ويصون رجلك من أن تؤخذ».

«**لا ينسون**»:

كلمة مكرَّرة جدًّا في سفر التثنية مثلاً في (تث ٤: ٩):

+ «إنما احترز واحفظ نفسك جدًّا لئلا تنسى».

«**أعمال الله**»:

انظر: (مز ٧٧: ١١):

+ «أذكر أعمال الرب إذ أتذكر عجائبك منذ القدم».

٨ - «**وَلاَ يَكُونُونَ مِثْلَ آبَائِهِمْ، جِيلاً زَائِغاً وَمَارِداً، جِيلاً لَمْ يُثَبِّتْ قَلْبَهُ وَلَمْ تَكُنْ رُوحُهُ أَمِينَةً لله**».

وهو جيل التيه في برية سيناء. ولكن التحذير يشمل كل أجيال الآباء الزائغين غير الأمناء.

«**زائغاً ومارداً**»:

تُرجمت في موضع آخر: «معاند ومارد». انظر: (تث ٢١: ١٨ - ٢١):

+ «إذا كان لرجل ابن **معاند ومارد** ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدِّبانه فلا يسمع لهما. يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه. ويقولون لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا، وهو مسرف وسكِّير. فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون». وأيضاً: (إر ٥: ٢٣ و٢٤):

+ «وصار لهذا الشعب قلب **عاصٍ (زائغ) ومتمرد**. عصوا ومضوا. ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب إلهنا ...». وأيضاً: (تث ٩: ٧ و٨):

+ «اذكر لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك في البرية. من اليوم الذي خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب. حتى في حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم». وأيضاً: (تث ٣١: ٢٧):

+ «لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي». وأيضاً: (تث ٣٢: ٥ و٦ و٢٠):

+ «أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهُم. جيل أعوج ملتو. ألرب تكافئون بهذا يا شعباً غبيًّا غير حكيم».

+ «وقال أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلِّب أولاد لا أمانة فيهم».

«**لم يُثبِّت قلبه**»:

لم يستطيعوا أن يخدموا الرب بل غلبتهم أهواؤهم وأرواحهم لم تكن أمينة للرب، لا ثقة فيهم ولا أمانة.

[٩ - ١٦]:

عدم طاعة إسرائيل وعدم شكرهم واعترافهم بالجميل بالرغم من إحسانات الله في الخروج وفي البرية.

٩ - «**بَنُو أَفْرَايِمَ النَّازِعُونَ فِي الْقَوْسِ، الرَّامُونَ انْقَلَبُوا فِي يَوْمِ الْحَرْبِ**».

واضح أن عدم أمانتهم للرب تسبَّبت في كسرهم وانقلابهم إذ أنهم تباطئوا وتواطأوا في حروبهم مع كنعان. انظر: (قض ١: ٢٩):

+ «وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر».

واعتُبر هذا أنه إظهار عدم أمانة لله وعدم اكتراث بأوامره، وكانوا جبناء ولم يحاربوا في المعركة وأخفقوا في حروب الرب. ولكن لماذا أفرايم بالذات والعمل خاص بكل إسرائيل؟ بسبب عدم طاعتهم وعدم أمانتهم بنوع خاص.

١٠ - «**لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ اللهِ، وَأَبَوْا السُّلُوكَ فِي شَرِيعَتِهِ**».

انظر: (خر ١٩: ٥):

+ «فالآن إن **سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي** تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب». انظر: (يو ٥: ٢٤):

+ «الحق الحق أقول لكم إن مَنْ **يسمع كلامي** ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة». وأيضاً: (خر ٢٤: ٣ و٧ و٨):

+ «فجاء موسى وحدَّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: كل الأقوال التي تكلَّم بها الرب نفعل».

+ «وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا كل ما تكلَّم به الرب نفعل ونسمع له».

+ «وأخذ موسى الدم ورشَّ على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال».

١١ - «**وَنَسُوا أَفْعَالَهُ وَعَجَائِبَهُ الَّتِي أَرَاهُمْ**».

١٢ - «**قُدَّامَ آبَائِهِمْ صَنَعَ أُعْجُوبَةً فِي أَرْضِ مِصْرَ، بِلاَدِ صُوعَنَ**».

انظر: (مز ٧٧: ١٤):

+ «أنت الإله الصانع العجائب. عرَّفت بين الشعوب قوَّتك».

«بلاد صوعن»:

معروفة عند اليونانيين باسم «تانيس»، وهي مدينة كانت واقعة على الجانب الشرقي للفرع التانيسي للنيل وهي مشهورة أنها كانت عاصمة الهكسوس لما احتلوا مصر، وقد أعادها لمصر رمسيس الثاني فرعون الخروج.

وقد وصفها العالِم «بتري» الذي اكتشفها سنة ١٨٨٣ و١٨٨٤م كمدينة كانت أقل من غيرها من العواصم، سواء طيبة أو ممفيس، سواء في العظمة أو المنحوتات. وعبارة «بلاد صوعن» التي يذكرها المزمور قد وُجدت منقوشة في حفريات تلك المنطقة.

وبعد هذه الإشارة المختصرة للضربات التي حدثت بمصر التي تكلَّم عنها مطولاً بعد ذلك، في العدد (٤٣) إلخ، انتقل صاحب المزمور مباشرة إلى الخروج ورحلة التيه في البرية.

١٣ - «**شَقَّ الْبَحْرَ فَعَبَّرَهُمْ وَنَصَبَ الْمِيَاهَ كَنَدٍّ**».

«شقَّ»:

فلق، والكلمة استخدمت في الخروج. انظر: (خر ١٤: ١٦):

+ «وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر **وشقَّه**. فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة». وأيضاً: (إش ٦٣: ١٢ و١٣):

+ «الذي سيَّر ليمين موسى ذراع مجده. الذي **شقَّ** المياه قدَّامهم ليصنع لنفسه اسماً أبديًّا».

+ «الذي سيَّرهم في اللجج كفرس في البرية فلم يعثروا». وأيضاً: (مز ٣٣: ٧):

+ «يجمع كندٍّ أمواه اليم يجعل اللجج في أهراء». وأيضاً: (نح ٩: ١١):

+ «وفلقت اليم أمامهم وعبروا في وسط البحر على اليابسة وطرحتَ مُطارديهم في الأعماق وفلقت اليَمَّ كحجر في مياه قوية».

«نصب المياه كندٍّ»:

انظر: (خر ١٥: ٨):

+ «وبريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المجاري كرابية. تجمَّدت اللجج في قلب البحر». وأيضاً: (مز ٣٣: ٧):

١٤ - «**وَهَدَاهُمْ بِالسَّحَابِ نَهَاراً، وَاللَّيْلَ كُلَّهُ بِنُورِ نَارٍ**».

انظر: (خر ١٣: ٢١):

+ «وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهاراً وليلاً».

١٥ - «**شَقَّ صُخُوراً** (صوريم) **فِي الْبَرِّيَّةِ وَسَقَاهُمْ كَأَنَّهُ مِنْ لُجَجٍ عَظِيمَةٍ**».

١٦ - «**أَخْرَجَ مَجَارِيَ مِنْ صَخْرَةٍ** (سالع)، **وَأَجْرَى مِيَاهاً كَالأَنْهَارِ**».

كلمتان استُخدمتا في إخراج المياه من الصخرة، الواحدة "صور" في رفيديم والأخرى "سالع" في **قادش**:

١ - **رفيديم**: في بداية الرحلة حينما أُمر موسى أن يضرب "الصخرة". انظر: (خر ١٧: ٦-٨):

«ها أنا أقف أمامك هناك على **الصخرة** (هاصور) في حوريب فتضرب الصخرة

فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. ففعل موسى هذا أمام عيون شيوخ إسرائيل. ودعا اسم الموضع مسَّة ومريبة من أجل مخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفي وسطنا الرب أم لا؟ وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم».

والكلمة الثانية:

٢ – **قادش**: في نهاية التيه حينما ضرب موسى الصخرة التي تكلَّم معها. انظر: (عد ٢٠: ١-١١): «وأتى بنو إسرائيل الجماعة كلها إلى برية صين في الشهر الأول وأقام الشعب في قادش وماتت هناك مريم ... فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما. فتراءى لهما مجد الرب. وكلَّم الرب موسى قائلاً: خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك وكلِّما الصخرة (هاسلع) أمام أعينهم أن تعطي ماءها. فتُخرج لهم ماء من الصخرة وتسقي الجماعة ومواشيهم. فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره. وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم: اسمعوا أيها المردة. أمن هذه الصخرة نُخرج لكم ماء؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرَّتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها».

[١٧ – ٣١]:

وبالرغم من هذه المعجزات المملوءة إحساناً ومراحم إلاّ أنهم أخطأوا وأكثروا وجرَّبوا الله بعدم إيمانهم. فبينما هو يجهز لهم إعوازهم قد اضطر الله أن يؤدِّبهم من أجل خطيتهم.

١٧ – **«ثُمَّ عَادُوا أَيْضاً لِيُخْطِئُوا إِلَيْهِ، لِعِصْيَانِ الْعَلِيِّ فِي الأَرْضِ النَّاشِفَةِ».**

كل من المناسبتين اللتين عاد إليها (١٥ و١٦) متصلة بتذمر قام به الشعب والاسمين «مسَّة» و«مريبة» صارا محفوظين في ذاكرة التاريخ لذكر خطية الشعب في تجربة الله ومقاومته. ولهذه الخطية أضافوا خطايا أخرى. والآن لاحظ كيف أن كلمتي عصى وجرَّب تعودان كقرار في بداية كل قسم للمزمور ١٧ و١٨ و٤٠ و٤١ و٥٦. انظر: (مز ٩٥: ٩ – ١١):

+ «حيث جرَّبني آباؤكم. اختبروني. أبصروا أيضاً فعلي. أربعين سنة مقتُّ ذلك الجيل وقلت: هُم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلي. فأقسمت في غضبي لا يدخلون راحتي». وأيضاً: (١٠٦: ٧ و١٤ و٣٢ و٤٢):

+ «آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك لم يذكروا كثرة مراحمك فتمردوا عند البحر عند بحر سوف».
+ «بل اشتهوا شهوة في البرية وجرَّبوا الله في القفر».
+ «وأسخطوه على ماء مريبة حتى تأذَّى موسى بسببهم».
+ «وضغطهم أعداؤهم فذلوا تحت يدهم». وأيضاً: (خر ١٧: ٢ و٧):
+ «فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني؟ لماذا تجرِّبون الرب؟».
+ «ودعا اسم الموضع مسَّة ومريبة من أجل مخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين: أفي وسطنا الرب أم لا؟». وأيضاً: (عد ١٤: ٢٢ و٢٣):
+ «إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجرَّبوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي. لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم. وجميع الذين أهانوني لا يرونها». وأيضاً: (عد ٢٠: ١٠ و٢٤):
+ «وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم اسمعوا أيها المردة. أمن هذه الصخرة نُخرج لكم ماءً؟».
+ «يُضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة». وأيضاً: (تث ١: ٢٦ و٢٧ و٤٢):
+ «لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم. وتمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى يد الأموريين لكي يهلكنا».
+ «فقال الرب لي قُل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا لأني لست في وسطكم لئلا تنكسروا أمام أعدائكم». وأيضاً: (تث ٦: ١٦):
+ «لا تجرِّبوا الرب إلهكم كما جرَّبتموه في مسَّة». وأيضاً: (تث ٩: ١٣ و١٤):
+ «وكلَّمني الرب قائلاً: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. اتركني فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء وأجعلك شعباً أعظم وأكثر منهم». وأيضاً: (تث ٣٣: ٨):
+ «وللاوي قال: تميمك وأوريمك لرجلك الصدِّيق الذي جربته في مسَّة وخاصمته عند ماء مريبة».

بهاتين الكلمتين ينجمع كل سلوك إسرائيل:

١ – "**عصوا**" الله بعدم طاعتهم المستمرة نحو إرادته المستعلنة.

٢ – "**جرّبوه**" بواسطة الشكوك من جهة صلاحه وطلبات سقيمة لكي يثبت لهم وجوده.

١٨ – «**وَجَرَّبُوا اللهَ فِي قُلُوبِهِمْ، بِسُؤَالِهِمْ طَعَاماً لِشَهْوَتِهِمْ**».

الإشارة هنا ليست إلى طلب أكل الجسد، ولكن إلى عدم الإيمان: هل يقدر الله أن يهيِّئ طعاماً؟ وفي الأعداد التالية نجد أن التذمرات التي سبقت إرسال المن لأول مرة مع السلوى (خر ١٦) التحمت مع التمرمر الذي سبق إرسال السلوى لثاني مرة (عد ١١: ٤-٦):

المرة الأولى: (خر ١٦: ٢ و٣):

+ «فتذمر كل جماعة إسرائيل على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع».

المرة الثانية: (عد ١١: ٤ – ٦):

+ «واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة. فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا: مَنْ يُطعمنا لحماً؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا. ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن».

١٩ – «**فَوَقَعُوا فِي اللهِ. قَالُوا: هَلْ يَقْدِرُ اللهُ أَنْ يُرَتِّبَ مَائِدَةً فِي الْبَرِّيَّةِ؟**».

٢٠ – «**هُوَذَا ضَرَبَ الصَّخْرَةَ فَجَرَتِ الْمِيَاهُ وَفَاضَتِ الأَوْدِيَةُ. هَلْ يَقْدِرُ أَيْضاً أَنْ يُعْطِيَ خُبْزاً، أَوْ يُهَيِّئَ لَحْماً لِشَعْبِهِ؟**».

واضح أنهم فعلاً قد وقعوا في الله، لأن شعباً أخرجه الله من العبودية بمعجزات قوية وبذراع شديدة للغاية يقول هل يقدر الله؟ هذا إنكار يختص بقوة الله الشخصية، وبالتالي بشخصه وبالعلاقة التي تربطهم به كشعب، فلا نستغرب أن تقوم فيهم نار مشتعلة. انظر: (عد ١١: ١-٣):

+ «وكان الشعب كأنهم يشتكون شرًّا في أذني الرب وسمع الرب فحمي غضبه. فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة. فصرخ الشعب إلى موسى فصلَّى موسى إلى الرب فخمدت النار. فدُعي اسم ذلك الموضع تبعيرة لأن نار الرب اشتعلت فيهم».

اسم يليق في الحقيقة أن يكون شعاراً للمزمور كله.

٢١ – «**لِذلِكَ سَمِعَ الرَّبُّ فَغَضِبَ، وَاشْتَعَلَتْ نَارٌ فِي يَعْقُوبَ، وَسَخَطٌ أَيْضاً صَعِدَ عَلَى إِسْرَائِيلَ**».

هذا هو التذمر الثاني الذي كان عقابه حاضراً وكان اشتعال النار في طرف المحلة إنذاراً بالفناء، وذلك قبل أن يأتيهم السلوى لثاني مرة من ناحية البحر، فملأت المحلة.

٢٢ – «**لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَلَمْ يَتَّكِلُوا عَلَى خَلاَصِهِ**».

في لحظة آمنوا وفي لحظة سقطوا بعيداً عن الإيمان. لم يتكلوا على خلاصه، الخلاص الذي تم أمام أعينهم بقوات سمائية إعجازية مرعبة، فكان ينبغي بعد ذلك أن يكون خلاصهم بهذه الوسائل كفيلاً بأن يرد على مطالب وإعواز وشهوات.

٢٣ – «**فَأَمَرَ السَّحَابَ مِنْ فَوْقُ، وَفَتَحَ مَصَارِيعَ السَّمَوَاتِ**».

٢٤ – «**وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ مَنًّا لِلأَكْلِ، وَبُرَّ السَّمَاءِ أَعْطَاهُمْ**».

٢٥ – «**أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلاَئِكَةِ. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ زَاداً لِلشِّبَعِ**».

٢٦ – «**أَهَاجَ شَرْقِيَّةً فِي السَّمَاءِ وَسَاقَ بِقُوَّتِهِ جَنُوبِيَّةً**».

٢٧ – «**وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ لَحْماً مِثْلَ التُّرَابِ، وَكَرَمْلِ الْبَحْرِ طُيُوراً ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ**».

٢٨ – «**وَأَسْقَطَهَا فِي وَسَطِ مَحَلَّتِهِمْ حَوَالَيْ مَسَاكِنِهِمْ**».

لم يعتنِ صاحب المزمور بسرد الحوادث بترتيبها الزمني فجمع التذمر الأول والتذمر الثاني ثم إعطاء المن وفتح مصاريع السموات لمخازن الله المملوءة. انظر: (٢مل ٧: ٢ و١٩):

+ «وإن جندياً للملك كان يستند على يده أجاب رجل الله وقال: هوذا الرب **يصنع كوًى في السماء**. هل يكون هذا الأمر؟ فقال: إنك ترى بعينيك ولكن لا تأكل منه». وأيضاً: (مل ٣: ١٠):

+ «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجرِّبوني بهذا قال رب الجنود إن كنت لا أفتح لكم **كوى السموات** وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع». وأيضاً: (خر ١٦: ٤):

+ «فقال الرب لموسى ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء». وأيضاً: (مز ١٠٥: ٤٠):

+ «سألوا فأتاهم بالسلوى وخبز السماء أشبعهم». وأيضاً: (يو ٦: ٣١):

+ «آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا». وأيضاً:

(خر ١٦: ١٥ و١٦):

+ «فقال لهم موسى هذا هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا. هذا هو الشيء الذي أمر به الرب. التقطوا منه كل واحد على حسب أكله».

وإرسال السلوى متصل بإرسال المن. والسلوى أي طيور السماء تهاجر من أفريقيا إلى مصر في فصل الربيع، نفس الزمن الذي نزلت فيه في سيناء متجهة نحو الشمال، وهكذا قابلتها ريح عكسية فأسقطتها في وسط المحلة.

هذا هو تكتيك الله العجيب ليُشبع بني إسرائيل وليملأ بطونهم لحماً. ويصفها سفر العدد أنها كانت كثيفة جداً جداً وقعت على مسافة مسيرة يوم كامل في يوم كامل وكان علوها ذراعين مكدَّسة (عد ١١: ٣١).

٢٩ - «**فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جِدًّا، وَأَتَاهُمْ بِشَهْوَتِهِمْ**».

انظر: (مز ١٠٦: ١٤):

+ «بل اشتهوا شهوة في البرية وجرَّبوا الله في القفر». وأيضاً: (عد ١١: ٣١):
+ «فخرجت ريح من قِبَل الرب وساقت سلوى من البحر وألقتها على المحلة نحو مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك (مربع ضلعه مسيرة يوم). حوالي المحلة ونحو ذراعين فوق وجه الأرض».

٣٠ - «**لَمْ يَزُوغُوا عَنْ شَهْوَتِهِمْ. طَعَامُهُمْ بَعْدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ**».

٣١ - «**فَصَعِدَ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ، وَقَتَلَ مِنْ أَسْمَنِهِمْ، وَصَرَعَ مُخْتَارِي إِسْرَائِيلَ**».

انظر: (عد ١١: ٢٠ - ٢٢):

+ «بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة لأنكم رفضتم الرب الذي في وسطكم وبكيتم أمامه قائلين: لماذا خرجنا من مصر؟ فقال موسى: ست مئة ألف ماشٍ هو الشعب الذي أنا في وسطه. وأنت قلت أُعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان. أيُذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم أم يُجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم؟». وأيضاً: (عد ١١: ٣٣ و٣٤):
+ «وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قَبْلَ أن ينقطع حَمِيَ غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً. فدُعي اسم ذلك الموضع قبروت هَتَّأَوَةَ لأنهم هناك دفنوا

القوم الذين اشتهوا».

[٣٢ - ٣٩]:

ولكن هذه العقوبات لم تفلح في إعادة تكوينهم، وتأديبات أخرى إنما أحدثت إصلاحات ظاهرية وقتية، ولكن بالرغم من كل ذلك ظلَّ الله يُحسن إليهم.

٣٢ - «**فِي هذَا كُلِّهِ أَخْطَأُوا بَعْدُ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِعَجَائِبِهِ**».

ودخلت خطية أخرى لما ذهب الجاسوسان وأتيا بأخبار أزعجتهم، الأمر الذي أُدينوا بسببه ليتيهوا في البرية. انظر: (عد ١٤: ١-٤):

+ «فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف ... فقال بعضهم لبعضٍ نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر!».

٣٣ - «**فَأَفْنَى أَيَّامَهُمْ بِالْبَاطِلِ وَسِنِيهِمْ بِالرُّعْبِ**».

انظر: (مز ٣٩: ٥ و١١):

+ «هوذا جعلت أيامي أشباراً وعمري كلا شيء قدامك. إنما نفخة كل إنسان قد جُعل».
+ «بتأديبات إن أدبت الإنسان من أجل إثمه أفنيت مثل العث مشتهاه. إنما كل إنسان نفخة». وأيضاً: (مز ٦٢: ٩):
+ «إنما باطل بنو آدم. كذب بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق. هم من باطل أجمعون».

«**وسنيهم بالرعب**»:

انظر: (لا ٢٦: ١٦ و١٧):

+ «فإني أعمل هذه بكم. أسلِّط عليكم رعباً وسلاً وحُمَّى تفني العينين وتتلف النفس وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم. وأجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلَّط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس مَنْ يطردكم».

٣٤ - «**إِذْ قَتَلَهُمْ طَلَبُوهُ، وَرَجَعُوا وَبَكَّرُوا إِلَى اللهِ**».

المعنى أن كل عقاب صار كي يعيد إليهم عقلهم ولكن سرعان ما عادوا إلى تذمرهم.

٣٥ - «**وَذَكَرُوا أَنَّ اللهَ صَخْرَتُهُمْ، وَاللهَ الْعَلِيَّ وَلِيُّهُمْ**».

«**الله صخرهم**»:

انظر: (تث ٣٢: ٤):

+ «هو الصخر الكامل صنيعه. إنَّ جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه صدِّيق وعادل هو».

«**الله العليّ**»: **El 'Elyon**

عبارة مركبة موجودة فقط في (تك ١٤: ١٨):

+ «وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً **لله العلي**».

وجاءت إلوهيم العلي في (مز ٥٧: ٢):

+ «أصرخ إلى الله العليّ إلى الله المحامي عني».

٣٦ - «**فَخَادَعُوهُ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَكَذَبُوا عَلَيْهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ**».

وكأنما الله إنسان يُغش ويُخادع بالرياء والكذب. انظر: (إش ٢٩: ١٣ و١٤):

+ «لأن هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلَّمة. لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفي فهم فهمائه».

في حساب عدد آيات المزامير يقدِّر العلماء في النسخة الماسورية أن هذه الآية [٧٨: ٣٦] هي منتصف عدد آيات المزامير كلها الذي يبلغ ٢٥٢٧ آية.

٣٧ - «**أَمَّا قُلُوبُهُمْ فَلَمْ تُثَبَّتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي عَهْدِهِ**».

القلب هو عنصر الفكر والإرادة الذي يقرِّر الصفات الأخلاقية والدينية للفكر، وهو قاعدة التوبة الصادقة وإصلاح الحياة. انظر: (مز ٥١: ١٠):

+ «قلباً نقيًّا اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي». وأيضاً: (مز ٥٧: ٧):

+ «ثابت قلبي يا الله ثابت قلبي. أغنِّي وأُرنِّم».

٣٨ - «**أَمَّا هُوَ فَرَؤُوفٌ، يَغْفِرُ الإِثْمَ وَلاَ يُهْلِكُ. وَكَثِيراً مَا رَدَّ غَضَبَهُ، وَلَمْ يُشْعِلْ كُلَّ سَخَطِهِ**».

هذا البيت يصف صفات الله العامة والتي بمقتضاها في (٣٩) أعفى عن إسرائيل بالرغم من جريمتها. (خر ٣٤: ٦ و٧):

+ «فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يُبرئ إبراءً». وأيضاً: (خر ٣٢: ١٠-١٤):

+ «فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم فأصيِّرك شعباً عظيماً. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ... اذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب إسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم ... فندم الرب ...». وأيضاً: (عد ١٤: ١٨ و١٩):

+ «الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يُبرئ ...».

+ «اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى هنا». وأيضاً: (تث ٤: ٣١):

+ «لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك ولا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه». وأيضاً: (تث ٢٨: ٥٨ و٥٩):

+ «إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة في هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب إلهك، يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ضربات عظيمة راسخة وأمراضاً ردية ثابتة».

ويُقال إن هذا العدد من المزمور (٧٨: ٣٨) مع (تث ٢٨: ٥٨ و٥٩) المذكور أعلاه هو الذي كان يُتلى أثناء ضرب ق. بولس ٣٩ جلدة (Delitzsch).

٣٩ - «**ذَكَرَ أَنَّهُمْ بَشَرٌ. رِيحٌ تَذْهَبُ وَلاَ تَعُودُ**».

البشرة أي الجسد تُعبِّر عن رهافة طبيعة الإنسان بما فيه من صفات أخلاقية أو طبيعية ضعيفة. ووصفه بالريح التي تذهب ولا تعود هو نوع من عدم الثبوت والبقاء. انظر: (مز ٥٦: ٤):

+ «الله أفتخر بكلامه. على الله توكلتُ فلا أخاف. ماذا يصنعه بي البشر». وأيضاً: (مز ١٠٣: ١٤-١٧):

+ «لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن».

+ «الإنسان مثل العشب أيامه. كزهر الحقل كذلك يزهر».
+ «لأن ريحاً تعبر عليه فلا يكون ولا يعرفه موضعه بعد. أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه». وأيضاً: (تك ٦: ٣):
+ «فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة». وأيضاً: (أي ٧: ٧-١٠):
+ «اذكر أن حياتي إنما هي ريح وعيني لا تعود ترى خيراً».
+ «لا تراني عين ناظري. عيناك عليَّ ولست أنا. السحاب يضمحل ويزول. هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد».
+ «لا يرجع بعد إلى بيته ولا يعرفه مكانه بعد».

[٤٠ - ٥٥]:

ولكن كما أن الرب يكثِّر مراحمه وإحساناته فإسرائيل تكثر تذمرها، ولكي يُوضِّح بجلاء عدم شكرها وتنكرها يعود صاحب المزمور ويعدد المعجزات التي أُكملت في الخروج.

٤٠ - «كَمْ عَصَوْهُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَأَحْزَنُوهُ فِي الْقَفْرِ!».

٤١ - «رَجَعُوا وَجَرَّبُوا اللهَ وَعَنَّوْا قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ».

تكرار مشدَّد لعددي ١٧ و١٨:

«عصوا ... وأحزنوا»:

كلتا الكلمتين وردتا في (إش ٦٣: ١٠):
+ «ولكنهم تمرَّدوا (عصوا) وأحزنوا روح قدسه فتحوَّل لهم عدوًّا وهو حاربهم».

وكلمة «عنّوا» تعني قيَّدوا أو عطَّلوا عمله بعدم إيمانهم. انظر: (مت ١٣: ٥٨):
+ «ولم يصنع هناك قوَّات كثيرة لعدم إيمانهم».

«قدوس إسرائيل»:

عبارة في وصف يهوه لم توجد في التوراة (أسفار موسى الخمسة) واستُخدمت هنا وفي إشعياء وفي مزموري (٧١: ٢٢)، (٨٩: ١٨) وتعني أنهم جرَّبوه في صفته الخاصة جداً كقدوس إسرائيل بمعنى أنه بالرغم من أنهم أحزنوه وجرَّبوه ولكنه أثبت أنه «الله القدوس» الذي لا يحتمل الإثم

والمعصية والذي بسبب هذه الصفة التي لم يلتفت إليها موسى وهارون ولم «يقدّساه» أمام الشعب وقع عليهم العقاب مباشرة وحُرما من الدخول إلى أرض كنعان (عد ٢٠: ١٢ و١٣).

٤٢ - «لَمْ يَذْكُرُوا يَدَهُ يَوْمَ فَدَاهُمْ مِنَ الْعَدُوِّ».

«يده»:

يده الحانية البيضاء، يده القوية بجبروتها ضد العدو، يده التي انتزعتهم من وسط العبودية ورفعتهم من السخرة والمهانة كعبيد أذلاء ليكونوا شعباً خاصاً مختاراً.

٤٣ - «حَيْثُ جَعَلَ فِي مِصْرَ آيَاتِهِ، وَعَجَائِبَهُ فِي بِلاَدِ صُوعَنَ».

كلمات مستعارة من سفر الخروج (١٠: ١ و٢):
+ «ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون. فإني أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي أصنع آياتي هذه بينهم».
+ «ولكي تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم. فتعلمون أني أنا الرب». وأيضاً: (مز ١٠٥: ٢٧):
+ «أقاما بينهم كلام آياته وعجائب في أرض حام».

والآيات هي الضربات التي ذكرها المزمور وهي ستة ضربات أو يمكن أن تكون سبعة حيث ضربات الذبان والدمامل والظلمة التي ملأت البلاد حُذفت. فالمزمور يسرد الأقوال شعراً ولا يلتزم بالأعداد فَذَكَرَ فقط الضربات الرئيسية.

٤٤ - «إِذْ حَوَّلَ خُلْجَانَهُمْ إِلَى دَمٍ، وَمَجَارِيَهُمْ لِكَيْ لاَ يَشْرَبُوا».

كلمة «خلجان» (yôr) تُستعمل للإشارة إلى نهر النيل وفروعه (خر ٧: ١٧).

٤٥ - «أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ بَعُوضاً فَأَكَلَهُمْ، وَضَفَادِعَ فَأَفْسَدَتْهُمْ».

الضربة الرابعة والثانية حيث كلمة «بعوض» في المزمور هي نفسها المترجمة "ذبان" في (خر ٨: ٢١) وهي أنواع مختلفة من الذباب المتوحش الماص (خر ٨: ١-٧ و٢٠-٢٤).

٤٦ - «أَسْلَمَ لِلْجَرْدَمِ غَلَّتَهُمْ، وَتَعَبَهُمْ لِلْجَرَادِ».

والضربة الثامنة (خر ١٠: ١ إلخ).

٤٧ - «أَهْلَكَ بِالْبَرَدِ كُرُومَهُمْ، وَجُمَّيْزَهُمْ بِالصَّقِيعِ».

الضربة السابعة (خر ٩: ١٣ إلخ). الجميز مشهور بخشبه لصنع التوابيت التي كان المصريون يحفظون فيها مومياءهم.

٤٨ - «وَدَفَعَ إِلَى الْبَرَدِ بَهَائِمَهُمْ، وَمَوَاشِيَهُمْ لِلْبُرُوقِ».

في بعض المخطوطات قرئت كلمة الوبأ بدل البَرَد (خر ٩: ٣ إلخ) الضربة الخامسة.

(٤٩ - ٥١):

نهاية الضربات في موت الأبكار.

٤٩ - «أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطاً وَرِجْزاً وَضِيقاً، جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ».

«حمو غضبه»:

انظر: (أي ٢٠: ٢٣):

+ «يكون عندما يملأ بطنه أن الله يُرسل عليه حمو غضبه ويمطره عليه عند طعامه».

«جيش ملائكة أشرار»:

بعثة شر يقودها ملائكة عصاة، ليسوا مجرد أشرار ولكن مخرِّبين بأمر الله لتنفيذ عقابه. واسمهم "المخربون" أو المهلكون، أو الملاك المهلك. انظر: (خر ١٢: ٢٣):

+ «ولا يدع **المهلك** يدخل بيوتكم ليضرب». وأيضاً: (٢صم ٢٤: ١٦):
+ «وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى. الآن رد يدك». وأيضاً: (٢مل ١٩: ٣٥):
+ «وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً. ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة». وأيضاً: (أي ٣٣: ٢٢):
+ «وتقرب نفسه إلى القبر وحياته إلى المميتين (ملائكة الموت)».

٥٠ - «مَهَّدَ سَبِيلاً لِغَضَبِهِ. لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، بَلْ دَفَعَ حَيَاتَهُمْ لِلْوَبَإِ».

وبهذا يكون صاحب المزمور قد أنهى التجارب العشر بالموت، إذ بعد أن لم تنفع الأوبئة بدأ يميت الأحياء.

٥١ - «وَضَرَبَ كُلَّ بِكْرٍ فِي مِصْرَ. أَوَائِلَ الْقُدْرَةِ فِي خِيَامِ حَامٍ».

«أوائل القدرة»:

تعبِّر عن البكر أول مولود والإنسان في قمة عافيته. انظر: (تك ٤٩: ٣):

+ «رأوبين أنت بكري قوَّتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز». وأيضاً: (تث ٢١: ١٧):
+ «بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية». وأيضاً: (مز ١٠٥: ٣٦):
+ «وقتل كل بكر في أرضهم. أوائل كل قوَّتهم».

وحام هو أبو مصرايم: انظر: (تك ١٠: ٦):

+ «وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان». وأيضاً: (مز ١٠٥: ٢٣ و٢٧):
+ «فجاء إسرائيل إلى مصر ويعقوب تغرَّب في أرض حام».
+ «أقاما بينهم كلام آياته وعجائب في أرض حام». وأيضاً: (مز ١٠٦: ٢٢):
+ «وعجائب في أرض حام. ومخاوف على بحر سوف».

(٥٢ - ٥٥):

قيادة الله لإسرائيل في البرية حتى كنعان أخذت في سفر الخروج من الأصحاح (١٣) حتى الأصحاح (١٧) وظروف الرحلة الطويلة سبق أن عبَّر عنها المزمور في عدد ١٣ إلخ.

٥٢ - «وَسَاقَ مِثْلَ الْغَنَمِ شَعْبَهُ. وَقَادَهُمْ مِثْلَ قَطِيعٍ فِي الْبَرِّيَّةِ».

وصف شعب يهوه بالقطيع وصف محبَّب لمزامير آساف. انظر: (مز ٧٤: ١)

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخِّن غضبك على غنم مرعاك».

٥٣ - «وَهَدَاهُمْ آمِنِينَ فَلَمْ يَجْزَعُوا، أَمَّا أَعْدَاؤُهُمْ فَغَمَرَهُمُ الْبَحْرُ».

«فلم يجزعوا»:

عكس المصريين الذين أخذتهم الرعدة (خر ١٤: ٢٥): «وأزعج عسكر المصريين».

«فغمرهم البحر»:

أي غطاهم. انظر: (خر ١٥: ١٠):

+ «نفخت بريحك فغطاهم البحر. غاصوا كالرصاص في مياه غامرة».

٥٤ - **«وَأَدْخَلَهُمْ فِي تُخُومِ قُدْسِهِ، هذَا الْجَبَلِ الَّذِي اقْتَنَتْهُ يَمِينُهُ».**

يقصد بها أرض كنعان حيث سكن الرب في وسطهم - حيث هذا الجبل هو جبل صهيون، وحيث حضرة الرب تكون حواليه كالتخوم التي تفصل شعبه عن كل شعوب الدنيا. هذا هو المعنى الذي يقصده. انظر: (خر ١٥: ١٧):

+ «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك. المكان الذي صنعته يا رب لسَكَنك. المَقدِس الذي هيَّأته يداك يا رب». وأيضاً: (تث ٣: ٢٥):

+ «دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان». وأيضاً: (إش ١١: ٩):

+ «لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر».

٥٥ - **«وَطَرَدَ الأُمَمَ مِنْ قُدَّامِهِمْ وَقَسَمَهُمْ بِالْحَبْلِ مِيرَاثًا، وَأَسْكَنَ فِي خِيَامِهِمْ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ».**

انظر سفر يشوع (٢٣: ٤)، وأيضاً: (مز ١٠٥: ١١):

+ «قائلاً لك أُعطي أرض كنعان حبل ميراثكم».

[٥٦ - ٥٨]:

عدم أمانة إسرائيل في أرض كنعان أثناء حكم القضاة.

٥٦ - **«فَجَرَّبُوا وَعَصَوْا اللهَ الْعَلِيَّ، وَشَهَادَاتِهِ لَمْ يَحْفَظُوا».**

بالرغم من كل إحسانات الله لهم في كل ما مضى استمروا وصمّموا على عدم الأمانة: (أعداد ١٧ و١٨ و٤٠ و٤١).

«الله العلي»: God the most High

انظر: (مز ٧: ١٧):

+ «أحمد الرب حسب برّه، وأرنّم لاسم الرب العلي». وأيضاً: (مز ٤٧: ٢):

+ «لأن الرب عليٌّ. مخوف ملك كبير على كل الأرض».

«شهاداته»:

هي أوامره ووصاياه التي تشهد على مشيئته الخيِّرة! انظر: (مز ١٩: ٧):

+ «ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً». وأيضاً: (مز ٢٥: ١٠):

+ «كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته».

٥٧ - **«بَلِ ارْتَدُّوا وَغَدَرُوا مِثْلَ آبَائِهِمْ. انْحَرَفُوا كَقَوْسٍ مُخْطِئَةٍ».**

تعبير عن الخيانة. انظر: (هو ٥: ٧):

+ «قد غدروا بالرب. لأنهم ولدوا أولاداً أجنبيين. الآن يأكلهم شهر مع أنصبتهم». وأيضاً: (هو ٦: ٧):

+ «ولكنهم كآدم تعدّوا العهد. هناك غدروا بي».

«انحرفوا كقوس مخطئة»:

انظر: (هو ٧: ١٦):

+ «يرجعون ليس إلى العليّ. قد صاروا كقوس مخطئة ...».

وهذا الوصف هو أصل مفهوم كلمة مخطئ، مثل القوس الذي يخيِّب ظن صاحبه إذا لم يصب الهدف بل انحرف عنه.

٥٨ - **«أَغَاظُوهُ بِمُرْتَفَعَاتِهِمْ، وَأَغَارُوهُ بِتَمَاثِيلِهِمْ».**

لقد قلَّدوا الكنعانيين في عبادتهم للأصنام. انظر: (تث ٣٢: ١٦ و١٧ و٢١):

+ «أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان ليست الله. لآلهة لم يعرفوها ...».

+ «هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أُغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم».

[٥٩ - ٦٤]:

مرة أخرى يعاقبهم الله من أجل خطاياهم ويتركهم لأعدائهم، بل ويترك تابوت العهد ليؤسر!

٥٩ - «**سَمِعَ اللهُ فَغَضِبَ، وَرَذَلَ إِسْرَائِيلَ جِدًّا**».

«رذل إسرائيل»:

إسرائيل هنا يمكن بحال ما أن تكون أفرايم تمثلها وحدها، كما ارتأى بعض الشرَّاح.

٦٠ - «**وَرَفَضَ مَسْكَنَ شِيلُوهَ، الْخَيْمَةَ الَّتِي نَصَبَهَا بَيْنَ النَّاسِ**».

ولو أن هذه الخيمة قد أُقيمت بيد الناس ولكن بتكرار ذكرها أنها مسكن الله بين الناس أخذت هذه الصفة. انظر: (يش ١٨: ١):

+ «واجتمع كل جماعة إسرائيل في شيلوه ونصبوا هناك خيمة الاجتماع. وأُخضعت الأرض قدامهم». وأيضاً: (إر ٧: ١٢):
+ «لكن اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنتُ فيه اسمي أولاً وانظروا ما صنعتُ به من أجل شر شعبي إسرائيل». وأيضاً: (١صم ١: ٣):
+ «وكان هذا الرجل (ألقانه أبو صموئيل) يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه».

٦١ - «**وَسَلَّمَ لِلسَّبْيِ عِزَّهُ، وَجَلاَلَهُ لِيَدِ الْعَدُوِّ**».

هذا هو التابوت رمز وكرسي مجده. انظر: (مز ١٣٢: ٨):

+ «قم يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزك». وأيضاً: (١صم ٤: ٢١):
+ «فدعت الصبي إيخابود قائلة قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أُخذ ...».

إذ حدث أن التابوت قد وقع في يد الفلسطينيين. انظر: (١صم ٤: ١١ إلخ):

+ «وأُخذ تابوت (عهد) الله ومات ابنا عالي حفني وفينحاس ...».

٦٢ - «**وَدَفَعَ إِلَى السَّيْفِ شَعْبَهُ، وَغَضِبَ عَلَى مِيرَاثِهِ**».

انظر: (١صم ٤: ٢ و١٠ و١١ و١٥ - ١٨):

+ «واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين

وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل».

+ «فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جدًّا وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل، وأُخذ تابوت الله ومات ابنا عالي حفني وفينحاس».
+ «وكان عالي ابن ثمان وتسعين سنة وقامت عيناه ولم يقدر أن يبصر. فقال الرجل لعالي أنا جئت من الصف وأنا هربت من الصف. فقال كيف كان الأمر يا ابني؟ فأجاب المُخبِّر وقال هرب إسرائيل أمام الفلسطينيين وكانت أيضاً كسرة عظيمة في الشعب ومات أيضاً ابناك حفني وفينحاس وأُخذ تابوت الله. وكان لما ذكر تابوت الله أنه سقط عن الكرسي إلى الوراء إلى جانب الباب فانكسرت رقبته ومات ... وقد قضى لإسرائيل أربعين سنة».

٦٣ - «**مُخْتَارُوهُ أَكَلَتْهُمُ النَّارُ، وَعَذَارَاهُ لَمْ يُحْمَدْنَ**».

النار أكلت الشباب، والعذارى لم يكن لهن أغاني الزواج، أما النار فهي الحرب بحسب (عد ٢١: ٢٨):

+ «لأن ناراً خرجت من حشبون. لهيباً من قرية سيحون. أكلت عار موآب. أهل مرتفعات أرنون».

٦٤ - «**كَهَنَتُهُ سَقَطُوا بِالسَّيْفِ، وَأَرَامِلُهُ لَمْ يَبْكِينَ**».

الشطر الثاني مطابق كلمة بكلمة لآية من أيوب (٢٧: ١٤ و١٥):

+ «إن كثر بنوه فللسيف وذريته لا تشبع خبزاً. بقيته تدفن بالموتان وأرامله لا تبكي».

في الكوارث العامة لا تُقام طقوس النواح التي تقيمها الأرملة عادة عند موت زوجها. انظر: (٢صم ١١: ٢٦):

+ «فلما سمعت امرأة أوريا أن أوريا رجلها قد مات ندبت بعلها».

[٦٥ و٦٦]:

ولكن بعد مضي مدة أشفق يهوه على شعبه وأنقذهم من كوارثهم.

٦٥ - «**فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ**».

عندما وقع إسرائيل شعب الله في يد العدو كان الله يبدو نائماً عنهم. انظر: (مز ٤٤: ٢٣):

+ «استيقظ. لماذا تتغافى يا رب. انتبه. لا ترفض إلى الأبد».

«معيَّط»:

كلمة فريدة لم تأت قبل ذلك قط. والوصف شجاع وجريء يصف انتقال الله من السلبية المطلقة إلى الإيجابية المطلقة، ويستخدم في التعابير الشرقية عن قيامة الرب من بين الأموات في الطقوس والألحان.

٦٦ - **«فَضَرَبَ أَعْدَاءَهُ إِلَى الْوَرَاءِ. جَعَلَهُمْ عَاراً أَبَدِيًّا»**.

إشارة إلى الانتصارات التي تمّت ضد الفلسطينيين وبقية أعداء إسرائيل المتربصين بها وذلك تحت صموئيل وشاول وداود. انظر: (١صم ٥: ٦ و٧):

+ «فثقلت يد الرب على الأشدوديين وأخربهم وضربهم بالبواسير في أشدود وتخومها. ولما رأى أهل أشدود الأمر كذلك قالوا لا يمكث تابوت إله إسرائيل عندنا لأن يده قد قست علينا وعلى داجون إلهنا».

[٦٧ - ٦٩]:

اختيار صهيون.

٦٧ - **«وَرَفَضَ خَيْمَةَ يُوسُفَ، وَلَمْ يَخْتَرْ سِبْطَ أَفْرَايِمَ»**.

والمعنى أن خيمة شيلوه رُفضت وكانت في أرض يوسف في سبط أفرايم ولم يرجع التابوت أبداً إلى شيلوه، وإذا كانت شيلوه لم تخرب تماماً بواسطة الفلسطينيين فقد فقدت كيانها كهيكل للأمة.

ويتخذ إرميا النبي هذه الحادثة ليدلل بها لرفقائه الذين لا يصدقون إمكانية زوال الهيكل بعد ذلك. انظر: (إر ٧: ١١ - ١٤):

+ «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم. هأنذا أيضاً قد رأيتُ يقول الرب. لكن اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولاً وانظروا ما صنعت به من أجل شر شعبي إسرائيل. والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب وقد كلّمتكم مبكّراً ومكلّماً فلم تسمعوا ودعوتكم فلم تجيبوا. أصنع بالبيت الذي دُعي باسمي عليه الذي أنتم متكلون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم كما صنعت بشيلوه!». وأيضاً: (إر ٢٦: ٦ و٩):
+ «أجعل هذا البيت كشيلوه وهذه المدينة أجعلها لعنة لكل شعوب الأرض».

+ «لماذا تنبأت باسم الرب قائلاً مثل شيلوه يكون هذا البيت وهذه المدينة تكون خربة بلا ساكن. واجتمع كل الشعب على إرميا في بيت الرب».

ويقول المؤرخ ستانلي أن القسم الأول من تاريخ الشعب المختار انتهى بتخريب الهيكل الأول بشيلوه، والقسم الثاني لتاريخ الشعب المختار انتهى بسقوط هيكل سليمان بأورشليم، أما الجزء الثالث لتاريخ هذا الشعب فقد انتهى بتخريب أخطر وأكبر، بسقوط هيكل أورشليم سنة ٧٠م.

٦٨ - **«بَلِ اخْتَارَ سِبْطَ يَهُوذَا، جَبَلَ صِهْيَوْنَ الَّذِي أَحَبَّهُ»**.

انظر: (مز ٨٧: ٢ و٣):

+ «الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب. قد قيل بكِ أمجاد يا مدينة الله». وأيضاً: (مز ٤٧: ٤):
+ «يختار لنا نصيبنا. فخر يعقوب الذي أحبّه».

٦٩ - **«وَبَنَى مِثْلَ مُرْتَفِعَاتٍ مَقْدِسَهُ، كَالأَرْضِ الَّتِي أَسَّسَهَا إِلَى الأَبَدِ»**.

المرتفعات المقدَّسة هي السموات، فالهيكل مكان يمثل السماء على الأرض في سموّه وقداسته.

[٧٠ - ٧٢]:

اختيار داود ملكاً.

٧٠ - **«وَاخْتَارَ دَاوُدَ عَبْدَهُ، وَأَخَذَهُ مِنْ حَظَائِرِ الْغَنَمِ»**.

كان داود من القلائل الذين اعتبروا خدام الرب بالدرجة الأولى، هذا اللقب الخاص بسبب علاقته الخاصة بسيده. هناك إبراهيم وموسى ويشوع وداود وأيوب امتازوا بلقب الخادم المختار للرب. انظر: (٢صم ٣: ١٨):

+ «فالآن افعلوا. لأن الرب كلّم داود قائلاً إني بيد **داود عبدي** أخلّص شعبي إسرائيل من يد الفلسطينيين ومن أيدي جميع أعدائهم». وأيضاً: (٢صم ٧: ٥ و٨):
+ «اذهب وقل **لعبدي داود** هكذا قال الرب. أأنت تبني لي بيتاً لسكناي».
+ «هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المربض من وراء الغنم لتكون رئيساً على شعبي إسرائيل». وأيضاً: (١مل ٨: ٢٤):

+ «الذي قد حفظتَ **لعبدك داود** أبي ما كلمته به فتكلمتَ بفمك وأكملـتَ بيـدك كهـذا اليوم». وأيضاً: (مز ٨٩: ٣ و٤ و١٩ و٢٠):

+ «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفتُ **لداود عبدي**. إلى الدهر أثبِّتُ نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك».

+ «حينئذ كلَّمتَ برؤيا تقيَّك وقلتَ جعلتُ عوناً على قوي. رفعتُ مختاراً من بـين الشـعب. وجدتُ **داود عبدي**. بدهن قدسي مسحتُه». وأيضاً: (مز ١٣٢: ١٠):

+ «من أجل **داود عبدك** لا ترد وجه مسيحك».

٧١ - **«مِنْ خَلْفِ الْمُرْضِعَاتِ أَتَى بِهِ، لِيَرْعَى يَعْقُوبَ شَعْبَهُ، وَإِسْرَائِيلَ مِيرَاثَهُ»**.

هذا التعبير التصويري كم هو مناسب جداً لملك أُعطي أن يرعى شعباً. انظر: (٢صم ٥: ٢):

+ «ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكاً علينا قد كنتَ أنت تُخرج وتُـدخل إسـرائيل (كقطيع) وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل».

٧٢ - **«فَرَعَاهُمْ حَسَبَ كَمَالِ قَلْبِهِ، وَبِمَهَارَةِ يَدَيْهِ هَدَاهُمْ»**.

كمال قلبه = أصالة قلبه Integrity of his heart. انظر: (١مل ٩: ٤):

+ «وأنت إن سلكت أمامي كما سلك أبوك داود **بسلامة قلب واستقامة** Intergrity وعملت بحسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي فإني ...». وأيضاً: (مز ٧: ٨):

+ «(مزمور لداود) = اقضِ لي يا رب كحقّي ومثل كمالي الذي فيَّ». وأيضاً: (مز ١٠١: ٢):

+ «(مزمور لداود) = أتعقَّل في طريق كامل. متى تأتي إليَّ. أسلك في كمال قلـبي في وسـط بيتي». وأيضاً: (مز ١٥: ٢):

+ «(مزمور لداود) = السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلِّم بالصدق في قلبه». وأيضاً: (مـز ١٨: ٢٣):

+ «(مزمور لداود) = وأكون كاملاً معه وأتحفَّظ من إثمي».

«مهارة يديه»:

انظر: (١مل ٣: ٩):

+ «فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميِّز بين الخير والشر لأنه مَن يقدر أن يحكـم

شعبك العظيم هذا». وأيضاً: (١مل ٤: ٢٩ و٣٠):

+ «وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلب ... وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر».



المزمور التاسع والسبعون

مَزْمُورٌ. لآسَافَ

١- «اَللّهُمَّ، إِنَّ الأُمَمَ قَدْ دَخَلُوا مِيرَاثَكَ. نَجَّسُوا هَيْكَلَ قُدْسِكَ. جَعَلُوا أُورُشَلِيمَ أَكْوَاماً.
٢- دَفَعُوا جُثَثَ عَبِيدِكَ طَعَاماً لِطُيُورِ السَّمَاءِ، لَحْمَ أَتْقِيَائِكَ لِوُحُوشِ الأَرْضِ.
٣- سَفَكُوا دَمَهُمْ كَالْمَاءِ حَوْلَ أُورُشَلِيمَ، وَلَيْسَ مَنْ يَدْفِنُ.
٤- صِرْنَا عَاراً عِنْدَ جِيرَانِنَا، هُزْءاً وَسُخْرَةً لِلَّذِينَ حَوْلَنَا.
٥- إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَغْضَبُ كُلَّ الْغَضَبِ، وَتَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَيْرَتُكَ؟
٦- أَفِضْ رِجْزَكَ عَلَى الأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَكَ، وَعَلَى الْمَمَالِكِ الَّتِي لَمْ تَدْعُ بِاسْمِكَ،
٧- لأَنَّهُمْ قَدْ أَكَلُوا يَعْقُوبَ وَأَخْرَبُوا مَسْكَنَهُ.
٨- لاَ تَذْكُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَ الأَوَّلِينَ. لِتَتَقَدَّمْنَا مَرَاحِمُكَ سَرِيعاً، لأَنَّنَا قَدْ تَذَلَّلْنَا جِدًّا.
٩- أَعِنَّا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اسْمِكَ، وَنَجِّنَا وَاغْفِرْ خَطَايَانَا مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ.
١٠- لِمَاذَا يَقُولُ الأُمَمُ: «أَيْنَ هُوَ إِلهُهُمْ؟». لِتُعْرَفْ عِنْدَ الأُمَمِ قُدَّامَ أَعْيُنِنَا نَقْمَةُ دَمِ عَبِيدِكَ الْمُهْرَاقِ.
١١- لِيَدْخُلْ قُدَّامَكَ أَنِينُ الأَسِيرِ. كَعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ اسْتَبْقِ بَنِي الْمَوْتِ.
١٢- وَرُدَّ عَلَى جِيرَانِنَا سَبْعَةَ أَضْعَافٍ فِي أَحْضَانِهِمِ الْعَارَ الَّذِي عَيَّرُوكَ بِهِ يَا رَبُّ.
١٣- أَمَّا نَحْنُ شَعْبُكَ وَغَنَمُ رِعَايَتِكَ نَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ. إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ نُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِكَ».

دراسة:

ظروف هذا المزمور سبق أن نوقشت في مزمور (٧٤).

وهذا المزمور يتكوَّن من ثلاث وقفات:

١ - يشكو صاحب المزمور أمام الله عن غزو الأمم لشعبه وتدنيس الهيكل وتخريب المدينة المقدَّسة وذبح خدامه وتعيير الشعب (١ - ٤).

٢ - يتوسَّل لدى الله أن يتعطَّف ويُظهر الرحمة لإسرائيل ولا يعاقبهم بعد بسبب خطايا آبائهم، ولكن يؤدِّب المعادين (٥ - ٨).

٣ - يتوسَّل من أجل المعونة والسماح من أجل كرامة اسم الله لأن الاسم تحت التعيير وفجور الوثنيين لا يذهب بلا عقوبة، وينهي بنذر بالتسبيح الدائم لنجاة الأمة (٩ - ١٣).

هذا المزمور مع مزمور (١٣٧) موصوف في كتاب التلمود المدعو Sopherim (١٨: ٣) لاستخدامه في اليوم التاسع من شهر آب وهو يوم هدم الهيكل الأول والثاني بعد ما رُمِّم. انظر: (زك ٧: ٣):

+ «وليكلِّموا الكهنة الذين في بيت رب الجنود والأنبياء قائلين أأبكي في الشهر الخامس منفصلاً كما فعلتُ كم من السنين هذه».

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٤]:

يبث حزنه لله لأن أرضه قد دخلها الأعداء الوثنيون، ونجسوا هيكله وتخربت مدينته وذُبح شعبه والباقون يستهزئ بهم العدو.

١ - «**اَللّهُمَّ، إِنَّ الأُمَمَ قَدْ دَخَلُوا مِيرَاثَكَ. نَجَّسُوا هَيْكَلَ قُدْسِكَ. جَعَلُوا أُورُشَلِيمَ أَكْوَاماً**».

انظر: (إر ٥١: ٥١):

+ «قد خزينا لأننا قد سمعنا عاراً غطَّى الخجل وجوهنا لأن الغرباء قد دخلوا مقادس بيت الرب». وأيضاً: (مرا ١: ١٠):

+ «بسط العدو يده على كل مشتهياتها فإنها رأت الأمم دخلوا مقدسها الذين أمرت أن لا يدخلوا في جماعتك». وأيضاً: (مز ٧٤: ٧):

+ «أطلقوا النار في مقدسك. دنسوا للأرض مسكن اسمك». وأيضاً: (حز ٧: ٢١ و٢٢):

+ «أسلمها إلى أيدي الغرباء للنهب وإلى أشرار الأرض سلباً فينجسونها. وأحول وجهي عنهم فينجسون سرِّي ويدخله المعتنفون وينجسونه».

«جعلوا أورشليم أكواماً»:

انظر: (مي ٣: ١٢):

+ «لذلك بسببكم تفلَح صهيون كحقل وتصير أورشليم خرباً وجبل البيت شوامخ وعر».

وأيضاً: (إر ٢٦: ١٨):

+ «(تكرار لكلام ميخا السابق) إن ميخا المورشتي تنبَّأ في أيام حزقيا ملك يهوذا وكلَّم كل شعب يهوذا قائلاً هكذا قال رب الجنود إن صهيون تفلَح كحقل وتصير أورشليم خرَباً وجبل البيت شوامخ وعر».

٢ - «دَفَعُوا جُثَثَ عَبِيدِكَ طَعَاماً لِطُيُورِ السَّمَاءِ، لَحْمَ أَتْقِيَائِكَ لِوُحُوشِ الأَرْضِ».

إن الفزع الحادث من أعمال الذبح التي بلا رحمة ازداد فظاعة لأن الجثث لم تُدفن حسب الناموس. انظر: (تث ٢٨: ٢٦):

+ «وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض وليس مَنْ يزعجها». وأيضاً: (إر ٧: ٣٢ و٣٣):

+ «لذلك ها هي أيام تأتي يقول الرب ولا يسمى بعد توفة ولا وادي بن هنوم بل وادي القتل ويدفنون في توفة حتى لا يكون موضع (للدفن). وتصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مُزعج». وأيضاً: (إر ٨: ٢):

+ «ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السموات التي أحبوها وعبدوها والتي ساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجدوا لها. لا تُجمع ولا تُدفن بل تكون دمنة على وجه الأرض». وأيضاً: (إر ٩: ٢٢):

+ «تكلَّم. هكذا يقول الرب. وتسقط جثة الإنسان كدمنة على وجه الحقل وكقبضة وراء الحاصد وليس مَنْ يجمع». (وأيضاً: (إر ١٥: ٣):

+ «وأوكِّل عليهم أربعة أنواع يقول الرب. السيف للقتل والكلاب للسحب وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والإهلاك». وأيضاً: (إر ١٦: ٤):

+ «لا يُندبون ولا يُدفنون بل يكونون دمنة على وجه الأرض وبالسيف والجوع يفنون وتكون جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض». وأيضاً: (إر ١٩: ٧ و٨):

+ «وأنقض مشورة يهوذا وأورشليم في هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم وبيد طالبي نفوسهم وأجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض. وأجعل هذه المدينة للدهش والصفير ... من أجل كل ضرباتها».

٣ - «سَفَكُوا دَمَهُمْ كَالْمَاءِ حَوْلَ أُورُشَلِيمَ، وَلَيْسَ مَنْ يَدْفِنُ».

انظر: (مز ١١٦: ١٥) للمقارنة مع أحباء الرب:

+ «عزيز في عيني الرب موت أتقيائه».

٤ - «صِرْنَا عَاراً عِنْدَ جِيرَانِنَا، هُزْءاً وَسُخْرَةً لِلَّذِينَ حَوْلَنَا».

انظر: (مز ٤٤: ١٣):

+ «تجعلنا عاراً عند جيراننا. هزأة وسخرة للذين حولنا». وأيضاً: (مز ٨٠: ٦):

+ «جعلتنا نزاعاً عند جيراننا وأعداؤنا يستهزئون بين أنفسهم». وأيضاً: (دا ٩: ١٦):

+ «يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عاراً عند جميع الذين حولنا».

[٥ - ٨]:

صلاة ليكف الله عن أن يكون غاضباً مع شعبه ويعاقب الذين هدموها.

٥ - «إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَغْضَبُ كُلَّ الْغَضَبِ، وَتَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَيْرَتُكَ؟».

كما في (مز ١٣: ١) الإيمان دائماً يسأل كلمتين تعترضان النفس: «إلى متى؟»، «هل إلى الأبد؟». انظر: (مز ١٣: ١):

+ «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟».

وهاتان الكلمتان واردتان بالمزمور (٧٤) في الأعداد (١ و١٠ و١٩). انظر أيضاً: (مز ٨٠: ٤):

+ «يا رب إله الجنود إلى متى تدخن على صلاة شعبك؟». وأيضاً: (مز ٨٩: ٤٦):

+ «حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء؟ حتى متى يتقد كالنار غضبك؟».

نعم، لا بد أن تعاقب إسرائيل على خطاياها، غيرة رب الجنود تصنع هذا. انظر: (تث ٢٩: ٢٠):

+ «لا يشاء الرب أن يرفق به بل يدخن حينئذ غضب الرب وغيرته على ذلك الرجل فتحل عليه كل اللعنات المكتوبة في هذا الكتاب. ويمحو الرب اسمه من تحت السماء». وأيضاً: (صف ١: ١٨):

+ «لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها».

٦ - «أَفِضْ رِجْزَكَ عَلَى الأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَكَ، وَعَلَى الْمَمَالِكِ الَّتِي لَمْ تَدْعُ بِاسْمِكَ».

الذين يرفضون معرفتك ويهينون شعبك.

٧ - «لأَنَّهُمْ قَدْ أَكَلُوا يَعْقُوبَ وَأَخْرَبُوا مَسْكَنَهُ».

انظر: (إر ١٠: ٢٤ و٢٥):

+ «أدبني يا رب ولكن بالحق لا بغضبك لئلا تفنيني. اسكب غضبك على الأمم التي لم تعرفك وعلى العشائر التي لم تدعُ باسمك. لأنهم أكلوا يعقوب. أكلوه وأفنوه وأخربوا مسكنه».

ولكن يبدو أن المزمور هو الأصل الذي أخذ منه إرميا.

٨ - «لاَ تَذْكُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَ الأَوَّلِينَ. لِتَتَقَدَّمْنَا مَرَاحِمُكَ سَرِيعاً، لأَنَّنَا قَدْ تَذَلَّلْنَا جِدًّا».

انظر: (إر ١١: ٩ و١٠):

+ «وقال الرب لي: توجد فتنة في رجال يهوذا وسكان أورشليم. قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامي». وأيضاً: (لا ٢٦: ٣٩ - ٤١):

+ «والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أراضي أعدائكم. وأيضاً بذنوب آبائهم معهم يفنون».

+ «لكن إن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم في خيانتهم التي خانوني بها وسلوكهم معي الذي سلكوا بالخلاف. وإني أيضاً سلكت معهم بالخلاف وأتيت بهم إلى أرض أعدائهم إلا أن تخضع حينئذ قلوبهم الغلف ويستوفوا حينئذ عن ذنوبهم».

«لتتقدمنا مراحمك»:

انظر: (مز ٥٩: ١٠):

+ «إلهي رحمته تتقدمني. الله يُريني بأعدائي». فالله رحوم. انظر: (خر ٣٤: ٥ و٦):

+ «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء ...».

[٩ - ١٢]:

تكرار الصلوات من أجل الإنقاذ من أجل كرامة اسم الله.

٩ - «أَعِنَّا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اسْمِكَ، وَنَجِّنَا وَاغْفِرْ خَطَايَانَا مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ».

إذا لم تتحرَّك من أجل منظر آلامنا وعنائنا، فبالأقل جداً أن تَغير على مجد وكرامة اسمك: انظر: (مز ٢٩: ٢):

+ «قدِّموا للرب مجد اسمه. اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة». وأيضاً: (مز ٦٦: ٢):

+ «رنِّموا بمجد اسمه. اجعلوا تسبيحه ممجداً».

١٠ - «لِمَاذَا يَقُولُ الأُمَمُ: "أَيْنَ هُوَ إِلهُهُمْ؟". لِتُعْرَفْ عِنْدَ الأُمَمِ قُدَّامَ أَعْيُنِنَا نَقْمَةُ دَمِ عَبِيدِكَ الْمُهْرَاقِ».

انظر: (يؤ ٢: ١٧):

+ «ليبكِ الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا اشفق يا رب على شعبك ولا تسلِّم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلاً. لماذا يقولون بين الأمم أين إلههم؟». وأيضاً: (حز ٣٢: ١٢):

+ «لماذا يتكلَّم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟». وأيضاً: (مز ٤٢: ٣):

+ «صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً إذ قيل لي كل يوم أين إلهك؟». وأيضاً: (مي ٧: ١٠):

+ «وترى عدوتي فيغطيها الخزي القائلة لي أين هو الرب إلهك؟ عيناي ستنظران إليها. الآن تصير للدوس كطين الأزقة».

يريد أن لا يؤجل الله النقمة لما بعد، بل لترى عيناه النقمة المناسبة للدم المهراق معتمداً على (تث ٣٢: ٤٣):

+ «تهلَّلوا أيها الأمم شعبه لأنه ينتقم بدم عبيده ويرد نقمة على أضداده ويصفح عن أرضه عن شعبه».

ولاحظ كيف يسير فكر النقمة جنباً إلى جنب مع فكر الإنقاذ والخلاص. انظر: (إش ٣٥: ٣ و٤):

+ «هوذا إلهكم. الانتقام يأتي. جزاء الله. هو يأتي ويخلِّصكم». وأيضاً: (إش ٥٩: ١٧):

+ «فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه. ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء». وأيضاً: (إش ٦١: ٢):

+ «لأنادي بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا لأعزِّي كل النائحين». وأيضاً: (إش ٦٣: ٤):

+ «لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديِّيَّ قد أتت». وأيضاً: (إر ٥٠: ١٥ و٢٨):

+ «اهتفوا عليها حواليها (بابل). قد أعطت يدها. سقطت أسسها نُقضت أسوارها. لأنها نقمة

الرب هي فانقموا منها. كما فعلت افعلوا بها».

+ «صوت هاربين وناجين من أرض بابل ليخبروا في صهيون بنقمة الرب إلهنا نقمة هيكله». وأيضاً: (إر ٥١: ٦ و١١ و٣٦):

+ «اهربوا من وسط بابل وانجوا كل واحد بنفسه. لا تهلكوا بذنبها لأن هذا زمان انتقام الرب هو يؤدِّي لها جزاءها».

+ «سنوا السهام. أعدوا الأتراس. قد أيقظ الرب روح ملوك مادي لأن قصده على بابل أن يهلكها. لأن نقمة الرب نقمة هيكله».

+ «لأنه هكذا قال الرب. هأنذا أخاصم خصومتك وأنتقم نقمتك وأنشف بحرها وأجفِّف ينبوعها».

١١ - «**لِيَدْخُلْ قُدَّامَكَ أَنِينُ الأَسِيرِ. كَعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ اسْتَبْقِ بَنِي الْمَوْتِ**».

يتكرَّر في (مز ١٠٢: ٢٠):

+ «ليسمع أنين الأسير ليطلق بني الموت».

«**كعظمة ذراعك**»:

صاحبة القوة والقدرة والعظائم والعجائب في مصر وغيرها.

«**بني الموت**»:

الذين في سجن العدو المحدَّد لهم الموت وهم مؤمنون باسمك. انظر: (إش ٤٢: ٧):

+ «لتفتح عيون العمي لتُخرِج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة». وأيضاً: (إش ٤٩: ٩):

+ «قائلاً للأسرى اخرجوا. للذين في الظلام اظهروا. على الطرق يرعون وفي كل الهضاب مرعاهم». وأيضاً: (إش ٦١: ١):

+ «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق».

١٢ - «**وَرُدَّ عَلَى جِيرَانِنَا سَبْعَةَ أَضْعَافٍ فِي أَحْضَانِهِمِ الْعَارَ الَّذِي عَيَّرُوكَ بِهِ يَا رَبُّ**».

«**جيراننا**»:

العمونيين والموآبيين والأدوميين الذين عوض أن يشاركوا بالشعور الطيب سرّوا وهللوا بنكسة

إسرائيل. انظر: (حز ٢٥: ١ - ٧):

+ «وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو بني عمون وتنبَّأ عليهم. وقل لبني عمون اسمعوا كلام السيد الرب ... من أجل أنكِ قلتِ هه على مقدسي لأنه تنجس وعلى أرض إسرائيل لأنها خربت وعلى بيت يهوذا لأنهم ذهبوا إلى السبي - فلذلك هأنذا أسلمك لبني المشرق ملكاً فيقيمون صِيَرهم فيك ويجعلون مساكنهم فيك. هم يأكلون غلتك وهم يشربون لبنك».

+ «من أجل أنك صفقت بيديك وخبطت برجليك وفرحت بكل إهانتك للموت على أرض إسرائيل فلذلك هأنذا أمدّ يدي عليك وأسلّمك غنيمة للأمم وأستأصلك من الشعوب وأبيدك من الأراضي. أخْرِبُكِ ...».

«**سبعة أضعاف**»:

قارن (تك ٤: ١٥) مع ما جاء على فم المسيح.

(تكوين): «قال له الرب لذلك كل مَنْ قتل قايين فسبعة أضعاف يُنتقم منه ...». قارن مع (مت ١٨: ٢٢):

(عهد جديد): «قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات (الغفران)».

«**في أحضانهم**»:

حينما يغنم الإنسان غنيمة يأخذها في حضنه ويجري، هنا الدعاء أن تكون الكوارث سبعة مرات في أحضانهم التي احتضنوا بها غنائم شعب الله. نوع من التمادي في النقمة. انظر: (إش ٦٥: ٦):

+ «ها قد كُتِب أمامي. لا أسكت بل أجازي. أجازي في حضنهم». وأيضاً: (إر ٣٢: ١٨):

+ «صانع الإحسان إلى ألوف ومجازي ذنب الآباء في حضن بنيهم». وأيضاً: (لو ٦: ٣٨):

+ «أعطوا تعطوا. كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يُعطون في أحضانكم».

١٣ - «**أَمَّا نَحْنُ شَعْبُكَ وَغَنَمُ رِعَايَتِكَ نَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ. إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ نُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِكَ**».

يختم بالشكر حيث توفي إسرائيل نذرها بالشكر والحمد لراعيها. انظر: (إش ٤٣: ٢١):

+ «هذا الشعب جبلته لنفسي. يحدِّث بتسبيحي».

المزمور الثمانون

لِإمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «السُّوسَنِّ» شَهَادَةٌ. لآسَافَ. مَزْمُورٌ

١- «يَا رَاعِيَ إِسْرَائِيلَ، اصْغَ، يَا قَائِدَ يُوسُفَ كَالضَّأْنِ، يَا جَالِساً عَلَى الْكَرُوبِيمِ أَشْرِقْ.
٢- قُدَّامَ أَفْرَايِمَ وَبِنْيَامِينَ وَمَنَسَّى أَيْقِظْ جَبَرُوتَكَ وَهَلُمَّ لِخَلاَصِنَا.
٣- يَا اَللهُ أَرْجِعْنَا، وَأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ.
٤- يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، إِلَى مَتَى تُدَخِّنُ عَلَى صَلاَةِ شَعْبِكَ؟
٥- قَدْ أَطْعَمْتَهُمْ خُبْزَ الدُّمُوعِ وَسَقَيْتَهُمُ الدُّمُوعَ بِالْكَيْلِ.
٦- جَعَلْتَنَا نِزَاعاً عِنْدَ جِيرَانِنَا، وَأَعْدَاؤُنَا يَسْتَهْزِئُونَ بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ.
٧- يَا إِلهَ الْجُنُودِ أَرْجِعْنَا، وَأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ.
٨- كَرْمَةً مِنْ مِصْرَ نَقَلْتَ. طَرَدْتَ أُمَماً وَغَرَسْتَهَا
٩- هَيَّأْتَ قُدَّامَهَا فَأَصَّلَتْ أُصُولَهَا فَمَلأَتِ الأَرْضَ.
١٠- غَطَّى الْجِبَالَ ظِلُّهَا، وَأَغْصَانُهَا أَرْزَ اللهِ.
١١- مَدَّتْ قُضْبَانَهَا إِلَى الْبَحْرِ وَإِلَى النَّهْرِ فُرُوعَهَا.
١٢- فَلِمَاذَا هَدَمْتَ جُدْرَانَهَا فَيَقْطِفَهَا كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ؟
١٣- يُفْسِدُهَا الْخِنْزِيرُ مِنَ الْوَعْرِ وَيَرْعَاهَا وَحْشُ الْبَرِّيَّةِ.
١٤- يَا إِلهَ الْجُنُودِ، ارْجِعَنَّ. اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ هذِهِ الْكَرْمَةَ،
١٥- وَالْغَرْسَ الَّذِي غَرَسَتْهُ يَمِينُكَ، وَالابْنَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ.
١٦- هِيَ مَحْرُوقَةٌ بِنَارٍ، مَقْطُوعَةٌ. مِنِ انْتِهَارِ وَجْهِكَ يَبِيدُونَ.
١٧- لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَى رَجُلِ يَمِينِكَ، وَعَلَى ابْنِ آدَمَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ،
١٨- فَلاَ نَرْتَدَّ عَنْكَ. أَحْيِنَا فَنَدْعُوَ بِاسْمِكَ.
١٩- يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، أَرْجِعْنَا. أَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ».

دراسة:

يبتدئ المزمور بالصلاة لراعي إسرائيل ليُظهر قوته ويقود شعبه للنصرة (١ - ٣).

ويسأل ويتوسل إلى متى يستمر الله غاضباً على شعبه ويهجرهم ليسمعوا هزء أعدائهم؟ (٤-٧) ويذكِّر الله بالعناية التي كافأ بها إسرائيل وشكلها المزدهر السابق. فلماذا إذن ينسحب ويترك العناية بها ويهجرها لأعدائها (٨ - ١٣).

ويصلِّي مرَّة أخرى حتى يفتقد الله ويستعيد شعبه ويربطهم بنفسه برباط جديد من التحالف (١٤ - ١٩).

والقرار في (٣ و٧ و١٩) يحدِّد الفقرات، والأعداد (٨-١٩) تقع في فقرتين: (٨-١٣)، (١٤-١٩). ولكن القرار جزئي في عدد (١٤) إلخ. وربما كان في الأصل كاملاً.

والمزمور يطرح في هيئة صلاة رجاء عودة أسباط الشمال واتحاد كل إسرائيل. ذلك الرجاء الذي يوجد في الأنبياء منذ زمن عاموس وما بعده، وشُرح بتفصيل بواسطة إرميا (٣: ١١ - ١٥)، (٣١: ١ -٢١) وحزقيال (٣٧: ١٥ - ٢٨)، وربما في تاريخ متأخر بعد العودة الأولى من السبي: في زكريا (٩: ١١).

ويلزم أن يكون هذا المزمور قد كُتب بعد سقوط المملكة الشمالية عندما بلغت القطيعة بين إسرائيل ويهوذا النهاية، وربما يكون قد كُتب إما قبل السبي أو بعد العودة من بابل بسبب لغة الأعداد (٣ و٧ و١٩) التي تكشف أن ليس كل الأمة كانت في السبي. ولكن الأكثر ترجيحاً أن يكون قد كُتب أثناء سبي بابل بسبب:

١ - (٣ و٧ و١٩) وقد شُرح على أنه صلاة لإنهاء السبي.

٢ - عد (١٢) يبدو أنه يصف الأرض أنها كلها قد اجتيحت بالأعداء وأن وجود الأمة في الحقيقة قد بلغ نهايته!

٣ - إن تشابه اللغة مع مزموري ٧٤ و٧٩ هو في صف إسناد المزمور إلى نفس المدة.

وعلى كلٍّ، ولو أن المزمور يمكن أن يكون صلاة بعد السبي للجماعة من أجل إعادة كاملة لإسرائيل، ولا شك أنه استخدم ليتورجياً بواسطتهم، إلا أنه ربما يكون من الأفضل أن نحسب أنه أصلاً صلاة إسرائيل في السبي لعودة كاملة للأمة. والعناية الخاصة بالأسباط الشمالية للمملكة المذكورة في (٢) ربما تكون بسبب علاقة كاتب المزمور بأحد هذه الأسباط، ولكن الأرجح أن تكون بسبب الاهتمام باستعادة وحدة إسرائيل كما هو مكتوب في إرميا وحزقيال.

وقد جاء العنوان في النسخة الماسورية: من أجل رئيس الموسيقى بالشوشانيم (السُّوسَن). انظر المقدِّمة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]:

صلاة من أجل إرجاع عطف الله على شعبه.

١ - **«يَا رَاعِيَ إِسْرَائِيلَ، اصْغَ، يَا قَائِدَ يُوسُفَ كَالضَّأْنِ، يَا جَالِساً عَلَى الْكَرُوبِيمِ أَشْرِقْ».**

المزمور يخاطب الله كراعي إسرائيل.

- لقب قائم على ما جاء في (مز ٧٩: ١٣): «أما نحن شعبك وغنم رعايتك نحمدك إلى الدهر». وهذا اللقب يشير إلى رجائهم في عنايته.

- يخاطبه بالذي قاد يوسف كالضأن، يذكره بقيادة إسرائيل في البرية.

- يخاطبه كجالس على الكروبيم التي تفصح عن أنه ملك متوَّج في السماء ولو أنه ساكن وسط شعبه. انظر: (١صم ٤: ٤):

+ «فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم». وأيضاً: (٢صم ٦: ٢):

+ «وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذي معه من بعلة يهوذا ليُصعدوا من هناك تابوت الله الذي دُعي عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكروبيم».

وإنه هنا يقصد إظهار حضرة الله مع شعبه وهي واضحة في كرسي الرحمة (الإيلاستريون فوق التابوت). انظر: (خر ٢٥: ٢٢):

+ «وأنا أجتمع بك هناك وأتكلَّم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة».

وإسرائيل تعني الأمة بكاملها ولكن يوسف فيها يمثل أسباط المملكة الشمالية. انظر: (مز ٧٧: ١٥):

+ «فككت بذراعك شعبك بني يعقوب ويوسف. سلاه».

وكلمة "راعي" كلقب لله إنما تعود أصلاً إلى كلام البركة التي بارك بها يعقوب يوسف: (تك ٤٨: ١٥):

+ «وبارك يوسف وقال الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق. الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم».

«أشرق»:

أظهر نفسك بالقوة والمجد من أجل خلاصنا. انظر: (مز ٥٠: ٢):

+ «من صهيون كمال الجمال الله أشرق». وأيضاً: (مز ٩٤: ١):

+ «يا إله النقمات يا رب يا إله النقمات أشرق». وأيضاً: (تث ٣٣: ٢):

+ «فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم».

٢ - **«قُدَّامَ أَفْرَايِمَ وَبَنْيَامِينَ وَمَنَسَّى أَيْقِظْ جَبَرُوتَكَ وَهَلُمَّ لِخَلاَصِنَا».**

أفرايم، بنيامين، ومنسَّى اتحدوا بسبب انحدارهم من ذرية يعقوب وزوجته راحيل التي اعتبرها إرميا كأم المملكة الشمالية وهم الممثلون للمملكة الشمالية. انظر: (إر ٣١: ١٥ و١٦):

+ «هكذا قال الرب. صوت سُمع في الرامة نوح وبكاء مرٌّ. **راحيل تبكي على أولادها** وتأبى أن تتعزَّى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين ... امنعي صوتكِ عن البكاء وعينيكِ عن الدموع لأنه يوجد جزاء لعملكِ يقول الرب. فيرجعون من أرض العدو!».

وبحسب سفر العدد (٢: ١٧ إلخ) خيَّمت هذه الأسباط غرب خيمة الاجتماع وكانت تسير مباشرة خلفه. انظر: (عد ٢: ١٧ - ٢٤):

+ «ثم ترتحل خيمة الاجتماع محلةُ اللاويين في وسط المحلات. كما ينزلون كذلك يرتحلون. كلٌّ في موضعه براياتهم. راية محلة أفرايم حسب أجنادهم إلى الغرب. والرئيس لبني أفرايم أليشمع بن عميهود ...، ومعه سبط منسَّى ... وسبط بنيامين ... جميع المعدودين لمحلة أفرايم مئة ألف وثمانية آلاف ومئة بأجنادهم. ويرتحلون ثالثةً!».

«قدام أفرايم»:

وصف تكتيكي حربي، أي تكون بنفسك رأساً كقائد منتصر كما كنت تسير أمامهم قديماً في برية سيناء! ولأول وهلة قد يبدو غريباً أن بنيامين يُعتبر من ضمن المملكة الشمالية بأسباطها لأنه جزئياً حُسب بجانب رحبعام. انظر: (١مل ١٢: ٢١):

+ «ولما جاء رحبعام إلى أورشليم جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين مئة وثمانين ألف مختار».

انظر: (٢أي ١١: ٣ و٢٣):

+ «كلّم رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكل إسرائيل في يهوذا وبنيامين قائلاً ... وكان فهيماً وفرّق من كل بنيه في جميع أراضي يهوذا وبنيامين في كل المدن الحصينة ...».

ولكن السبط الوحيد الباقي لداود كان يهوذا كما جاء في (١مل ١١: ١٣ و٣٢ و٣٦):

+ «على أني لا أُمزّق منك المملكة كلها بل أُعطي سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التي اخترتها».
+ «ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل».
+ «وأُعطي ابنه سبطاً واحداً ليكون سراجاً لداود عبدي كل الأيام أمامي في أورشليم ...».

وينبغي أن يُعتبر سبط بنيامين من المملكة الشمالية لتكون عشرة أسباط لأن سبط شمعون تداخل في يهوذا و لم يُعدّ بعد! وأما المدن الرئيسية لبنيامين: بيت إيل وجلجال وأريحا كانت تتبع المملكة الشمالية.

٣ - «**يَا اَللهُ أَرْجِعْنَا، وَأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ**».

بمعنى أرجعنا من السبي، أو استعد ملكك. انظر: (مز ٦٠: ١):

+ «يا الله رفضتنا اقتحمتنا سخطت. **أرجعنا**».

أو ربما تعود لصلاة أفرايم في إرميا (٣١: ١٨):

+ «سمعاً سمعت أفرايم ينتحب. أدبتني فتأدّبت كعجل غير مروض. **توّبني فأتوب** لأنك أنت الرب إلهي».

وهي مشروحة في سفر المراثي (٥: ٢٠ - ٢٢):

+ «لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طول الأيام. **اردُدنا يا رب إليك فنرتد**. جدّد أيامنا كالقدم. هل كل الرفض رفضتنا هل غضبت علينا جدًّا». وكأنما بالمعنى الروحي؟

إن توبة الأمة كلها هي الشرط لرجوع الأمة كلها من السبي، ويتحتّم أن يكون ذلك عمل الله: أي «لكي ترجع إليك أنر بوجهك فنخلص». انظر البركة الهارونية (عد ٦: ٢٥ و٢٦):

+ «يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً». وأيضاً: (مز ٤: ٦):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

[٤ - ٧]:

إلى متى تبقى إسرائيل موضوع عدم مسرّة يهوه، ومهزأة وسخرية الجوار من الأمم؟

٤ - «**يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، إِلَى مَتَى تُدَخِّنُ عَلَى صَلاَةِ شَعْبِكَ؟**».

وبالعبرية: "يهوه إلوهيم صباؤوت" [Jehouah Elohim Isabioth].

انظر: (مز ٥٩: ٥):

+ «وأنت **يا رب إله الجنود إله إسرائيل** انتبه لتطالب كل الأمم. كل غادر أثيم لا ترحم». وأيضاً: (مز ٤٦: ٧):
+ «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه».

لاحظ أهمية التكرار للتوسُّل أمام يهوه (٤ و١٤ و١٩) ذاكراً لقب الله الخاص الذي يُعبِّر عن سلطانه العام، وبالتالي عن قدرته وإمكانيته لخلاص إسرائيل من محنتها، وأيضاً يذكّره بالأيام القديمة التي سار فيها أمام إسرائيل للنصرة.

«**إلى متى تغضب**»:

معنى «تدخّن». انظر: (مز ٧٤: ١):

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد. لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك».

والمعنى "إلى متى" كنت وستكون تغضب على شعبك، بمعنى أن المسألة قد طالت. انظر: (مز ٧٤: ٩ و١٠):

+ «آياتنا لا نرى. لا نبيٌّ بعد. ولا بيننا مَنْ يعرف حتى متى!».
+ «حتى متى يا الله يعيِّر المقاوم ويهين العدو اسمك إلى الغاية؟».

وكأنما خطايا شعبك صارت كالضباب تفصل الرؤيا عن حال شعبك. انظر: (مرا ٣: ٤٤):

+ «التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة».

بل وتُترجم هذه الآية من المزمور "إلى متى تغضب على صلاة شعبك؟" وكأن كثرة صلاتهم تسبِّب كثرة غضب!

٥ - «**قَدْ أَطْعَمْتَهُمْ خُبْزَ الدُّمُوعِ وَسَقَيْتَهُمُ الدُّمُوعَ بِالْكَيْلِ**».

انظر: (مز ٤٢: ٣):

+ «صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً إذ قيل لي كل يوم أين إلهك؟». وأيضاً: (مز ١٠٢: ٩ و١٠):
+ «إني قد أكلت الجراد مثل الخبز ومزجت شرابي بدموعٍ. بسبب غضبك وسخطك».

٦ - «**جَعَلْتَنَا نِزَاعاً عِنْدَ جِيرَانِنَا، وَأَعْدَاؤُنَا يَسْتَهْزِئُونَ بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ**».

انظر: (إر ١٥: ١٠):

+ «ويل لي يا أمي لأنكِ ولدتني إنسان خصام وإنسان نزاع لكل الأرض. لم أقرض ولا أقرضوني وكل واحد يلعنني». وأيضاً: (مز ٧٩: ٤ و١٢):
+ «صرنا عاراً عند جيراننا هزءاً وسخرة للذين حولنا».
+ «ورُدَّ على جيراننا سبعة أضعاف في أحضانهم العار الذي عيَّروك به يا رب».

الأدوميون والعرب وباقي الشعوب المعادية يتعاركون فيما بينهم لينهبوا أرضنا. انظر: (مز ٤٤: ١٤):

+ «تجعلنا مثلاً بين الشعوب. لإنغاض الرأس بين الأمم».

«**يستهزئون (يضحكون) بين أنفسهم**»:

انظر: (مز ٧٤: ٤):

+ «قد زمجر مقاوموك في وسط معهدك صنعوا آياتهم آيات».

[٨ - ١٣]:

تحت رمز كرمة عنب اعتنى بها الله وتهذَّبت وامتدَّت بعيداً وواسعاً بنمو فاخر، ولكن الآن تعرَّضت لحيوانات ووحوش، هكذا يقارن المزمور الله وعنايته السابقة بشعبه بالنسبة لورطته في الحاضر رمز الكرمة ربما يكون استوحاه من (تك ٤٩: ٢٢):

+ «يوسف غصن شجرة مثمرة غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط». وأيضاً: (هو ١٠: ١):
+ «إسرائيل جفنة ممتدة. يُخرج ثمراً لنفسه. على حسب كثرة ثمره قد كثَّر المذابح ...». وأيضاً:

(إش ٥: ١ - ٧):

+ «لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقَّى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً. والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يُصنع أيضاً لكرمي؟ وأنا لم أصنعه له. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً فالآن أُعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خراباً لا يُقضب ولا يُنقب فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً. إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظرت حقًّا فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صراخ». وأيضاً: (إش ٢٧: ٢ - ٦):
+ «في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة. أنا الرب حارسها. أسقيها كل لحظة. لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً ونهاراً. ليس لي غيظ. ليت عليَّ الشوك والحسك في القتال فأهجم عليها وأحرقها معاً. أو يتمسك بحصني فيصنع صلحاً معي. صلحاً يصنع معي. في المستقبل يتأصل يعقوب. يزهر ويفرع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً ...». وأيضاً: (إر ٢: ٢١ و٢٢):
+ «وأنا قد غرستكِ كرمة سورق زرع حق كلها. فكيف تحوَّلتِ لي سروغ جفنة غريبة. فإنكِ وإن اغتسلتِ بنطرون وأكثرتِ لنفسكِ الأشنان فقد نُقش إثمكِ أمامي يقول السيد الرب». وأيضاً: (إر ١٢: ١٠):
+ «رعاة كثيرون أفسدوا كرمي. داسوا نصيبي جعلوا نصيبي المشتهى برية خربة».

كان الهيكل الثاني يعلوه فوق الباب كرمة هائلة ذهبية مدَّت فروعها لتحتضن الحائط. والمكابيون صكّوا نقوداً عليها الكرمة. وفي براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا توجد أقدم مقابر لليهود وعليها نقوش العنب والعناقيد.

٨ - «**كَرْمَةً مِنْ مِصْرَ نَقَلْتَ. طَرَدْتَ أُمَماً وَغَرَسْتَهَا**».

«**نقلتَ**»:

كلمة تأتي في العبرية بمعنى اقتلعتها وأحضرتها وهي نفسها تُستعمل للشعب الذي ساقه (نقله) من مصر إلى كنعان. انظر: (مز ٧٨: ٥٢):

+ «وساق (نقل) مثل الغنم شعبه وقادهم مثل قطيع في البرية». وأيضاً: (خر ١٥: ١٧):

+ «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك. المكان الذي صنعته يا رب لسكنك. المقدس الذي هيأته يداك يا رب». وأيضاً: (مز ٤٤: ٢):
+ «أنت بيدك استأصلت الأمم وغرستهم. حطّمت شعوباً ومددتهم». وأيضاً: (مز ٧٨: ٥٥):
+ «وطرد الأمم من قدامهم وقسمهم بالحبل ميراثاً وأسكن في خيامهم أسباط إسرائيل».

٩ - «**هَيَّأْتَ قُدَّامَهَا فَأَصَّلَتْ أُصُولَهَا فَمَلأَتِ الأَرْضَ**».

كالكرّام الذي يرتّب أولاً ما سيزرعه ويحفر وينقّي الحجارة والأشواك. انظر: (إش ٥: ٢):
+ «فنقبه ونقّى حجارته وغرسه كرم سورق (كرمة جيدة) وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة ...».

هكذا فعل الله في أرض كنعان إذ رتّب لهم الاستيطان فيها بدل شعبها القديم.

١٠ - «**غَطَّى الْجِبَالَ ظِلُّهَا، وَأَغْصَانُهَا أَرْزَ اللهِ**».

بمعنى امتدت وتفرعت حتى غطّت أراضي جبلية كثيرة نحو الجنوب، وشمالاً نحو أرز لبنان كناية عن الحدود المتسعة لأرض الميعاد.

١١ - «**مَدَّتْ قُضْبَانَهَا إِلَى الْبَحْرِ وَإِلَى النَّهْرِ فُرُوعَهَا**».

امتدّت غرباً نحو البحر الأبيض المتوسط وشرقاً نحو دجلة والفرات، هذه الحدود تحقّقت بالفعل أيام داود وسليمان. انظر: (مز ٧٢: ٨):
+ «ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض». وأيضاً: (تك ١٥: ١٨):
+ «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض. من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». وأيضاً: (خر ٢٣: ٣١):
+ «وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر». وأيضاً: (٢صم ٨: ٦):
+ «وجعل داود محافظين في أرام دمشق وصار الأراميون لداود عبيداً يقدمون هدايا. وكان الرب يخلّص داود حيثما ذهب». وأيضاً: (١مل ٤: ٢٤):
+ «لأنه كان متسلطاً على كل ما عبر النهر من تفسح إلى غزة على كل ملوك عبر النهر ...». (يقصد سليمان).

١٢ - «**فَلِمَاذَا هَدَمْتَ جُدْرَانَهَا فَيَقْطِفَهَا كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ؟**».

سبق ووُصفت.

١٣ - «**يُفْسِدُهَا الْخِنْزِيرُ مِنَ الْوَعْرِ وَيَرْعَاهَا وَحْشُ الْبَرِّيَّةِ**».

يحكي الرحّالة العالِم ترسترام أن حول جبل حرمون توجد خنازير برية كثيرة تروّع أهل البلاد بتخريبها الكروم إذ تأكل الفروع بعد أن تُنهي على الثمر.

[١٤ - ١٩]:

صلوات متكرّرة من أجل عودة رحمة الله وإحسانه على إسرائيل.

١٤ - «**يَا إِلهَ الْجُنُودِ، ارْجِعَنَّ. اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ هذِهِ الْكَرْمَةَ**».

١٥ - «**وَالْغَرْسَ الَّذِي غَرَسَتْهُ يَمِينُكَ، وَالابْنَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ**».

هذا العدد فيه بعض الصعوبة والغموض، أما قوله **والابن الذي اخترته** فيكشف حقيقته الترجوم إذ يشرحه هكذا: «على مسيحك الملك الذي قويته أنت نفسك». وبذلك اتخذته الكنيسة في تسابيحها عن المسيح مباشرة والكنيسة.

١٦ - «**هِيَ مَحْرُوقَةٌ بِنَارٍ، مَقْطُوعَةٌ. مِنِ انْتِهَارِ وَجْهِكَ يَبِيدُونَ**».

إشارة للكرمة. انظر: (إش ٣٣: ١٢):
+ «وتصير الشعوب وقود كلس (لعمل الجير) أشواكاً مقطوعة تُحرق بالنار». وأيضاً: (حز ١٥: ٤):
+ «هوذا يُطرح (عود الكرم) أكلاً للنار. تأكل النار طرفيه ويُحرق وسطه. فهل يصلح لعمل». (من جهة الكرمة).

لقد فنيت إسرائيل لأن الرب قد أخفى وجهه كلما تصلّي بل صار غاضباً عليهم.

١٧ - «**لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَى رَجُلِ يَمِينِكَ، وَعَلَى ابْنِ آدَمَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ**».

تكرار للعدد (١٥). الكلام هنا على إسرائيل مشخّصة برجل يمين الرب، ولكن أخذتها الكنيسة لتُسبّح بها للمسيح.

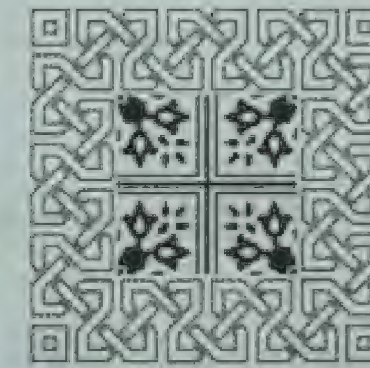
١٨ - «فَلاَ نَرْتَدَّ عَنْكَ. أَحْيِنَا فَنَدْعُوَ بِاسْمِكَ».

انظر: (هو ٦: ٢):

+ «يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه».

١٩ - «يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، أَرْجِعْنَا. أَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ».

هنا يجمع لقبي الله يهوه مع الله.



المزمور الحادي والثمانون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «الْجَتِّيَّةِ». لآسَافَ

١ - «رَنِّمُوا للهِ قُوَّتِنَا. اهْتِفُوا لإِلهِ يَعْقُوبَ.

٢ - ارْفَعُوا نَغْمَةً وَهَاتُوا دُفًّا، عُوداً حُلْواً مَعَ رَبَابٍ.

٣ - انْفُخُوا فِي رَأْسِ الشَّهْرِ بِالْبُوقِ، عِنْدَ الْهِلاَلِ لِيَوْمِ عِيدِنَا.

٤ - لأَنَّ هذَا فَرِيضَةٌ لإِسْرَائِيلَ، حُكْمٌ لإِلهِ يَعْقُوبَ.

٥ - جَعَلَهُ شَهَادَةً فِي يُوسُفَ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. سَمِعْتُ لِسَاناً لَمْ أَعْرِفْهُ.

٦ - أَبْعَدْتُ مِنَ الْحِمْلِ كَتِفَهُ. يَدَاهُ تَحَوَّلَتَا عَنِ السَّلِّ.

٧ - فِي الضِّيقِ دَعَوْتَ فَنَجَّيْتُكَ. اسْتَجَبْتُكَ فِي سِتْرِ الرَّعْدِ. جَرَّبْتُكَ عَلَى مَاءِ مَرِيبَةَ. سِلاَهْ.

٨ - اِسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأُحَذِّرَكَ. يَا إِسْرَائِيلُ، إِنْ سَمِعْتَ لِي!

٩ - لاَ يَكُنْ فِيكَ إِلهٌ غَرِيبٌ، وَلاَ تَسْجُدْ لإِلهٍ أَجْنَبِيٍّ.

١٠ - أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ، الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. أَفْغِرْ فَاكَ فَأَمْلأَهُ.

١١ - فَلَمْ يَسْمَعْ شَعْبِي لِصَوْتِي، وَإِسْرَائِيلُ لَمْ يَرْضَ بِي.

١٢ - فَسَلَّمْتُهُمْ إِلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، لِيَسْلُكُوا فِي مُؤَامَرَاتِ أَنْفُسِهِمْ.

١٣ - لَوْ سَمِعَ لِي شَعْبِي، وَسَلَكَ إِسْرَائِيلُ فِي طُرُقِي.

١٤ - سَرِيعاً كُنْتُ أُخْضِعُ أَعْدَاءَهُمْ، وَعَلَى مُضَايِقِيهِمْ كُنْتُ أَرُدُّ يَدِي.

١٥ - مُبْغِضُو الرَّبِّ يَتَذَلَّلُونَ لَهُ، وَيَكُونُ وَقْتُهُمْ إِلَى الدَّهْرِ.

١٦ - وَكَانَ أَطْعَمَهُ مِنْ شَحْمِ الْحِنْطَةِ، وَمِنَ الصَّخْرَةِ كُنْتُ أُشْبِعُكَ عَسَلاً».

دراسة:

بداية كل شهر كان يُحتفل بها كعلامة بواسطة النفخ في الأبواق الفضية. انظر: (عد ١٠: ١٠):

+ «وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم. أنا الرب إلهكم».

ولكن اليوم الأول لشهر أيثانيم Ethanim أو تشري (سبتمبر - أكتوبر) وهو الشهر السابع للسنة العبرية واليوم الأول للسنة المدنية، كان يُعمل به كعيد هام وكان يُدعى "يوم النفخ في

الأبواق" أو "عيد الأبواق" (عد ٢٩: ١):

+ «وفي الشهر السابع في الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدَّس». وأيضاً: (لا ٢٣: ٢٤):

+ «كلِّم بني إسرائيل قائلاً. في الشهر السابع في أول الشهر يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق محفل مقدَّس».

وفي الخامس عشر من هذا الشهر عند اكتمال القمر يبدأ عيد المظال. انظر: (لا ٢٣: ٣٩):

+ «أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه عندما تجمعون غلة الأرض تُعيِّدون عيداً للرب سبعة أيام. في اليوم الأول عطلة وفي اليوم الثامن عطلة».

وإلى هذا الاحتفال المزدوج يشير (عد ٣) في المزمور، ونجد أنه منذ الأيام القديمة كان هذا المزمور هو الخاص باليوم الأول للسنة الجديدة في الطقس اليهودي ويظهر من التقليد اليهودي العام أنه كان متصلاً بعيد المظال.

وإنه ليس من الحق أن يُغفل هذا البرهان من الممارسة والتقليد ثم يُقال إنه مزمور للفصح اعتماداً على الإشارة إلى الخروج في العدد (٥) من المزمور.

وفي الحقيقة نجد أن مُكوِّنات المزمور موافقة جداً لعيد المظال أكثر من عيد الفصح، لأن عيد المظال كان عيداً للسرور أكثر من كل الأعياد، والمزمور يفتتح بالنداء للاحتفال والهتاف أي للبهجة والتهليل والتقديس.

وعيد المظال كان هو المُعيَّن لتلاوة الناموس في نهاية السنة السابعة. انظر: (تث ٣١: ١٠ و١١):

+ «وأمرهم موسى قائلاً: في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال. حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم».

والفكر القائد في المزمور هو تبعية إسرائيل ليهوه فقط، الأمر الذي كان هو مبدأ الناموس الرئيسي، وخلاص إسرائيل من مصر الذي كان هو الأساس الذي أُرسي عليه كل مفهوم هذه التبعية ليهوه وأنه بإخفاق إسرائيل في واجبها فقدت الوعد بالبركة.

والمزمور يقع في ثلاثة أقسام:

١ - دعوة للاحتفال بالهتاف والتسبيح ونفخ البوق لأن هذا هو فرض إلهي لإسرائيل (١ - ٥).

٢ - بالعودة إلى تصوير الخروج من مصر، يتسمَّع المزمور صوت الله ينادي بتحرير إسرائيل وهو أساس العهد الذي قُطِع في سيناء لكي يكون شعب إسرائيل موالياً ليهوه إله (٦ - ١٠).

٣ - إسرائيل لم يُطِعْ ويهوه أُجبر ليتركهم ليذوقوا نتيجة عنادهم وإرادتهم العمياء - ولكن وحتى في هذا إذا هم أطاعوا الوصايا والأوامر كان يمكن أن يُخضع أعداءهم، ويُرضيهم ببركات لا حصر لها (١١ - ١٦).

بعض الشُّرَّاح يعتبرون المزمور هو التحام جزئين من مزمورين (١ - ٥)، (٥ - ١٦) على أساس أنه لا يوجد اتصال بين (٥ ب، ٥ ج) واختلاف الأسلوب بين الجزئين وعدم لياقة الأخير بتسبحة العيد. ولكن هذه الحجج غير مقنعة لأنه إذا كان الانتقال بين جزئي العدد (٥) مفاجئاً فهو من طبيعة الحال لأن المزمور ينتقل من جمع الشعب للتعييد إلى موضوع عقيدتهم الدينية وهو أمر طبيعي، وإن التذكير بعلاقة يهوه بإسرائيل هو بالتأكيد أيضاً موافق لتسبحة العيد وموافق لمناسبة تلاوة الناموس في السنة السابعة. والفرح كونه يُلوَّن بالتحذير هو مناسب مع الروح النبوية لمزامير آساف. قارن بين هذا المزمور ومزمور (٩٥).

لا يوجد في المزمور ما يؤهِّل لتحديد زمنه بالتأكيد ولكنه يشير عدة إشارات إلى سفر التثنية (تث ٣٢)، والعددان (١١ و١٢) قد يشيران إلى ما جاء في (إر ٧: ١٤).

(إر ٧: ١٤) = «أصنع بالبيت الذي دُعي عليه باسمي الذي أنتم متكلون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم إياه كما صنعت بشيلوه».

(مز ٨١: ١١ و١٢) = «فلم يسمع شعبي لصوتي، وإسرائيل لم يرض بي. فسلَّمتهم إلى قساوة قلوبهم ليسلكوا في مؤامرات أنفسهم».

والدعوة إلى الاجتماع للاحتفال تشير إلى أن الهيكل لا يزال قائماً، ومن الأعداد (١٤ و١٥) يتضح أن الأمة مهددة بأعداء غرباء، ربما في السنين الأخيرة للمملكة، وحينئذ يكون المزموران في أيام يوشيا.

إنه المزمور الخاص بيوم الخميس واليوم الأول للسنة الجديدة حسب استخدام اليهود.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]:

دعوة إلى جميع الشعب لإقامة احتفال العيد (١)، وإلى اللاويين كقوّاد باعتبارهم مسئولين عن موسيقى الهيكل (٢)، وإلى الكهنة الذين كان واجبهم الخاص أن ينفخوا في الأبواق (٣). انظر: (عد ١٠: ٨):

+ «وبنو هارون الكهنة يضربون بالأبواق. فتكون لكم فريضة أبدية في أجيالكم». وأيضاً: (يش ٦: ٤ و٥):
+ «وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق».
+ «ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً فيسقط سور المدينة (أريحا) في مكانه ...». وأيضاً: (٢أي ٥: ١٢):
+ «واللاويون المغنون أجمعون آساف وهيمان ويدوثون وبنوهم وإخوتهم لابسين كتاناً بالصنوج والرباب والعيدان واقفين شرقي المذبح ومعهم من الكهنة مئة وعشرون. ينفخون في الأبواق». وأيضاً: (٢أي ٧: ٦):
+ «وكان الكهنة واقفين على محارسهم واللاويون بآلات غناء الرب التي عملها داود الملك لأجل حمد الرب لأن إلى الأبد رحمته حين سبّح داود بها والكهنة ينفخون في الأبواق مقابلهم وكل إسرائيل واقف». وأيضاً: (عز ٣: ١٠):
+ «ولما أسّس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق واللاويين بني آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود ملك إسرائيل».

١ - **«رَنِّمُوا للهِ قُوَّتِنَا. اهْتِفُوا لإِلهِ يَعْقُوبَ».**

«قوّتنا»:

انظر: (خر ١٥: ٢):

+ «الرب قوّتي ونشيدي. وقد صار خلاصي». وأيضاً: (مز ٤٦: ١):
+ «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً».

٢ - **«ارْفَعُوا نَغْمَةً وَهَاتُوا دُفًّا، عُوداً حُلْواً مَعَ رَبَابٍ».**

الدف هو الآلة المسمّاة Drum (درم) وهي نوع من آلات القرع، والرباب آلة وترية!!

٣ - **«انْفُخُوا فِي رَأْسِ الشَّهْرِ بِالْبُوقِ، عِنْدَ الْهِلاَلِ لِيَوْمِ عِيدِنَا».**

البوق هو قرن الكبش أو الوعل ويسمّى الشوفار Shophar، يُذكر فقط في عيد اليوبيل. (انظر: (لا ٢٥: ٩):

+ «ثم تعبّر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر يوم الكفارة تعبّرون البوق في جميع أرضكم».

ولكن بحسب الواقع العملي كان يُستخدم أيضاً في أول أيام السنة الجديدة.

«الهلال»:

ويسمّى القمر الجديد ويوضحه الترجوم أن الهلال في شهر تشري هو المقصود هنا. وليس من الصواب تجاهل شهادة الترجوم واعتباره قمر نيسان الحادث في الشهر الأول للسنة الكهنوتية على أساس أن اكتمال القمر في هذا الشهر هو للفصح وأن العدد التالي به إشارة مبهمة للفصح.

«عيدنا»:

هو عيد المظال الذي يبدأ من اكتمال القمر في ١٥ من شهر تشري، وكان يُسمّى فقط بالعيد لأنه أهم الأعياد. انظر: (١مل ٨: ٢):

+ «فاجتمع إلى الملك سليمان جميع رجال إسرائيل في العيد في شهر أيثانيم. هو الشهر السابع».

وكان محسوباً أنه أكثر الأعياد مسرّة وتهليلاً، والنفخ في البوق في أول الشهر يُحسب إشارة مسبقة له، وكان يكرر في يوم العيد (١٥ من الشهر) حسب ما جاء في الناموس (عد ١٠: ١٠).

[٤ و٥]:

سبب الاحتفال هو أمر الله بالاحتفال تذكاراً لإحسانات الله.

٤ - **«لأَنَّ هذَا فَرِيضَةٌ لإِسْرَائِيلَ، حُكْمٌ لإِلهِ يَعْقُوبَ».**

اللقب **"إله يعقوب"** هنا تذكار لما قبل الخروج مع الآباء قديماً. انظر: (تك ٤٦: ٢ - ٤):

+ «فكلّم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب! فقال هأنذا! فقال: أنا الله إله أبيك.

لا تخف من النزول إلى مصر. لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك».

٥ - «**جَعَلَهُ شَهَادَةً فِي يُوسُفَ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. سَمِعْتُ لِسَاناً لَمْ أَعْرِفْهُ**».

لكي يحمل شهادة دائمة لعناية الله لإسرائيل عندما توجَّه **الله** إلى مصر، ولكن كلمة "**على**" تفيد المقاومة ليُعطي أحكاماً على مصر. انظر: (خر ١١: ٤ و٥):

+ «وقال موسى هكذا يقول الرب إني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر. فيموت كل بكر في أرض مصر».

«**سمعت لساناً لم أعرفه**»:

الشاعر يعد نفسه إسرائيلياً ويتكلم عن حال إسرائيل قديماً لأنها كانت مجحفة أن يعمل الإسرائيليون عبيداً بائسين تحت سلطة بلاد لا يعرفون لغتها. ولكن المعنى الأقوى والأعظم هو أن صاحب المزمور يتكلم بشخص إسرائيل المتغرب عن سماعه صوت الله الذي لم يسبق له أن عرفه كنبوة وسماع فائق. انظر: (أي ٤: ١٥ - ١٧):

+ «فمرَّت روح على وجهي. اقشعرَّ شعر جسدي».
+ «وَقَفَتْ ولكني لم أعرف منظرها. شبه قدام عيني. سمعت صوتاً منخفضاً: أالإنسان أبر من الله أم الرجل أطهر من خالقه؟». الله هو المتكلِّم. وأيضاً: (مز ٦٠: ٦):
+ «الله قد تكلَّم بقدسه. أبتهج أقسم شكيم وأقيس وادي سكوت». وأيضاً: (مز ٦٢: ١١):
+ «مرة واحدة تكلَّم الرب وهاتين الاثنتين سمعتُ أن العزَّة لله».

وإن كان غريباً علينا أن نفهم كيف يقول المزمور أن المتكلِّم كان غريباً ولكن هذا كان هو الواقع في بداية الأمر. انظر: (خر ٣: ١٣ و١٤):

+ «فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم». وأيضاً: (خر ٦: ٣):
+ «أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء. وأما باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم».

٦ - «**أَبْعَدْتُ مِنَ الْحِمْلِ كَتِفَهُ. يَدَاهُ تَحَوَّلَتَا عَنِ السَّلِّ**».

«**السل**»:

معناه القفص الذي يُحمل فيه الطوب النيء للمباني. انظر: (خر ١: ١١):

+ «فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس». وأيضاً: (خر ٢: ١١):
+ «وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم ...». وأيضاً: (خر ٥: ٤ و٥):
+ «فقال لهما ملك مصر لماذا يا موسى وهارون تبطِّلان الشعب من أعماله. اذهبا إلى أثقالكما. وقال فرعون هوذا الآن شعب الأرض كثير وأنتما تريحانهم من أثقالهم». وأيضاً: (خر ٦: ٦و٧):
+ «لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب. وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم ... فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين».

وهذا المنظر يُرى بوضوح في نقوش الآثار المصرية القديمة القائمة حتى الآن.

٧ - «**فِي الضِّيقِ دَعَوْتَ فَنَجَّيْتُكَ. اسْتَجَبْتُكَ فِي سِتْرِ الرَّعْدِ. جَرَّبْتُكَ عَلَى مَاءِ مَرِيبَةَ. سِلاَهْ**».

انظر: (مز ٥٠: ١٥):

+ «وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني». وأيضاً: (خر ٢: ٢٣ - ٢٤):
+ «وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات. وتنهَّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم ...».

«**ستر الرعد**»:

المكان الخفي الذي يصدر منه الرعد، هناك يستعلن الله نفسه. انظر: (مز ١٨: ١١ و١٣):

+ «جعل الظلمة ستره حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام».
+ «أرعد الرب من السموات والعليّ أعطى صوته». وأيضاً: (مز ٧٧: ١٧ و١٨):
+ «سكبت الغيوم مياهاً أعطت السحب صوتاً. أيضاً سهامك طارت».
+ «صوت رعدك في الزوبعة البروق أضاءت المسكونة. ارتعدت ورجفت الأرض».

«جرَّبتك على ماء مريبة»:

اختبرت إيمانك وطاعتك. "مريبة" أي المخاصمة، تذكار باقي لعدم الإيمان وعدم الشكر، وتألم الله بسبب عناد وضيق عقل وعدم إيمان الشعب. انظر: (مي ٦: ٢):

+ «اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال ويا أسس الأرض الدائمة. فإن للرب خصومة مع شعبه وهو يحاكم إسرائيل». وأيضاً: (خر ١٧: ٧):
+ «ودعا اسم الموضع مسَّة ومريبة من أجل مخاصمة بني أسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفي وسطنا الرب أم لا». وأيضاً: (عد ٢٠: ١٣):
+ «هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب فتقدَّس فيهم».

أما المناسبة فواضحة لأن ذكر عيد المظال يتبعه بالتالي وبالضرورة السقي من الماء وتمثيل انفجار الماء من الصخرة.

٨ - **«اسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأُحَذِّرَكَ. يَا إِسْرَائِيلُ، إِنْ سَمِعْتَ لِي!».**

كلمة «فأحذرك» ترجمت في موضع آخر «فأشهد عليك». انظر: (مز ٥٠: ٧):

+ «اسمع يا شعبي فأتكلَّم. يا إسرائيل **فأشهد عليك**. الرب إلهك أنا». وأيضاً: (تث ٦: ٤ و٥):
+ «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحدٌ. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوَّتك».

٩ - **«لاَ يَكُنْ فِيكَ إِلهٌ غَرِيبٌ، وَلاَ تَسْجُدْ لإِلهٍ أَجْنَبِيٍّ».**

انظر: (مز ٤٤: ٢٠):

+ «إن نسينا اسم إلهنا أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب». وأيضاً: (تث ٣٢: ١٦):
+ «أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس». وأيضاً: (تث ٣٢: ١٢):
+ «هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي».

الأمانة المطلقة كانت أساس عهد سيناء، ملخَّصة في الكلمة الأُولى: "اسمع".

١٠ - **«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ، الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. أَفْغِرْ فَاكَ فَأَمْلأَهُ».**

انظر: (خر ٢٠: ٢):

+ «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». وأيضاً: (تث ٥: ٦و٧):
+ «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي». وأيضاً: (تث ٢٠: ١):
+ «إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر».

فإسرائيل مدينة بوجودها ليهوه، وكونه فداهم من مصر أصبح صاحب ولاية على تبعيتهم. انظر ما يقابل ذلك في العهد الجديد: (١يو ٤: ١٠):

+ «في هذا هي المحبة ليس أننا أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا».

«افغر فاك فأملأه»:

انظر: (مت ٧: ٧ و١١):

+ «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم».
+ «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه».

[١١ و١٢]:

إسرائيل العاصية وعقوبتها.

١١ - **«فَلَمْ يَسْمَعْ شَعْبِي لِصَوْتِي، وَإِسْرَائِيلُ لَمْ يَرْضَ بِي»:**

انظر: (إش ١: ٣):

+ «الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم».

١٢ - **«فَسَلَّمْتُهُمْ إِلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، لِيَسْلُكُوا فِي مُؤَامَرَاتِ أَنْفُسِهِمْ».**

الله يعاقب الإنسان بأن يتركه إلى إرادته التي تنتهي به إلى خرابه. انظر: (أي ٨: ٤):

+ «إذ أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم». وأيضاً: (أم ١: ٣٠ و٣١):
+ «لم يرضوا مشورتي. رذلوا كل توبيخي. فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم ويشبعون من مؤامراتهم». وأيضاً: (رو ١: ٢٤ و٢٦):
+ «لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ...

أسلمهم الله إلى أهواء الهوان». وأيضاً: (٢تس ٢: ١٠ و١١):

+ «وبكل خديعة الإثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا».
+ «لأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدِّقوا الكذب». وأيضاً: (إر ٧: ٢٤):
+ «فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه». وأيضاً: (تث ٢٩: ١٩):
+ «فيكون متى سمع كلام هذه اللعنة يتبرَّك في قلبه قائلاً يكون لي سلام. إني بإصرار قلبي أسلك لإفناء الريان مع العطشان».

[١٣ - ١٦]:

ولكن رحمة الله لا تفرغ. حتى الآن لو استطاعوا أن يطيعوا الله فإنه يُخضع لهم أعداءهم ويباركهم جداً. انظر: (إش ٤٨: ١٧ - ١٩):

+ «هكذا يقول الرب فاديك قدوس إسرائيل. أنا الرب إلهك معلِّمك. لتنتفع وأمشيك في طريق تسلك فيه. ليتك أصغيت إلى وصاياي فكان كنهر سلامك وبرّك كلجج البحر. وكان كالرمل نسلك وذرية أحشائك كأحشائه. لا ينقطع ولا يباد اسمه من أمامي».

١٣ - **«لَوْ سَمِعَ لِي شَعْبِي، وَسَلَكَ إِسْرَائِيلُ فِي طُرُقِي».**
١٤ - **«سَرِيعاً كُنْتُ أُخْضِعُ أَعْدَاءَهُمْ، وَعَلَى مُضَايِقِيهِمْ كُنْتُ أَرُدُّ يَدِي».**
١٥ - **«مُبْغِضُو الرَّبِّ يَتَذَلَّلُونَ لَهُ، وَيَكُونُ وَقْتُهُمْ إِلَى الدَّهْرِ».**

يتذللون للرب فلا يصبح لهم قوة، وحينئذ يعيش إسرائيل بلا نزاع مدى الدهر.

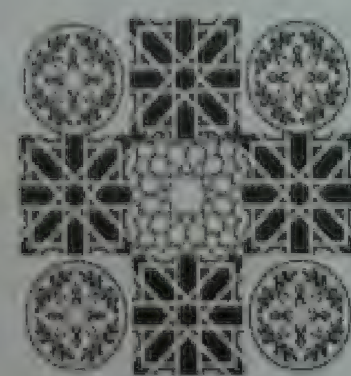
١٦ - **«وَكَانَ أَطْعَمَهُ مِنْ شَحْمِ الْحِنْطَةِ، وَمِنَ الصَّخْرَةِ كُنْتُ أُشْبِعُكَ عَسَلاً».**

الكلام هنا لإسرائيل وهنا نعود مرَّة أخرى لتذكار التثنية (٣٢: ١٢ - ١٤):

+ «هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي. أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلاً من حجر وزيتاً من صوان الصخر. وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش أولاد باشان وتيوس مع دسم لب الحنطة. ودم العنب شربته خمراً». وأيضاً: (مز ١٤٧: ١٤):
+ «الذي يجعل تخومك سلاماً ويشبعك من شحم الحنطة».

وللشعب المطيع الخاضع يكمِّل له الله كل وعوده وبركاته. انظر: (خر ٣: ٨):

+ «فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً». وأيضاً: (تث ٧: ١٢ و١٣):
+ «ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك. ويحبك ويباركك ويكثِّرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التي أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها». وأيضاً: (تث ٨: ٦ - ٩):
+ «واحفظ وصايا الرب إلهك لتسلك في طرقه وتتقيه. لأن الرب إلهك آتٍ بك إلى أرض جيدة أرض أنهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون زيتٍ وعسل. أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً ولا يعوزك فيها شيء ...».



المزمور الثاني والثمانون

مَزْمُورٌ لآسَافَ

١ – «اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي:

٢ – حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْراً وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟ سِلاَهْ.

٣ – اِقْضُوا لِلذَّلِيلِ وَلِلْيَتِيمِ. أَنْصِفُوا الْمِسْكِينَ وَالْبَائِسَ.

٤ – نَجُّوا الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ أَنْقِذُوا.

٥ – لاَ يَعْلَمُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. فِي الظُّلْمَةِ يَتَمَشَّوْنَ. تَتَزَعْزَعُ كُلُّ أُسُسِ الأَرْضِ.

٦ – أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ.

٧ – لكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ.

٨ – قُمْ يَا اَللهُ. دِنِ الأَرْضَ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَمْتَلِكُ كُلَّ الأُمَمِ».

دراسة:

هذا المزمور هو رؤيا عن القضاء بصورة شعرية عالية فهو يصوِّر مسئولية قضاء الأرض بالنسبة للقاضي الأعلى وهم أصلاً ممثلوه، ومنه يستمدون سلطانهم. والأسلوب الدرامي في تمثيل الله كقاضٍ وتقديم الله نفسه كمتكلّم هو من مميزات مزامير آساف، مثل مزامير ٥٠ و٧٥ و٨١.

الله يأخذ موقفه كقاضٍ في اجتماع مقدَّس، ومندوبوه يظهرون أمام محكمة قضائه (١). يعنفهم بشدة بسبب عدم العدل وعدم المساواة في القضاء الواحد، ويأمرهم أن يتذكروا واجبات وظيفتهم (٢ – ٤). ولكنهم غير أكفاء على التجديد أو الإصلاح، وأسس المجتمع قد تزعزعت بسبب سلوكهم غير الأمين، وبالرغم أنهم يحملون لقب آلهة إلا أنهم يشاركون الناس في موتهم (٥ – ٧).

ويختم صاحب المزمور بصلاة لكي يتولّى الله حكومة العالم (٨).

في المزمور الخمسين نجد أن أمة إسرائيل تجتمع للقضاء ولكن هنا نجد أن أصحاب الرئاسات في الأمة الذين أفسدوا الثقة التي وُضعت فيهم يُقدَّمون للسؤال والحكم.

أما الشر الذي يُشتكى منه فهو عادي بالنسبة لأمم الشرق في كل العصور، وإسرائيل القديمة لم تكن أفضل. والحث على أن يلتزموا بالعدل في القضاء شائع في كتب الناموس، والشكوى من سوء تطبيقه هي دائماً على لسان الأنبياء، ويوجد نص في إشعياء يعطينا الموازي لهذا المزمور. انظر: (إش

٣: ١٣ – ١٥):

+ «قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. وأنتم قد أكلتم الكرم. سَلْبُ البائس في بيوتكم. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين؟ يقول السيد رب الجنود».

أصحاب الرئاسة في الأمة يُدعون هنا آلهة (١ و٦) لأنهم يمثلون الله، وأبناء العلي (٦) لأنهم يمارسون سلطانهم كمندوبي الحاكم الأعلى للعالم. فالحكم الذي يصدرونه هو من الله. انظر: (تث ١: ١٧):

+ «لا تنظروا إلى الوجوه في القضاء. للصغير كالكبير تسمعون. لا تهابوا وجه إنسان ("أنت هو الرجل" هكذا قال ناثان النبي للملك داود). لأن القضاء لله. والأمر الذي يعسر عليكم تقدِّمونه إليَّ لأسمعه». وأيضاً: (خر ٢٢: ٨ و٩):

+ «وإن لم يوجد السارق يُقدَّم صاحب البيت إلى الله ليحكم هل لم يمد يده إلى مُلك صاحبه. في كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود يُقال إن هذا هو تُقدَّم إلى الله دعواهما. فالذي يحكم الله بذنبه يعوِّض صاحبه باثنين». وأيضاً: (١صم ٢: ٢٥):

+ «إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله فإن أخطأ إنسان إلى الرب فمن يُصلّي من أجله. ولم يسمعوا لصوت أبيهم لأن الرب شاء أن يميتهم».

واضح أن ممارسة القضاء في الهيكل بواسطة الذين يمثلون العدالة والله هو المقصود في هذا المزمور وأن كلمة «آلهة» تعود على هؤلاء القضاة.

هذا الشرح هو أقدم الشروحات التي أُعطيت بواسطة الترجوم، وهو أيضاً الساري في أيام المسيح كما هو واضح من استخدام المسيح نفسه لهذا المزمور بالذات في (يو ١٠: ٣٤ – ٣٦):

+ «أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم (مز ٨٢: ٦) أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تُجدِّف لأني قلت إني ابن الله؟».

يُلاحَظ هنا أن المسيح يقرِّر أن المزمور وما جاء فيه هو **"ناموس"** وأكد أنه لا يمكن أن ينقض المكتوب، أي أنه إلهي ثابت لأنه قال إن السموات والأرض تزولان ولكن حرف واحد من الناموس لا يزول. وشرح المسيح غاية في البساطة.

على أنه لا يوجد في المزمور ما يفيد زمن كتابته لأن الشرور المشكو منها قائمة باستمرار على مدى تاريخ إسرائيل كله. وكان هذا المزمور مخصَّصاً لخدمة يوم الثلاثاء في الليتورجيا اليهودية.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «**اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي**».

رؤيا عن الله أنه قاضي القضاة، الله يأخذ مجلسه وسط القضاة كرئيس القضاة. انظر: (إش ٣: ١٣):
+ «قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب». وأيضاً: (عا ٧: ٧):
+ «هكذا أراني وإذا الرب واقف على حائط قائم وفي يده زيج». وأيضاً: (عا ٩: ١):
+ «رأيت السيد قائماً على المذبح فقال اضرب تاج العمود حتى ترتجف الأعتاب».

«**في مجمع الله (إيل)**»:

في مجمع الأقوياء أو الأمراء، ولكن مجمع الله أصوب، وعلى كل حال ليس مجمع إسرائيل بالرغم من أنه مجمع يهوه. انظر: (عد ٢٧: ١٧):
+ «يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون **جماعة الرب** كالغنم التي لا راعي لها». وأيضاً: (مز ٧٤: ٢):
+ «اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك ...».

أي جماعة تجتمع بواسطة الله ويترأسها الله بسلطان قوته كحاكم.

«**في وسط الآلهة يقضي**»:

إن المسئولين والرؤساء في إسرائيل هم المقصودون بالآلهة.

[٢ - ٤]:

الله يتكلَّم، يوصي القضاة بالعدل وعدم التفريق وأن يؤدوا واجبهم بأمانة.

٢ - «**حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْراً وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟ سِلاَهْ**».

«**ترفعون وجوه الأشرار**»:

تحترمون الأشخاص ذوي الحيثية وهم أشرار، وتفرِّقوا بين غني وفقير. انظر: (خر ٢٣: ٢ و٣

و٦ - ٩):
+ «لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر. ولا تُجِبْ في دعوى مائلاً وراء الكثيرين للتحريف».
+ «ولا تحاب مع المسكين في دعواه».
+ «لا تحرِّف حق فقيرك في دعواه. ابتعد عن كلام الكذب. ولا تقتل البريء والبار. لأني لا أبرِّر المذنب. ولا تأخذ رشوة. لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوِّج كلام الأبرار. ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب. لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر». وأيضاً: (لا ١٩: ١٥ و٣٥):
+ «لا ترتكبوا جوراً في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترموا وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك».
+ «لا ترتكبوا جوراً في القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل». وأيضاً: (تث ١: ١٧):
+ «لا تنظروا إلى الوجوه في القضاء. للصغير كالكبير تسمعون. لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله. والأمر الذي يعسر عليكم قدِّمونه إليَّ لأسمعه». وأيضاً: (تث ١٦: ١٨ - ٢٠):
+ «قضاة وعرفاء تجعل لك في جميع أبوابك التي يعطيك الرب إلهك حسب أسباطك فيقضون للشعب قضاءً عادلاً. لا تحرِّف القضاء ولا تنظر إلى الوجوه وتأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي أعين الحكماء وتعوِّج كلام الصديقين. العدل العدل تتبع لتحيا». وأيضاً: (أم ١٨: ٥):
+ «رفع وجه الشرير ليس حسناً لإخطاء الصدِّيق في القضاء». وأيضاً: (أم ٢٤: ٢٣):
+ «هذه أيضاً للحكماء ... محاباة الوجوه في الحُكم ليست صالحة».

٣ - «**اِقْضُوا لِلذَّلِيلِ وَلِلْيَتِيمِ. أَنْصِفُوا الْمِسْكِينَ وَالْبَائِسَ**».

٤ - «**نَجُّوا الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ أَنْقِذُوا**».

انظر: (إش ١: ١٧):
+ «تعلَّموا فعل الخير. اطلبوا الحق أنصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة». وأيضاً: (إش ١٠: ١ - ٣):
+ «ويل للذين يقضون أقضية البطل وللكتبة الذين يُسجِّلون جوراً. ليصدوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حق بائسي شعبي لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام. وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد. إلى مَنْ تهربون للمعونة؟ وأين تتركون مجدكم».

الرئاسات البشرية هم ممثلو الله لينظروا في حق الضعيف ومن لا صديق له، فيلزم أن تناله العدالة.

[٥ - ٧]:

أخلاق هؤلاء القضاة تُوصف وينطق بالقضاء عليهم.

٥ - «**لاَ يَعْلَمُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. فِي الظُّلْمَةِ يَتَمَشَّوْنَ. تَتَزَعْزَعُ كُلُّ أُسُسِ الأَرْضِ**».

الله هنا هو المتكلّم ولكن عوض أن يخاطب المخطئين، يصف عماهم وعنادهم قبل أن ينطق بالحكم عليهم. فهم بلا معرفة ولن يحصلوا على الفهم مع أن هذه هامة ولازمة للقضاة. انظر: (١مل ٣: ٩ و١٠):

+ «فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميِّز بين الخير والشر لأنه مَنْ يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا. فحسن الكلام في عيني الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر».

يذهبون ذاهبين وآتين في ظلام. راضين مكتفين بذواتهم وبجهلهم وظلام أخلاقهم. ولهذا فإن الأرض تحتهم تتزعزع من الجور والأخطاء والعثرات لضياع المبادئ، مبادئ الأخلاق في العالم. انظر: (مز ١١: ٣):

+ «إذا انقلبت الأعمدة فالصديق ماذا يفعل». وأيضاً: (مز ٧٥: ٣):
+ «ذابت الأرض وكل سكانها. أنا وزنت أعمدتها». وأيضاً: (أم ٢: ١٠ - ١٥):
+ «إذا دخلت الحكمة قلبك ولذَّت المعرفة لنفسك. فالعقل يحفظك والفهم ينصرك».
+ «لإنقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلّم بالأكاذيب».
+ «التاركين سبل الاستقامة للسلوك في مسالك الظلمة. الفرحين بفعل السوء المبتهجين بأكاذيب الشر».
+ «الذين طرقهم معوجة وهم ملتوون في سبلهم».

٦ - «**أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ**».

إنهم باختيار وتعيين الله قد تأهلوا بالسلطان الرئاسي الإلهي ليقيموا القضاء باسمه. و«بنو العلي» تقال للملوك. انظر: (مز ٢: ٧):

+ «إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك». وأيضاً: (مز ٨٩: ٢٧):
+ «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض».

وقد استخدم الرب هذه الآية في (يو ١٠: ٣٤ و٣٥):

+ «أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله».

وذلك حينما اتهمه اليهود بالتجديف لأنه قال أنا ابن الله. علي أن القضاة قديماً كانوا يدعون آلهة وأبناء العلي وذلك بالرغم من عدم استحقاقهم. فهل هو تجديف إن كان قد نال تكريساً وإرسالية كممثل لله حقاً، الذي حياته وأعماله تشهد لهذا التكريس لكي يدعو نفسه ابن الله؟

على المستوى السطحي يمكن أن تقوم منازعة بخصوص هذا الشرح كما اختلقها اليهود، ولكن تبقى حقيقة الآية باعتبارها ناموس كلمة الله الموحى به ثابتة بثبوت الحق ذاته. ويقول الأسقف وستكوت Westcott الإنجليزي إنه يوجد في هذه الآية بذرة الحق الذي أعلنه المسيح من جهة اتحاد الله مع الإنسان.

٧ - «**لكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ**».

حتى ولو صاروا إلى مثل هذا الحد ونالوا مثل هذا الشرف الأعلى، ولكن هذا لا يعفيهم من لعنة العقاب بالموت كبشر.

«وكأحد الرؤساء تسقطون»:

كما هو في التاريخ. انظر: (هو ٧: ٧):

+ «كلهم حامون كالتنور وأكلوا قضاتهم. جميع ملوكهم سقطوا. ليس بينهم مَنْ يدعو إليَّ». وأيضاً: (مز ٨٣: ٩ و١٠):
+ «افعل بهم كما بمديان كما بسيسرا كما بيابين في وادي قيشون».
+ «بادوا في عين دور. صاروا دمناً للأرض».

٨ - «**قُمْ يَا اَللهُ. دِنِ الأَرْضَ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَمْتَلِكُ كُلَّ الأُمَمِ**».

وبعد هذا السرد احتدَّ صاحب المزمور وهتف بالله أن يباشر دينونته على الأرض ليبيد الظلم والظالمين والمتكبرين الذين تاجروا بوظائفهم واحتلّت العدالة في قضائهم لأن له الأمم كلها وهو يقضي لها. انظر: (مز ٢: ٨):

+ «اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك».

المزمور الثالث والثمانون

آخر مزامير آساف في مجموعة الإلوهيم.

تَسْبِيحَةٌ مَزْمُورٌ لآسَافَ

١ – «اَللَّهُمَّ لاَ تَصْمُتْ. لاَ تَسْكُتْ وَلاَ تَهْدَأْ يَا اَللهُ.

٢ – فَهُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَعِجُّونَ وَمُبْغِضُوكَ قَدْ رَفَعُوا الرَّأْسَ.

٣ – عَلَى شَعْبِكَ مَكَرُوا مُؤَامَرَةً، وَتَشَاوَرُوا عَلَى أَحْمِيَائِكَ.

٤ – قَالُوا: هَلُمَّ نُبِدْهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَلاَ يُذْكَرُ اسْمُ إِسْرَائِيلَ بَعْدُ.

٥ – لأَنَّهُمْ تَآمَرُوا بِالْقَلْبِ مَعاً. عَلَيْكَ تَعَاهَدُوا عَهْداً.

٦ – خِيَامُ أَدُومَ وَالإِسْمَاعِيلِيِّينَ، مُوآبُ وَالْهَاجَرِيُّونَ.

٧ – جِبَالُ وَعَمُّونُ وَعَمَالِيقُ، فَلَسْطِينُ مَعَ سُكَّانِ صُورٍ.

٨ – أَشُّورُ أَيْضاً اتَّفَقَ مَعَهُمْ. صَارُوا ذِرَاعاً لِبَنِي لُوطٍ. سِلاَهْ.

٩ – افْعَلْ بِهِمْ كَمَا بِمِدْيَانَ، كَمَا بِسِيسَرَا، كَمَا بِيَابِينَ فِي وَادِي قِيشُونَ.

١٠ – بَادُوا فِي عَيْنِ دُورٍ. صَارُوا دِمَناً لِلأَرْضِ.

١١ – اجْعَلْهُمْ. شُرَفَاءَهُمْ مِثْلَ غُرَابٍ، وَمِثْلَ ذِئْبٍ. وَمِثْلَ زَبَحَ، وَمِثْلَ صَلْمُنَّاعَ كُلَّ أُمَرَائِهِمْ.

١٢ – الَّذِينَ قَالُوا: لِنَمْتَلِكْ لأَنْفُسِنَا مَسَاكِنَ اللهِ.

١٣ – يَا إِلهِي، اجْعَلْهُمْ مِثْلَ الْجُلِّ، مِثْلَ الْقَشِّ أَمَامَ الرِّيحِ.

١٤ – كَنَارٍ تُحْرِقُ الْوَعْرَ، كَلَهِيبٍ يُشْعِلُ الْجِبَالَ.

١٥ – هكَذَا اطْرُدْهُمْ بِعَاصِفَتِكَ، وَبِزَوْبَعَتِكَ رَوِّعْهُمْ.

١٦ – امْلأْ وُجُوهَهُمْ خِزْياً، فَيَطْلُبُوا اسْمَكَ يَا رَبُّ.

١٧ – لِيَخْزَوْا وَيَرْتَاعُوا إِلَى الأَبَدِ، وَلْيَخْجَلُوا وَيَبِيدُوا.

١٨ – وَيَعْلَمُوا أَنَّكَ اسْمُكَ يَهْوَهُ وَحْدَكَ، الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ».

دراسة:

بعدما قدّم آساف رؤية لمحاكمة الرؤساء الذين ضايقوا شعب الله من داخل الدولة، يعقبها في هذا

المزمور بصلاة لمحاكمة الأمم التي تهدد بهدم شعب الله كأمة في مظهرها الخارجي. فالأمم المحيطة يمثلها هنا كحلقة متراصة شريرة غير مقدسة ضد إسرائيل، وغرضهم ليس أقل من وقف مشورة الله والانقضاض على اسم إسرائيل لمحوه من الذاكرة. والأعداء القدامى لإسرائيل الموآبيين والعمونيين هم قادة هذا التحالف ومتحد معهم الأدوميون والعماليق والعرب كقبائل من الصحراء مع الفلسطينيين وصور وحتى سوريا.

ولكن بالرغم من التحديد التاريخي الواضح لهذه الأمور فمن المستحيل تحديد زمن كتابة المزمور بدقة. فبعض الشراح الآخرين ينسبونه لأيام يهوشافاط المذكورة في (٢أي ٢٠)، ومع أنه غير مذكور في هذا المرجع لا الإسماعيليون ولا الهاجريون ولا جبال، ولا يوجد أي ذكر للفلسطينيين والفينيقيين، ولكن هذا الرأي هو الأرجح على كل حال.

وفي الحقيقة لا نجد في سجلات التاريخ ما يوضح مثل هذا التحالف لجميع هذه الأمم معاً. ولكن على كل حال نجد أن الغزو المذكور في (٢أي ٢٠) يقدّم أقرب شبه لهذا الجمع المؤتلف ويوضح ما جاء في المزمور. لذلك يمكن اعتبار أن المزمور قد كُتب مشيراً إلى هذه الغزوة أيام يهوشافاط. انظر: (٢أي ٢٠: ١ – ٣، ١٠ و١١ و١٤ و١٥):

+ «ثم بعد ذلك أتى بنو موآب وبنو عمون ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة. فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من أرام وها هم في حصون تامار. هي عين حدي. فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ونادى بصوم في كل يهوذا».

+ «والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير الذين لم تدع إسرائيل يدخلون إليهم حين جاءوا من أرض مصر بل مالوا عنهم ولم يهلكوهم. فهوذا هم يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذي ملّكتنا إياه».

+ «وإن يحزئيل بن زكريا بن بنايا بن يعيئيل بن متنيا اللاوي من بني آساف كان عليه روح الرب في وسط الجماعة. فقال اصغوا يا جميع يهوذا وسكان أورشليم وأيها الملك يهوشافاط. هكذا قال الرب لكم لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لأن الحرب ليست لكم بل لله».

وقد ألهم الله ميخا النبي نبوّة على هذا الغزو وقال فيها (مي ٤: ١١ – ١٣):

+ «والآن قد اجتمعت عليكِ أمم كثيرة الذين يقولون لتتدنَّس ولتتفرَّس عيوننا في صهيون. وهم لا يعرفون أفكار الرب ولا يفهمون قصده إنه قد جمعهم كحزم إلى البيدر. قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأحرّم غنيمتهم للرب ...».

وفي ذلك الوقت كانت الأمم المحيطة بإسرائيل تهدِّد يهوذا مما جعل هذه النبوة تتجسَّم في هذه الصلاة التي يصلّيها آساف حتى ولو أن الأعداء كثرة ومحيطون بيهوذا فعلاً وقد صمَّموا أن يهدموا إسرائيل، ولكن يهوه قادر أن يخمد مشاريعهم ويحوِّل مكرهم فرصة لاستعراض عظمته وسلطانه.

والمزمور يقع في قسمين رئيسيين:

١ - يصلّي حتى لا يبقى الله بلا فعل ولا اهتمام كمتفرِّج، في حين أن الأعداء قد أطبقوا على الشعب من كل جانب بنية هدمهم نهائياً (١ - ٨).

٢ - لعلّه ينهي عليهم كما أنهى على المديانيين والكنعانيين قديماً حتى خضعوا بالنهاية، وإذا لم يخضعوا يشتت شملهم ويخزيهم حتى يعترفوا بسيادته (٩ - ١٨).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٤]:

صلاة بلجاجة وباستعجال أن يأتي الله لإنقاذ شعبه من الأعداء الذين فكَّروا بإبادتهم.

١ - «**اللَّهُمَّ لاَ تَصْمُتْ. لاَ تَسْكُتْ وَلاَ تَهْدَأْ يَا اَللهُ**».

انظر: (مز ٢٨: ١):

+ «إليك يا رب أصرخ يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب». وأيضاً: (مز ٣٥: ٢٢):

+ «قد رأيتَ يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبتعد عني». وأيضاً: (مز ٣٩: ١٢):

+ «استمع صلاتي يا رب أصغِ إلى صراخي. لا تسكت عن دموعي لأني أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائي».

«**لا تهدأ**»:

لا تأخذ راحة. انظر: (إش ٦٢: ١ و٦ و٧):

+ «من أجل صهيون لا أسكت من أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برّها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد».

+ «على أسوارِكِ يا أورشليم أقمت حرَّاساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبيحة في الأرض».

الرب في نظر صاحب المزمور واقف لا يهتم بشيء مع أن الخطر محدق بالشعب وأعداؤهم يهددونهم وليس من يزجر، مع أنه لو تكلم كلمة واحدة فكل مخططاتهم تتلاشى كليًّا. انظر: (مز ٧٦: ٦):

+ «من انتهارك يا إله يعقوب يسبخ فارس وخيل».

٢ - «**فَهُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَعِجُّونَ وَمُبْغِضُوكَ قَدْ رَفَعُوا الرَّأْسَ**».

«**يعجُّون**»:

كجيش كبير لا يقر له قرار. انظر: (مز ٤٦: ٣):

+ «تعج وتجيش مياهها تتزعزع الجبال بطموها». وأيضاً: (إش ١٧: ١٢):

+ «آه ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر وهدير قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة». وأيضاً: (إش ٢٩: ٥ و٧ و٨):

+ «ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاة كالعاصفة المارة. ويكون ذلك في لحظة بغتة».

+ «ويكون كحلم كرؤيا الليل جمهور كل الأمم المتحندين على أريئيل كل المتحندين عليها وعلى قلاعها والذين يضايقونها».

+ «ويكون كما يحلم الجائع أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة. وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ وإذا رازح ونفسه مشتهية. هكذا يكون جمهور كل المتحندين على جبل صهيون». وأيضاً: (٢أي ٢٠: ٢ و١٢ و١٥ و٢٤):

+ «فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من أرام ...».

+ «يا إلهنا أما تقضي عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا ونحن لا نعلم

ماذا نعمل ...».

+ «(واحد) من بني آساف كان عليه روح الرب في وسط الجماعة. فقال اصغوا يا جميع يهوذا ... هكذا قال الرب لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لأن الحرب ليست لكم بل لله».

+ «ولما جاء يهوذا إلى المَرْقَب في البرية تطلَّعوا نحو الجمهور وإذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد».

٣ - **«عَلَى شَعْبِكَ مَكَرُوا مُؤَامَرَةً، وَتَشَاوَرُوا عَلَى أَحْمِيَائِكَ».**

«**أحميائك**»:

الذين يحتمون بهيكلك المقدس وكلمة أحمياء بالعبرية تعني ''المختفين (فيك)'' ومفردها يُترجم بكلمة ''سر''. انظر: (حز ٧: ٢٢):

+ «وأحول وجهي عنهم فينجسون **سرِّي** ويدخله المعتنفون وينجسُّونه».

٤ - **«قَالُوا: «هَلُمَّ نُبِدْهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَلاَ يُذْكَرُ اسْمُ إِسْرَائِيلَ بَعْدُ».**

انظر: (إر ٤٨: ٢):

+ «... فكروا عليها شرًّا. هلم فنقرضها من أن تكون أمة ...». وأيضاً: (مز ٧٤: ٨):

+ «قالوا في قلوبهم لنفنينهم معاً. أحرقوا كل معاهد الله في الأرض».

٥ - **«لأَنَّهُمْ تَآمَرُوا بِالْقَلْبِ مَعاً. عَلَيْكَ تَعَاهَدُوا عَهْداً».**

اجتمعوا وعملوا معاهدة معاً وتعاهدوا على أمر واحد: أن تُفنى إسرائيل.

وكان اجتماعهم من: **الأدوميين**: الذين يسكنون الجبال بين البحر الميت وخليج العقبة.

والإسماعيليين: الذين يطوفون الصحراء من حدود مصر إلى الشمال الغربي للخليج الفارسي.

والمؤآبيين: شرق البحر الميت.

والهاجريون: من الشمال الشرقي بجوار هوران شرقي جلعاد، وقد ذُكروا محفورة أسماءهم في آثار سنحاريب مع النباطيين.

جبال: الجزء الشمالي من أدوم جنوب البحر الميت معروفة عند بليني

باسم جبالين.

العمونيين: العدو المر القديم لإسرائيل وراء الأردن.

العماليق: الصحراء الجنوبية بين العربية والبحر الأبيض المتوسط.

الفلسطينيين: القاطنين بحذاء البحر الأبيض المتوسط.

صور: في الشمال على الساحل.

٦ - **«خِيَامُ أَدُومَ وَالإِسْمَاعِيلِيِّينَ، مُوآبُ وَالْهَاجَرِيُّونَ».**

كل هذه القبائل من ساكني الخيام. انظر: (حب ٣: ٧ و٨):

+ «رأيت خيام كوشان تحت بليَّة. رجفت شقق أرض مديان. هل على الأنهار حميَ يا رب هل على الأنهار غضبك أو على البحر سُخطك حتى إنك ركبت خيلك، مركباتك مركبات الخلاص».

٧ - **«جِبَالُ وَعَمُّونُ وَعَمَالِيقُ، فَلَسْطِينُ مَعَ سُكَّانِ صُورٍ».**

فلسطين مع صور والباقين أظهروا عداءً مستمراً لإسرائيل.

٨ - **«أَشُّورُ أَيْضاً اتَّفَقَ مَعَهُمْ. صَارُوا ذِرَاعاً لِبَنِي لُوطٍ. سِلاَهْ».**

أشور لم تتعامل مع إسرائيل إلاَّ في أيام ياهو الذي دفع لهم الجزية لشلمناصر الثاني سنة ٨٤٢ ق.م.، وفي أيام يهوشافاط ظهر الأشوريون وغزوا فينيقية وسوريا. فإذا كان المزمور يتبع أيام فارس أو المكابيين فإن أشور تكون هي فارس أو سوريا.

«**بني لوط**»:

الموآبيون والعمونيون الذين بدوا وكأنهم قوَّاد لهؤلاء المتعاهدين، هؤلاء جميعاً احتفظوا بعداواتهم القديمة. انظر: (٢أي ٢٠: ١):

+ «ثم بعد ذلك أتى بنو موآب وبنو عمون ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة». وأيضاً: (تث ٢: ٩ و١٩):

+ «فقال لي الرب لا تعادِ موآب ولا تُثر عليهم حرباً لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً ... لأني لبني لوط قد أعطيت (عَار) ميراثاً».

[٩ - ١٢]:

صلاة لهدم الأعداء كما صنع مع الكنعانيين بواسطة دبورة وباراق والمديانيين بواسطة جدعون.

٩ - «**افْعَلْ بِهِمْ كَمَا بِمِدْيَانَ، كَمَا بِسِيسَرَا، كَمَا بِيَابِينَ فِي وَادِي قِيشُونَ**».

يذكر نفسه بنصرة جدعون المذهلة وهو أعزل على قوات مديان المتعاهدة مع العمالقة والعرب (قض ٧ و٨). انظر: (إش ٩: ٤):

+ «لأن نير ثقله وعصا كتفه وقضيب مسخره كسرتهن كما في يوم مديان». وأيضاً: (إش ١٠: ٢٦):
+ «ويقيم عليه رب الجنود سوطاً كضربة مديان عند صخرة غراب وعصاه على البحر ويرفعها على أسلوب مصر».

هؤلاء يسقطون كما سقط أعداء يهوشافاط. انظر: (٢أي ٢٠: ٢٣ - ٢٥):

+ «وقام بنو عمون وموآب على سكان جبل ساعير ساعد بعضهم على إهلاك بعض. ولما جاء يهوذا إلى المَرْقَب في البرية تطلعوا نحو الجمهور وإذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد. فأتى يهوشافاط وشعبه لنهب أموالهم ...».

«في وادي قيشون»:

العاصفة ابتلعت الأعداء في الوادي فصار النصر. انظر: (قض ٥: ٢٠ و٢١):

+ «من السموات حاربوا. الكواكب من حُبُكها حاربت سيسرا. نهر قيشون جرفهم. نهر وقائع نهر قيشون. دوسي يا نفسي بعزٍّ».

١٠ - «**بَادُوا فِي عَيْنِ دُورٍ. صَارُوا دِمْناً لِلأَرْضِ**».

عين دور لم يذكرها سفر القضاة في وصف معركة دبورة ولكنها واقعة في نفس الوادي مثل تعنك ومجدو المذكورين في (قض ٥: ١٩) ومذكورة معها أيضاً في (يش ١٧: ١١):

+ «وكان لمنسّى في يسَّاكر وفي أشير بيت شان وقُراها ويبلعام وقُراها وسكان دور وقُراها وسكان عين دور وقُراها وسكان مجدو وقُراها المرتفعات الثلاث». وأيضاً: (قض ٥: ١٩):
+ «جاء ملوك. حاربوا. حينئذ حارب ملوك كنعان في تعنك على مياه مجدو ...».

١١ - «**اجْعَلْهُمْ. شُرَفَاءَهُمْ مِثْلَ غُرَابٍ، وَمِثْلَ ذِئْبٍ. وَمِثْلَ زَبَحَ، وَمِثْلَ صَلْمُنَّاعَ كُلَّ أُمَرَائِهِمْ**».

جاءوا في قصة جدعون ونصرته، وغراب وذئب كان من أمراء قواد المديانيين وزبح وصلمناع كانا ملكين على مديان.

١٢ - «**الَّذِينَ قَالُوا: لِنَمْتَلِكْ لأَنْفُسِنَا مَسَاكِنَ اللهِ**».

هنا رجع المزمور على الأعداء الأولين المجتمعين على يهوذا وليس المديانيين، وكانت أورشليم وهيكلها موضع طمعهم.

[١٣ - ١٨]:

صلاة مجدداً لتشتيت شمل الأعداء وتحطيمهم، والمطلب الأخير والنهائي للمزمور أن يعترف الكل بيهوه كصاحب السلطان.

١٣ - «**يَا إِلهِي، اجْعَلْهُمْ مِثْلَ الْجُلِّ، مِثْلَ الْقَشِّ أَمَامَ الرِّيحِ**».

انظر: (إش ١٧: ١٣ و١٤):

+ «قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً وتُطرد كعاصفة الجبل وكالجُلِّ أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعبٌ. قبل الصبح ليسوا هُم. هذا نصيب ناهبينا». وأيضاً: (إش ٢٩: ٥):
+ «ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاة كالعصافة المارة ويكون ذلك في لحظة». وأيضاً: (إر ١٣: ٢٤):
+ «فأبدِّدهم كقش يعبر مع ريح البرية».

١٤ - «**كَنَارٍ تُحْرِقُ الْوَعْرَ، كَلَهِيبٍ يُشْعِلُ الْجِبَالَ**».

١٥ - «**هكَذَا اطْرُدْهُمْ بِعَاصِفَتِكَ، وَبِزَوْبَعَتِكَ رَوِّعْهُمْ**».

هكذا غضب الله، نار وزوبعة تحرق وتبدِّد وتنفخ فيطيرون من على وجه الأرض. انظر: (إش ١٠: ١٦ و١٨):

+ «لذلك يرسل السيد سيد الجنود على سمانه هزالاً ويوقد تحت مجده وقيداً كوقيد النار».
+ «ويفني مجد وعره وبستانه النفس والجسد جميعاً. فيكون كذوبان المريض ...». وأيضاً:

(إر ٢١: ١٤):

+ «ولكني أعاقبكم حسب ثمر أعمالكم يقول الرب. وأشعل ناراً في وعره فتأكل ما حواليها».

١٦ - «امْلأْ وُجُوهَهُمْ خِزْياً، فَيَطْلُبُوا اسْمَكَ يَا رَبُّ».

حينما ينهزموا يزول الكبرياء وتنحط النفس وتعترف بضعفها وسلطان الله. ويُسلّمون لإرادته.

١٧ - «لِيَخْزَوْا وَيَرْتَاعُوا إِلَى الأَبَدِ، وَلْيَخْجَلُوا وَيَبِيدُوا».

١٨ - «وَيَعْلَمُوا أَنَّكَ اسْمُكَ يَهْوَهُ وَحْدَكَ، الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ».

القصد من العقاب والتأديب عند صاحب المزمور بالنسبة للأعداء المشكو منهم هو أن يعودوا ويتحوّلوا للاعتراف بيهوه (١٦)، ولكن إذا لم يعترفوا بالله كإله يُجبروا على ذلك بالحكم والدينونة. انظر: (إش ٣٧: ٢٠).

+ «والآن أيها الرب إلهنا خلّصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك». وأيضاً: (٢أي ٢٠: ٢٩):

+ «وكانت هيبة الله على كل ممالك الأرض حين سمعوا أن الرب حارب أعداء إسرائيل». وهكذا صار التهديد الذي هدّدوا به شعب الله مرتداً إلى نحوهم. انظر: (مز ٦: ١٠):

+ «جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جداً. يعودون ويخزون بغتة». وأيضاً: (مز ٣٥: ٤ و٢٦):

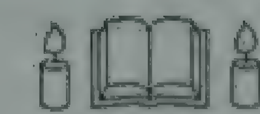
+ «ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتي». وأيضاً: (مز ٥٩: ١٣):

+ «أفنِ بحنق أفنِ ولا يكونوا وليعلموا أن الله متسلّط في يعقوب إلى أقاصي الأرض». وأيضاً: (إش ٢٦: ١١):

+ «يا رب ارتفعت يدك ولا يرون. يرون ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك».

✠✠✠

انتهت مزامير آساف



المزمور الرابع والثمانون

مناسب جداً أن يكون من مزامير المصاعد ولكنه غير محسوب معهم.

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «الْجَتِّيَّةِ». لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

١- «مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ!

٢- تَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلهِ الْحَيِّ.

٣- الْعُصْفُورُ أَيْضاً وَجَدَ بَيْتاً وَالسُّنُونَةُ عُشّاً لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا، مَذَابِحَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ، مَلِكِي وَإِلهِي.

٤- طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ أَبَداً يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ.

٥- طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ.

٦- عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعاً. أَيْضاً بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ.

٧- يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ.

٨- يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، اسْمَعْ صَلاَتِي، وَاصْغَ يَا إِلهَ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ.

٩- يَا مِجَنَّنَا انْظُرْ يَا اَللهُ، وَالْتَفِتْ إِلَى وَجْهِ مَسِيحِكَ.

١٠- لأَنَّ يَوْماً وَاحِداً فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ. اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ.

١١- لأَنَّ الرَّبَّ، اللهَ، شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْداً. لاَ يَمْنَعُ خَيْراً عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ.

١٢- يَا رَبَّ الْجُنُودِ، طُوبَى لِلإِنْسَانِ الْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ».

دراسة:

مع مزمور (٨٣) تنتهي المزامير المنسوبة لآساف في مجموعة المزامير المعروفة بالإلوهست أي التي يرد فيها بكثرة اسم الله = "إلوهيم". والمزامير من (٨٤ - ٨٩) تكوّن ملحقاً لهذه المجموعة، ويمكن اقتفاء محرر مجموعة الإلوهست في مزمور (٨٤) في العدد (٨) الذي يقول بدل «رب الجنود» (رب

الصباؤوت)، «يا رب إله الجنود» (إلوهيم صباؤوت) ثم يستخدم «الله» في العدد (٩) ولكنه يستخدم يهوه في الأعداد ١ و٢ و٣ و٨ و١١ و١٢.

ومزمور (٨٤) هو رفيق شعري للمزمورين (٤٢ و٤٣) في تخليد روح الغيرة على العبادة لخدمة الله ومحبة العبادة في الهيكل، ويستخدم نفس الاصطلاحات: خيمة، مسكن (١)، الله الحي (٢)، يتراءى أمام الله (٧). ويقدِّم نفس التركيب لثلاث وقفات متساوية مقسَّمة بعلامة موسيقية (سلاه) بدلاً من القرار في مزموري (٤٢ و٤٣).

هذه المزامير ربما كتبت بنفس الشاعر إنما في مناسبات مختلفة. ففي مزموري ٤٢ و٤٣ نجد أن الدافع القائد هو التألم من الحرمان من الاقتراب إلى الهيكل. أما مزمور (٨٤) فيقدِّم الفرح والفخر بسبب الدخول فيه. فـ "قدما" الكاتب يقول إنهما تقفان على أعتاب أورشليم، لهذا يُحسب حقاً أنه مزمور مصاعد، غير أنه غير محسوب ضمنها (انظر كتاب مقدِّمة المزامير صفحة ٢٦٣).

وهو واضح أنه يتبع الزمن الذي كان فيه الهيكل قائماً وخدماته تسير بانتظام، وبقوله «مسيحك» في العدد (٩) إنما يعود كما هو المعتاد إلى الملك، ويلزم هنا أن يكون الزمن زمن الملكية الواحدة ولكن أكثر من ذلك يصبح مستحيلاً أن نقرِّر شيئاً.

وهناك بعض المحاولات لتحديد تاريخ المزامير الرفيقة ٤٢ و٤٣ بمزمور (٨٤) وقد سبق تقديمها في دراسة هذين المزمورين ولكنها غير محتملة، وأن يُحسب هذا المزمور من زمن داود قطعاً مستحيلاً لأن الهيكل يظهر في هذا المزمور (٨٤) قائماً كاملاً والخدمة قائمة فيه ربما بمدة طويلة. ولكن إذا اعتبرنا أن المزامير لا تخضع لفترة زمنية معينة فهذا المزمور يُحسب لها أنه هو تسبحة الاشتياق للحياة التقوية الإلهية في كل العصور. فهو يحضرنا أمام النعمة والمجد والذبيحة والخدمة حيث يكون التقدم أمام الله الإله رب الجنود هو ينبوع المزمور وقوَّته وخاتمة جهده كما يقول الأسقف وستكوت.

والمزمور ينقسم إلى ثلاث وقفات متساوية مقسَّمة بسلاه كعلامة موسيقية بعد الأعداد (٤ و٨). وللوهلة الأولى تبدو هذه الأقسام غير مقنعة لأنها تفصل أعداد ذات معاني وأشكال واحدة. لذلك نفكر أن نعتبر المزمور مكوَّناً من قسمين فقط (١ - ٧)، (٨ - ١٢)؛ ولكن التقسيم الثلاثي أيضاً مناسب ويقابل تقسيم (مز ٤٢ و٤٣).

والوقفة الثانية والثالثة تفتتح بكلمات مستوحاة مما جاء في ختام الأولى والثانية على التوالي. أما الفكر في المزمور فيمكن تتبعه كما يلي:

١ - اشتياق صاحب المزمور لبيت الله (١ و٢)، ويا لسعادة مَنْ يسكن فيه (٣ و٤).
٢ - وأيضاً سعداء الذين بقوة الله يتخطون كل الصعاب والعراقيل ويظهرون في حضرة الله بصلواتهم (٥ - ٨).
٣ - عظم قيمة التقدم إلى الله الذي يُحسب الينبوع الدائم للبركات للذين يثقون فيه (٩ - ١٢). ويلزم بجوار (مز ٤٢ و٤٣) أن نقارن هذا المزمور أيضاً بالمزمور (٢٧ و٦١ و٦٣).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ و٢]:
مسرَّة صاحب المزمور ببيت الله.

١ - «**مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ!**».

كلمة "مساكن" Tabernacles تعني "خيام" أصلاً، ولكن تُحسب مواضع سكنى. انظر: (مز ٢٦: ٨):

+ «يا رب أحببت محل بيتك وموضع **مسكن** مجدك».

والمجتمع يأتي في (مز ٤٣: ٣):
+ «أرسل نورك وحقَّك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك».

أما بخصوص «رب الجنود». فانظر: (مز ٤٦: ٧):
+ «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه». وأيضاً: (يع ٥: ٤):
+ «هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود».

٢ - «**تَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلهِ الْحَيِّ**»
هذا هو صاحب المزمور واقف على عتبة بيت الله يصف حالته من القرب بالله. انظر: (إر ٣١: ١٢):
+ «فيأتون ويرنِّمون في مرتفع صهيون ويجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر ... وتكون نفسهم كجنة ريَّا ولا يعودون يذوبون بعد». وأيضاً: (مز ٤٢: ٤):

+ «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ. لأني كنت أمرُّ مع الجماع أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد جمهور معيِّد».

«قلبي ولحمي»:

هما كل الإنسان. انظر: (مز ١٦: ٩):

+ «لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً». وأيضاً: (مز ٧٣: ٢٦):
+ «قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر». وأيضاً: (١تس ٥: ٢٣):
+ «وإله السلام نفسه يقدِّسكم بالتمام وتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح».

«بالإله الحي»:

غاية مطلب النفس. انظر: (مز ٤٢: ٢):

+ «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدَّام الله».

٣ - **«الْعُصْفُورُ أَيْضاً وَجَدَ بَيْتاً وَالسُّنُونَةُ عُشّاً لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا، مَذَابِحَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ، مَلِكِي وَإِلَهِي»**.

صاحب المزمور يتطلَّع إلى الطيور الصغيرة والضعيفة ويحسدها أنها وجدت راحتها في بناء أعشاشها في أفنية الهيكل، فإذا كان قد سمح لها الله أن تجد لنفسها عشاً وبيتاً وراحة وسعادة فأكيد سيسمح له هو أيضاً أن يكون له جوار، وقلبه أيضاً يرنو إلى هذه القربى.

يأتي هذا التصور مفاجأة ويتركه الشاعر للقارئ يستقرئ منه ما رآه وما يريده. انظر: (أم ٢٦: ٢):

+ «كالعصفور للفرار وكالسنونة للطيران ...».

وفي الشرق تُعتبر الطيور التي تسكن المعابد مقدَّسة.

«ملكي وإلهي»:

انظر: (مز ٤٤: ٤): «أنت هو ملكي يا الله».

٤ - **«طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ أَبَداً يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ»**.

يتكلَّم عن الساكنين حقاً من كهنة ولاويين كخدام للهيكل، فهم مشغولون بالهلليلويا طول الوقت.

[٥ - ٨]:

ليس فقط هذه الطيور لها سعادتها بسبب سكناها بأعشاشها في فناء الهيكل، بل وأولئك الذين ينتصرون على صعاب الحياة ليظلوا قريبين من الله ويتراءوا أمامه كل حين بالصلاة والتسبيح.

٥ - **«طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ»**.

يقول عن القلوب والعقول المهاجرة دوماً إلى بيت الله بالصلاة والترائي أمام الله، بالتوسُّل والتسبيح، وصهيون في قرارة حياتهم وقلبهم مصدر حماية وفرح وسلام.

٦ - **«عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعاً. أَيْضاً بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ»**.

يتراوح شرح هذه الآية بين أن وادي الدموع أو البكاء يمثل أحزان السائرين في الحياة الذين يصيرونه ينبوعاً للبركات بالصلاة لله؛ وبين قولهم إن وادي البكاء يمثل وادياً جافاً يملأه الله بالمطر.

٧ - **«يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ»**.

«من قوة إلى قوة»:

في وادي البكاء يتشدَّدون بالله من قوة إلى قوة حتى يقفوا أمام الله في الهيكل. انظر: (إش ٤٠: ٣١):

+ «أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون». وأيضاً: (يو ١: ١٦):
+ «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. **ونعمة فوق نعمة**». وأيضاً: (٢كو ٣: ١٨):
+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من **مجد إلى مجد** كما من الرب الروح».

«يُرون قدام الله»:

الاصطلاح التقليدي لدخول الهيكل في الأعياد الكبرى. انظر: (مز ٤٢: ٢):

+ «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدَّام الله؟».

٨ - **«يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ، اسْمَعْ صَلاَتِي، وَاصْغَ يَا إِلَهَ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ»**.

صلاة لتُقبل صلاته، انتهت بفاصل موسيقي: سلاه، كصلاة تقدَّم عن مجموعة الحجاج الصاعدين معاً للمراقي.

٩ - «يَا مِجَنَّنَا انْظُرْ يَا اَللهُ، وَالْتَفِتْ إِلَى وَجْهِ مَسِيحِكَ».

«التفت إلى وجه مسيحك»:

بالنعمة اقبله، فحظ الأمة من حظ ملكها.

١٠ - «لأَنَّ يَوْماً وَاحِداً فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ. اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ».

بعد أن قدَّم صلاته وأحسَّ بالقبول صار يومه هكذا سعيداً حتى يُفضل الوقوف في بيت الله يوماً واحداً عن ألف يوم في حياة البعد عن الله. وهذا التقدير الذي يقرِّره يساوي تماماً شعوره منذ البدء بحبِّه لبيت الله والصلاة والبقاء على عتبته.

كما يُلاحَظ أن مؤلف المزمور من بني قورح ووظيفتهم حراسة باب الهيكل. انظر: (١أي ٩: ١٩):

+ «القورحيون على عمل الخدمة **حراسة أبواب الخيمة** وآباؤهم على محلة الرب حرَّاس المدخل». وأيضاً: (٢مل ٢٢: ٤):

+ «اصعد إلى حلقيا الكاهن العظيم فيحسب الفضة المُدخلة إلى بيت الرب التي جمعها حارسو الباب من الشعب».

١١ - «لأَنَّ الرَّبَّ، اللهَ، شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْداً. لاَ يَمْنَعُ خَيْراً عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ»

لم يأت في ترجمات المزامير وصف الرب بالشمس لأن الكل يجزع من ذلك بسبب عبادة الأمم كمصر للشمس، فجعلوها "الرب نور" وجعلوها "رحمة وحق"، وحتى الترجوم جعلها "حائط عالٍ ومجن"، والنسخة السريانية جعلتها "معيننا وساندنا"، ولكن جيروم والماسورية كتبوها حرفياً.

«السالكين بالكمال»:

السالكين باستقامة. انظر: (مز ١٥: ٢):

+ «السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلِّم بالصدق في قلبه (الساكن في بيت الله)». وأيضاً: (مز ١٠١: ٦):

+ «عيناي على أمناء الأرض لكي أجلسهم معي. السالك طريقاً كاملاً هو يخدمني».

١٢ - «يَا رَبَّ الْجُنُودِ، طُوبَى لِلإِنْسَانِ الْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ».

المزمور الخامس والثمانون

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

١- «رَضِيتَ يَا رَبُّ عَلَى أَرْضِكَ. أَرْجَعْتَ سَبْيَ يَعْقُوبَ.

٢- غَفَرْتَ إِثْمَ شَعْبِكَ. سَتَرْتَ كُلَّ خَطِيَّتِهِمْ. سِلاَهْ.

٣- حَجَزْتَ كُلَّ رِجْزِكَ. رَجَعْتَ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ.

٤- أَرْجِعْنَا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا، وَانْفِ غَضَبَكَ عَنَّا.

٥- هَلْ إِلَى الدَّهْرِ تَسْخَطُ عَلَيْنَا؟ هَلْ تُطِيلُ غَضَبَكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ؟

٦- أَلاَ تَعُودُ أَنْتَ فَتُحْيِينَا، فَيَفْرَحُ بِكَ شَعْبُكَ.

٧- أَرِنَا يَا رَبُّ رَحْمَتَكَ، وَأَعْطِنَا خَلاَصَكَ.

٨- إِنِّي أَسْمَعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ اللهُ الرَّبُّ، لأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالسَّلاَمِ لِشَعْبِهِ وَلأَتْقِيَائِهِ، فَلاَ يَرْجِعُنَّ إِلَى الْحَمَاقَةِ.

٩- لأَنَّ خَلاَصَهُ قَرِيبٌ مِنْ خَائِفِيهِ، لِيَسْكُنَ الْمَجْدُ فِي أَرْضِنَا.

١٠- الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا.

١١- الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ، وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ.

١٢- أَيْضاً الرَّبُّ يُعْطِي الْخَيْرَ، وَأَرْضُنَا تُعْطِي غَلَّتَهَا.

١٣- الْبِرُّ قُدَّامَهُ يَسْلُكُ، وَيَطَأُ فِي طَرِيقِ خَطَوَاتِهِ».

دراسة:

عودة إسرائيل من السبي هي برهان الصفح والغفران، عودة شعبه مرَّة أخرى كما وعد. انظر: (إر ٣٣: ٧ و٨):

+ «وأرد سبي يهوذا وسبي إسرائيل وأبنيهم كالأول. وأطهرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليَّ وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ والتي عصوا بها عليَّ».

إلا أن حالتهم تظهر أنها لا زالت ترزح تحت غضب الله! والبقية قليلة جداً التي جاءت فالإخفاق والخيبة تسحقهم، والحياة الأهلية لم تسترجع نفسها، والرجاء الكبير الذي نادى به الأنبياء خاصة في إشعياء (٤٠ - ٦٦) بالنسبة للعودة لم يتحقَّق. لذلك فالأمة تصلِّي لاستعلان خلاص الله وقوَّته لإسعاد الشعب (١ - ٧).

وإذ يتسمع صاحب المزمور الإجابة، يتلقَّى التأكيد أن أغراض الله للخير نحو شعبه الأمين لابد أن تتحقق، وأنه سيسكن بينهم ويباركهم ويتمم نبوات الوعد لإقامة مملكته بين الناس (٨ - ١٣).

هذا هو جوهر المزمور ومن الصعب أن نكون مخطئين في إرجاعه إلى الأيام الأُولى للعودة من بابل، وأفضل توضيح لروح هذه الأيام يوجد في نبوات حجي وزكريا، خاصة زكريا (١: ١٢-١٧):

+ «فأجاب ملاك الرب وقال: يا رب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة! فأجاب الرب الملاك الذي كلَّمني بكلام طيب وكلام تعزية ... هكذا قال رب الجنود. غِرتُ على أورشليم وعلى صهيون غيرة عظيمة. وأنا مغضب بغضب عظيم على الأمم المطمئنين ... لذلك هكذا قال الرب: قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم فيُبنى بيتي فيها يقول رب الجنود ويُمدُّ المطمار على أورشليم ... هكذا قال رب الجنود. إن مدني تفيض بعد خيراً والرب يعزِّي صهيون بعد ويختار بعد أورشليم».

ذلك كان سنة ٥٢٠ ق.م. ويرجح أن يعود المزمور إلى ذلك الزمان أكثر من زمن نحميا (٤٦٤ ق.م).

وقد كُتب المزمور ليواجه الهبوط والإحباط الذي كان يطحن الشعب ويضعف حياته بسرعة، وذلك بتأكيد أن وعود الأنبياء بمستقبل ماسياني عظيم لم تكن هلوسة، بل أن الله سيقيم مملكته في أرضه.

والمزمور يقع في قسمين:

١ - التوسُّل استناداً إلى المراحم التي تمت فعلاً (١ - ٣) كأساس للصلاة (٤ - ٧).

٢ - الإجابة بالرجاء (٨ - ١٣).

وقد افتُرض أن الجزء الأول كان يُنشَد بواسطة الشعب والثاني بواسطة الكاهن. وعلى كل حال فالأعداد من (١ - ٧) تشرح الأفكار التي كانت في قلوب الشعب، والأعداد من (٨ - ١٣) هي الجزء الذي اقتنع به كاتب المزمور مُستَلْهَماً بواسطة نفس نبيلة سواء نبي أو كاهن.

وصلاحية هذا المزمور كأحد المزامير المناسبة لعيد الميلاد المسيحي واضحة! فهو مملوء بالرجاء الماسياني. فالتجسُّد هو الاستجابة الحقيقية لصلاة إسرائيل. وفي المسيح جاءت كلمات الجزء الثاني لتأخذ كمال تكميلها: **رسالة السلام** (لو ٢: ١٤).

وقرب الخلاص (مت ١: ٢١)، (لو ٢: ٣٠ إلخ).

والمجد يسكن أرضنا (لو ٢: ٣٢)، (يو ١: ١٤).

والرحمة والحق التقيا (يو ١: ١٧).

والبر والسلام تلاثما (رو ٥: ١).

وأيضاً ومجيء الله يسبقه البر ليصنع طريقاً لشعبه يسلك فيه (١٣). هذه البركات قد وُهبت في المسيح بالكامل، وحقيقتها تفوق أي شيء يمكن أن يقوله صاحب المزمور!

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]:

الله غفر واستعاد شعبه.

١ - «**رَضِيتَ يَا رَبُّ عَلَى أَرْضِكَ. أَرْجَعْتَ سَبْيَ يَعْقُوبَ**».

لقد كنت محسناً كريماً إذ قبلت شعبك مرَّة أخرى وأرجعتهم إلى محبتك وإلى رضاك. انظر: (مز ١٠٦: ٤ و٥):

+ «اذكرني يا رب **بِرِضَا شعبك**. تعهَّدني بخلاصك. لأرى خير مختاريك. لأفرح بفرح أُمَّتك». وأيضاً: (حج ١: ٧ و٨):

+ «هكذا قال رب الجنود. اجعلوا قلبكم على طرقكم. اصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وابنوا البيت **فأرضى عليه** وأتمجَّد قال الرب». وأيضاً: (مز ٥٣: ٦):

+ «ليت من صهيون خلاص إسرائيل. عند رد الله سبي شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل».

٢ - «**غَفَرْتَ إِثْمَ شَعْبِكَ. سَتَرْتَ كُلَّ خَطِيَّتِهِمْ. سِلاَهْ**».

انظر: (مز ٣٢: ١ و٢):

+ «طوبى للذي غُفِر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية». وأيضاً: (مز ٣٢: ٥):

+ «أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلتُ أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي».

٣ - «**حَجَزْتَ كُلَّ رِجْزِكَ. رَجَعْتَ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ**».

«**حمو غضبك**»:

شدة الغضب الذي صبَّه على إسرائيل، الآن جاء ميعاد الحجز أي التوقُّف. انظر: (إر ٣٠: ٢٤):

+ «لا يرتد **حمو غضب الرب** حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه. في آخر الأيام تفهمونها». وأيضاً: (مرا ١: ١٢):

+ «أما إليكم يا جميع عابري الطريق. تطلّعوا وانظروا إن كان حزن مثل حزني الذي صُنِع بي الذي أذلّني به الرب يوم **حمو غضبه**». وأيضاً: (مرا ٤: ١١):

+ «أتمّ الرب غيظه. سكب **حمو غضبه** وأشعل ناراً في صهيون فأكلت أسسها».

[٤ - ٧]:

بالرغم من المغفرة والإرجاع من السبي، لكن لا يزال الشيء الكثير حتى يسحب الله كل غضبه ويفرّح شعبه بالخلاص الكامل. انظر: (مز ١٢٦: ٤):

+ «اردد يا رب سبينا مثل السواقي في الجنوب».

٤ - **«أَرْجِعْنَا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا، وَانْفِ غَضَبَكَ عَنَّا».**

انظر: (مز ٨٠: ٣):

+ «يا الله أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص». وأيضاً: (إش ٦٣: ١٧):

+ «لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسّيت قلوبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك».

٥ - **«هَلْ إِلَى الدَّهْرِ تَسْخَطُ عَلَيْنَا؟ هَلْ تُطِيلُ غَضَبَكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ؟».**

انظر: (مز ٧٧: ٧):

+ «هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد».

٦ - **«أَلاَ تَعُودُ أَنْتَ فَتُحْيِينَا، فَيَفْرَحُ بِكَ شَعْبُكَ».**

لتعيد حياتنا كاملة حسب مواعيد الآباء والأنبياء. انظر: (هو ٦: ٢):

+ «يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه». وأيضاً: (حز ٣٧: ٣):

+ «فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام. فقلت يا سيد الرب أنت تعلم». وأيضاً: (مز ٧١: ٢٠):

+ «أنت الذي أريتنا ضيقات كثيرة وردية تعود فتحيينا ومن أعماق الأرض تعود فتصعدنا». وأيضاً: (مز ٨٠: ١٨):

+ «فلا نرتد عنك. أحينا فندعو باسمك».

٧ - **«أَرِنَا يَا رَبُّ رَحْمَتَكَ، وَأَعْطِنَا خَلاَصَكَ».**

[٨ - ١٣]:

صاحب المزمور يتسمّع لإجابة يهوه لصلاة شعبه ويبلّغهم التأكيد أن بركات للملء مخزونة لمن يخافه.

٨ - **«إِنِّي أَسْمَعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ اللهُ الرَّبُّ، لأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالسَّلاَمِ لِشَعْبِهِ وَلأَتْقِيَائِهِ، فَلاَ يَرْجِعُنَّ إِلَى الْحَمَاقَةِ».**

انظر: (مز ٦٢: ١١):

+ «مرة واحدة تكلم الرب وهاتين الاثنتين سمعتُ أن العزة لله». وأيضاً: (حب ٢: ١ - ٣):

+ «على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي وماذا أجيب عن شكواي. فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلّم ولا تكذب . إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر».

«يتكلّم بالسلام لشعبه»:

لا يتكلّم بغضبه دائماً، فقد سمعتُ أنه يتكلّم بالسلام القادم. انظر: (إر ٢٩: ١١):

+ «لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار **سلام** لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء». وأيضاً: (مز ١٢٢: ٥ و٦):

+ «لأن هناك استوت الكراسي للقضاء كراسي بيت داود. اسألوا **سلامة** أورشليم. ليسترح محبوك». وأيضاً: (زك ٩: ١٠):

+ «**ويتكلّم بالسلام** للأمم ...».

«فلا يرجعن إلى الحماقة»:

الثقة بالنفس هي الحماقة. انظر: (مز ٤٩: ١٣):

+ «هذا طريقهم اعتمادهم (على ذواتهم) وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم».

وهو الذي يقودهم إلى الكفر والعصيان الذي سبّب كل سوء أحوالهم السابق.

٩ - **«لأَنَّ خَلاَصَهُ قَرِيبٌ مِنْ خَائِفِيهِ، لِيَسْكُنَ الْمَجْدُ فِي أَرْضِنَا».**

قريب من خائفيه الذين دخلوا في سلام الله مدعوين قديسين. انظر: (مز ١٠٣: ١١ و١٣ و١٧):

+ «لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه».
+ «كما يترأف الأب على البنين يتراءف الرب على خائفيه».
+ «أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه وعدله على بني البنين».

«ليسكن المجد في أرضنا»:

هذا المجد هو الحضرة الإلهية حينما تُستعلن، التي رآها حزقيال النبي. انظر: (حز ١٠: ١٨):
+ «وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم». وأيضاً: (حز ٤٣: ٤):
+ «فجاء مجد الرب إلى البيت من طريق الباب المتجه نحو الشرق».

هذه كلها رموز عويصة ولكن المجد الحقيقي رأيناه كما يقول ق. يوحنا في الأصحاح الأول: «مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١: ١٤). وكان وجود الله في وسط شعبه هو المجد المقيم أو بالعبرية الشاكيناه. أما نحن فرأيناه رؤيا العين يوم الخمسين وهو نازل مثل ألسنة نار على التلاميذ وامتلأوا من الروح القدس، روح الله، وظهرت عليهم المواهب وصار هذا هو الشاكيناه بصورته الجديدة حيث حلَّ الله في شعبه وليس بين شعبه!

١٠ - «الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا».

لأن إحسانات الله والحق هما اللذان ظهرا في العهد الذي صنعه مع الآباء، والبر والسلام ظهرا في رعايته لشعبه وظهرا في فداء إسرائيل بوضوح. والرب هو بار لذلك هو يخلِّص. انظر: (إش ٤٥: ٢٢):
+ «التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر».

لأن الخلاص هو غاية قصد الله، لذلك هو يصالح شعبه ليكمِّل له قصده.

والرحمة والحق هما صفات الله، جعلها المزمور هنا مشخَّصة. انظر: (مز ١١٥: ١):
+ «ليس لنا يا رب ليس لنا لكن لاسمك أعطِ مجداً من أجل رحمتك من أجل أمانتك (= حقك)». وأيضاً: (مز ١٣٨: ٢):
+ «أسجد في هيكل قدسك وأحمد اسمك على رحمتك وحقك لأنك قد عظَّمت كلمتك ...». وأيضاً: (مز ٢٥: ١٠):
+ «كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته». وأيضاً: (مز ٤٠: ١١):
+ «أما أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني. تنصرني رحمتك وحقك دائماً» وأيضاً: (مز ٥٧: ٣):

+ «يرسل من السماء ويخلِّصني. عيَّر الذي يتهممني. سلاه. يرسل الله رحمته وحقه». وأيضاً: (مز ٥٧: ١٠):
+ «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقك». وأيضاً: (مز ٦١: ٧):
+ «يجلس قدام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقاً يحفظانه». وأيضاً: (مز ٨٦: ١٥):
+ «أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة والحق». وأيضاً: (مز ٨٩: ١٤):
+ «العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة (الحق) تتقدَّمان أمام وجهك». وأيضاً: (مي ٧: ٢٠):
+ «تصنع الأمانة (الحق) ليعقوب والرأفة (الرحمة) لإبراهيم اللتين حلفتَ لآبائنا منذ أيام القدم».

ويلاحظ القارئ في هذا العرض الذي يقصد شرح الآية كيف أن ما أوردناه هنا يستعرض صورة خفية من قدرة كل شعراء المزامير والأنبياء معاً على الاتفاق النبوي المدهش لوصف صفات الله على وتيرة واحدة مذهلة.

١١ - «الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ، وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ».

كيف يجتث الله الباطل والكذب من الأرض إلا بأن يجعل الحق وهو زرع غريب كل الغرابة عن الأرض والأرضيين، يجعله ينبت من الأرض وهو بقوة إلهية وتغذية ورعاية من الله يلاشي في النهاية الباطل من الأرض وكل ما هو ليس حقًّا. أما البر فرأيناه نازلاً من السماء للإنسان مثل الخبز ليأكله الإنسان ولا يموت ويصير أهلاً بأن يحيا من فوق! أما الهارموني بين ما للسماء وما للأرض فيقول فيها هوشع (٢: ٢١):
+ «ويكون في ذلك اليوم أني أستجيب يقول الرب أستجيب السموات وهي تستجيب الأرض». وأيضاً: (إش ٤٥: ٨):
+ «اقطري أيتها السموات من فوق ولينزل الجو براً. لتنفتح الأرض فيثمر الخلاص ولتنبت براً معاً. أنا الرب قد خلقته».

١٢ - «أَيْضاً الرَّبُّ يُعْطِي الْخَيْرَ، وَأَرْضُنَا تُعْطِي غَلَّتَهَا».

الأرض تستجيب لبركات السماء؛ لأن إثمار الأرض هو صورة نبوية للمستقبل المسياني والراجعون من السبي واجهوا الشح في الغلة والثمار لأن البر والحق والعدل في الأرض قد شحّ

واختفى. انظر: (لا ٢٦: ٤):

+ «أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها». وأيضاً (تث ٢٨: ١٢):

+ «يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء ليعطي مطر أرضك في حينه وليبارك كل عمل يدك فتقرض أمماً كثيرة وأنت لا تقترض». وأيضاً: (مز ٦٧: ٦):

+ «الأرض أعطت غلّتها. يباركنا الله إلهنا».

١٣ - **«الْبِرُّ قُدَّامَهُ يَسْلُكُ، وَيَطَأُ فِي طَرِيقِ خَطَوَاتِه».**

يهوه بنفسه يظهر ويقود شعبه أمامه كمبشِّر يسير البر الذي يهيِّئ الخلاص لشعبه، وإذ يضع خطواته يُمهِّد لشعبه ليسير وراءه: «ويطأ (الشعب) في طريق خطواته» (انظر: (إش ٣٥: ٨):

+ «وتكون هناك سكة وطريق يُقال لها الطريق المقدَّسة. لا يعبر فيها نجس بل هي لهم. مَنْ سلك في الطريق حتى الجُهَّال لا يضل». وأيضاً: (إش ٤٢: ١٦):

+ «وأسيِّر العُمْيَ في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدروها أمشِّيهم. أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم». وأيضاً: (إش ٤٨: ١٧):

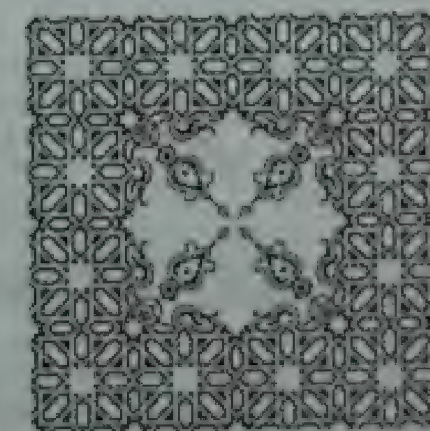
+ «هكذا يقول الرب فاديك قدوس إسرائيل. أنا الرب إلهك معلِّمك لتنتفع وأمشيك في طريق تسلك فيه». وأيضاً: (إش ٤٩: ١١):

+ «وأجعل كل جبالي طريقاً ومناهجي ترتفع». وأيضاً: (إش ٥١: ١٠):

+ «ألست أنتِ هي المنشفة البحر مياه الغمر العظيم (ذراع الرب) الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المَفديين». وأيضاً: (إش ٥٧: ١٤):

+ «ويقول أعدّوا أعدّوا هيئوا الطريق. ارفعوا المعثرة من طريق شعبي». وأيضاً: (إش ٦٢: ١٠):

+ «اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب أعدّوا أعدّوا السبيل نقُّوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب».



المزمور السادس والثمانون

صَلاَةٌ لِدَاوُدَ

١- أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ. اسْتَجِبْ لِي، لأَنِّي مِسْكِينٌ وَبَائِسٌ أَنَا.
٢- احْفَظْ نَفْسِي لأَنِّي تَقِيٌّ. يَا إِلهِي خَلِّصْ أَنْتَ عَبْدَكَ الْمُتَّكِلَ عَلَيْكَ.
٣- ارْحَمْنِي يَا رَبُّ، لأَنَّنِي إِلَيْكَ أَصْرُخُ الْيَوْمَ كُلَّهُ.
٤- فَرِّحْ نَفْسَ عَبْدِكَ، لأَنَّنِي إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي.
٥- لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ.
٦- اصْغَ يَا رَبُّ إِلَى صَلاَتِي، وَأَنْصِتْ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي.
٧- فِي يَوْمِ ضِيقِي أَدْعُوكَ، لأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي.
٨- لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ، وَلاَ مِثْلَ أَعْمَالِكَ.
٩- كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ.
١٠- لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ.
١١- عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ. أَسْلُكْ فِي حَقِّكَ. وَحِّدْ قَلْبِي لِخَوْفِ اسْمِكَ.
١٢- أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ إِلهِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي، وَأُمَجِّدُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ.
١٣- لأَنَّ رَحْمَتَكَ عَظِيمَةٌ نَحْوِي، وَقَدْ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْهَاوِيَةِ السُّفْلَى.
١٤- اَللَّهُمَّ، الْمُتَكَبِّرُونَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَجَمَاعَةُ الْعُتَاةِ طَلَبُوا نَفْسِي، وَلَمْ يَجْعَلُوكَ أَمَامَهُمْ.
١٥- أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ.
١٦- الْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي. أَعْطِ عَبْدَكَ قُوَّتَكَ، وَخَلِّصِ ابْنَ أَمَتِكَ.
١٧- اصْنَعْ مَعِي آيَةً لِلْخَيْرِ، فَيَرَى ذلِكَ مُبْغِضِيَّ فَيَخْزَوْا، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ أَعَنْتَنِي وَعَزَّيْتَنِي».

دراسة:

هذا المزمور هو تشكيلة من قطع مزامير أخرى وحتى من الأسفار الأخرى، والمزمور لا يدّعي لنفسه أصالة شعرية، غير أن فيه مواقف عاطفية شيِّقة ورقيقة وله نغمة خاصة بحد نفسه.

هذا المزمور يتميَّز باستخدام لقب إلهي: "أدوناي" = الرب في مخاطبة الله (سبع مرات)، وهذا

يكشف عن إحساس عميق داخل النفس بالاقتراب أو الانتساب لله والوقوف تحت قيادته مباشرة وحمايته، وبهذا اللقب ينتسب صاحب المزمور لله بأنه خادمه وابن أمته (١٦ و٣ و٤). ويقدِّم لنا هذا المزمور آية واحدة على الأقل ذات رفعة نبيلة فريدة من نوعها (١١ ب)، وفي العدد (٩) يرتفع إلى مستوى الرجاء المسياني لا يدانيه في ذلك أي مزمور أو أي سفر. وهو من تأليف إنسان ذي نفس تقية بالفعل، فكره مشبَّع بالأسفار وكلها حاضرة عنده دائماً، ويطرح الكثير منها في ذكرياته وصلواته ليتناسب ما يقول مع ما يشتاق إليه أو يريده. ومبدئياً يظهر المزمور أنه تعبيرات تقوية شخصية أكثر منها صلاة جماعية ومع ذلك صار في متناول استخدام الجماعة، لأن صاحب المزمور يلحق نفسه بالجماعة كعضو فيها ويتكلم عن أحوالها وحاجاتها كأنها حاجاته (١٣ و١٤).

ويعتبر هذا المزمور أنه الوحيد في الكتاب الثالث الذي له عنوان "لداود". وحينما يقول العنوان إنه صلاة لداود إنما يقصد أنه تقليد لصلوات داود (مز ٧٢: ٢٠)، ولم يقصد به أكثر من ذلك، وهو لا يمكن أن يكون قد دُوِّن حتى إلى عودة السبي التي يشير إليها العدد (١٣)، ولكن بعد ذلك يصعب تحديد زمنه.

وفي هذا المزمور الفكر يقود إلى فكر آخر في تسلسل بدون تركيب محدَّد. ويمكن تقسيمه إلى:

١ - مجموعة توسلات كل منها يتبعها سبب تستند إليه الصلاة لتُسمع (١ - ٥).

٢ - تجديد توسلاته، ويجد أساس ثقته في طبيعة الله التي لا مثيل لها، مما يعطي فرصة للفكر لخضوع جماعي لله سيبلغ يوماً قمته في أن تقدِّمه كل الأمم (٦ - ١٠).

٣ - صلاة من أجل الإرشاد والتوجيه ونذور للشكر تؤدِّي إلى ذكر ما هو فيه من الخطورة، ويتوسل إلى الله أن يستعلن صفاته كإله الإحسانات ويصلِّي من أجل مزيد من البركة، الأمر الذي يوضِّح مدى عطفه، كما يكشف لأعدائه أنه تحت حماية الله (١١ - ١٧).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٥]:

توسلات، كل توسل يدفع سبباً من أجله يطلب الاستماع.

١ - **«أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ. اسْتَجِبْ لِي. لأَنِّي مِسْكِينٌ وَبَائِسٌ أَنَا»**.

انظر: (مز ١٧: ٦):

+ «أنا دعوتك لأنك تستجيب لي يا الله. أمل أذنيك إليَّ. اسمع كلامي». وأيضاً: (مز ٣١: ٢):

+ «أمل إليَّ أذنك. سريعاً أنقذني. كن لي صخرة حصن ملجأ لتخليصي». وأيضاً: (إش ٣٧: ١٧):

+ «أمل يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر واسمع كل كلام ...». وأيضاً: (مز ٤٠: ١٧):

+ «أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بي. عوني ومنقذي أنت. يا إلهي لا تُبطئ».

واضح أن المزمور يعطي علة طلب استماع الله إليه كونه «مسكين وبائس» وهي صفة نجدها واضحة جداً في مزامير داود. انظر: (مز ١٠٩: ٢٢):

+ «فإني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي».

٢ - **«احْفَظْ نَفْسِي لأَنِّي تَقِيٌّ. يَا إِلهِي خَلِّصْ أَنْتَ عَبْدَكَ الْمُتَّكِلَ عَلَيْكَ»**.

انظر: (مز ٢٥: ٢٠):

+ «احفظ نفسي وأنقذني. لا أُخزى لأني عليك توكلت».

«لأني تقيٌّ»:

قصور في الترجمة والأصح: "مُحسَن عليه". فهو لا يضع مستحقاته أمامه ولكن العلاقة بينه وبين الله قائمة على عهد وعلى إحسانات من طرف الله يفتخر بها ويقدمها حجة للتوسل كإسرائيلي مُحسن عليه. انظر: (مز ٥٠: ٥):

+ «اجمعوا إليَّ أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة». وأيضاً: (مز ٨٥: ٨):

+ «إني أسمع ما يتكلم به الله الرب. لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه فلا يرجعن إلى الحماقة».

٣ - «ارْحَمْنِي يَا رَبُّ، لأَنَّنِي إِلَيْكَ أَصْرُخُ الْيَوْمَ كُلَّهُ».

انظر: (مز ٥٧: ١ و٢):

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».
+ «أصرخ إلى الله العلي إلى الله المحامي عني».

٤ - «فَرِّحْ نَفْسَ عَبْدِكَ، لأَنَّنِي إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي».

انظر: (مز ٩٠: ١٥):

+ «فرِّحنا كالأيام التي فيها أذللتنا كالسنين التي رأينا فيها شرًّا». وأيضاً: (مز ٢٥: ١ و٢):
+ «إليك يا رب أرفع نفسي. يا إلهي عليك توكلت. فلا تدعني أخزى. لا تَشْمَتْ بي أعدائي».

الله وحده هو موضوع مسرَّاته وإلهاماته وصلواته. انظر: (مز ١٤٣: ٨):

+ «أسمعني رحمتك في الغداة لأني عليك توكلت. عرِّفني الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي». وأيضاً: (مرا ٣: ٤١ و٤٢):
+ «لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله في السموات. نحن أذنبنا وعصينا. أنت لم تغفر».

٥ - «لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ».

«غفورٌ»:

مستعد للمغفرة، هي كلمة فريدة هنا. انظر: (مز ١٣٠: ٤):

+ «لأن عندك المغفرة لكي يُخاف منك». وأيضاً: (خر ٣٤: ٦ و٧):
+ «فاجتاز الرب قدَّامه ونادى الرب الرب إلهٌ رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يُبرئ إبراءً».

[٦ - ١٠]:

توسُّل جديد لسماع صلاته، وهو متأكد من الإجابة لأن يهوه وحده هو الإله الحق الذي به تعترف كل الأمم.

٦ - «اِصْغَ يَا رَبُّ إِلَى صَلاَتِي، وَأَنْصِتْ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي».

انظر: (مز ٥٥: ١):

+ «اصغ يا الله إلى صلاتي ولا تتغاضَ عن تضرُّعي». وأيضاً: (مز ٥: ٢):
+ «استمع لصوت دُعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلي». وأيضاً: (مز ٢٨: ٢):
+ «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك». وأيضاً: (مز ١٣٠: ٢):
+ «يا رب اسمع صوتي لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرُّعاتي».

٧ - «فِي يَوْمِ ضِيقِي أَدْعُوكَ، لأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي».

انظر: (مز ٧٧: ٢):

+ «في يوم ضيقي التمست الرب. يدي في الليل انبسطت ولم تخدر. أبت نفسي التعزية». وأيضاً: (مز ١٧: ٦):
+ «أنا دعوتك لأنك تستجيب لي يا الله. أمل أذنك إليَّ. اسمع كلامي».

٨ - «لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ، وَلاَ مِثْلَ أَعْمَالِكَ».

انظر: (خر ١٥: ١١):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك معتزًّا في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (تث ٣: ٢٤):
+ «يا سيد الرب أنت قد ابتدأت تُري عبدك عظمتك ويدك الشديدة. فإنه أي إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك».

٩ - «كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ».

انظر: (مز ٢٢: ٢٧):

+ «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدامك كل قبائل الأمم». وأيضاً: (إش ٢٤: ١٥):
+ «لذلك في المشارق مجدوا الرب. في جزائر البحر مجدوا اسم الرب إله إسرائيل».

وهذا العدد قوي ومليء بالتصوُّر وروحه مسيانية بالدرجة الأُولى، وقوله "صنعتهم" تجعلهم أتباع بالطبيعة وبالنهاية. انظر: (رؤ ١٥: ٣ و٤):

+ «وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين: عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين».
+ «مَنْ لا يخافك يا رب ويمجِّد اسمك لأنك وحدك قدوس لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أُظهرت».

١٠ - **«لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ».**

انظر: (مز ٧٧: ١٣ و١٤):

+ «اللهم في القدس طريقك. أي إله عظيم مثل الله. أنت الإله الصانع العجائب. عرَّفت بين الشعوب قوَّتك». وأيضاً: (مز ٧٢: ١٨):
+ «مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده». وأيضاً: (مز ٨٣: ١٨):
+ «ويعلموا أنك اسمك يهوه وحدك العليّ على كل الأرض». وأيضاً: (خر ١٥: ١١):
+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك معتزًّا في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (خر ٣٤: ١٠):
+ «أفعل عجائب لم تُخلق في كل الأرض وفي جميع الأمم. فيرى جميع الشعب ... إن الذي أنا فاعله معك رهيب».

١١ - **«عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ. أَسْلُكْ فِي حَقِّكَ. وَحِّدْ قَلْبِي لِخَوْفِ اسْمِكَ».**

وردت العبارة الأُولى في مزمور (٢٧: ١١):

+ «علِّمني يا رب طريقك. واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي». والثانية في (مز ٢٦: ٣):
+ «لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك».

«وحِّد قلبي لخوف اسمك»:

حتى لا ينقسم بين المغريات والمجاذبات، ليت كل قواه ورغباته تتركَّز معاً فيك وحدك، كما أعلنت ذاتك بأعمالك سواء في الخليقة أو أعمال الفداء. إن وحدتك ووحدانيتك تحتاج فعلاً إلى قلب واحد غير منقسم في عبادته لاسمك العظيم القدوس. انظر: (تث ٦: ٤ و٥):

+ «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوَّتك». وأيضاً: (تث ١٠: ١٢):
+ «فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتَّقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبَّه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك».

والقلب الواحد المتحد يُعبَّر عنه دائماً بكلمة «من كل قلبك»، «القلب الكامل» ولكن كلمة «المتحد» هي هنا جديدة، وهنا فقط. وهذه الصفة تشير إلى قول إرميا النبي (٣٢: ٣٩):

+ «وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم».

«لخوف اسمك»:

انظر: (تث ٢٨: ٥٨):

+ «إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس - المكتوبة في هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب إلهك».

١٢ - **«أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ إِلهِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي، وَأُمَجِّدُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ».**
١٣ - **«لأَنَّ رَحْمَتَكَ عَظِيمَةٌ نَحْوِي، وَقَدْ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْهَاوِيَةِ السُّفْلَى».**

انظر: (مز ٥٧: ٩ و١٠):

+ «أحمدك بين الشعوب يا رب. أرنِّم لك بين الأمم».
+ «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقك». وأيضاً: (مز ٩: ١):
+ «أحمد الرب بكل قلبي. أحدِّث بجميع عجائبك». وأيضاً: (مز ٥٠: ١٥ و٢٣):
+ «وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني».
+ «ذابح الحمد يمجِّدني والمقوِّم طريقه أريه خلاص الله».

«من الهاوية السفلى»:

انظر: (مز ٥٦: ١٣):

+ «لأنك نجَّيت نفسي من الموت. نعم ورجليَّ من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء». وأيضاً: (تث ٣٢: ٢٢):
+ «إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض ...».

وصاحب المزمور هنا يُلمّح أنه نُجّي من الموت، موت السبي. انظر: (مز ٨٥: ٦):
+ «ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك».

١٤ - «اَللّهُمَّ، الْمُتَكَبِّرُونَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَجَمَاعَةُ الْعُتَاةِ طَلَبُوا نَفْسِي، وَلَمْ يَجْعَلُوكَ أَمَامَهُمْ».

ولو أن صاحب المزمور يتغنّى بما له إلاَّ أنه يعود أيضاً إلى الأمة وما يحيط بها من تهديدات مميتة، والتعبيرات مأخوذة من (مز ٥٤: ٣):
+ «لأن غرباء قد قاموا عليَّ وعتاة طلبوا نفسي. لم يجعلوا الله أمامهم». وقارن أيضاً: (مز ٢٢: ١٦):
+ «لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني».

١٥ - «أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ».

مأخوذة من (خر ٣٤: ٦) وقد سبق كتابتها في شرح العدد (٥).

١٦ - «اِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي. أَعْطِ عَبْدَكَ قُوَّتَكَ، وَخَلِّصِ ابْنَ أَمَتِكَ».

انظر: (مز ٢٥: ١٦):
+ «التفت إليَّ وارحمني لأني وحدٌ ومسكين أنا». وأيضاً: (مز ١١٦: ١٦):
+ «آه يا رب. لأني عبدك. أنا عبدك ابن أمتك حللت قيودي».

إن كنتُ ابن أمتك، وأمتك جارية في بيتك، فأنا مولود بيتك. انظر: (أف ٢: ١٩):
+ «فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله».

١٧ - «اِصْنَعْ مَعِي آيَةً لِلْخَيْرِ، فَيَرَى ذلِكَ مُبْغِضِيَّ فَيَخْزَوْا، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ أَعَنْتَنِي وَعَزَّيْتَنِي».

يريد أن يصنع معه الله عملاً ظاهراً يعتز به أمام أعدائه. انظر: (إر ٢٤: ٦ و٧):
+ «وأجعل عيني عليهم **للخير** وأرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم. وأعطيهم قلباً ليعرفوني أني أنا الرب ...». وأيضاً: (عز ٨: ٢٢):
+ «لأني خجلت من أن أطلب من الملك ... لأننا كلّمنا الملك قائلين: إن يد إلهنا على كل طالبيه **للخير**. وصولته وغضبه على كل مَنْ يتركه». وأيضاً: (نح ٥: ١٩):
+ «اذكر لي يا إلهي **للخير** كل ما عملتُ لهذا الشعب».

المزمور السابع والثمانون

لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورُ تَسْبِيحَةٍ

١- «أَسَاسُهُ فِي الْجِبَالِ الْمُقَدَّسَةِ.
٢- الرَّبُّ أَحَبَّ أَبْوَابَ صِهْيَوْنَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مَسَاكِنِ يَعْقُوبَ.
٣- قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللهِ. سِلاَهْ.
٤- "أَذْكُرُ رَهَبَ وَبَابِلَ عَارِفَتَيَّ. هُوَذَا فَلَسْطِينُ وَصُورُ مَعَ كُوشَ. هذَا وُلِدَ هُنَاكَ".
٥- وَلِصِهْيَوْنَ يُقَالُ: "هذَا الإِنْسَانُ، وَهذَا الإِنْسَانُ وُلِدَ فِيهَا، وَهِيَ الْعَلِيُّ يُثَبِّتُهَا".
٦- الرَّبُّ يَعُدُّ فِي كِتَابَةِ الشُّعُوبِ: "أَنَّ هذَا وُلِدَ هُنَاكَ". سِلاَهْ.
٧- وَمُغَنُّونَ كَعَازِفِينَ: "كُلُّ السُّكَّانِ فِيكِ"».

دراسة:

هذا المزمور يأخذ موضعه هنا بإحكام ولياقة لأنه امتداد لفكر مزمور (٨٦: ٩) الذي يقول: «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجدون اسمك». فهو يمتد بهذه الفكرة بلباقة ونبوَّة، وهو مختصر لغزي كحكمة نبوية، وفي اتساع رؤيته وملئها هو ماسياني يحمل رجاء المسيانية بمنطوق ضخم فخم. وهو يصف صهيون كعاصمة لمملكة الله الكبرى التي فيها كل الأمم قد أخذوا انتماءهم كمواطنين، والحقوق السياسية لصهيون ممنوحة للجميع وكأنها لهم بحق الميراث. وهذا المزمور يقف بمفرده في غرابته وفرادته لأن الفكرة فيه فريدة في محتواها ولكن تصفها الأسفار المتعددة وإنما تشير إليها من بُعد، فمثلاً انظر: (إش ١١: ١٠):
+ «ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسّى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً». وأيضاً: (إش ١٨: ٧):
+ «وفي ذلك اليوم تُقدَّم هدية لرب الجنود من شعب طويل وأجرد ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً من أمة ذات قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها، إلى موضع اسم رب الجنود جبل صهيون». وأيضاً: (إش ١٩: ١٩ - ٢٢):
+ «في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها. فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر. لأنهم يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين فيرسل

لهم مخلّصاً ومحامياً وينقذهم. فيُعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم، ويقدّمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به. ويضرب الرب مصر ضارباً فشافياً فيرجعون إلى الرب».

والمزمور يرى أن أشد الأعداء ضراوة لمملكة الله يعترفون بسلطانه - ويرى المزمور أمماً شديدة العداوة لإسرائيل وأكثرهم مقاومة لروح إسرائيل وبعيدة بعداً سحيقاً أن تكون متأثرة بإسرائيل، تجيء وتخضع وتتفق مع إسرائيل وتأخذ حق التبني في مُلك إسرائيل.

لذلك فالمزمور نبوّة لتداخل الأمم في كنيسة المسيح وتأسيس الدولية العالمية لملكوت الله. والمزمور نبوّة العهد القديم لنا عن «أورشليم العليا أمنا جميعاً» (غل ٤: ٢٦). وينطلق في الرؤيا إلى الامتداد إلى الزمن الذي فيه تكون الأمم ليست غريبة عن مُلك إسرائيل كما تقول رسالة أفسس (٢: ١٢ و١٩):

+ «أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيحٍ، أجنبيِّينَ عن رعويَّة إسرائيلَ، وغُرباءَ عن عهودِ الموعدِ، لا رجاءَ لكم، وبلا إلهٍ في العالمِ ... فلستم إذاً بعد غُرباءَ ونُزلاً، بل رعيَّةٌ مع القديسين وأهلِ بيتِ الله».

ولا يلزم أن نؤكد على حقيقة الميلاد الجديد الثاني في هذا المزمور بالصورة الكاملة في الكلمات «**هذا الإنسان ولد فيها**». لأنها أصلاً تشير إلى الأمم وليس للأفراد، إلا أنه فيها أيضاً نرى ظلال حقيقة أن الميلاد الجديد ضرورة للدخول في رعوية الملكوت كما هو مدوَّن في (يو ٣: ٣ و٥):

+ «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله ... إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله».

أما زمن هذا المزمور فقد تعيَّن بكثير من المعقولية إلى زمن حَزَقيًا للأسباب التالية:

١ - نفس الغيرة والمحبة لصهيون ونفس الرجاء للتجديد بالنسبة للأمم موجودة في النبوات المعاصرة لزمن حزقيا. انظر: (إش ١٩: ٢٤ و٢٥):

+ «في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثُلثاً لمصر ولأشور بركة في الأرض. بها يبارك رب الجنود قائلاً مبارك شعبي مصر وعمل يدي أشور وميراثي إسرائيل».

٢ - رَهَب هي اسم مصر الذي أطلقه عليها إشعياء في (إش ٣٠: ٧)، التي كانت القوة القائدة في ذلك الوقت وبابل قد قربت وصارت باتصال مع يهوذا (إش ٣٩) وفلسطين أُخضعت بواسطة

حزقيا (٢مل ١٨: ٨) والحبشة (إثيوبيا) دخلت في الاعتبار (إش ١٨، ٣٧: ٩). وبعد تقهقر سنحاريب فإن كثيراً من الأمم أرسلوا تهنئات وبعثات إلى حزقيا تحمل هدايا للهيكل (٢أي ٣٢: ٢٣)، ومن جهة أخرى يمكن أيضاً بكثير من الارتياح اعتبار هذا المزمور قد كُتب مثل مزمور (٨٥) بعد الرجوع من سبي بابل ليفرّح روح العائدين الذين كانوا في خطر أن يفقدوا شجاعتهم وبأسهم بسبب الخذلان الذي أصابهم ورؤية ضعفهم إزاء ما كانوا عليه من قوة ومجد، وبسبب عددهم القليل، بجوار تضخيم الأنبياء للمستقبل المجيد وعظمة صهيون. ففي لغة شعرية وسلطان نبوي يؤكّد المزمور الحقائق الأساسية لاختيار يهوه لصهيون ومستقبلها بالنسبة للأمم. ولم يحدث أبداً زمن آخر يحتاج أكثر من زمن العودة من السبي إلى مثل هذه الروح التشجيعية، فقد جاءت في ميعاد الاحتياج إليها تماماً، وأبداً لم يكن الإيمان يوماً واضحاً ومثمراً بالرؤيا الإلهية في العهد القديم أكثر مما كان في ذلك الزمن.

والمزمور له وقفتان مع عدد مكمِّل:

١ - صهيون مدينة الله، وجدت ونالت محبة الله كميراث للوعود العظيمة (١ - ٣).

٢ - الله يُعلن أنها إرادته أن يصالح أعداءها القدامى لنفسه ويطعِّمهم فيها كمواطنين وصهيون تصير الأم، أم المدائن للأمم جميعاً في العالم (٤ - ٦).

٣ - صورة لأفراح الذين يرون فيها مصدراً لكل فرح (٧).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٣]: عظمة صهيون مدينة الله.

١ - «**أَسَاسُهُ فِي الْجِبَالِ الْمُقَدَّسَةِ** (أو جبال القدس)».

صاحب المزمور يعبِّر عن ملء قلبه وإحساسه. في سطر واحد في بدء المزمور. قارن افتتاحية (مز ١٨: ١): «أحبك يا رب يا قوتي». بهذه الافتتاحية عبّر صاحب المزمور عن كل فكره فجاءت آتية عن الأساسات، أساسات فعلاً لكل عمل الله، والجبل المقدَّس صهيون، وصهيون صنعها الله بنفسه لتكون مقره ومسكنه كما يقول (إش ١٤: ٣٢):

+ «فبماذا يُجاب رسل الأمم. إن الرب أسس صهيون وبها يحتمي بائسو شعبه!».

وموقعها وما حواليها مقدس لأن صاحبها الساكن فيها قدوس إسرائيل. انظر: (إش ٤٨: ٢):

+ «فإنهم يُسَمَّون من مدينة القدس ويُسنَدُونَ إلى إله إسرائيل، رب الجنود اسمه». وأيضاً: (مز ٤٣: ٣):
+ «أرسل نورك وحقَّك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك».

وحينما يأتي الجمع في الجبال فهو تصريف الشعر أو هو إشارة إلى التلال التي تحيط بصهيون لأن الموقع كله جبال وأورشليم على حافته، وجبل صهيون هو الأعرض والأكثر وضوحاً في التلال المحيطة، وأورشليم عند وسط هذه التلال.

٢ - **«الرَّبُّ أَحَبَّ أَبْوَابَ صِهْيَوْنَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مَسَاكِنِ يَعْقُوبَ».**

«أبواب صهيون»:

تعبير شعري يعبِّر عن المدينة كلها. انظر: (مز ١٢٢: ٢) خاصة حينما تغص بالحجاج من كل الأمم:
+ «تقف أرجلنا في أبوابكِ يا أورشليم. أورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها». وأيضاً: (إش ٦٠: ١١):
+ «وتنفتح أبوابكِ دائماً. نهاراً وليلاً لا تُغلق. ليؤتى إليكِ بغنى الأمم وتُقاد ملوكهم». وأيضاً: (رؤ ٢٢: ١٤):
+ «طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلون من الأبواب إلى المدينة».

«أكثر من جميع مساكن يعقوب»:

أفضل من كل مَنْ بإسرائيل ولو أنها كلها تبع يهوه. انظر: (عد ٢٤: ٥ و٦):
+ «ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل، كأودية ممتدة كجنَّات على نهر كشجرات عود غرسها الرب ...».

٣ - **«قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللهِ. سِلاَهْ».**

انظر: (إش ٢: ٢ و٣):
+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله

يعقوب فيعلّمنا من طرقه ...». وأيضاً: (إش ١١: ١٠):
+ «ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسَّى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً».

«يا مدينة الله»:

موضع عنايته وحبه واختياره. انظر: (مز ٤٦: ٤):
+ «نهر سواقيه تفرح مدينة الله مَقْدِس مساكن العلي». وأيضاً: (مز ٤٨: ١ و٢ و٨):
+ «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه».
+ «جميل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون. فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم».
+ «كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود في مدينة إلهنا. الله يثبِّتها إلى الأبد. سلاه».

[٤ - ٦]:

أمم العالم سوف تُسجَّل كأولاد صهيون، وصهيون سوف تتمجَّد بدخول مواطنين جدد بلا عدد.

٤ - **«أَذْكُرُ رَهَبَ وَبَابِلَ عَارِفَتِيَّ. هُوَذَا فَلَسْطِينُ وَصُورُ مَعَ كُوشَ. هذَا وُلِدَ هُنَاكَ».**

الله هنا هو المتكلِّم: أنا سأذكر بهيبة وجلال علناً معترفاً أن رهب وبابل من الذين يعرفونني ويدينون لي كإله ويعبدونني. انظر: (مز ٣٦: ١٠):
+ «أدم رحمتك للذين **يعرفونك** وعدلك للمستقيمي القلب». وأيضاً: (مز ٩: ١٠):
+ «ويتكل عليك **العارفون اسمك**. لأنك لم تترك طالبيك يا رب». وأيضاً: (مز ٥: ١١):
+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلِّلهم. ويبتهج بك **محبُّو اسمك**». وأيضاً: (إش ١٩: ٢١):
+ «فيُعرف الرب في مصر. **ويعرف** المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدِّمون ذبيحة وتقدمة».

وكلمة «رهب» هو الاسم السرِّي لمصر. انظر: (إش ٣٠: ٧):
+ «فإن مصر تعين باطلاً وعبثاً لذلك دعوتها **رَهَبَ الجلوس**». وأيضاً: (إش ٥١: ٩ و١٠):
+ «استيقظي استيقظي البسي قوَّة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم كما في الأدوار القديمة. ألستِ أنتِ القاطعة رَهَبَ الطاعنة التنين. ألستِ أنتِ هي المنشِّفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين».

وقد يكون رهب اسم تنين من التنانين العظام القديمة أطلقوه على فرعون ومصر كما يظهر في (إش ٥١: ٩) كما سبق وذكرنا.

«هذا ولد هناك»:

الله يشير إلى كل من هذه الأمم بالتتابع قائلاً هذا ولد هناك أي في صهيون. وهكذا أعطى لكل من هذه الأمم المرسوم الملكي بالحقوق والامتيازات التي للمواطن الصهيوني كأنه ولد في صهيون. هو قَصَدَ أن يصالح كل هذه الأمم لنفسه: مصر قوة العالم في الجنوب، بابل قوة العالم في الشمال، العدو الضاغط على صدر إسرائيل أي فلسطين، صور العاتية المتكبِّرة، كوش أي إثيوبيا الغنية مركز التجارة العالمية. هؤلاء يأتون ويعترفون بيهوه كإله لهم، والكل ينضم إلى غنى رعوية إسرائيل. انظر (أف ٢: ١٢):

+ «أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد». وأيضاً: (إش ١٩: ٢٤ و٢٥):

+ «في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثاً لمصر ولأشور بركة في الأرض. بها يبارك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبي مصر وعمل يديَّ أشور وميراثي إسرائيل».

٥ - «وَلِصِهْيَوْنَ يُقَالُ: هذَا الإِنْسَانُ، وَهذَا الإِنْسَانُ وُلِدَ فِيهَا، وَهِيَ الْعَلِيُّ يُثَبِّتُهَا».

صاحب المزمور يتكلَّم مردداً صدى فرمان الله في صهيون من وجهة نظره معطياً المجد والكرامة لصهيون من أجل مواطنيها الجدد. وهكذا تقول الأمم عن صهيون الأم إنهم وُلِدُوا فيها. أما صهيون فهي تحت رعاية ملكها يثبِّتها إلى الأبد.

٦ - «الرَّبُّ يَعُدُّ فِي كِتَابَةِ الشُّعُوبِ: "أَنَّ هذَا وُلِدَ هُنَاكَ". سِلاَهْ».

حينما يبدأ الرب يسجِّل أسماء الأمم يكتب أمامها أنها وُلدت جديداً في صهيون. هذا تأكيد رسمي بحقوق الأمم في المواطنة مع صهيون.

٧ - «وَمُغَنُّونَ كَعَازِفِينَ: "كُلُّ السُّكَّانِ فِيكِ"».

كل المواطنين يجتمعون ويحيون حفلات العزف والغناء علامة الألفة وحب الله.

المزمور الثامن والثمانون

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ. لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «الْعُودِ» لِلْغِنَاءِ.

قَصِيدَةٌ لِهَيْمَانَ الأَزْرَاحِيِّ

١ - «يَا رَبُّ إِلهَ خَلاَصِي، بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ صَرَخْتُ أَمَامَكَ،

٢ - فَلْتَأْتِ قُدَّامَكَ صَلاَتِي. أَمِلْ أُذُنَكَ إِلَى صُرَاخِي،

٣ - لأَنَّهُ قَدْ شَبِعَتْ مِنَ الْمَصَائِبِ نَفْسِي، وَحَيَاتِي إِلَى الْهَاوِيَةِ دَنَتْ.

٤ - حُسِبْتُ مِثْلَ الْمُنْحَدِرِينَ إِلَى الْجُبِّ. صِرْتُ كَرَجُل لاَ قُوَّةَ لَهُ.

٥ - بَيْنَ الأَمْوَاتِ فِرَاشِي مِثْلُ الْقَتْلَى الْمُضْطَجِعِينَ فِي الْقَبْرِ، الَّذِينَ لاَ تَذْكُرُهُمْ بَعْدُ، وَهُمْ مِنْ يَدِكَ انْقَطَعُوا.

٦ - وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاق.

٧ - عَلَيَّ اسْتَقَرَّ غَضَبُكَ، وَبِكُلِّ تَيَّارَاتِكَ ذَلَّلْتَنِي. سِلاَهْ.

٨ - أَبْعَدْتَ عَنِّي مَعَارِفِي. جَعَلْتَنِي رِجْساً لَهُمْ. أُغْلِقَ عَلَيَّ فَمَا أَخْرُجُ.

٩ - عَيْنِي ذَابَتْ مِنَ الذُّلِّ. دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ كُلَّ يَوْمٍ. بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ.

١٠ - أَفَلَعَلَّكَ لِلأَمْوَاتِ تَصْنَعُ عَجَائِبَ؟ أَمِ الأَخْيِلَةُ تَقُومُ تُمَجِّدُكَ؟ سِلاَهْ.

١١ - هَلْ يُحَدَّثُ فِي الْقَبْرِ بِرَحْمَتِكَ، أَوْ بِحَقِّكَ فِي الْهَلاَكِ؟

١٢ - هَلْ تُعْرَفُ فِي الظُّلْمَةِ عَجَائِبُكَ، وَبِرُّكَ فِي أَرْضِ النِّسْيَانِ؟

١٣ - أَمَّا أَنَا فَإِلَيْكَ يَا رَبُّ صَرَخْتُ، وَفِي الْغَدَاةِ صَلاَتِي تَتَقَدَّمُكَ.

١٤ - لِمَاذَا يَا رَبُّ تَرْفُضُ نَفْسِي؟ لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟

١٥ - أَنَا مِسْكِينٌ وَمُسَلِّمُ الرُّوحِ مُنْذُ صِبَايَ. احْتَمَلْتُ أَهْوَالَكَ. تَحَيَّرْتُ.

١٦ - عَلَيَّ عَبَرَ سَخَطُكَ. أَهْوَالُكَ أَهْلَكَتْنِي.

١٧ - أَحَاطَتْ بِي كَالْمِيَاهِ الْيَوْمَ كُلَّهُ. اكْتَنَفَتْنِي مَعاً.

١٨ - أَبْعَدْتَ عَنِّي مُحِبًّا وَصَاحِباً. مَعَارِفِي فِي الظُّلْمَةِ».

دراسة:

أكثر المزامير حزناً في كل سفر المزامير.

صرخة عاطفية في يأس بلا رجاء وسط آلام لا نجاة منها.

في كل المزامير الأخرى التي تعرض أحزانها يعود النور ويشرق في النهاية رجاءٌ ودعاءٌ وتسبيحٌ وشكرٌ، إلا هذا المزمور فإنه يبدأ بالظلمة وتتوسَّطه الظلمة وينتهي بالظلمة.

فهل هنا صاحب المزمور يصف نفسه أم يصف الأمة حال سبيها كالتي وقعت في القبر وحُرمت من نور حضرة الله، حيث تشكو الأمة كما يشكو أيوب مستعيرة كل كلماته. وهكذا في المزمور في عرف الترجوم فإنه يحوِّل الكلام في شرح عدد (٦) إلى «أنت وضعتني في السبي (بدل الجب) الذي هو شبيه بالحفرة التحتانية!». كذلك فالنسخة السريانية سجَّلت العنوان: «فيما يخص الشعب في بابل». ولكن بالرغم من أن المزمور قد أُخذ فعلاً في الليتورجيا لينطق باسم الأمة وأحزانها، ولكن لا يوجد فيه ما يليق أو يناسب الأمة؟ لأنه بالأساس شخصي لفرد، نابع من خبرة ذاتية من إنسان قديس تحت ثقل الكارثة. ويبدو أنه قد وقع صريعاً لمرض خبيث عضال لا شفاء منه كالبرص منذ طفولته فأصبحت الحياة بالنسبة له نوعاً من حياة الموت! فهو قائم على حافة قبر غير أنه لا يزال حيًّا على الأرض، دخل الظلمة قبل أن يدخلها، ونُفي من المجتمع، فليس له مشاركة مع أحد ولا يعرف معنى الفرح، لا يُسمح له بدخول الهيكل ولا يُصرح له بالعبادة الجماعية، فلا يعرف معنى عهد الله ولا ناموسه. وقد أصبح وإذا غضب الله واقع عليه وهو يرزح تحته بلا رجاء. وروحه سجينة لجسده العفن ولا خلاص. ولا يصله بالله إلاَّ الموت، وهو يشارك سكنى الذين في شاؤول الهاوية كما يصفها بأرض النسيان فلا يذكر أحداً ولا أحد يذكره. كما لا يذكر الله ولا يذكره الله! ولا شبه رجاء له بقيامة مزمعة أن تكون.

هذا المزمور يحضرنا في واقع الظل الذي قد خيَّم على إسرائيل القديمة التي قد غضب عليها الله، كما يستعلن لنا كل معنى الحياة الجديدة التي في المسيح يسوع بالقيامة من الأموات. انظر: (عب ٢: ١٤ و١٥):

+ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس. ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية!».

ولكن يظل هذا المزمور شامخاً بإيمانه بالله وثقته المطلقة فيه بالرغم من كل الظلمة والإحساس بالموت والهلاك! ملتصقاً بالله بكل قواه المنهارة وبشكل جنوني بالرغم من تخلِّي الله عنه كليًّا!

هذا المزمور نسيب سفر أيوب يتبادلان القول والوصف وعبث الموت، وهو قريب من سفر المراثي بكل أحزانه وأوجاعه ولكن يزيد! فهل هو نشيد عزّيا في برصه؟ أو حزقيا في مرض الموت؟ أو إرميا الساقط في طين البئر إلى رقبته!

ويمكن تحليل المزمور كالآتي:

١ - بعد المقدِّمة يتوسَّل بسبب عنف آلامه، حتى لربما يحرِّك عطف الله! هو على حد الموت بل يحسب نفسه مع الأموات! متروك من أصحابه كنجس لا يُقترب إليه ولا يقترب هو من أحد! دخل في عمق الهاوية بخياله بحكم غضب الله القائم فوقه (١ - ٨).

٢ - لا رجاء في حياة ولكن لا يزال يتشبَّث بالصلاة، هل يمكن أن يُظهر الله قوَّته ومحبته في الحياة غير المنظورة؟ طبعاً هذا لا يصدَّق! فهو كمن فقد الأمل في الحياة الأخرى أيضاً (٩ - ١٢).

٣ - لا يزال يرمي نفسه على الله، لماذا رفضه الله؟ ولماذا يسوقه إلى التمرُّغ بمرعبات غضبه؟ لماذا يفصله تماماً عن الأحياء حتى لا ينفذ إليه شعاع عطف ورحمة ليخفف من قساوة حياته؟ (١٣ - ١٨).

لقد تحدَّد هذا المزمور في الكنيسة ليكون مزمور جمعة الأحزان، الجمعة العظيمة لأن الآباء قد شرحوه قديماً مثل مزمور (٢٢) بأنه صوت المسيح في آلامه!

العنوان:

(أ) في (١مل ٤: ٣١) نجد إيثان الأزراحي وهيمان وكلكول ودردع تُذكر أسماؤهم كحكماء مشهورين لا يفوق حكمتهم إلاَّ حكمة سليمان، وهم أبناء زارح (أي ٢: ٦). وكلمة الأزراحي تعني من عائلة زارح، على أن زارح هو ابن يهوذا من ثامار من سبط يهوذا. ولا نعرف هل هؤلاء الحكماء الأربعة من أيام سليمان؟ علماً بأنهم أعظم حكماء مشهورين في كل التاريخ القديم كما يعرف المؤرِّخون.

(ب) في (١أي ١٥: ١٩) يُذكر أن هيمان وإيثان مع آساف هم رؤساء موسيقى الهيكل.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٨]:

يتوسَّل ليسمعه الله ويعزِّز توسله بشدة التأديبات التي أوقعها الله عليه حتى صار على حافة القبر!

١ - «**يَا رَبُّ إِلهَ خَلاَصِي، بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ صَرَخْتُ أَمَامَكَ**».

انظر: (مز ٢٧: ٩):

+ «لا تحجب وجهك عني. لا تخيِّب بسخط عبدك. قد كنت عوني. فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي».

تركيب الآية هنا لا يتوافق مع القواعد العبرية، وقد اقترح العلماء جعلها هكذا: «يا رب إلهي لقد صرخت إليك بالنهار، وبالليل دخل إليك صراخي». انظر: (مز ٣٠: ٢):

+ «يا رب إلهي استغثتُ بك فشفيتني». وأيضاً: (أي ١٩: ٧):
+ «ها إني أصرخ ظلماً فلا أُستجاب. أدعو وليس حكم». وأيضاً: (مز ٤٢: ٨):
+ «بالنهار يوصي الرب رحمته وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي».

وهو لا يزال يدعو الله متشبثاً بإيمانه بوجوده.

٢ - «**فَلْتَأْتِ قُدَّامَكَ صَلاَتِي. أَمِلْ أُذُنَكَ إِلَى صُرَاخِي**».

انظر: (مز ١٨: ٦):

+ «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدَّامه دخل أذنيه». وأيضاً: (مز ٧٩: ١١):
+ «ليدخل قدامك أنين الأسير. كعظمة ذراعك استبق بني الموت». وأيضاً: (مز ١٧: ١):
+ «اسمع يا رب للحق. أنصت إلى صراخي. أصغِ إلى صلاتي ...». وأيضاً: (مز ٦١: ١):
+ «اسمع يا الله صراخي واصغَ إلى صلاتي».

٣ - «**لأَنَّهُ قَدْ شَبِعَتْ مِنَ الْمَصَائِبِ نَفْسِي، وَحَيَاتِي إِلَى الْهَاوِيَةِ دَنَتْ**».

انظر: (مز ٦: ٥):

+ «لأنه ليس في الموت ذكرك. في الهاوية مَنْ يحمدك». وأيضاً: (مز ١٠٧: ١٨):
+ «كرهت أنفسهم كل طعام واقتربوا إلى أبواب الموت».

٤ - «**حُسِبْتُ مِثْلَ الْمُنْحَدِرِينَ إِلَى الْجُبِّ. صِرْتُ كَرَجُلٍ لاَ قُوَّةَ لَهُ**».

اعتبر نفسه أنه مائت ورجل قد فقد كل قوَّته. انظر: (مز ٢٨: ١):

+ «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب». وأيضاً: (مز ٢٢: ٢٩):
+ «... قدامه يجثو كل مَنْ ينحدر إلى التراب ومَنْ لم يحيي نفسه». وأيضاً: (أم ١: ١٢):
+ «لنبتلعهم أحياء كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب».

«كرجل لا قوة له»:

كالخيال. انظر: (مز ٢٢: ١٩) حيث يهوه هو قوَّته:

+ «أما أنت يا رب فلا تبعد. يا قوَّتي أسرع إلى نصرتي».

٥ - «**بَيْنَ الأَمْوَاتِ فِرَاشِي مِثْلُ الْقَتْلَى الْمُضْطَجِعِينَ فِي الْقَبْرِ، الَّذِينَ لاَ تَذْكُرُهُمْ بَعْدُ، وَهُمْ مِنْ يَدِكَ انْقَطَعُوا**».

طُرد بحسب إرادة الله من أن يكون خادماً له. انظر: (أي ١٧: ١٣ و١٤):

+ «إذا رجوت الهاوية بيتاً لي وفي الظلام مهَّدت فراشي، وقلت للقبر أنت أبي وللدود أنت أمي وأختي».

«مثل القتلى»:

الذين توضع جثثهم بلا تمييز في مقبرة واحدة. انظر: (حز ٣٢: ٢٤):

+ «هناك عيلام وكل جمهورها حول قبرها كلهم قتلى ساقطون بالسيف الذين هبطوا غلفاً إلى الأرض السفلى».

«لا تذكرهم»:

حيث أرض النسيان، قد حُرموا من حمايتك. انظر: (مرا ٣: ٥٤):

+ «طفت المياه فوق رأسي. قلتُ قد قرضتُ».

٦ - «وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاقٍ».

ظلمة الأعماق كلمة تستخدم في أعماق المياه ولكنه استخدمها هنا لأعماق البؤس والألم. انظر: (مز ٦٩: ١٤ و١٥):

+ «نجني من الطين فلا أغرق نجني من مبغضي ومن أعماق المياه».
+ «لا يغمرني سيل المياه ولا يبتلعني العمق ولا تطبق الهاوية عليَّ فاها». وأيضاً: (أي ١٠: ٢١ و٢٢):
+ «قبل أن أذهب ولا أعود. إلى أرض ظلمة وظل الموت. أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى».

٧ - «عَلَيَّ اسْتَقَرَّ غَضَبُكَ، وَبِكُلِّ تَيَّارَاتِكَ ذَلَّلْتَنِي. سِلاَهْ».

انظر: (مز ٣٢: ٤):

+ «لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً. تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ». وأيضاً: (مز ٣٨: ٢):
+ «لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك». وأيضاً: (مز ٤٢: ٧):
+ «غمر ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت عليَّ».

٨ - «أَبْعَدْتَ عَنِّي مَعَارِفِي. جَعَلْتَنِي رِجْساً لَهُمْ. أُغْلِقَ عَلَيَّ فَمَا أَخْرُجُ».

هذا المرض الذي سمح الرب بأن يصيبه هو مرض البرص الذي يُحسب نجساً، ورجساً فلا يقرب من أحد ولا أحد يقترب منه. انظر: (أي ١٩: ١٣ - ١٦):

+ «قد أبعد عني إخوتي. ومعارفي زاغوا عني. أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني. نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرت في أعينهم غريباً. عبدي دعوت فلم يجب. بفمي تضرَّعت إليه».

والأبرص حُسب في العهد القديم كالميت الحي أو حياة ميت. انظر: (عد ١٢: ١٢):

+ «فلا تكن كالميت الذي يكون عند خروجه من رحم أمه قد أُكل نصف لحمه».

وقد حُسب البرص أكثر من أي مرض آخر كضربة شديدة من الله. انظر: (أي ١٩: ٢١):

+ «تراءفوا تراءفوا أنتم عليَّ يا أصحابي لأن يد الله قد مسَّتني!».

والأبرص كان يُعزل من مخالطة المجتمع ومن جماعة الصلاة وكان يُجبر على الحياة بمفرده. انظر:

(أي ٣١: ٣٤):

+ «إذ رهبت جمهوراً غفيراً وروعتني إهانة العشائر فكففت ولم أخرج من الباب». وأيضاً: (أي ٣: ٢٣):
+ «لرجل قد خفي عليه طريقه وقد سيَّج الله حوله». وأيضاً: (أي ٢٩: ٨ و٩):
+ «رآني الغلمان فاختبأوا والأشياخ قاموا ووقفوا. العظماء أمسكوا عن الكلام ووضعوا أيديهم على أفواههم». وأيضاً: (مرا ٣: ٧):
+ «سيَّج عليَّ فلا أستطيع الخروج. ثقَّل سلسلتي».

وقد استخدم ق. لوقا هذا العدد في سرد قصة الصلب. انظر: (لو ٢٣: ٤٨ و٤٩):

+ «وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم».
+ «وكان جميع **معارفه** ونساء كنَّ قد تبعنه من الجليل واقفين **من بعيد** ينظرون ذلك».

٩ - «عَيْنِي ذَابَتْ مِنَ الذُّلِّ. دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ كُلَّ يَوْمٍ. بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ».

إذا غارت العين في محجرها وذبلت كان هذا معناه شدة الحزن والضنى المريع. انظر: (مز ٦: ٧):

+ «ساخت من الغم عيني. شاخت من كل مضايقيَّ». وأيضاً: (مز ٣١: ٩):
+ «خسفت من الغم عيني. نفسي وبطني». وأيضاً: (أي ١٧: ٧):
+ «كلَّت عيني من الحزن وأعضائي كلها كالظل».

«بسطت إليك يديَّ»:

وقفة الصلاة بلياليها الطوال واليوم كله على وتيرة واحدة. فالرجاء حائر ولكن التشبُّث بالله قائم. انظر: (إش ١: ١٥):

+ «فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً». وأيضاً: (مز ٤٤: ٢٠):
+ «إن نسينا اسم إلهنا أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب». وأيضاً: (مز ١٤٣: ٦):
+ «بسطت إليك يديَّ. نفسي نحوك كأرض يابسة. سلاه».

١٠ - «أَفَلَعَلَّكَ لِلأَمْوَاتِ تَصْنَعُ عَجَائِبَ؟ أَمِ الأَخِيلَةُ تَقُومُ تُمَجِّدُكَ؟ سِلاَهْ».

هل تُحسن إلى الأموات أم تُظهر لهم عجائب مراحمك؟ لأنهم لا يدرون ولا فيهم قوة ليمجدوا.

انظر: (إش ٢٦: ١٤):

+ «هم أموات لا يحيون. أخيلة لا تقوم».

صاحب المزمور يُعرِب عن عدم اعتقاده في القيامة. انظر: (أي ١٤: ١٢):

+ «والإنسان يضطجع ولا يقوم. لا يستيقظون حتى لا تبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم».

١١ - «**هَلْ يُحَدَّثُ فِي الْقَبْرِ بِرَحْمَتِكَ، أَوْ بِحَقِّكَ فِي الْهَلاَكِ؟**».

انظر: (أي ٢٦: ٦):

+ «الهاوية عريانة قدَّامه والهلاك ليس له غطاء». وأيضاً: (أي ٢٨: ٢٢):
+ «الهلاك والموت يقولان بآذاننا قد سمعنا خبرها (عن الحكمة والفهم)». وأيضاً: (أم ١٥: ١١):
+ «الهاوية والهلاك أمام الرب. كم بالحري قلوب بني آدم». وأيضاً: (أم ٢٧: ٢٠):
+ «الهاوية والهلاك لا يشبعان وكذا عينا الإنسان لا تشبعان». وأيضاً: (رؤ ٩: ١١):
+ «ولها ملاك الهاوية ملكاً عليها واسمه بالعبرانية أَبَدُّون (أَبَدُّونُ بالعبرية تعني الهلاك) وله باليونانية اسم أبوليون».

١٢ - «**هَلْ تُعْرَفُ فِي الظُّلْمَةِ عَجَائِبُكَ، وَبِرُّكَ فِي أَرْضِ النِّسْيَانِ؟**».

الظلمة تمحو المعرفة من الوجود والعجائب هي نور من نور. فالظلمة ليست مكانها وبر الله أي أمانته هي تاج للفكر الحي، أما الميت فلا يعي شيئاً. انظر: (جا ٩: ٥ و٦):

+ «لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نُسي».
+ «ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عُمِل تحت الشمس». وأيضاً: (إش ٣٨: ١٨):
+ «لأن الهاوية لا تحمدك. الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك».

[١٣ - ١٨]:

الموت ليس فيه رجاء فهل يمكن أن الله يسمع لصلاته ويهبه معونة في قمة آلامه ووحدته؟

١٣ - «**أَمَّا أَنَا فَإِلَيْكَ يَا رَبُّ صَرَخْتُ، وَفِي الْغَدَاةِ صَلاَتِي تَتَقَدَّمُكَ**».

الآن هو يقارن نفسه بالأموات الذين هم في أرض النسيان الذين انقطعت صلتهم بالله، هو الآن حيّ وها هو يصلّي باكراً كل يوم بالرغم من كل أسباب قطع الرجاء، فهل يسمع ويجيب؟

١٤ - «**لِمَاذَا يَا رَبُّ تَرْفُضُ نَفْسِي؟ لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟**».

انظر: (مز ٧٤: ١):

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد. لماذا يدخِّن غضبك على غنم مرعاك». وأيضاً: (مز ٧٧: ٧):
+ «هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد». وأيضاً: (أي ١٣: ٢٤):
+ «لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدوًّا لك». وأيضاً: (مز ١٣: ١):
+ «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان. إلى متى تحجب وجهك عني». وأيضاً: (مرا ٣: ٨):
+ «أيضاً حين أصرخ وأستغيث يصد صلاتي».

١٥ - «**أَنَا مِسْكِينٌ وَمُسَلِّمُ الرُّوحِ مُنْذُ صِبَايَ. احْتَمَلْتُ أَهْوَالَكَ. تَحَيَّرْتُ**».

هذا الكلام يستحيل تطبيقه على الأمة اليهودية، فهو شخص فريد في حياته التي هي الموت، فريد في آلامه التي بلا حد!

١٦ - «**عَلَيَّ عَبَرَ سَخَطُكَ. أَهْوَالُكَ أَهْلَكَتْنِي**»

موجات نارية من الألم كشفت له عن غضب وسخط جاء عليه. انظر: (مز ٤٢: ٧):

+ «غمر ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت عليَّ». وأيضاً: (أي ٦: ٤):
+ «لأن سهام القدير فيَّ وحُمَتَها شاربة روحي. أهوال الله مصطفة ضدي». وأيضاً: (مرا ٣: ٥٣):
+ «قرضوا في الجب حياتي وألقوا عليَّ حجارة».

١٧ - «**أَحَاطَتْ بِي كَالْمِيَاهِ الْيَوْمَ كُلَّهُ. اكْتَنَفَتْنِي مَعاً**».

إن فيضان الآلام والمحنة تمدَّد باكتساح نفسه وليس من يمد معونة، وقد صار محاطاً بالنكبات من كل جهة.

١٨ – «أَبْعَدْتَ عَنِّي مُحِبًّا وَصَاحِباً. مَعَارِفِي فِي الظُّلْمَةِ».

انظر: (مز ٣٨: ١١):

+ «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي وأقاربي وقفوا بعيداً».

وتعديل معناها أن أصدقائي المقربين هي الظلمة المحيطة بي. انظر: (أي ١٧: ١٤):

+ «وقلت للقبر أنت أبي وللدود أنت أمي وأختي».

وها نحن نترك هذا المغنِّي الحزين والشاعر المصاب كلغز ما استطعنا أن نتعرَّف عليه، بلا شعاع يبدِّد هذه الظلمة الضاغطة. ولو أننا نرى في كلامه إيماناً وحبًّا وتوقيراً عاجزاً حجزه الألم المريع من الظهور، وإن كان قد ضاع منه كل رجاء إلاَّ أنه بقي رجاء واحد صامت هو الله! وإيمانه هو جزاؤه الأعظم.



المزمور التاسع والثمانون

قَصِيدَةٌ لأَيْثَانَ الأَزْرَاحِيِّ

١– «بِمَرَاحِمِ الرَّبِّ أُغَنِّي إِلَى الدَّهْرِ. لِدَوْرٍ فَدَوْرٍ أُخْبِرُ عَنْ حَقِّكَ بِفَمِي.

٢– لأَنِّي قُلْتُ: "إِنَّ الرَّحْمَةَ إِلَى الدَّهْرِ تُبْنَى. السَّمَوَاتُ تُثْبِتُ فِيهَا حَقَّكَ".

٣– "قَطَعْتُ عَهْداً مَعَ مُخْتَارِي، حَلَفْتُ لِدَاوُدَ عَبْدِي:

٤– إِلَى الدَّهْرِ أُثَبِّتُ نَسْلَكَ، وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كُرْسِيَّكَ". سِلاَهْ.

٥– وَالسَّمَوَاتُ تَحْمَدُ عَجَائِبَكَ يَا رَبُّ، وَحَقَّكَ أَيْضاً فِي جَمَاعَةِ الْقِدِّيسِينَ.

٦– لأَنَّهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبَّ. مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللهِ؟

٧– إِلَهٌ مَهُوبٌ جِدّاً فِي مُؤَامَرَةِ الْقِدِّيسِينَ، وَمَخُوفٌ عِنْدَ جَمِيعِ الَّذِينَ حَوْلَهُ.

٨– يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ، مَنْ مِثْلُكَ؟ قَوِيٌّ، رَبٌّ، وَحَقُّكَ مِنْ حَوْلِكَ.

٩– أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا.

١٠– أَنْتَ سَحَقْتَ رَهَبَ مِثْلَ الْقَتِيلِ. بِذِرَاعِ قُوَّتِكَ بَدَّدْتَ أَعْدَاءَكَ.

١١– لَكَ السَّمَوَاتُ. لَكَ أَيْضاً الأَرْضُ. الْمَسْكُونَةُ وَمِلْؤُهَا أَنْتَ أَسَّسْتَهُمَا.

١٢– الشِّمَالُ وَالْجَنُوبُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا. تَابُورُ وَحَرْمُونُ بِاسْمِكَ يَهْتِفَانِ.

١٣– لَكَ ذِرَاعُ الْقُدْرَةِ. قَوِيَّةٌ يَدُكَ. مُرْتَفِعَةٌ يَمِينُكَ.

١٤– الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ.

١٥– طُوبَى لِلشَّعْبِ الْعَارِفِينَ الْهُتَافَ. يَا رَبُّ، بِنُورِ وَجْهِكَ يَسْلُكُونَ.

١٦– بِاسْمِكَ يَبْتَهِجُونَ الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَبِعَدْلِكَ يَرْتَفِعُونَ.

١٧– لأَنَّكَ أَنْتَ فَخْرُ قُوَّتِهِمْ، وَبِرِضَاكَ يَنْتَصِبُ قَرْنُنَا.

١٨– لأَنَّ الرَّبَّ مِجَنُّنَا، وَقُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ مَلِكُنَا.

١٩– حِينَئِذٍ كَلَّمْتَ بِرُؤْيَا تَقِيَّكَ وَقُلْتَ: "جَعَلْتُ عَوْناً عَلَى قَوِيٍّ. رَفَعْتُ مُخْتَاراً مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ.

٢٠– وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ.

٢١– الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضاً ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ.

٢٢– لاَ يُرْغِمُهُ عَدُوٌّ، وَابْنُ الإِثْمِ لاَ يُذَلِّلُهُ.

٢٣– وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ.

٢٤– أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ قَرْنُهُ.

٢٥- وَأَجْعَلُ عَلَى الْبَحْرِ يَدَهُ، وَعَلَى الأَنْهَارِ يَمِينَهُ.
٢٦- هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي.
٢٧- أَنَا أَيْضاً أَجْعَلُهُ بِكْراً، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ.
٢٨- إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ.
٢٩- وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ، وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَوَاتِ.
٣٠- إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي،
٣١- إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ،
٣٢- أَفْتَقِدُ بِعَصاً مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ.
٣٣- أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ، وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي.
٣٤- لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ.
٣٥- مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ:
٣٦- نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي.
٣٧- مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ". سِلاَهْ.
٣٨- لكِنَّكَ رَفَضْتَ وَرَذَلْتَ، غَضِبْتَ عَلَى مَسِيحِكَ.
٣٩- نَقَضْتَ عَهْدَ عَبْدِكَ، نَجَّسْتَ تَاجَهُ فِي التُّرَابِ.
٤٠- هَدَمْتَ كُلَّ جُدْرَانِهِ، جَعَلْتَ حُصُونَهُ خَرَاباً.
٤١- أَفْسَدَهُ كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ، صَارَ عَاراً عِنْدَ جِيرَانِهِ.
٤٢- رَفَعْتَ يَمِينَ مُضَايِقِيهِ، فَرَّحْتَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ.
٤٣- أَيْضاً رَدَدْتَ حَدَّ سَيْفِهِ، وَلَمْ تَنْصُرْهُ فِي الْقِتَالِ.
٤٤- أَبْطَلْتَ بَهَاءَهُ وَأَلْقَيْتَ كُرْسِيَّهُ إِلَى الأَرْضِ.
٤٥- قَصَّرْتَ أَيَّامَ شَبَابِهِ غَطَّيْتَهُ بِالْخِزْيِ. سِلاَهْ.
٤٦- حَتَّى مَتَى يَا رَبُّ تَخْتَبِئُ كُلَّ الاخْتِبَاءِ؟ حَتَّى مَتَى يَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَضَبُكَ؟
٤٧- اذْكُرْ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ، إِلَى أَيِّ بَاطِلٍ خَلَقْتَ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ!
٤٨- أَيُّ إِنْسَانٍ يَحْيَا وَلاَ يَرَى الْمَوْتَ؟ أَيٌّ يُنَجِّي نَفْسَهُ مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ؟. سِلاَهْ.
٤٩- أَيْنَ مَرَاحِمُكَ الأُوَلُ يَا رَبُّ، الَّتِي حَلَفْتَ بِهَا لِدَاوُدَ بِأَمَانَتِكَ؟
٥٠- اذْكُرْ يَا رَبُّ عَارَ عَبِيدِكَ الَّذِي أَحْتَمِلُهُ فِي حِضْنِي مِنْ كَثْرَةِ الأُمَمِ كُلِّهَا،
٥١- الَّذِي بِهِ عَيَّرَ أَعْدَاؤُكَ يَا رَبُّ، الَّذِينَ عَيَّرُوا آثَارَ مَسِيحِكَ.

٥٢- مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَى الدَّهْرِ آمِينَ فَآمِينَ».

دراسة:

هذا المزمور يقدِّم شكل معضلة أو ورطة أحرجت وأربكت كثيراً من النفوس التقية في السبي. فمن ناحية يؤكد أمانة الله ومحبته وإحسانه وقوة عهده لسيادة أبدية من نحو بيت داود، ومن ناحية أخرى يحكي عن ممثل داود وبيت داود وقد انتُزع تاجه وأُلقي أرضاً ودخل السبي، ومملكته روِّعت ونُهبت وصارت ضعضعَ بلقعاً. فكيف يكون حل هذه المضادة؟

والمزمور يتكوَّن من مقدِّمة تتبعها ثلاثة أقسام رئيسية مرتبة كالآتي:

١ - غرض صاحب المزمور أن يحتفل بإحسان وأمانة يهوه مقتنعاً أنها أبدية وبلا حدود، وقد أعلنها علناً في الموعد والعهد الذي قطعه الله لداود، وقداسة الإعلان عن هذا العهد الذي قطعه الله بفمه بنفسه (١ - ٤).

٢ - بعد المقدمة وصلة موسيقية: سلاه. بعدها استمر صاحب المزمور يحتفل بمديح يهوه مركِّزاً بصفة خاصة على قوة الأمانة المحسوبة أنها تؤمِّن مضاعفاً تنفيذ مواعيده. السماء والملائكة يسبحونه لأنهم يعلمون أن ليس سواه (٥ - ٧). وهو يُظهر سلطانه على الطبيعة وعلى التاريخ البشري كخالق ومدبر العالم، وصفاته الإلهية في البر والحق والإحسان والقضاء هي قمة مجده (٨ - ١٤). إنهم سعداء هؤلاء البشر الذين لهم هذا الإله وملكهم يسبغ عليهم عناية هي تخصصه الشاغل (١٥ - ١٨).

٣ - وعند ذكر كلمة الملك ينتقل نقلته إلى القسم الثاني وهو توسيع لوعد داود المذكور في (٢صم ٧) في ذكرى وعد يهوه المقدس ليهبه قوة ومعونة لأنه ملك اختياره، لينال النصرة على كل أعدائه ويمتد ملكه إلى الحدود المذكورة السابقة في الماضي. ويختاره ويتبنَّاه كبكر ويرفعه ويجعله أعلى، فوق كل ملوك الأرض، ولو أن خطايا خلفه ربما تحتاج العقاب والتأديب، لكن العهد الإلهي أن نسله وعرشه سيدوم إلى الأبد مقدساً لا يضار (١٩ - ٣٧).

٤ - وهكذا إذ يواجه صاحب المزمور الله بهذه المواعيد التي خرجت من فمه، استمر يواجهه بالحالة الحقيقية للأمور التي بلغت المضادة إزاء هذه الوعود! فقد هجر الله ملكه وشعبه حتى الهزيمة وفقدان كل نعمة وبلوغ حالة خراب (٣٨ - ٤٥). ويتلو هذا الاحتجاج توسل باجتهاد - فالحياة قصيرة - فإذا لم تأتِ المعونة حالاً فصاحب المزمور لا يقدر أن يعيش

ليرى برهان أمانة الله وحينئذ يكون هو وكل خدام العلي أمام حتمية احتمال المعيرة والاحتقار وخاصة من المحاربين الغزاة الوثنيين (٤٥ - ٥١).

هكذا فإن الدافع للمزمور هو سؤال إزاء هذه المضادة بين صفات الله الأزلية الدائمة ووعوده من ناحية، ومن الناحية المقابلة مصير ملك وشعب إسرائيل!

وكلمات المفتاح في هذا المزمور هي: "**رحمة الله وأمانته**" (حقه) كل منهما تكرَّر ٧ مرات: (١ و٢ و٥ و٨ و١٤ و٢٤ و٢٨ و٣٣ و٤٩). وكلمة "**أمين**" (ثابت) (٢٨ و٣٧)، و"**لا أكذب**" (٣٣ و٣٥)، "**العهد**" (٣ و٢٨ و٣٤ و٣٩)، «**حلفت**» (٣ و٣٥ و٤٩).

فالمحبة هي التي دفعت الله ليدخل مع بيت داود في عهد! والأمانة تقيده أن يكون حافظاً لهذا العهد. ومديح يهوه ومجده بهذه العاطفة الحارة (٥) ومفردات الوعد الجليل العظيم (١٩) هذه كلها تخدم في رفع المقارنة بين محبة الله وعهوده وبين حالة الملك المخلوع والمجرَّد، على أنها في نفس الوقت تُحسب ترجيًّا وتعزية.

وهل يكون بعد هذا مثل هذا الإله يخيب من أن يصنع الخير الذي في هذا الوعد المقدَّس؟ وكيف تُحل هذه المضادة؟ هذا متروك نهائياً وكليًّا لله! ولكن لم يدخل الرجاء في الصلاة إلى الدرجة التي تصل إلى مجيء مسيًّا الملك!

هذا المزمور من المحتمل جداً أن يكون قد كُتب أثناء السبي، ومن الصعب أن يكون قبل خراب أورشليم (سنة ٥٨٧ ق.م.) وسقوط مملكة داود. ومن ناحية أخرى لا يوجد فيه ما يشير إلى أنه بعد العودة من بابل!! وفي العدد (٣٨) ما يشير إلى أنه كتب زمان ما كان يهوياكين لا يزال مخلوعاً ومجرَّداً من ملوكيته وأسيراً في بابل أي قبل سنة ٥٦١ ق.م. لأنه يتكلم عن فرد ممثل لداود ويحمل لقب مسيح يهوه! ولو أنه مجرد من ملوكيته ومُهان. والإحساس بالمرارة والخيبة التي تختم على هذه الأبيات إنما يشير إلى أن سقوط المملكة كان آنئذ حديثاً، أكثر من أن تكون بعد الرجوع الذي كان يلازمه نوع من الرجاء وبدأت تظهر أول خطوة لحل اللغز الذي واجه صاحب المزمور وأربكه. والعدد (١٤) مستعار من تسبحة العودة في (مز ٩٧: ٢).

ولمن يريد أن يدرس، يُعتبر تأريخ المزمور بزمن السبي موضحاً ومثبتاً من هذه المتوازيات: **إرميا** (٣٣: ٢١ و٢٢ و٢٦)، **حزقيال** (٣٤: ٢٣ و٢٤، ٣٧: ٢٤ و٢٥) وهي نبوات تحوي الكلمة المحسوبة أنها نبوة في المزمور التي وردت في قوله: «داود عبدي» (٣ و٢٠) ونجدها مستخدمة

أيضاً في (إش ٣٧: ٣٥)، (٢مل ١٩: ٣٤). قارن أيضاً: **حزقيال** (٣٤: ٢٩، ٣٦: ٦ و١٥) مع أعداد (٥٠ و٥١) في هذا المزمور.

واختيار هذا المزمور في الكنيسة كمزمور مقروء في عيد الميلاد هو لأنه يحوي الوعد بالمسيا لداود. والمزمور كله أيضاً هو لائق "**للتجسُّد**" لأنه هو الحل الوحيد للمضادة التي أربكت صاحب المزمور. لأن التجسُّد هو الإحسان الأعلى والأمانة العظمى التي أكملها الله للبشرية كلها. انظر: (لو ١: ٣٢ و٣٣):

+ «**هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية!**».

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١ - ٤]:

صاحب المزمور يذكر هدفه: إحسانات الله والإيمان الكلي بأمانة يهوه الذي يقول مقتنعاً بأنها لا تسقط قط، والوعد بدوام مُلك بيت داود إلى الأبد.

١ - «**بِمَرَاحِمِ الرَّبِّ أُغَنِّي إِلَى الدَّهْرِ. لِدَوْرٍ فَدَوْرٍ أُخْبِرُ عَنْ حَقِّكَ بِفَمِي**».

مراحم يهوه (إحساناته) وحقه (أمانته) هنا موضوع ترنمه بالشكر، فإن ما سبق من إحسانات الله فهي لا تتغيَّر كحقائق، وأمانته لمواعيده هي ليست موضع سؤال. ففي الافتتاحية يرتفع إيمان صاحب المزمور بانتصار فوق الظروف المحيطة به.

«**مراحم**»:

هي بالأفضل تترجم إحسانات، فالإحسانات والحق (الأمانة) هما كلمتان متميزتان لهذا المزمور كل واحدة منها جاءت سبع مرات. انظر: (إش ٥٥: ٣):

+ «أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً **مراحم داود الصادقة**».

٢ - «**لأَنِّي قُلْتُ: "إِنَّ الرَّحْمَةَ إِلَى الدَّهْرِ تُبْنَى. السَّمَاوَاتُ تُثْبِتُ فِيهَا حَقَّكَ"**».

والمعنى: أنا بحريتي انتهيت إلى هذه الحقيقة. وبهذا يكون المزمور قد قدَّم هدفه من البداية وكذلك

هدف تسبيحه. فهو مقتنع تماماً أن محبة الله وإحسانه هو مبنًى شامخٌ مبنيٌّ حجرة فوق حجرة حتى يصل إلى السماوات نفسها حتى ولو رُؤيَ الآن أنه خراب مهجور! والمعنى في جملته أن إحسانات الله وحقه سوف تظل تُبنى إلى فوق وتتأسس إلى الأبد في السموات. حيث هنا كلمة "تُبنى" نسمعها في (أي ٢٢: ٢٣ - ٢٦):

+ «إن رجعتَ إلى القدير **تُبنى**، إن أبعدتَ ظلماً من خيمتك».
+ «وألقيت التبْر (الدنيوي) على التراب (مصدره) وذهب أوفير بين حصا الأودية. يكون القدير تِبْرَكَ وفضة أتعابٍ لكَ. لأنك حينئذ تتلذذ بالقدير وترفع إلى الله وجهك». وأيضاً: (إر ١٢: ١٦):
+ «ويكون إذا تعلَّموا علماً طرق شعبي أن يحلفوا باسمي حيٌّ هو الرب كما علَّموا شعبي أن يحلفوا ببعل، أنهم يُبنَون في وسط شعبي».

٣ - **«قَطَعْتُ عَهْداً مَعَ مُخْتَارِي، حَلَفْتُ لِدَاوُدَ عَبْدِي».**

٤ - **«إِلَى الدَّهْرِ أُثَبِّتُ نَسْلَكَ، وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كُرْسِيَّكَ. سِلاَهْ».**

مجموع وعود الله لداود ونسله التي جاءت في (٢صم ٧: ٥ إلخ) والتي توسَّع فيها في العدد (١٩ إلخ)، فإنه بالنسبة لهذا الوعد بالذات رأى صاحب المزمور أن يغنِّي لإحسانات الله وحقِّه! وتقريباً نجد أن كل كلمة مأخوذة من سفر صموئيل الثاني الأصحاح السابع:

فكلمة **داود عبدي**، جاءت في (٢صم ٧) الأعداد (٥ و٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩).

وكلمة **يثبت**: جاءت في الأعداد (١٢ و١٣ و١٦ و٢٦).

وكلمة **إلى الأبد**: جاءت في الأعداد (١٣ و١٦ و٢٤ و٢٦ و٢٩).

وكلمة **نسل ومملكة**: جاءت في الأعداد (١٢ و١٣ و١٦).

وكلمة **يبني**: جاءت في العدد (٢٧).

وهكذا يظهر أن صاحب المزمور ربما يكون قد اطلع على سفر صموئيل الثاني أصحاح (٧).

[٥ - ١٨]:

السرد العبادي لأوصاف الله يأتي كتوسُّل لدى الله وكتقوية وتشجيع لإسرائيل. فقدرة الله على كل شيء إنما تضمن فاعليته، أما أمانته وحقه فهي تضمن إرادته بأن ينفذ ما وعد به.

(٥ - ٧):

يهوه لا يُقارن، هو في محفله الدائم في السموات، فالملائكة والكائنات الملائكية هم الأجدر بأن يخبروا لأنهم وقوف بالقرب من عرش الله ويشتركون في أعماله ويعرفون أنه ليس له من مثيل.

٥ - **«وَالسَّمَوَاتُ تَحْمَدُ عَجَائِبَكَ يَا رَبُّ، وَحَقَّكَ أَيْضاً فِي جَمَاعَةِ الْقِدِّيسِينَ».**

السموات بما فيها من نظام ومراتب الكائنات السماوية. انظر: (مز ١٩: ١):

+ «السموات تحدِّث بمجد الله. والفلك يُخبر بعمل يديه». وأيضاً: (مز ٥٠: ٦):
+ «وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديَّان. سلاه».

"عجائبك" كما جاءت في العبرية لا تفيد العجائب بل السر الرهيب الذي يختفي وراء كل الأعمال العجائبية غير العادية. انظر: (مز ٧١: ١٧):

+ «اللهم قد علَّمتني منذ صباي وإلى الآن أخبر بعجائبك».

ولكي تظهر حقيقة عجائب الله يذكر ما صنعه مع داود، لأن اختيار داود انتهى بعجيبة العجائب وبالذي اسمه عجيب: مسيا. انظر: (إش ٩: ٦):

+ «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام».

«حقك أيضاً في جماعة القديسين»:

ليسوا هم جماعة إسرائيل بل جماعة السمائيين كما جاءت في سفر أيوب (٥: ١):

+ «ادع الآن! فهل لك من مجيب. وإلى أي القديسين تلتفت». وأيضاً: (أي ١٥: ١٥):
+ «هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه».

وهنا نجد التوازي سهلاً وواضحاً بين السموات والقديسين في السموات. وهم قديسون لأنهم فوق الطبيعة، وقداستهم نسبية كما يقول أيوب (١٥: ١٥). فهم أقدر مَنْ يعرف قداسة الله المطلقة ويسبحونه على نعمه المكشوفة لهم. انظر: (أف ٣: ١٠):

+ «لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة».

٦ - **«لأَنَّهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبَّ. مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللهِ؟».**

٧ - **«إِلهٌ مَهُوبٌ جِدًّا فِي مُؤَامَرَةِ الْقِدِّيسِينَ، وَمَخُوفٌ عِنْدَ جَمِيعِ الَّذِينَ حَوْلَهُ».**

طبيعة الله فريدة لا مثيل لها، حتى وبين الكائنات السماوية. فليس من يشبهه أو يقارن به.

«أبناء الله»: Bne elim

لم ترد مرة أخرى في المزامير إلا في مزمور (٢٩: ١):
+ «قدِّموا للرب يا أبناء الله قدِّموا للرب مجداً وعزًّا».

والكلمة تعني "الملائكة" وقد جاءت في سفر أيوب: (Bne Elohim). انظر: (أي ١: ٦، ٢: ١) مثلها.
+ «وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم».

والمعنى الكلِّي للآية موجود في (إش ٨: ١٣):
+ «قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم».

«مؤامرة القديسين»:
انظر: (أي ١٥: ٨):
+ «هل تنصَّت في **مجلس الله** أو قصرتَ الحكمة على نفسك». وأيضاً: (إر ٢٣: ١٨ و٢٢):
+ «لأنه من وقف في **مجلس الرب** ورأى وسمع كلمته. مَنْ أصغى لكلمته وسمع».
+ «ولو وقفوا في **مجلسي** لأخبروا شعبي بكلامي وردُّوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم».
فالملائكة يكوِّنون مجلس مشورة الملك العظيم ولكنه يعلو فوقهم جميعاً.

(٨ - ١٤):
يهوه لا يُقارن، ظاهر في الطبيعة وفي التاريخ.

٨ - **«يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، مَنْ مِثْلُكَ؟ قَوِيٌّ، رَبٌّ، وَحَقُّكَ مِنْ حَوْلِكَ».**

«إله الجنود»:
لقب فائق. انظر: (١مل ٢٢: ١٩):
+ «وقال فاسمع إذن كلام الرب: قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره». وأيضاً: (مز ٤٦: ٧):
+ «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه».

«مَنْ مثلك؟»:
انظر: (خر ١٥: ٢ و١١):
+ «الرب قوَّتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده. إله أبي فأُرَفِّعه».
+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب! مَنْ مثلك معتزاً في القداسة! مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (٢صم ٧: ٢٢):
+ «لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا».

«حقك من حولك»:
كما يلفه النور، الحق هو محيط به.

٩ - **«أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا».**
١٠ - **«أَنْتَ سَحَقْتَ رَهَبَ مِثْلَ الْقَتِيلِ. بِذِرَاعِ قُوَّتِكَ بَدَّدْتَ أَعْدَاءَكَ».**

البحر يمثل الطبيعة ذات القوى الرهيبة. انظر: (مز ٩٣: ٣ و٤):
+ «رفعت الأنهار يا رب رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها. من أصوات مياه كثيرة من غمار أمواج البحر الرب في العُلى أقدر». وأيضاً: (أي ٣٨: ٨ - ١١):
+ «ومن حجز البحر بمصاريع حين اندفق فخرج من الرحم. إذ جعلتُ السحاب لباسه والضباب قماطه. وجزمت عليه حدِّي وأقمت له مغاليق ومصاريع. وقلت إلى هنا تأتي ولا تتعدَّى وهنا تتخم كبرياء لججك».

ومن بحر الطبيعة التفت المزمور إلى بحر الأمم الذي يُعتبر البحر رمزها. انظر: (مز ٦٥: ٧):
+ «المُهدِئ عجيج البحار عجيج أمواجها وضجيج الأمم!».

وعند البحر الأحمر أثبت الله قوَّته عليهما كليهما، البحر والأمم معاً. لأن رهب كما قلنا هو الاسم الرمزي لمصر كما وصفه إشعياء. انظر: (أي ٢٦: ١٢ و١٣):
+ «بقوته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب. بنفخته السموات مسفرة ويداه أبدأتا الحية الهاربة».

«بذراع قوَّتك بدَّدت أعداءك»:
انظر: (إش ٥١: ٩ و١٠):
+ «استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم. كما في الأدوار

القديمة. ألستِ أنتِ القاطعة رهب الطاعنة التنين؟ ألستِ أنتِ هي المنشِّفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين؟».

١١ - «**لَكَ السَّمَوَاتُ. لَكَ أَيْضاً الأَرْضُ. الْمَسْكُونَةُ وَمِلْؤُهَا أَنْتَ أَسَّسْتَهُمَا**».

انظر: (مز ٢٤: ١ و٢):

+ «للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبّتها». وأيضاً: انظر: (مز ٥٠: ١٢):
+ «إن جعتُ فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملأها». وأيضاً: (مز ٧٨: ٦٩):
+ «وبنى مثل مرتفعات مقدسه كالأرض التي أسسها إلى الأبد». وأيضاً: (أي ٣٨: ٤):
+ «أين كنت حين أسستُ الأرض؟ أخبر إن كان عندك فهم؟». وأيضاً: (أم ٣: ١٩):
+ «الرب بالحكمة أسَّس الأرض. أثبت السموات بالفهم».

١٢ - «**الشَّمَالُ وَالْجَنُوبُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا. تَابُورُ وَحَرْمُونُ بِاسْمِكَ يَهْتِفَانِ**».

الشمال والجنوب هما أطراف الأرض كما وصفها أيوب (٢٦: ٧):

+ «يمد الشمال على الخلاء ويعلّق الأرض على لا شيء».

تابور وحرمون. هذه الجبال لم تُذكر كثيراً وهما في أطراف أرض إسرائيل شرقاً وغرباً، وهما يمثلان أضخم وأكثر الجبال جمالاً من كل ما في أرض إسرائيل. **فتابور** يوصف بأنه أجمل الجبال وأكثرها غرابة وحوله التلال الكثيرة وهو مكسو بالأشجار الكثيفة. انظر: (إر ٤٦: ١٨):

+ «حي أنا يقول الملك رب الجنود اسمه كتابور بين الجبال وككرمل عند البحر يأتي».

وحرمون تكسوه الثلوج حتى في الصيف بينما حوله حرٌّ يقيد ناراً.

«باسمك يهتفان»:

الطبيعة بجمالها تحدِّث عن خالقها ورؤيتها تسبحة. انظر: (مز ١٩: ١):

+ «السموات تحدِّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه». وأيضاً: (مز ٦٥: ١٢ و١٣):
+ «تقطر مراعي البرية وتنتطق الآكام بالبهجة. اكتست المروج غنماً والأودية تتعطّف بُرًّا. تهتف وأيضاً تغنّي».

١٣ - «**لَكَ ذِرَاعُ الْقُدْرَةِ. قَوِيَّةٌ يَدُكَ. مُرْتَفِعَةٌ يَمِينُكَ**».

ذراع، يد، يمين، كلها اصطلاحات استخدمت بكثرة في عملية الخروج. انظر مثلاً: (خر ١٥: ٦ و٩ و١٢ و١٦):

+ «**يمينك** يا رب معتزَّة بالقدرة. **يمينك** يا رب تحطِّم العدو».
+ «قال العدو أتبع أدرك أقسم غنيمة. تمتلئ منهم نفسي. أجرد سيفي. تفنيهم **يدي**».
+ «تمد **يمينك** فتبتلعهم الأرض».
+ «تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة **ذراعك** يصمتون كالحجر. حتى يعبر شعبك يا رب ..».

١٤ - «**الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ**».

«العدل والحق»:

انظر: (مز ٩٧: ٢):

+ «السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه!». وأيضاً: (مز ٣٣: ٥):
+ «يحب البر (الحق) والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب».

العدل هو الذي يمثل البر وهو أساس العدالة والقضاء واستخدامه بالفعل هو أساس كل حكومة وقضاء سواء إلهية أو بشرية. انظر: (أم ١٦: ١١ و١٢):

+ «قبَّان الحق وموازينه للرب. كل معايير الكيس عمله. مكرهة الملوك فعل الشر لأن الكرسي يُثبَّت بالبر». وأيضاً: (أم ٢٥: ٥):
+ «أزِل الشريرَ مِنْ قدام المَلِكِ فيُثبَّتَ كرسيُّه بالعدل».

«تتقدَّمان أمام وجهك»:

الرحمة والحق هما كملائكة **تقف** في خدمة الله وتتواجد دائماً في حضرته. انظر: (مز ٩٥: ٢):

+ «نتقدم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له»، وهما مستعدان لعمل أوامره. انظر: (مز ٤٣: ٣):
+ «أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك».

(١٥ - ١٨):

سعداء الشعب الذين لهم إله مثل هذا والذين ملكهم هو نائبه ووكيله المفوَّض. بهذه ينتقل المزمور إلى القسم الثاني (١٩ إلخ). فمن تسبيح الله إلى سعادة شعبه، ومن الشعب إلى الملك الذي يقودهم

ويمثلهم.

١٥ - «طُوبَى لِلشَّعْبِ الْعَارِفِينَ الْهُتَافَ. يَا رَبُّ، بِنُورِ وَجْهِكَ يَسْلُكُونَ».

«الهتاف»: **Teruah**

هو صياح العيد للخدمة الدينية. انظر: (مز ٢٧: ٦):

+ «والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب». وأيضاً: (مز ٣٣: ٣):
+ «غنوا له أغنية جديدة. أحسنوا العزف بهتاف». وأيضاً: (مز ٩٥: ١ و٢):
+ «هلم نرنِّم للرب نهتف لصخرة خلاصنا».
+ «نتقدَّم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له». وأيضاً: (٢صم ٦: ١٥):
+ «فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق».

حقًّا سعيد شعب إسرائيل حينما يحيا ويُسبِّح ويهتف لإلهه. انظر: (مز ١٤٤: ١٥):

+ «طوبى للشعب الذي له كهذا. طوبى للشعب الذي الرب إلهه».

يستمتع بإشراقه كإشراق الشمس بعد ظلمة. انظر: (مز ٤: ٦):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب!».

١٦ - «بِاسْمِكَ يَبْتَهِجُونَ الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَبِعَدْلِكَ يَرْتَفِعُونَ».

حينما يستعلن يهوه نفسه يكون في الحال مصدر وموضع مسرتهم وفرحهم، وأمانة الله لعهده هو سر نجاحهم.

١٧ - «لأَنَّكَ أَنْتَ فَخْرُ قُوَّتِهِمْ، وَبِرِضَاكَ يَنْتَصِبُ قَرْنُنَا».

انظر: (مز ٤٤: ٦ و٧ و٨):

+ «لأني على قوسي لا أتّكل وسيفي لا يخلّصني».
+ «لأنك أنت خلّصتنا من مضايقينا وأخزيتَ مبغضينا».
+ «بالله نفتخر اليوم كله واسمك نحمد إلى الدهر. سلاه». وأيضاً: (مز ٣٠: ٧):
+ «يا رب برضاك ثبَّتَّ لجبلي عزًّا. حجبتَ وجهك فصرتُ مرتاعاً».

١٨ - «لأَنَّ الرَّبَّ مِجَنُّنَا، وَقُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ مَلِكُنَا».

"مجنّنا": أي درعنا الذي يحمينا. انظر: (مز ٤٧: ٩):

+ «لأن الله مجّان الأرض. هو متعالٍ جدًّا».

[١٩ - ٣٧]:

مجرد ذكر الملك تسحَّب على داود الذي لُمح عليه في الأعداد (٣ و٤)، وهنا يذكر الوعد الإلهي لداود بالتفصيل وباتساع شعري عن الذي جاء في (٢صم ٧).

١٩ - «حِينَئِذٍ كَلَّمْتَ بِرُؤْيَا تَقِيَّكَ وَقُلْتَ: جَعَلْتُ عَوْناً عَلَى قَوِيٍّ. رَفَعْتُ مُخْتَاراً مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ».

كلمة "حينئذ" هي تكميل للأعداد (٣ و٤). برؤيا. انظر: (٢صم ٧: ١٧):

+ «فحسب هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داود».

«تقيّك»:

هو داود صاحب الرسالة.

«قوي»:

في الأصل العبري: (جبَّار)، الإنسان القوي. انظر: (٢صم ١٧: ١٠):

+ «أيضاً ذو البأس الذي قلبه كقلب الأسد يذوب ذوباناً لأن جميع إسرائيل يعلمون أن أباك جبَّارٌ والذين معه ذوو بأس».

ولكنه قويٌّ في أمور الله ومعه الله. انظر: (مز ٢٠: ٦):

+ «الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه». وأيضاً: (مز ٢١: ١٣):
+ «ارتفع يا رب بقوّتك. نرنّم وننغّم بجبروتك».

«مختاراً»:

انظر العدد (٣) وأيضاً: (مز ٧٨: ٧٠):

+ «واختار داودَ عبدَه وأخذه من حظائر الغنم».

٢٠ - «وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ».

انظر: (١صم ١٣: ١٤):

+ «وأما الآن فمملكتك لا تقوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه». وأيضاً: (أع ١٣: ٢٢):
+ «ثم عزله وأقام لهم داود ملكاً الذي شهد له أيضاً إذ قال وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي الذي سيصنع كل مشيئتي».

«داود عبدي»:

انظر: (مز ٧٨: ٧٠):

+ «واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم». وأيضاً: (٢صم ٣: ١٨):
+ «فالآن افعلوا. لأن الرب كلّم داود قائلاً إني بيد داود عبدي أخلّص شعبي إسرائيل». وأيضاً: (٢صم ٧: ٥ و٨):
+ «اذهب وقل لعبدي داود: أأنت تبني لي بيتاً؟».
+ «فالآن هكذا تقول لعبدي داود: هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك ...».

«مسحته»:

انظر: (١صم ١٦: ١ و١٢ و١٣):

+ «فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل. املأ قرنك دهناً وتعال أرسلك إلى يسّى البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بيته ملكاً».
+ «فأرسل وأتى به. وكان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته».

٢١ - «الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضاً ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ».

يدي ستعضده دائماً التي تفيد أن الرب كان معه. انظر: (١صم ١٨: ١٢ و١٤):

+ «وكان شاول يخاف داود لأن الرب كان معه وقد فارق شاول».
+ «وكان داود مفلحاً في جميع طرقه والرب معه». وأيضاً: (٢صم ٥: ١٠):
+ «وكان داود يتزايد متعظماً والرب إله الجنود معه».

٢٢ - «لاَ يُرْغِمُهُ عَدُوٌّ، وَابْنُ الإِثْمِ لاَ يُذَلِّلُهُ».

بمعنى لا ينقض عليه أو يضغط عليه وهو غير ملتفت، فكلمة «**يرغم**» تُترجم أيضاً "يبغت".

انظر: (مز ٥٥: ١٥):

+ «**ليبغتهم** الموت. لينحدروا إلى الهاوية أحياء ...».

«وابن الإثم لا يذلـــله»:

مأخوذة بالحرف من (٢صم ٧: ١٠):

+ «وعيَّنت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه ولا يضطرب بعد ولا **يعود بنو الإثم يذللونه** كما في الأول».

٢٣ - «وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ».

٢٤ - «أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ قَرْنُهُ».

٢٥ - «وَأَجْعَلُ عَلَى الْبَحْرِ يَدَهُ، وَعَلَى الأَنْهَارِ يَمِينَهُ».

بمعنى أوسّع تخومه، البحر الأبيض غرباً والفرات شرقاً، حدود الأرض القديمة. انظر: (تك ١٥: ١٨):

+ «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». وأيضاً: (خر ٢٣: ٣١):
+ «وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر». وأيضاً: (تث ١١: ٢٤)
+ «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم». وأيضاً: (مز ٧٢: ٨):
+ «ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض». وأيضاً: (مز ٨٠: ١١):
+ «مدّت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها».

٢٦ - «هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي».

انظر: (مز ١٨: ٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي». وأيضاً: (تث ٣٢: ١٥):
+ «فسمن يشورون ورفس. سمنتَ وغلظتَ واكتسيتَ شحماً. فرفض الإله الذي عمله وغبي عن **صخرة خلاصه**».

٢٧ - «**أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض**».

«هو يدعوني ... وأنا أجعله». هنا رد على دعاء داود النبي، الوعد بالابن والبكر هو لإسرائيل أصلاً ولكن أُعطي لداود لأنه ممثل إسرائيل. انظر: (تث ٢٦: ١٩):

+ «وأن يجعلك **مستعلياً** على جميع القبائل التي عملها في الثناء والاسم والبهاء وأن تكون شعباً مقدَّساً للرب إلهك». وأيضاً: (خر ٤: ٢٢):
+ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. إسرائيل ابني **البكر**». وأيضاً: (إر ٣١: ٩):
+ «لأني صرت لإسرائيل أباً وأفرايم هو **بكري**». وأيضاً: (رؤ ١: ٥):
+ «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين **البكر** من الأموات **ورئيس ملوك الأرض**».

٢٨ - «**إلى الدهر أحفظ له رحمتي. وعهدي يُثبَّت له**».

٢٩ - «**وأجعل إلى الأبد نسله، وكرسيه مثل أيام السموات**».

دوام العهد بارز بشدة كما ورد في (٢صم ٧: ١٣ و١٦):

+ «هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبِّت كرسي مملكته إلى الأبد».
+ «ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».

وهذه الدعوة قائمة أساساً على أمانة الله وإحسانه.

«مثل أيام السموات»:

الأيام التي فوق الزمن أيام لا تُحسب بالسنين ولا بالدهور بل بالأزل والأبد منها وإليها، قائمة دائماً ثابتة بثبوت السماء. وقد استُخدمت هذه العبارات بالنسبة للدولة. انظر: (تث ١١: ٢١):

+ «لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض التي أقسم الرب لآبائك أن يعطيهم إياها كأيام السماء على الأرض».

(٣٠ - ٣٤):

خطايا نسل داود ستؤدي إلى التأديب ولكن لا تلغي العهد الذي قطعه الله لداود، لأن عدم أمانة الإنسان لا تُفرغ أمانة الله من الحق والأمانة، ولكن يتعدَّل عملها.

٣٠ - «**إن ترك بنوه شريعتي ولم يسلكوا بأحكامي**».

٣١ - «**إن نقضوا فرائضي ولم يحفظوا وصاياي**».

٣٢ - «**أفتقد بعصاً معصيتهم، وبضربات إثمهم**».

انظر: (٢صم ٧: ١٤ و١٥):

+ «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. إن تعوَّج أؤدِّبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم».
+ «ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من أمامك». وأيضاً: (أم ٢٣: ١٣ و١٤):
+ «لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لا يموت. تضربه أنت بعصا فتنقذ نفسه من الهاوية». وأيضاً: (عب ١٢: ٩ - ١١):
+ «ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدِّبين وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا. لأن أولئك أدَّبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم. وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته. ولكن كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطي الذين يتدرَّبون به ثمر بر للسلام».

٣٣ - «**أما رحمتي فلا أنزعها عنه، ولا أكذب من جهة أمانتي**».

«لا أنزعها»:

لا أنزع إحساناتي عنه كما جاءت في (١أي ١٧: ١٣):

+ «ولا أنزع رحمتي عنه كما نزعتها عن الذي كان قبلك».

«ولا أكذب»:

لا أكون غير صادق. انظر: (١صم ١٥: ٢٩):

+ «وأيضاً نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم».

٣٤ - «**لا أنقض عهدي، ولا أغيِّر ما خرج من شفتيَّ**».

الإنسان يغيِّر فكره وناموسه، أما الله فلا يغير فكره ولا ناموسه. عهد الله كالله لا يتغيَّر.

«لا أغيِّر ما خرج من شفتي»:

كلمة الله ثابتة ثبوت الأزل. وعبارة «ما خرج من شفتيَّ» تعني: "ما وعدتُ به" وهي عبارة

مستخدمة للنذور. انظر: (تث ٢٣: ٢٣):

+ «ما خرج من شفتيك احفظ واعمل كما نذرتَ للرب إلهك تبرعاً كما تكلَّم فمك».

(٣٥ - ٣٧):

عدم رجوع الله فيما أقسم.

٣٥ - «مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ».

«حلفت بقدسي»:

انظر: (مز ٦٠: ٦):

+ «الله قد تكلَّم بقدسه. أبتهج أقسم شكيم وأقيس وادي سكُّوت».

٣٦ - «نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي».

انظر: (مز ٧٢: ٥ و٧ و١٧):

+ «يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور».

+ «يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر».

+ «ويكون اسمه إلى الدهر. قدَّام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به. كل أُمم الأرض يطوِّبونه».

٣٧ - «مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ. سِلاَهْ».

أصل الكلام وارد في (٢صم ٧: ١٦):

+ «ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».

«الشاهد»:

ليس شمس ولا قمر فكله زائل ولكن الباقي الوحيد هو الله نفسه الذي يُثبِّت وعده. انظر: (إر ٤٢: ٥):

+ «فقالوا هم لإرميا ليكن الرب بيننا شاهداً صادقاً وأميناً إننا نفعل حسب كل أمر يرسلك به الرب إلهك إلينا». وأيضاً: (أي ١٦: ١٩):

+ «أيضاً الآن هوذا في السموات شهيدي وشاهدي في الأعالي».

[٣٨ - ٤٥]:

يضع حقائق الحاضر أمام عظمة الوعود السابقة، الملك رُفض وجُرِّد من ناحية، وعرشه ومملكته خربت ونُهبت بالغزاة وأعداؤه تسلَّطوا وانتصروا.

٣٨ - «لكِنَّكَ رَفَضْتَ وَرَذَلْتَ غَضِبْتَ عَلَى مَسِيحِكَ».

بعدما قدَّم المزمور وعود الله واضحة وقوية وثابتة ومؤمَّنة، فالآن يقدِّمها أمام الله أنه كَسَرَ هذه المواعيد والأقسام. وكان يكفي أن يعاقب عقوبة ولكن ليس الرفض الكامل! فوريث داود أخذ نصيب شاول بالرغم من وعد الله أن هذا لا يكون (٢صم ٧: ١٥). ولكن بالرغم من كل ذلك ينبغي الإيمان بالله بعمله الصحيح والحق مهما كان. انظر: (مز ٤٤: ٩ و١٠ و١٧):

+ «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا ولا تخرج مع جنودنا. ترجعنا إلى الوراء عن العدو ومبغضونا نهبوا لأنفسهم».

+ «هذا كله جاء علينا وما نسيناك ولا خنَّا في عهدك». وأيضاً: (حب ١: ٢ و١٣):

+ «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع. أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلِّص».

+ «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور فَلِمَ تنظر إلى الناهبين وتصمت حين يبلع الشرير من هو أبرُّ منه».

٣٩ - «نَقَضْتَ عَهْدَ عَبْدِكَ، نَجَّسْتَ تَاجَهُ فِي التُّرَابِ».

هذا يطال داود وكل خلفائه. فالوعد للملك والمملكة والكرسي والتاج.

«نجَّستَ ... في التراب»:

انظر: (مز ٧٤: ٧):

+ «أطلقوا النار في مقدسك. **دنَّسوا للأرض** مسكن اسمك».

٤٠ - «هَدَمْتَ كُلَّ جُدْرَانِهِ، جَعَلْتَ حُصُونَهُ خَرَاباً».

استعار هنا صاحب المزمور وصف إسرائيل بالكرمة. انظر: (مز ٨٠: ١٢ و١٣):

+ «فلماذا هدمت **جدرانها** فيقطفها كل عابري الطريق. يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية».

٤١ – «أَفْسَدَهُ كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ، صَارَ عَاراً عِنْدَ جِيرَانِهِ».

انظر: (مز ٧٩: ٤):
+ «صرنا عاراً عند جيراننا. هزءاً وسخرة للذين حولنا». وأيضاً: (مز ٤٤: ١٣):
+ «تجعلنا عاراً عند جيراننا. هزءاً وسخرة للذين حولنا».

على أن الجيران هم الأمم الذين كانوا فيما سبق خاضعين لإسرائيل.

٤٢ – «رَفَعْتَ يَمِينَ مُضَايِقِيهِ، فَرَّحْتَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ».

وفرح الأعداء مرارة في حلق إسرائيل لأنه ضدها. وكلمة "يُفرِّح" بالعبري هي نفسها تعني: "يشمت". انظر: (مز ٢٥: ٢):
+ «يا إلهي عليك توكلت. فلا تدعني أخزى. **لا تَشْمَت** بي أعدائي». وأيضاً: (مز ٣٠: ١):
+ «أعظمك يا رب لأنك نشلتني **ولم تُشْمت** بي أعدائي». وأيضاً: (مز ٣٥: ١٩ و٢٤):
+ «**لا يشمت** بي الذين هم أعدائي باطلاً ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب».
+ «اقضِ لي حسب عدلك يا رب إلهي **فلا يشمتوا بي**». وأيضاً: (مز ٣٨: ١٦):
+ «لأني قلت لئلا **يشمتوا** بي. عندما زلَّت قدميَّ تعظَّموا عليَّ».

٤٣ – «أَيْضاً رَدَدْتَ حَدَّ سَيْفِهِ، وَلَمْ تَنْصُرْهُ فِي الْقِتَالِ».

انظر: (٢صم ١: ٢٢):
+ «من دم القتلى من شحم الجبابرة لم **ترجع** قوس يوناثان إلى الوراء وسيف شاول لم **يرجع** خائباً».

٤٤ – «أَبْطَلْتَ بَهَاءَهُ وَأَلْقَيْتَ كُرْسِيَّهُ إِلَى الأَرْضِ».

٤٥ – «قَصَّرْتَ أَيَّامَ شَبَابِهِ غَطَّيْتَهُ بِالْخِزْيِ. سِلاَهْ».

عجَّلت بشيخوخته. انظر: (مز ١٠٢: ٢٣ و٢٤):
+ «ضعَّف في الطريق قوتي قصَّر أيامي. أقول يا إلهي لا تقبضني في نصف أيامي ...».

قد تجوز هذه على الأمة ولكن الكلام على الملك لأنه كان صغير الأيام، يهوياكين الذي جاء إلى عرشه في سن ثماني سنوات وحكم ثلاثة أشهر وعشرة أيام. انظر: (٢أي ٣٦: ٩ و١٠):
+ «كان يهوياكين ابن ثماني سنين حين ملك وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم. وعمل

الشر في عيني الرب. وعند رجوع السنة أرسل الملك نبوخذناصر فأتى به إلى بابل».

فعاش بكور حياته في الأسر والخزي ثم بعد ٣٧ سنة صار في كرامة. انظر: (٢مل ٢٥: ٢٩):
+ «وغيَّر ثياب سجنه وكان يأكل دائماً الخبز أمامه (ملك بابل) كل أيام حياته».

[٤٦ – ٥١]:

يتوسَّل صاحب المزمور لدى الله أن يسحب غضبه وينهي على هذه المضادة جاعلاً قصر الحياة سبباً لذلك.

٤٦ – «حَتَّى مَتَى يَا رَبُّ تَخْتَبِئُ كُلَّ الاِخْتِبَاءِ؟ حَتَّى مَتَى يَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَضَبُكَ؟».

انظر: (مز ٧٩: ٥):
+ «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غَيْرَتُك».

٤٧ – «اذْكُرْ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ، إِلَى أَيِّ بَاطِلٍ خَلَقْتَ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ!».

انظر: (مز ٣٩: ٤):
+ «عرفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي فأعلم كيف أنا زائل». وأيضاً: (أي ٧: ٦ و٧ و٩):
+ «أيامي أسرع من الوشيعة وتنتهي بغير رجاء».
+ «اُذكر أن حياتي إنما هي ريح وعيني لا تعود ترى خيراً ... السحاب يضمحل ويزول. هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد!». وأيضاً: (أي ١٤: ١ و٢):
+ «الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسم ويبرح كالظل ولا يقف».

بسبب قصر العمر وذهابه سريعاً يتوسل صاحب المزمور لكي يعيد الله رحمته، وهو نفسه يشتهي أن يرى حلاً لهذه المضادة التي أنهكت عقله. وبالتالي يعرض رجاء ألوف وربوات في السبي، لأن إيمانهم تعب وقد تجرَّب على الواقع. فهل سيحيون ليروا رجوعاً وخيراً كالأول؟

«إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم»:
هل تنتهي الحياة مستنــــزفة في ترقب لخلاص غائب. انظر: (مز ٣٩: ٥ و١١):
+ «هوذا جعلتَ أيامي أشباراً وعمري كلا شيء قدامك. إنما نفخةً كل إنسان قد جُعل. سلاه».

+ «بتأديبات إن أدَّبت الإنسان من أجل إثمه أفنيتَ مثل العث مشتهاه. إنما كل إنسان نفخة».

٤٨ – «أيُّ إنسانٍ يحيا ولا يرى الموتَ؟ أيٌّ يُنجّي نفسه من يد الهاوية؟. سلاه».

اسم الإنسان هنا الرجل: geber أي شديد، تمييزاً عن المرأة والطفل. فما قيمة جبروت الرجل الذي يحيا لكي يتخلّص من قبضة الموت الحديدية؟

فلا يوجد سلاح ضد هذا العدو. وقبضته الثلجية على رؤوس الملوك!

٤٩ – «أين مراحمك الأُوَل يا ربُّ، التي حلفت بها لداود بأمانتك؟».

يعود بعد وصلة موسيقية (سلاه) ليذكّر الله بنوع الصلاة: أين إحساناتك؟ أين أمانتك؟ هل كانت للماضي فقط؟ هل اختفت ولا تعود؟ انظر: (مز ٧٧)، (إش ٦٣). وأيضاً انظر: (قض ٦: ١٣):

+ «أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر؟ والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان».

الجواب:

+ «فالتفت إليه الرب وقال: اذهب بقوّتك هذه وخلّص إسرائيل من كف مديان. أما أرسلتك؟».

٥٠ – «اذكر يا ربُّ عار عبيدك الذي أحتمله في حضني من كثرة الأمم كلّها».

ماذا يقولون للأعداء الذين يعيّرون شعبه بآلهة: هل يقدر أن يخلّصهم؟ انظر: (مز ٧٤: ١٠ و١٨ و٢٢):

+ «حتى متى يا الله **يعيّر** المقاوم ويهين العدو اسمك إلى الغاية؟».
+ «اذكر هذا أن العدو قد **عيّر** الرب وشعباً جاهلاً قد أهان اسمك».
+ «قم يا الله. أقم دعواك. اذكر **تعيير** الجاهل إياك اليوم كله». وأيضاً: (مز ٧٩: ٤ و١٠):
+ «صرنا **عاراً** عند جيراننا، هزءاً وسخرة للذين حولنا».
+ «لماذا يقول الأمم **أين هو إلههم**؟ لتُعرف عند الأمم قدّام أعيننا نقمة دم عبيدك المهراق».

كيف أحتمل في حضني عار عبيدك؟ انظر: (حز ٣٤: ٢٩):

+ «وأقيم لهم غرساً لصيت فلا يكونون بعد مفنيّي الجوع في الأرض ولا يحملون بعد **تعيير** الأمم». وأيضاً: (حز ٣٦: ٦ و١٥):

+ «فتنبّأ على أرض إسرائيل وقل للجبال وللتلال وللأنهار وللأودية هكذا قال السيد الرب. هأنذا في غيرتي وفي غضبي تكلّمت من أجل أنكم حملتم **تعيير** الأمم».
+ «ولا أُسمِّع فيكِ من بعد **تعيير** الأمم ولا تحملين **تعيير** الشعوب بعد ...».

٥١ – «الذي به عيّر أعداؤك يا ربُّ، الذين عيّروا آثار مسيحك».

انظر: (مز ٧٩: ١٢):

+ «ورد على جيراننا سبعة أضعاف في حضنهم العار الذي **عيّروك** به يا رب».

«آثار مسيحك»:

سباب الرعاع خلفه أينما سار. انظر: (مز ١٧: ١١):

+ «**في خطواتنا** الآن قد أحاطوا بنا. نصبوا أعينهم ليزلقونا إلى الأرض». وأيضاً: (إر ١٢: ٦):
+ «لأن إخوتك أنفسهم وبيت أبيك قد غادروك هم أيضاً. هم أيضاً **نادوا وراءك** بصوت عالٍ».

وكأن المزمور يصف الملك المأسور يهوياكين وهو يسير في الشوارع ووراءه زفّة من الرعاع يستهزئون به! وهو إهانة لكل إسرائيل ولصاحب المزمور وليهوه العظيم.

والترجوم يستخدم عبارة «آثار مسيحك» ليخاطب بها المسيا وكيف قد تأخر مجيئه.

٥٢ – «مُبارَكٌ الرَّبُّ إلى الدَّهرِ آمينَ فآمين».

ذكصولوجية نهاية الكتاب الثالث.

انتهى الكتاب الثالث
لسفر المزامير

كتابات الأب متى المسكين

(يونيو ٢٠٠٧م)

أحدث ما صدر من كتب للأب متى المسكين:

☐ أبونا القمص متى المسكين (السيرة الذاتية).

☐ رسائل الأب متى المسكين.

سلسلة "مع المسيح":

- مع المسيح (الكتاب الأول).
- مع المسيح (الكتاب الثاني).
- مع المسيح (الكتاب الثالث).
- مع المسيح (الكتاب الرابع).

سلسلة شروحات الإنجيل:

- القديس بولس الرسول
- شرح رسالة رومية
- المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
- شرح إنجيل القديس يوحنا ــ ج ١
- شرح إنجيل القديس يوحنا ــ ج ٢
- شرح الرسالة إلى العبرانيين
- شرح الرسالة إلى أهل أفسس
- شرح الرسالة إلى أهل غلاطية
- شرح الإنجيل بحسب القديس مرقس
- شرح سفر أعمال الرسل
- شرح الإنجيل بحسب القديس لوقا
- شرح الإنجيل بحسب القديس متى

شرح إنجيل متى (أصحاحات منفصلة) طبعة اقتصادية للاستعمال الفردي أو للدراسة الجماعية

- الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول: شرح وتفسير
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير، في أربعة مجلدات. المجلد الأول: المقدمة
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الثاني: من مزمور ١ حتى ٤١
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الثالث: من مزمور ٤٢ حتى ٨٩
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الرابع: من مزمور ٩٠ حتى ١٥٠

مجلّدات في مواضيع متنوعة:

- النبوَّة والأنبياء في العهد القديم
- القديس أثناسيوس الرسولي
- الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- حياة الصلاة الأرثوذكسية
- المسيح: حياته وأعماله

سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:

- التقليد المقدس

- القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)
- الصليب المقدس
- التسبحة اليومية ومزامير السواعي
- الإفخارستيا
- إفخارستيا عشاء الرب (ملحق كتاب الإفخارستيا)
- المعمودية: الأصول الأولى للمسيحية

سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية:

- أعياد الظهور الإلهي
- الصوم الأربعيني المقدس
- مع المسيح في آلامه حتى الصليب
- القيامة والصعود
- الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)
- التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير (مع عظة الميلاد للأب متى المسكين)
- ميلاد يسوع المسيح ابن الله
- رسالة الميلاد لنا اليوم وعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا

مقالات منفصلة عن الميلاد والغطاس

مقالات تصلح للخدام والشباب:

- الخدمة (٣ أجزاء معاً)
- المسيحي في المجتمع
- المسيحي في الأسرة
- كيف تقرأ الكتاب المقدس
- في التدبير الروحى
- توجيهات فى الصلاة

أسبوع الآلام:

- مع المسيح في آلامه وموته وقيامته
- لأعرفه وقوة قيامته

عيد القيامة المجيد:

- القيامة والخليقة الجديدة
- القيامة والرجاء الحى
- قيامة المسيح هي فرح البشرية الدائم

مقالات منفصلة عن عيد القيامة

عيدا الصعود والعنصرة:

- عيد الصعود في اللاهوت الكنسي
- رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة
- يوم الخمسين في التقليد الآبائي
- الروح القدس وعمله داخل النفس
- مع الروح القدس في جهادنا اليومي
- يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

مقالات منفصلة عن عيدي الصعود والعنصرة

صوم الرسل:

- صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل
- عيد الرسل وإيمان الكنيسة

صوم العذراء وعيد صعود جسدها:

- صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء
- مع العذراء القديسة مريم

عيد النيروز:

- الشهادة والشهداء (انظر: قصص مسيحية للحياة)

مقالات منفصلة عن عيد الشهداء

مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)

- ماهية المسيح ـــ لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان
- المسيح ابن الله
- ابن الإنسان
- المسيح والمسيَّا
- المسيح رب
- المحبوب
- الفدية والكفارة
- الخلاص والإيمان
- عمانوئيل
- رئيس الحياة
- أنا هو نور العالم
- العريس
- أنا هو الطريق والحق والحياة
- أنا هو خبز الحياة
- أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام
- حمل الله
- أنا هو القيامة والحياة
- مشتهى كل الأمم
- أنا هو الراعي الصالح

في الموضوعات الروحية العامة:

- التوبة
- التوبة والنسك في الإنجيل
- العمل الروحى
- الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل
- رسائل القديس أنطونيوس
- الإيمان بالمسيح
- حبة الحنطة
- أين شوكتك يا موت
- التبرير
- الوحدة المسيحية
- مقالات بين السياسة والدين
- ملكوت الله
- المرأة حقوقها وواجباتها
- الكشف الأثرى في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي
- لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر
- سيرة القديس أنبا مقار
- رسائل روحية
- غاية الحياة المسيحية
- القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي
- رأي فى تحديد النسل
- الكنيسة الخالدة
- كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة
- الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم

- لقد وجدنا يسوع ـــ دعوة تعارف
- قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)
- تغيَّروا عن شكلكم
- حاجتنا إلى المسيح
- الكتاب المقدس رسالة شخصية لك
- النعمة في العقيدة والحياة النسكية
- الحدود المتسعة للإيمان بالله
- فى تعليم المبتدئين
- ميلاد المسيح وميلاد الإنسان
- نصائح لرهبان جدد + اختبار الله في حياة الراهب
- تاريخ إسرائيل
- كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل
- الحكم الألفي
- أنشودة للتجسُّد
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ـــ الجزء الأول
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ـــ الجزء الثاني
- رسالة توعية
- "الإنسان والخطية" رسالة سلام للنفس المتعبة
- رسالة حياة لمن يطلب الحياة "تسليم الحياة للمسيح"
- الله واحد مع شرح صلاة "أبانا الذي في السموات"
- فن الحياة الناجحة
- كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس
- التحولات الروحية السوية
- إرشادات روحية للرهبان
- توجيهات ونصائح رهبانية
- متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات

- قصص مسيحية للحياة

(في مجلد واحد)

(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالآتي):

- سفراء من العالم الآخر
- في زقاق المسيحيين
- قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس
- النيروز وذكرى أيام الشهداء
- أيقونة جميلة
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية
- قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر
- أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز
- تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح، اتِّباع المسيح وبهرجة الفلسفات

تُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا ـــ تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين ـــ محرم بك ـــ تليفون ٤٩٥٢٧٤٠

أو من مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org